مخطوط رقم	3834 م.ك	الموضوع	موعظة
العنوان	احياء علوم الدين		
المؤلف	الغزالي ; ابوحامد محمد بن محمد ـ 505 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (6) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ معتاد	عدد الأوراق	207
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده المومن من الوالدة بولدها وقال
جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يحاسب حسابا
يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه
ويروى ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاثتك فارون قل بغيته وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعيد بن ابي عروبة العفو ما خرج رجلين من اهل
النار يقول الله تبارك وتعلى بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بهما الى النار
فيعذبا احدهما في سلاسله حتى يعجمها ويلكما الاخر ويامر بهما وسلاسلهما عن اعلاهما فيقول
الذي عذبا الى النار قد حرمت من وبال المعصية ما لم اكن ارجو ان يسعك مرة بقيته ويقول الذي
كان احسن ظني بك كان ستعرفني ان ترديني اليها بعد ما اخرجني منها فيامر بهما الى الجنة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان
لي قبلكم عفوته لكم وهبت السيئات حتى اهيوا فادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا
سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما القدم
منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة
بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي والله ما من حديث سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم
قد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله
عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص
رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها
مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر
فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل
يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير
فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم
تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعلى شفعت الملائكة وشفع النبيون
وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا
قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج
الحبة من حميل السيل الا ترونها كيف تخرج ملتوية الى الحجر والشجر ما يكون الى الشمس اصفر واخيض
وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية
قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله
الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم
فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله لكم عندي افضل من هذا
فاي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا رواه البخاري ومسلم

وفي صحيحهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم بمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه
واحد والنبي ليس معه احد فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذا موسى
وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا
فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هذه امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين
عنى الله ما نحن فيه لعلهم ان يكونوا اولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام
فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم
فقال سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن خزيمة الانصاري قال غبنا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثا ثم اتانا فخرج الى الصلاة مكتوبة ثم رجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا
فقلنا يا رسول الله احبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير
ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه
الليلة الايام المزيد فوجدت ربي واحدا اماجل كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين
الفا سبعين الفا قال ملت يا رب وبلغ امتي هذا قال اكملك العدد من الاعراب والجفاة
يؤد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض علي جبريل في جماعة من الملائكة فقال بشر
ان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا
قال نعم وان سرق وان زنا قلت وان سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا وان شرب الخمر
قال ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان
زنا وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق
قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق قال وان رغم انف ابي
الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مومن رجل من
اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار يهودي او نصرانيا
فسمعه عمر بن عبد العزيز فقال يا ابا موسى الله الذي لا اله الا هو اسمعت ابا ابيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم ورواه ايضا وقف صحيح في بعض المعاني بيانه على عليه فيمن مر به يوم صارف شديد الحر فصبرت
على حر جهنم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها عليها حتى اذا دنت الصبي والصفة على صدرها ثم
ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت اني ابيت بيتكا الناس وتركوا
بيوتهم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فسر بوضعهم بيوتهم ثم قال
ثم من رحمته هذه لا شيء فالوا نعم قال فان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بها فقوموا للسلوم
افضل السرور ولعظم البشارة وهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشر
عبيده رحمه الله فنرجو من الله تعالى ان لا يخيبنا مما نستخفه ونتفضل علينا بما هو اهله بمنه
وجوده تم الكتاب ولله الحمد وبه كمل كتاب احياء علوم الدين والله اعلم

والصلوة على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم كثيرا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اهل في الجنه خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك ابتك بفرس من ياقوته
ثم لا تطير بك في الجنه حيث شئت وقال له رجل اخر ان الابل تعجبني فهل في الجنه من ابل فقال يا عبد الله
ان ادخلت الجنه فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنه ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعه
واحده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنه في الجنه اتى اولا الاخوان الاخوان فيسير
مسير هذا الى يسر هذا فيلتقيان فيجد ثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا
في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنه جرد مرد مكحلون
جعاد مكسوون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق ادم طولهم ستون ذراعا عرض سبعه اذرع وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادنى اهل الجنه الذي له ثمانون الف خادم واسار وسبعون زوجه وتنصب له قبه
من لولو وزبرجد وياقوت كما بين الجابيه وصنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لولوه منها ليضيء ما بين
المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم انظر الى الجنه فاذا الرمانه من رمانها كحلف البعير
المقتب واذا عنقودها كالبخت واذا فيها جاريه فقلت يا جاريه لمن انت فقالت لزيد بن حارثه
واذا في الجنه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله ادم بيده
وكتب التوراه بيده وغرس الجنه بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فهذه صفات
الجنه ذكرناها جملة ثم نعلمها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال ازرياها
مثل الذكار وانهارها من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه
الرجال وانهار من خمر لذه للشاربين كما سماه الله في كل موضع من القرآن لا تصدع منه الرووس ولا تنزف
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابدا لا تبلى ثيابهم ولا تفنى في سن واحد طولهم ستون ذراعا
في السما كل جرد مرد قد امتوا العذاب واطمانت بهم الدار وامن بهارها لا تجري على رضراض
من ياقوت وزبرجد وان عرضها وتحلها كريها اللولو وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وازيرها
ليوجد من مسيره خمس مايه سنه وان لهم فيها خيلا وابلا هجانه رحالها وازمتها وسروجها
مسعفين عليه فيلبسها فيري في سائها من وراء لكثافه لحمه حمله وقد طهر الله الاحلاق من السوء
والاحداث من الموت لا يموتون ولا يبولون ولا يغوطون ولها هو حتما وريح مسكهم ورشحهم فيها مكرمه
معتبا اما انه ليس لهم بكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان اخر من يدخل الجنه
وادناهم منزله لمن له في بصره وملكه مسيره مايه عام في قصور الذهب والفضه وخيام
اللولو ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدا عليهم بسبعين الف صحفه
من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفه لون ليس في الاخر بحد طعم اخره كما يجد طعم اوله
وان في الجنه لدقونه فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب
وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنه منزله لمن ينظر في ملكه الف سنه حتى يرى اقصاه كما يرى ادناه
وافضلهم الذي ينظر الى ربه بالغداه والعشي وقال ابو سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنه الا وفي يده
طسه اسوره سوار من ذهب وسوار من لولو وسوار من فضه وقال ابو هريره لزوج الجنه حوراء يقال
لها العينا اذا مشت سمي عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفه وهي يقول الله تعالى الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا اسهل من ترك الجنه اسهل وترك الدنيا مهر
الاخره وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنه عز النفوس وما عجل المختار الى المذله في طلب
ما يفني ويبقى العز في طلب ما يبقى صفه الروضه وانظر الى وجه الله تعالى قال الله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزياده وهذه الزياده هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذه الكبرى التي ينسي
ما يعقبها لذه ابدا وقد ذكرنا احاديثها في كتاب الجنه وقد سهدنا لها الكتاب والسنه على خلاف
فرأى الفرقه البوريه فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا يضامون في رويته فان استطعتم
ان لا تغلبوا على صلاه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فاتفقوا عليه اخرجه في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب مالك قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

للذين احسنوا الحسنى وزياده قال اذا دخل اهل الجنه الجنه واهل النار النار نادا مناد
يا اهل الجنه ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض
وجوهنا ويدخلنا الجنه ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا
شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روي حديث الرويه جماعه من الصحابه وهذه هي غايه الحسنى
ونهايه النعيم وكل ما فعلناه من السبع هذه النعيم شيء وليس لسرور اهل الجنه عند سماعه
اللقا منتهى بل الاشد منه لشيء من لذات الجنه الى لذه اللقا وقد اوجزنا الكلام هاهنا لما فصلناه
في كتاب المحبه والرضا فلا ينبغي ان يكون همه العبد من الجنه شيء سوى لقا الله المولى فاما
سايز نعيم الجنه فانه يشارك فيه البهيمه السرحه في المرعى لختم الكتاب

بيان

في سعه الرحمه على سبيل التفاول لذلك فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحب التفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفره سعدي بن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في التفال ونرجو ان نختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والاخره كما ختما
الكتاب بذكر رحمه الله تعالى وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما يكرهه القدر وطغى به القلم
وسبقت به المشيه من كل ذنب ارتكبناه وخطيئه اجترحناها ونستغفره من كل ما وافقها اعمالنا ونستغفره
مما ادعيناه والطهرناه من العلم والبصيره بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره
من كل عمل وعلم قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل عبد
وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفا به ونستغفره من كل نعمه انعم بها علينا واستعملنا بها
في معصيته ونستغفره من كل خطره دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه
او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا
ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه او يكرمنا بالمغفره والرحمه والتجاوز عن جميع
السيات ظاهرا وباطنا فان الكريم يحب العفو ويحب اهله والحمد على اصناف الحلال وما يعين
ونحن خلق من خلق الله لا وسيله لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى
مايه رحمه انزل منها رحمه واحده بين الجن والانس والطير والبهايم والهوام فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمه يرحم بها عباده يوم القيامه ويروى انه اذا كان يوم القيامه
اخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار
مثل اهل الجنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنا يوم القيامه صاحبكما
فيقول اسير وامعتبر المسلمين فانه ليس بتركي الا وقد جعلت كانه في النار يهودي
او نصراني وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى اذا مر يوم القيامه من جميع ذريته
مايه الف الف وعشره الاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامه
للملائكه من هؤلا احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول
قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامه
اخرجوا من النار من ذكرني يوما وخافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شا الله ومعهم من اهل القبله قال الكفار للمسلمين الم تكونوا
مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقول الله عز وجل ما قالوا ايتوني به
لنا دتوف فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيخرج فيأمر باخراج من كان في النار
من اهل القبله فيخرجون فاذا راى الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا

عليه فقد اقتنى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام وشرب الصيام
شهر رمضان ومن صام شهرا ثلاثة ايام فقد اداء الصيام ومن صلى العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة
فقد صلى الليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله
تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ وكل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل
فراش من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت
سبعون وصفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك صفة
جانب الجنة فارضها واشجارها وانهارها تاملة في صورة الجنة وتفكر في عبطة سكانها وحبرتها
من حرمها لغناءه بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك وسئل صلى الله عليه
وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان سقيه الله الخمر في الاخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير
في الاخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل
الجنة حلية عدلت حلية اهل الدنيا جميعها لكان ما حلية الله به في الاخرة افضل من حلية اهل الدنيا
جميعا قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مايه عام
لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون ان الله عز وجل سيعا بالاعراب وما بالهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن
شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال
السدر فانها تستوكا فقال اما ان الله تعالى سيقطع كل شوكة منها فيجعل مكان كل شوكة
ثمرة يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر وقال الحر بن عبد
الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة فذكرت الشمر ان يشبعه فقلت للغلام انطلق بنا
الشط فاطلبه فانطلق فاطلبه فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا حر بن عبد
الله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري
قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عودا لا اكاد اراه من صغره فقال يا حر بن عبد الله ان الجنة مثل هذا
لم تجده قلت يا عبد الله فاين النخل والنخور قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر صفة
لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وازارهم وحبائهم وعمائهم قال الله تعالى يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير وفي الآيات تفصيل ذلك كثيرة واما الخبر
في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبوس لا
تبأبه ولا تفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول
الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اغلظ ثخانة ام رقتها فسكت صلى الله عليه وسلم وضحك
بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل يسأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل يسفق عليهم الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون امشاطهم
من الذهب والفضة ومجامرهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان من الحور يرى مخ سيقانهما
من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية ابو
على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى خالدين فيها من اساور من ذهب
قال ان عليهم السوار ان اذى لؤلؤه فيها نضخ ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة
طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الاخرون رواه البخاري في الصحيح
قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض
صفة طعام اهل الجنة بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه طيور
السماء والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة فقال

ثويا زمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار
اليهود فذكر اسوله الى ان قال فاين الناس اجازه يعني على الصراط فقال هم في الظلمة دون
الجسر حبر يطوون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاهم على اثرها قال ثور يرتع في الجنة
الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها يسمى سلسبيلا قال صدقت وقال
زيد بن ارقم جاء حبر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها
ويشربون وقال الاصحابه ان اقر لي بعد احصمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان
اقر لي بعد احصمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل من المطعم والمشرب
والجماع فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق ينبع
من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد المؤمن في الجنة
ان يشتهي شيئا خر له طير امثال البخاتي
قال ابو بكر رضي الله عنه انها لناعمة يا رسول الله قال انهم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر
وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس في الاخرى
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومزاجه من تسنيم قال ليمزج لاصحاب اليمين وسئل عنها المقربون صرفا
وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم
لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحها وطيبها صفة
الحور العين والولدان قد ذكرت في القرآن في اوصافهم وردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبدوه في سبيل الله او زوجه خير من الدنيا وما فيها ولثاب قوس احدكم
او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت
وتملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر في جوهرها فيرى
اصفى من المراة ان الدنى لؤلؤه عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا
سقدها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال اسرافيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسرع
لي الجنة موضعا سمي اليسرى عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر واليا قوت الاحمر فقال السلام
عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا السلام قال هو اسم الله تعالى وهذه الخيام اسنادها بهمزة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى
وازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والمخاط والمني والولد وقال رجل يا رسول الله
اسباطع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم قوة الف رجل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر
ان ادنى اهل الجنة منزلة من سبع معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمس مائة حوراء واربعة الف بكر او ثمانية الف ثيبا يعانق
كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها لجمعا الا الصور من الرجال
اذا صورة من الرجال اشتهى الرجل صورته دخل فيها وان فيها لجمعا الحور العين ترفعن
باصوات لم تسمع الخلائق مثلها تقول نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبوس ونحن الراضيات
فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع
في الجنة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يغنين يقلن نحن الخيرات الحسان
لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا جلس
عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار
ان الشيطان لكن بتحميد الله وتقديسه بيان اهل الجنة بما يعرفونه من اوصاف اهل الجنة وردت
بها الاخبار روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اصحابه الا هل مشمر فان الجنة
لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة
كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وهذا رضا

حرارتي وقلت ذلك وهذا اسعدك ادام سعدك على السعي في طلب رضا الله بطاعته وترك معاصيه فطوبى لمن
يدرك الاهوال العظام وارتياع قلبك من خطرك مع الحواران سلمت فانها هكذا به هو وفزعاوزعا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجوز امته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل
يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها
مثل شوك السعدان غير انها لا يعلم قدر عظمها الا الله تعلق الناس باعمالهم ومنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجا
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب خطاطيف
تخطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملايكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر به مثل البرق ومنهم من يمر
كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف
زحفا واما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيردون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون حمما
ثم يؤذن في الشفاعة وذكر الى اخر الحديث وعن ابي سعيد رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والاخرين
في ميقات يوم معلوم فيلهمهم يوم سبعين ساحة عرقا ثم يقال لهم ارفعوا رؤسكم الى السماء سطرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سيد الموقف
قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون ومنهم من يعطى نوره مثل الجبل
العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره باصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر
من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويخبو امره فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا اطفأ قام
وذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم ومنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي
نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر هذه يد وتعلق رجل وتخر اخرى وتصيبه النار
فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله مالم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ
رايتها فينطلق به الى عذيرات الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط
كحد السيف وكحد البعيره وان الملايكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لاخذ بحجزتي واني لاقول رب
سلم سلم فالناجون والناجات يومئذ كثير وهذه احاديث مطولة فيه فحركت فاس الناس
عن اهوال القيامة من طال ابقاؤه ذكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها
في الاخرة وليسعى بالخوف رقه كوفه النهار يدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم يسكن على اقرب
وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء فمن خاف شاهد بنفسه ومن رجا شاهد طلبه فلا يجتمع لا
لمستهام الاستواء فمال احدهم استغفرت بالله تعوذ يا الله سلم وهو مع ذلك مصروف على الصراط الى
هي سبيلا كهم فالشيطان يتمثل له استعاذ بقربك كما يتمثل على من يصدده سبع ضاري في صحرا
ووراءه حصن فاذا راى اباب السبع وصولته من بعد قال لبسالته اعوذ بهذا الحصن حصين واسعد
سيده ببنائه واحكام اركانه فيقول ذلك لبسالته وهو قاعد في مكانه فالى يعني ذلك عنه من السبع
وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله فهذا قول ومعنى صدقه ان يدع قربك مقصود سوى الله تعالى
والمعبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعد عن الصدق في توحيده وامره لحظ نفسه فان عرف ذلك
كله فكل محبة الرسول الله صلى الله عليه وسلم جريا على تعظيم سنته ومستوفا الى مرعاة مكوبا لطالب
اتباعه صفة الشفاعة اعلم انها اذا حق دخول النار على طوايف من المؤمنين فان الله تعالى يتفضل
فقال لهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه فحسن معاملته
تنله الشفاعة وذلك بان لا تحقر ادنى اصلا فان الله تعالى جاء لا يبغي على عباده فلعل الذي تزدريه عيونهم هو
ولي الله واستصغر معصيه اصلا فان الله تعالى جاء عصيه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا
فان الله خبا رضاه في طاعاته فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة الحلوة وما يجري مجراه
وسواهر الشفاعة في القران والاخبار كثيره قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمر بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي بكا فقال الله عز وجل
يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه جبريل فاخبره والله اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل
اعطيك عمالم يطمع احد قبلي يصرف بالرعب مسيره شهر واحللت لي الغنائم ولم يحل لاحد قبلي وجعلت
لي الارض كلها طيبا ومطهرا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وانا اول من ينشق عنه الارض
وانا اول شافع واول مشفع بيدي لواء الحمد تحته ادم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة

مستجابة فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع الله الناس فيقومون على ربواتهم ثلاثين عاما او اربعين عاما مهطعين مقنعي رؤسهم قد الجمهم العرق
الى الجمه وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب
عجل حسابهم فاذا الشفع حتى اعطي صكاك براجال قد عرفت سيماهم الى النار وحتى ان مالك خازن النار
يقول يا محمد ما تركت النار لغضب ربك ولا لمنك من ربك وقال صلى الله عليه وسلم اني لاسفع يوم القيامة
باكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت
تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعضهم لبعض
عليكم بادم عليه السلام فياتون ادم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد
بلغنا فيقول لهم ادم عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون
يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فياتون ابرهيم خليل الرحمن فيقول لهم ابرهيم خليل الله عليه السلام فيقولون انت نبي الله
وخليله من اهل الارض اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات وذكرها نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك برسالته
وبكلامه على الناس اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى
فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله صلى الله عليه وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت
الناس في المهد اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتون محمدا
يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اسفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيا لم يفتحه
على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب فقال يا محمد
ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة
وبصرى وفي حديث اخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطبا يا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله انهم
بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم فهذه شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاد امته من العلماء والصالحين
شفاعته اضعاف ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعته رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله
عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للفئة والاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فناداه
رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما
فاستسقيتني شربة ما فسقيتك قال فقد عرفت ما فاشفع لي بها عند ربك فقال اهل الجنة استسقيني
الى اشرفت على اهل النار فناداني رجل منهم فقلت له من انت فقال انا الذي سقيتك شربة ما في الدنيا فشفعني
في الدنيا فشفعك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فسقيته الله فيه فيخرج من النار وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة
يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين
العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس رضي الله عنه هل بين الناس من اصحاب
عليه وسلم يسطرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فمع هويتهم فقال بعضهم ان الله عز وجل
اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال اخر ما ذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر
عيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال سمعت كلامكم

قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد رجعت والجحيم قد سعرت والجنه قد ازلفت والحيوان قد
نسفت والارض قد مدت يومئذ ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم يومئذ على الارض والجبال قد كانتا دكه واحده فيومئذ وقعت الواقعه وانشقت السماء فهي يومئذ واهيه
والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه يوم يسير الجبال ترى الارض
بارزه يوم ترجف الارض فيه رجفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم يدخل فيه كل مرجعه عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
يوم يسعى فيه الجبال سعيا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامده وهي تمر
مر السحاب يوم يتسق فيه السماء كالمهل وورده كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه الكلام
من الكلام ولا يسئل فيه على الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم يعرفه كل نفس ما احضرت وشهد ما قدمت واخرت يوم تحمر فيه الاسره وتطفو
الجوارح يوم يستحكم سيد المرسلين اذ قال له العدو رضي الله عنه اراك قد شبت يا رسول الله قال شيبتني هود
والواقعه والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيها القارئ العاجز انما حظك من قراءتك ان تحرك به اللسان ولو كنت تفكر فيما تقراه لكنت جديرا بان تبقى مرارتك فيما شاب به سعر سيد الكتب
واذا دققت تجد اللسان قد حركت شفتاه فيما تقراه احرما اذكر فيه وقد وصف الله تعالى دواهيها
واكثر من اسمائها للعقد لكثره اسمائها على كثره معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالفاظ
بل الغرض يتبعه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسمائها القيامه سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص
على معرفه معانيها ونحن الان نجمع لك اسمائها فمن يوم القيامه ويوم الحسره ويوم الندامه ويوم التغابن

ويوم المساله	ويوم المطالبه	ويوم المنافسه	ويوم المنافسه	ويوم الزلزله	ويوم الرمدمه ويوم الصلصله
ويوم الواقعه	ويوم القارعه	ويوم الراجفه	ويوم الرادفه	ويوم الغاشيه	ويوم الراجفه ويوم الارجه
ويوم الحاقه	ويوم الطامه	ويوم الصاخه	ويوم التلاق	ويوم الفراق	ويوم المساق ويوم الصاخه
ويوم التناد	ويوم الحساب	ويوم الماكب	ويوم العذاب	ويوم الفرار	ويوم القرار ويوم اللقاء
ويوم التغابن	ويوم العقبا	ويوم الحدا	ويوم البلا	ويوم البكا	ويوم الحسر ويوم الوعد
ويوم العرض	ويوم الوزن	ويوم الحق	ويوم الحكم	ويوم الفصل	ويوم الجمع ويوم البعث
ويوم الفتح	ويوم الخزي	ويوم عظم	ويوم عقم	ويوم عسير	ويوم الدين ويوم البقين
ويوم النشور	ويوم المصير	ويوم النفخه	ويوم الصيحه	ويوم الرجفه	ويوم الرجه ويوم الزجره
ويوم السكره	ويوم الغرغ	ويوم الحريق	ويوم المنتهى	ويوم الماوى	ويوم الميقات ويوم الميلاد
ويوم المرصاد	ويوم الفلق	ويوم العروق	ويوم الانتقار	ويوم الانكدار	ويوم الانشقاق ويوم الانفطار
ويوم الوقوف	ويوم الخلود	ويوم الخروج	ويوم التغابن	ويوم عبوس	ويوم معلوم ويوم موعود
ويوم مشهود	ويوم لا ريب فيه	ويوم تبلى السرائر	ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا		ويوم يحشر فيه الابصار
ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا		ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا			ويوم يدعون الى نار جهنم دعا
ويوم يسحبون في النار على وجوههم		ويوم يقلب وجوههم في النار	ويوم لا تجزي والد عن ولده		ويوم يفر المرء من اخيه

وامه وابيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون
يوم لا تسمع الا همسا الا لمن اذن له الرحمن يوم لا يسمع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنه ولهم سوء الدار يوم يرد فيه المعاد بريح السرابيل
وتظهر الصنابير وتنكشف الاستار يوم تخشع فيه الابصار وتشكر الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز
الحفيات وتظهر الخفيات يوم تبيض وجوه الاتقياء وتسود وجوه الاشقياء وتشيب الصغير ويشكر الكبير فيومئذ
وصيفت المرابر وبعثرت الدفاين وبرزت الجحيم وعلى الجحيم وزفرت النار فنفس الكفار وسعرت المنهرين حتى
وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان بما كانت الانسان ما غرك بربك الكريم حتى
اعلقت الابواب وارخيت الستور واستعر على الخلائق مفارقت الخير فعند ذلك تشقق وقد تشهدت
عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله تعالى لنا سرا من الرسلين وسترا عليه
الكتاب المبين وخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين فبعد فنا عقلنا ويقول اقرب للناس حسابهم
وهم في غفله معرضون وما يتهمنا من ذكر سر بحرف الا سمعوه وهم يلعبون لا هيه قلوبهم يعبثون
قرب القيامه فيقول اقربت الساعه واشق القمر اقتربت الساعه وانواء قربها وما يدريك لعل
الساعه تكون قريبا لم يكن احق احوالنا ان يحذر امامه هذا القرآن الا ما اشتد توعيه والطف
في كثره اوصافه بهذا اليوم واسامية والاسعد للمخلص من دواهيه تعوذ بالله من هذه الفصله
الى سرا كتمها الله بواسع الرحمة صفه المسايله لم يتكن ما سكن

صفه القيامه طول يوم القيامه يوم يقف فيه الخلائق ساعه
منه تربه ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقاده يوم يوم هو على الناس كقدر خمسين الف سنه
على اقدامهم مقدار خمسين الف سنه لا ينظر اليهم ولا يقضي بينهم قال الحسن فاطمئن يوم واموالهم
عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرفوا عنه كما انصرفوا عنه وقد اكلوا منها وشربوا منه حتى اذا انقطعت اعناقهم
ملما بلغ المجهود منهم مبلغا لا طاقه لبشر به كلم بعضهم بعضا فطلب من يكون وسيطا بينه وبين ربه
يقضي الامر بينهم وقال ادعوا نبيا نبيا فاتوا نوحا فقالوا انت اول الرسل وقد سماك الله عبدا شكورا
وقال اقد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع لي فيقضي بيننا فاستحيا
ثم يرد ذلك فيه لا يملك الشفاعه الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فما امل في طول هذا اليوم وسعه الانتظار به
حتى تحف عليك انتظار الصبر على المعاصي في عمرك المحصور واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لسعه مفاسده
للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول
ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اهون عليه من الصلاه المكتوبه يصليها في الدنيا
فاجهد ان يكون من اولئك المومنين فادام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد يتيسر عليك وانما
واعلم ان ايام فصال الايام طوال ثقيل رحالها مسهى لسيره واسع قفرها مستحمر عمرك بلاغ الدنيا وهو سبعه الاف سنه
فانك لو ضربت سبعه الف سنه مثلا للمخلص من يوم مقداره خمسون الف سنه كان ربحك كثيرا ونسك يسيرا
رضا به القاضي سبحانه وتعالى الغريب اوانه يوم ترى السماء قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت
والشمس مكورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش

قال سمعت لي مسائل كان يسأل عنها النحو وقال ابو بكر الوسكري اسمه محمد الطوسي المعلم في اليوم فقال له
لابي سعيد الصفار المؤدب وكما على ان ابا محمد عن الهوى وقد وجاه الحليم وما حلما فقال له
ذلك له فقال كنا وفيه كل جمعه فلما اراده هذه الجمعه وقال لان اسدر ابا بشر المبارك في اليوم بعد يوم
ملك الموت قدمت قال لي ملك ما صنع الله بك قال اغفر لي بمعرفته احاطت بكل ذنب قلت صفعان الثوري قال
في لجج ذلك من البر ابع الله عليهم من النبيين والصديقين الابه وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي رحمه الله عليه يعود ويقول
في المنام مفلت يا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ورأى رجل احمد
ابي الحسن البصري ليله مات الحسن كان منادياً ينادي ان الله اعطى كل امرئ ما رجاه قال ابو هريرة قال ابو يعقوب القاري لقيني رأيت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا
قالوا ابو سير القوني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلمني في وجهي فقلت مسرسد فارسدني ارشدك الله فاقبل
على وقال اتبع رضى ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته واستطع رجاك منه في حالا ذلك ثم ولى وتركني وقال
ابو بكر بن ابي مريم رأيت وزقاق بشر الحمصي فقلت ما فعلت ياوزقاق قال غفر لي وتركني وقال
وجدوها الصلاة كل البكاء من خشية الله وقال يزيد بن هارون هلك جاري في الطاعون الجارف فرأيتها يوما
في المنام فقلت لها بنيه اخبريني عن الآخره فقالت يا ابه قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعلم وتعلمون ولا تعلمون والله نسبحه
او نسبحان او ركعه او ركعتان في مسجد عل احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عبد الله العالم
رأيت عتبه في المنام فقلت ما صنع الله بك قال ادخلت الجنه بسلك الدعوه المكتوبه في سلك قال فلما اصبحت
جئت الى بني فاذا خط عتبه في حائط البيت مكتوب ياهادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين
ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحبا المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنه يطير من نخله
الى نخله ومن بحيره الى بحيره فقلت يا ابا عبد الله بم ملكت هذا فقال يا نوري عاصم ذاك
لا كادبي الاكباري الكوك ورأى رجل ابن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول
الله عظني قال نعم من سعد النفصان هو في نقصان ومن كان نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رحمه الله
دهمني في هذه الايام امر امضى والمي ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان الليل رأيت في منامي
يا محمد بن ادريس قل اللهم اني اسألك نفسي صبرا وانعشها وامرتها واحياها واسترها واستطيع ان اخذ الامان
اعطيني والقني الامان وقيني اللهم فوقفني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافيه فلما اصبحت اعدت ذلك
فلما رحل النهار اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات تعقلوا عنها
فهذه جمله من الكلمات مذكوره على الحوال الموتى وعلى الاعمال المقربه الى الله تعالى فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى
ذكر الموت في احوال القبر ثم ما يكون من وقت نفخه الصور الى آخر الاستقرار في الجنه او النار وبعض ما بين يديه من الاهوال

الطرف الثاني من كتاب

والاخطار وفيه بيان نفخه الصور وصفه ارض المحشر واهله وصفه عرصات اهل المحشر وصفه طول يوم القيامه
وصفه الصراط وصفه اساسها وصفه المسابله عن الذنوب وصفه الميزان وصفه الحوض وصفه الحصا وورد آنيته
وصفه الجنه واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها وطيبها واهلها
وفرشهم وسررهم وصفه طعامهم وصفه الحور العين والولدان وصفه النظر الى وجه الله تعالى وباب
من سعه رحمه الله بدخول الجنه بغير حساب

اعلم ان الكتاب اذا اشتمل على ذكر الموت وما بعده من احوال القبر والصور وغرائب ما سيق لاجله احوال
الدنيا كان ذكر الموت وخطره في حق العاقل اهم من كل شيء اذ لا يدري متى يفجأه ولا يتصور ان يغفل عنه
لعظم خطره وهوله ان كان يعصي بالغفله عنه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث
يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير وبعد ذلك اما بالاسعاد واما بالاشقاء فكل
من له ايمان ما على سبيل الجزم والتصديق بتطور الفكر في ذلك لشعث من قلبه دواعي الاستعداد لها واكثر الناس
غافلون عن اليوم الآخر تطفئ به الشهوه عقلته فلو بهت في من آخر يا حاسر يديه من الطعام مسموم ربما الصاقته الذي
اخبره صدقه مذبوحه ليسأله كان صدقا بلسانه ومكذبا بحاله وتكذيب الرجل اشد من تكذيب
الله سبحانه واما بقول الله تعالى سنسمي ايراده وما منع له ان يسمي فكذبني وما منع له ان يكذبني
للبعث والنشور لعله الهمه في هذا العالم امثال تلك الامور ولو لم يساعده الانسان بولادة الحيوانات وقيل له ارحانا
قال الله تعالى ولم الانسان انا خلقناه من نطفه فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى الحب الانسان لربه لكنود

الم يك نطفه من مني يمنى كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى مع كثره عجائبه واختلاف تركيب
اعضائه اعجب تردد على الاعجب في بدئه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدره الله وحكمته
من يسرا هدى ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقوه بالايمان بالنظر في انشاء الاولى فان الاعاده
مثلها واسهل منها وان كنت ترى الايمان بها فاسعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر منها الفكر
والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحه والقرار فتستعد بالسهر للتعرض على الجبار وتتكرا منها يفزع
سمع سكان القبور من سرده نفخ الصور فانها تصعقهم واحده تفزع فيها القبور عن رؤوس الموتى فيشورون
دفعه واحده فتوهم يفسك وقد ولت مدبرا وخمك معبرا ايرنك من فزعك الى قد مت من قبرك
فتركك مبهوتا من سرده الصعقه شاخص العين نحو السما وقد ثار الحلق نوره واحده من القبور الى طائرها
ملاهم وقد ارتجم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الغموم والهموم وشدده الاستظار لما هم
الامر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وقال تعالى وتكون منه هذا الوعد
ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحه واحده تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصيه ولا الى اهلهم يرجعون
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخه لكان ذلك حريا ان يفني فانها تفجه وصعقه
تصعق بها من في السموات والارض يعني يموتون بها الا من شاء وهم بعض الملائكه وذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهه واصغى الاذن متى يؤمر سيفخ قال فهاثل
الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئه البوق ودائره راس البوق كعرض السموات
والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر سيفخ النفخه الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض
اي مات كل حيوان من شده الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر
ملك الموت فيقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يتلو
الحلق بعد النفخه الاولى الى اليوم ترح اربعين سنه ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانيه فذلك قوله ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم احين يبعث الى يبعث
الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الاما قوا النفخه فصعقوا في الهواء
وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الاستعداد خوفا من هذه الصعقه وانتظار الماهنين عليهم
من سعاره او سفاوه وانتقامهم منكسرا كانكسارهم محتقرا كتحقيرهم لان كنت
في الدنيا من المتعززين والاعبا المتعظمين فلوك الارض في ذلك اليوم هم اذل الخلق واصغرهم واحقرهم يرونها ان الاقدام
من سعاره الدنيا من الهوان نصب الاعين فيعرفون حقيقه ذلك اليوم هم اذل الخلق واصغرهم واحقرهم يرونها ان الاقدام
على الله تعالى في الدنيا من الهوان بمكان فيتدارك ما فرط منه في ايام المهله بالحلم الذي بعد توحيد الله اليوم الشعور من غير
خطبه تدنست بها وكفى حسرهم نيشره الصعقه وهول النفخه وسلم ذلك عن العرب من الخلق بالتوحيد منهم
وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اذا بلت الشياطين الميته بعد تمزيقها وعنوها واذعنت جاسعه من هيبه
العرض على الله تصديقا لقوله تعالى وورد يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان يتعظ بهول ما يعاين جثيا متفكرين في هالك
وجال ذلك هنالك صفه ارض المحشر واهله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور ثم
حيثما عراه الى ارض المحشر ارض بيضا ما ع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا وكانوا على ظهرها يوم ينفخ في الصور
ورآها ولا هو ده سحق عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تلاقون فيه مرتفقا ولا واديا ولا شجرا فسبحان من
جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض في ساعه بما لو اجتمعه سبعها الرازقه والراجفه هي الساحقه
الاولى والرادفه هي الثانيه وحقيق لذلك القلوب ان تكون يومئذ واجفه ولذلك الابصار ان تكون خاشعه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامه على ارض بيضا عفرا كقرصه النقي ليس فيها معلما
ولا احد قال الراوي العفره بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر الخالص ولا معلم اي ليس فيها
بنيان ولا تلال يرد البصر وانظر ان تلك الارض هل رأيت بلاطا وبيضا الا الذي في الجنه قال الله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يبدلها ببقيه ويبدلهن ويبدلهن انهارها وجبالها واوديتها
وما فيها ومدينه الدنيا العكا على ارض بيضا مثل الفضه لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيه والسموات يرهب
شمسها وقمرها وهم فيها فانظر يا مسكين في هول اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد
تناثرت مرفوعهم نحو السما وطمس النجوم والقمر واكل الارض لحوم رؤسها فتبارت كرات دارت
السما من فوقهم بدخان وسمعوا وشقت مع غلظها وشدتها جسامها هام والملائكه قيام على حافاتها
وارجائها فيا هول صوتا اسقطها في سمعك وياهبه ليوم يشتد فيه السامع صلابتها وشدتها
سقاها وشل كالفضه المذابه لحبا لطها صهره فصارت ورده كالدهان وصارت السما كالمهل وهانت
الجبال كالعهن واشتكى الناس كالفراش المبثوث وهم عراه حيفاه مشاه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيف الناس حيفاه عراه عرفا قد الجمهم العرق فبلغ شحوم الاذان قال سوده روح رسول الله صلى الله عليه
وسلم داوره الحديث ملت يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال اشغل الناس عن ذلك لكل امرئ

بيان ما ما نكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله

الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر لحذيفة رضي الله عنه رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما لقيت في الفقر فقال انت الفقر الذي لا صابر له
٧ اقبل امرأة وأرأصبع ابرا وقال عباس رضي الله عنه كنت وقد العمر فاشتهيت ان اراه في المنام مرارا فرايته يمشي ببطء
فرايته يمشي العرفج عجبه وهو يقول هذا او ان فراغي ان كان عرشي ينهد فوقا الى لعبته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي
قال لي علي رضي الله عنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسير لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك
قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلهم بي من هو خير لي منهم وابدلني بمن هو شر لي منهم فخرج فضربه ابن ملجم وقال ابو نعيم الشيخ
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فقال غفر الله لك وروى عن العباس بن عبد المطلب
عن جابر بن عبد الله انك لم تسل شيئا فقط فقلت ٢ فاعل علي وقال غفر الله لك
لابي لهب مصاحبا له فلما مات لم اخبر الله تعالى عنه بما اخبرت عليه واهمي امره فسالت الله تعالى حتى اراه ان يريني اياه في المنام
فاقر ايته بشر حال فسالته عن حاله فما اصرت الى النار ٢ عذاب يخفف عني والروح الا ليلة الاثنين ٢ كل الليالي
والايام قلت وكيف ذلك قال لانه في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني امه فسبرني بولادة امنة اياه فخرجت منه
واعقد ليده لي فرحا به فانا اتي الله بد لك ان ربع على العذاب ٢ قل الله امين ٢ وقال الواحدي زيد خرجت حاجا
فمحمي رجل كان لا يفوته ولا يسبقه ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخرج
عن ذلك خرجنا وانا موه الى مكة ومعي ابوي فلما اصرنا ببعض الطريق نزل علينا انا نام ازانا في انت فقال لي قم فقد امات
الله اباك ومؤدوجهه قال فقمت فاذا هو عريان قد سقط عورته وجهه فاذا هو مثل اسود الوجه فدخلني من ذلك
رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ علبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذا اقبل رجل حسن
الوجه حسن الثياب طيب الريح فسلم علي ثم اتى ابي فقال له قد قبض الله وجه ابيك فعلمته من انت بابي
انت وامي فقال انا محمد فقال فكشف الثوب عن وجه ابي فاذا هو اشد بياضا من الثلج فسلمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن يمين العرش فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان
عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتى علي ومعه بابه فادخلا بيتا واحكم عليهما الباب وانا انظر فاذا بالسرج
اخرج علي رضي الله عنه وهو يقول امعشر الكعبة وما كان يا سرع ان خرج معاوية رضي الله عنه
على اثره وهو يقول اغفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال لقد رأيت في منامي
وكان ذلك قبل قتله فاذكره اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه رجاجة مرو فقال المسور لله
ما صحتها مي يصري فسلوا ابني الحسين وهذا دمه ودما صحابه ارتيهما الى الله محا الخبر بعد اربعة وعشرين يوما
بقتله في اليوم الذي راه وروى الصديق رضي الله عنه فقال له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اورد في الموارد
فما فعل الله بك فقال قلت به لا اله الا الله فاورد في الجنة
عليهم قال بعض المشايخ رايت منهم الدور في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال ربي في الجنان فعل
لي يا منهم هل استحسنت منها شيئا فقلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوهبتك له ولم اوصلك الي
وروي يوسف بن الحسين في المنام فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل ان اهال التراب عليه ولم اوصلك الي
اسعيل قال رايت عبد الله البراز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي قبل ان اهال التراب عليه ولم اوصلك الي
اقرودت له الا دنيا واحدا استحيتان اقربه فوقفني في الصراط حتى سقط لحمي وعظمت ما كان ذلك الذنب
قال نظرت الى غلام جميل ما استحسنته فاستحييت من الله تعالى ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت
احد هما بيده طست وبيد الاخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر
حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس
وروي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى فقلت يا رسول الله فاني احبك واحب حبك الفقراء فقال اما انك
وسلم صب على يده فانه منهم فقال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس موقف على ملك فقال اقرب
ما تقرب به المقربون الى الله تعالى يا ذا فعلت عما حتى يمران في فمي الملك وهو يقول كلام موفق والله وردي
مجمع في النوم فقال له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا هم الخير الدنيا والاخرة وقال رجل من
اهل السلام للعلاء بن زياد رايتك في المنام كانك في الجنة فسئل عن مجلسه واتى عليه ثم قال العلا الشيطان اراد
امر فعصمت منه فاصبح رجلا يصلي وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت
عكا السليم في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة
طويلة وفرحا دائما فقلت ٢ اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الايه وسئل زراره بن اوفى
قاضيا عن الاعمال افضل عندكم فقال الدعاء وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت
يا عمر دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل قال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المجاهدين

قال وكان يزيد شحاكا كثيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اعرابيا في المنام فقلت
يا عم ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رايت
٤ المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت حوراء قلت وجبني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهري
فقلت وما مهرك قالت حسن نفسك عن اتباع هواه قال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك
قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي
بنيتي ولما مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت اول قدم على الصراط والثاني
٤ الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النائم جارية ما رايت احسن منها وكان بيدها نور ما عقلت
لها من ما انا صوت وجهك قالت تلك الليلة التي بكيت فيها قلت بلى قالت احترقت فمعلت تمسح به وجهي
من نم صوي وجهي كاترى وقال الكاني رايت الجنيد ٢ المنام فقلت ما فعل الله بك فقال الحاسبات ٢ اسارات
ودهشت العبارات وما حصلنا ٢ على ركعتين كنا نصليها ٢ سحر الليل وروينا بسنده في المنام فقيل لها
ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله انا الله ادخل بها قبري
لا اله الا الله احلوا بها وجهي لا اله الا الله القى بها ربي عز وجل وروي ستري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
عز وجل وقال بشر ما استحيت مني بكثير مخافتي كذلك بالخوف وروي ابو سليمان الدمشقي
ما فعل الله بك قال غفر لي وما كان شيء اضر علي من اساءات القوم الي وقال ابو بكر الكاني رايت
٤ النوم شابا لم ار احسن منه فقلت مني ٢ قال الهوى فقلت مني فاين تسكن قال القلب حزين ثم التفت
فاذا امراة سوداء كاقبح ما يكون فقلت من انت قالت انا الشقم فقلت فاين تسكنين قالت كالقلب فرح
مرح قال فانبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخواز رايت ٤ المنام كان ابليس وتب
علي فاخذت لاصرعه فاضربه فلم يزع منها فعلمت بي هانت ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون
٤ القلب وقال المسوحي رايت ابليس ٤ النوم يمشي عريان فقلت الا تستحي من الناس فقال يا لله هؤلاء الناس
لو كانوا من الناس ما كنا نلعب بهم طرفة العين كما يلعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم عبر هؤلاء
فراسقموا جسمي واشاروا بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخواز كنت في دستوفي رايت في المنام
كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف على وانا اقول بين الاصوات
وادوع صدري فقال استرهذا احسن من خبره وعن ابن عيينة قال رايت سفيان الثوري ٤ النوم كانه
٤ الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول المثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني قال اقل من معرفة الناس وروى ابو حاتم
الرازي عن شيبة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري فقلت له ما فعل الله بك فقال
نظرت الي ربي كفاحا فقال لي هنيئا لك يا سعيد فقرت عيناي بك يا سعيد وروي السبتي بعد مونه سلته ايام فقيل له ما فعل الله
فرونك فاخبرني فصرارد نه ورزقني فاني منك عبيد وروي السبتي بعد مونه سلته ايام فقيل له ما فعل الله
بك فقال اقفني حتى ايست فلما رأى يأسي تعدى برحمته وروي محمد بن يحيى عن امر بعد مونه في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال اعفى وهعلى محبته على المحبين وروى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل
له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلقى على ربه ٤ كل يوم مرتين وروى بعضهم بسناده عن حاله
فقال جاسبونا فوجدونا صمنا اقاعفونا وروي مالك بن انس قيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة
كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رويه الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت وروى ٤ الليلة التي مات
فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان منادي ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو
عنه راض وروي الحاجي فقيل له ما فعل الله بك فقال ولا تكتب بكفك غير شيء تسر ك في القيامة ان تراه
ورأى الجنيد ابليس ٤ النوم عريانا فقال الا تستحي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد السوسنية
قد اصفوا اجسادي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتهيت عدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم
على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يفوتك حديثنا الحيث ورروي النصر اباذي بمكة بعد
وفاته ٤ النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتابا لا اشد فقلت يا الهي اسلم ايعد الاشغال
الفضال فقلت لا يا ذا الجلال فاوقفت ٤ الهيبة حتى حلفت بالاحد وراي عمته العلام حورا في المنام
على صورة حسنة فقالت يا عبيه انا لك عاشقة فانظر لا تفعل من الاعمال ايسا حجابي وبينك وقال عبد
الله بن ثابت الارجه عليها حتى الناك وقيل لابي ايوب السختياني جنازة عاصي فدخل الرهلس ليلا
يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال لابي ايوب لو انهم ملكون
خزائن رحمتي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت في الليلة التي مات فيها داود الطائي
وملائكة سماء ولا وملائكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا الليلة مات فيها داود الطائي
وقد رخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد السجاد رايت سهل الصعلوكي ٤ المنام فقلت ايها
الشيخ قال ٤ الشبيح فلت تلك الاحوال التي شاهدتها فما الم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال

عذاب الموت ومد عون الامها كالام لوع الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصعد موت يضاهي انقلاب
العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان لم يذا فطوت جاله صار اللذيذ نفسه مولما حتى يزال بالقلب من انواع العذاب
ما يتمنى معه انه لم يعش مدة ينتفع بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا
على نفسه فصار يعشق بماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه واواحد جميع ذلك في حياته من لا يرجو الاستراحة
منه فاذا تردد بكون جاله الذي يعظم تعشقه وتهتمي ويقول البد لم يكن لي ما افقد الاحياء
فقط فتصير لا اقاسي فقر افقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيا وهي كلها دفعة واحدة

٢ واما الفقر فكان واحد عيب عنه ذلك الواحد فما جاء من الفرح الا بالدنيا فمن خذ منه الدنيا
وسلم الى اعدائه يضاف الى هذا العذاب الحسرة على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حجب عن
رؤية الله والسمع به فيتوالى عليه الم الحرمان مجموعا وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابدا الاباد ودل السود
والله سبحانه وتعالى وذلك هو الذي يعذب به اهل النار اعاذنا الله منه كما قال تعالى كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون ولما كان الحجاب اعظم العذاب كان الوصول الى الله تعالى ولقائه اعظم
من سخر الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدر على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتجلى له
مع الامن عن الزوال ابدا الاباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل لجب فرسه يحب لو خير بين
يجضر منه وبين ان يبعد عن عقوبته اثر الصبر على لدغ العقرب فان الم فراق العزيز عنده اعظم من لدغ العقرب
وحيد الفقر وهو الذي يلدغ عند اخذ الموت فرسه فليستعد لهذا الدغات فان الموت يأخذ منه فرسه
وهو جسده وولده وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه ويقوله بل يأخذ منه سمعه
وبصره واعضاءه وبالجملة عن جميع ذلك الذي فاته الحب سواه وقد اخذ ذلك منه فذلك اعظم عليه
من العقارب والحيات وكلما اخذ ذلك منه وهو الذي يعظم عقابه فلذلك اذا مات لا نا قدمنا ان المعنى
الذي هو المدرك ادلام والالم يتبع ادراك فاذا ادرك انه في الحياة سلمي بالسبب يسقل بها حواسه
عن محبوبه وبجاذبه ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه فاذا سلبه بعد الموت قد اسند
عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذن يعظم الم فراقه لمحبوب كان يتسلى عليه لو اخذ منه فالسبب
عليه ومعه بابه فاذن كان في الدنيا سالم وهو المعنى بقولهم يحيى المحبون وان كان مقاسا عظم عذابه وكما ان
جاه الفتى وحسنه دينار احد من رجال ثروته وقد عشرة دنانير فكذلك جاه صاحب الدرهم احقر من جاه
صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله عليه السلام صاحب الدرهم احقر حسابا من صاحب الدرهمين ومن ثم يعظم
عليك عند الموت الا هو حسرة عليك بعد الموت فان بيت فاسفلا وان بيت فاسفلا وان اكثر الخيات والعقارب
ملست مستكثرا الامر الحسرة وان استقلت ملست تخفف الامر ظهرك وانما تكثر الخيات والعقارب
في قبور الاغنياء الذين استغرقوا الحياة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها وهذه مقامات الايمان في جاه
الفقر وعقاربه في سائر انواع عذابه وراى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظم مالك
لا حالف الله فما تريد فقال يا بني زدني مما ايانا به نطوف فقال ليل فقال اجعل بينك وبين الله قيما والبس قميصك
منه فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلث فاعلم ان الناس في هذا بثلثة اقسام
وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من اثبت الثالث وانما الحق الذي نكشفها
بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان بعض ذلك قد يقع لبعض الخلق وذلك لجهل وقصور بالقدرة
قدرة الله سبحانه وتعالى بل تدبيره فيكم من افعال الله تعالى ما لا يأتي به وما لفقه وذلك لجهل وقصور بالطرق
المفضية في التقريب ممكن الصديق بها واجب وربما تعذر بعض الانواع وربما تعسر
عند جمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تفلحا
فقد على بسيط الارض من يعرف لك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك بل اشتغل
بمعرفة قبل ان يشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهل العيان والعاينة هم اشتغلت بالهم عن ذلك
كشمر احذر سلطان وحبسه ليقطع يده ويخدع انفه فاحذر طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين
او سيف او بموسى واعمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد
بعد الموت لا يخلو اما عن عقاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب
فضول في ضيع زمانه بسؤال منكر ونكير وصورتها وضغطة القبر ونفخة الصور ونفخة الفزع
الصور قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا امات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر
والاخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله فيقولان له كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا ونور له فيه
ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله

وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اولياءكم من اهل القبور
ولذلك قال ابو الدرداء اللهم انا نعوذ بك ان اهل علا اخزيته عند عبد الله بن رواحة وكان ذا مات
وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هم قال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح
الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان البيت يعرف من يجلسه
ومن يجلس اليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تلتقي عند الموت فعقول ارواح الموتى للروح التي تخرج
اللهم كف كما رأيتك في اي الجسدين كنت في طاعة وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون
الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون
سلك بنا غير سبيلنا وعن جعفر عن سعيد قال اذا مات الرجل استهلك ولده كما يستهل الغائب وقال
مجاهد ان الرجل ليسر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل
المؤمن اذا قبضت نفسها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يتلقونه ليطوا اذا كرحي
يسر بحياته كما يسر احدكم بالغائب يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة واذا سألوه
عن رجل مات قبله وقالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية بئس الام ولبئس المربية
للميت وذلك ام الموتى اما بلسان المقال وبلسان الحال الذي هو افصح في مفهوم الموتى من لسان المقال
الا حاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسؤال القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما عرفتني
اني بيت الغربة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فاذا كان معك
اجابه عنه محاسنه فيقول اما بت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه
خضرا وبعود جديدة نورا وتصعد روحه الى الله والفرادوس الذي يفرح روحا ويتحف اخرى كذلك قال
الراوي وقال عبد بن عمير الليثي ليس ميت يموت الا وهو حسرته التي يدفن فيها ان بيت الظلمة والوحدة
والاقتراف كنت عن حياتك لله مطيعا كنا اليوم عليك رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة
انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج منبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل
اذا وضع في قبره فعرب واصابه بعض ما يكره فاذا هو حيرانه من المعنى انها المخلف والدنيا بعد احبرانه
وحيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في قدمسا اباك فكره اما رأيت اضطاع كما الاعادات
في المهلة فهلا استدركت ما فاتك خوالك وبنا ديه بقاع الارض ايها المغبر بظاهر الدنيا هل اعتبرت بمن
غيب من اهلك في بطن الارض من عزته الدنيا فملك ثم سيق به اهله الى القبور واستراه من الدنيا هل اتهاداه احبته
الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها
الله فقالت ايها العبد المقرب في حفرته انقطع عنك الاحلاء الا هؤلاء فلا ايس لك اليوم عندنا
وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد
والصدقة فقال ويحي ملائكة العذاب من قبل رجليه فيقول الصلاة اليكم عنه الصلاة والصيام والحج والجهاد
الطالبي القيام لله عليها فاتونه من قبل رأسه فيقول الصيام اسبل لكم عليه فما طالبكم لله في دار الدنيا
فاسبل لكم عليه فاتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فما طالبكم لله في دار الدنيا
وحج وجاهد لله اسبل لكم عليه فاتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا طولي فاني كنت مرصودة
خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله انفعا وجه فما اسبل لكم عليه فيقال له هنيئا لك ما قدمت
وطبت مبتاما فيأتيه ملائكة الرحمة فيفرشون له من استبرق الجنة ودثارا من الجنة ويفتح له في قبره مد بصره
ويؤتى بعدد بل من الجنة فتستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير بن عمير بجباره
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعلم وهو يسمع خطو متنعليه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول
ويحك يا ابن ادم اليوم قد حذرتني وحذرت صحبي وحذروهولي ودودي فاذا اعددت لي جوابا
القبر وسؤال المنكر ونكير قال البراء بن عازب جلسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال
ان المؤمن اذا كان في قبل الاخرة بعث الله ملكين كان وجوههما الشمس معهما حنوط وكفن فيجلسون
منه مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس
منها باب الا يحب ان يصعد روحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان صعد الينا روحه فما رأينا روحا
له من اكرامه فاني عبدك منها حفظناك وفيها بعد كرامة الا به وانه ليسمع حتى يقال لها اذا اولوا مدبرين في ضلال
باهذا امر ربك وما دينك من ذلك فيقول لي الله وديني الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقال انتهارا
سترا وهي احوشه تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة
بالقول الثابت الا به ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات
فيها نعيم مقيم فيقول وانت بشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمتك الا كنت سريعا في طاعة الله
بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فانعم بها دي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له
فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول ارحمني حتى اقوم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي فاذا اما الكافر

وقال ابو هريرة

ووجع لم يمنع دفعه اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر وسئله ان يعتق نسمه بغيره ويعلم الله لا بد وان يحمل
حيانه ويرفض ع فيره ولعل اللبن الذي يعطى بعطوه مضروب وفرج منه وهو لا يدري فيسوء نفسه حملا هجى واذا
عوف لن يسبه الحمل جت الدنيا فعالجه دفع سمه اما الجهل فيدفع بتعريف العالم والمال من القلب الى الحاصر وسماع
الحكمه النافعه من اقوال الظاهره واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب بتصوير وهو الذي العصا الاولى والاخرى عالجه وعلاج له لا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومعما
حمل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يحول عن القلب حب الخفير فاذا راى حقاره
الدنيا وتفاسه الآخره استكف ان تسقى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب ما لم
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يستريح في القلب حبها مع الايمان
بالآخره فسأل الله تعالى ان يحبب الدنيا كما اراها الصالحين من عباده وعلاج من يقدر الموت في القلب مثل النظر
الى من طعن الاقوار والاسكال الهرمى كيف جاهر الموت في وقاسى كربه اما من كان مستعفا لنفسه
فاز فوز اعظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد حسر حسرانا مبينا وليتظر الانسان كل ساعه الى طرف
بسر الخير فيه اليمنى او اليا اليسرى فما على يدنه شئ الا وهو طعمه الدود وماله من نفسه الا العلم العمل الخالص لوجه
الله وكذلك يتفكر فيما مثل هذه الاشكار هي التي تحرد ذكر الموت على قلبه وتدوره
الى الاستعداد له بسبب من مراتب الناس من طول الامل وقصره اعلم ان الحكمه في ذلك ايدك الله تعالى ان
من راى اهل البقاء وتنعمي ذلك ايدك الله تعالى بوجد احدهم لو عمر الف سنه ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو
اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب
في حب طلب الدنيا وان التف نزوحاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنه ثلاث مائه سنه
يتمنى ويرجو ما دراه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا بعيد في الصف الثاني وفي الثالث الصف
واذا جمع ما يكفيه لسنه استغل بالصلاه ومنهم من يامل مده الصف الثاني وفي الثالث الصف
الثاني والى الثالث باب الصف ومنهم من يرجو اهله الى الحج مرة وليله ولا يستعد الا النهار واما العدد فلا
قال عيسى عليه السلام ابن ادم لا تهتم ابرزق غد فان يكن غد امر اجالكم فسيأتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان يكن
من اجالكم فلا تهتم الاجال غيركم ومنهم من يامل الجار واهله ساعه كما قال عيسى صلى الله عليه وسلم يا معشر
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يعد الفناء الا بلغه
ساعه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم مع القدره على المبادره على ما مضى ساعه ويقول لعلي لا ابلغه
ومنهم من يكون الموت نصب عينه كانه اوقع به فهو يتوقعه وهذا الانسان هو الذي يصلح ملاه مودع
وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه اما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقه انه قال له اطلب الى الله ان يجعلها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حسبي انه كان يصلي ليلا وليقف يسئل شيئا
مقال له قايل ما هذا ما اظن ملك الموت من اي جهه يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله
وليس من اهله مقصور على شهر كما اهله شهر ومن يامل بعيدا تفاوت الدرجه عند الله فان الله لا يظلم
مقدار ذره ومن جعل مقدار ذره خيرا يره ثم يظهر انه قصر الاصل في المبادره الى العلوكل انسان يدعي انه
قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه بعيني باسباب الاحياء النهائي سنه فيزداد كل يوم
طول امله ولهذا لامه الموصوف ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعه فيستعد للموت الذي يرد عليه
في الوقت فان عائشه رضي الله تعالى عنها على طاعته وفرح بانه لم يضع نهاره بل استوفى منه حظه وادخر
لنفسه تمام ما تلف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يشعر هذا المرء بغير الفلب على الغد وما يكون
فيه مثل هذا اذا مات سعد وغم وان عاش سر لحسن الاستعداد ولذه المناجاه فالموت له سعاده
وهو قاطع المنازل قطع المسافه ولا يكون ذلك الا بما دره العمل اعنينا ما لا نفس انهلت فيه
وينظر قدوم الآخر بعد شهر او سنه فلا بد بعد للذي يقدم على الموت سنه واما بعد للذي ينتظر
قدومه عدا فلا استعداد يتهيأ فوت الانتظار فمن انتظر محي الموت بعد سنه اشتغل قلبه بالمده وبقي ما دراه
الموت يصبح كل يوم وهو منتظر للسنه يكاد لها ان لا يمضي فيها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مباذره العمل
الا عن طمع او فقر منسيا او مرضا مفسدا او موتا مجهزا او الرجال ما لم يحل شرعا بينه
والسلامة

ويتوالى علينا مع تكرات الموت بغيته الدواهي فان دواهي الموت تلك الاولى تبدد الفزع كما ذكرناه
الداهيه الثانيه مشاهده صوره ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها
روح العبد الدنيا عظم الرجال فوته لم يطق رويته فقد روي عن ابي هريره الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل استطيع
ان تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض علي واعرض عنها فلما عرض عليه
اسود فظلم السعير منفي الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان تعلو على ابراهيم عليه السلام فاذا هو برجل
وقد غاب ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو ما بلي الفاجر عند موته الا صورته لكفى به فقال انما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان داود عليه السلام كان جالسا ذات يوم فاذا هو برجل قد اقبل نحوه
فاستوقف امرأته فاذا هو غير بعيد فدخل في الدار فعالج الرجل الباب فاغلق عليه الابواب فاطلع ذات يوم وخرج
قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا امنع مني الحجاب فعال انا ملك الموت ان الله امرني ان اقبض روحك فقال داود دعني
عيسى عليه السلام من تحيته فضرب يده على راسه ثم صرخ فقال يقول له خذه ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروي ان
جالس في ملكي على تاجي وجبريل جنودي وجنبي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت عز الذي كل عضو على حاله ثم خرجت
نفسي اليه فما كان من ذلك الجمع كان فزعه وانيساه كان من ذلك الانس كان رعبه فهذه داهيه بلغها
العصاه ويكفاها المطيعون فقد جلى الانبياء هول سكره النزع دون الرؤيه التي يدركها من يشاهد صوره ملك الموت
كذلك ولو راها في منامه ليله لسقط عليه نومه عمره فكيف برؤيته في مثل ذلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صوره وابهاها
فقد روي عكرمه عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام كان طاعنا او كان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه ودخل
ذات يوم واذا برجل قد هجم عليه فقال يا عبد الله من اذن لك ان تدخل داري فقال انا الذي لا احتجب ولا ارتشي
بهامتي ومنك فقال فمن انت من الملائكه قال انا ملك الموت فقال هل لك ان تستطيع ان تريني الصوره التي تقبض فيها روح المؤمن قال
نعم فاعرض عني فاعرض عني فاذا هو بشاب قد كمل من حسن وجهه وحسن بياضه وطيب نكهته فقال يا ملك الموت
لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها ما شاهده الملائكه الذين لا يفارقون قال فاذا هو بشيخ
يموت حتى سمع اباله ملكاه الكاتبين عليه فان كان طيبا قالا له جزاك الله عنا خيرا فقد عبرت علينا حزنا
وعملت الحاضرنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله خيرا فقد عبرت علينا سيئا وقد اطلعتنا وعملت عملا قبيحا فقد اضررتنا
وكلام قبيح فاسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك نحو ما يصير اليه امر الميت انهما وما يرجع الى الدنيا اليه الداهيه
الثالثه مشاهده العصاه ما هم فيه من النار وخوفهم قبل المشاهده فانهم في حال الانكباب قد خالط ذلك
قرارهم واستسلفت للخروج ارواحهم وقد خرج اروا حهم ما سمعوا نعقه ملك الموت باحدى النوبتين اما
اشتر ياعدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنه وعن هذا كان خوف النار باب الابدال وقد قال الله عليه وسلم
لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم ابن مصيره وحتى يرى مقعده من الجنه او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت فما لنا نحب ان لا نموت قال ان المؤمن اذا فرح له
عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان جنديه بن ايمان قال لابن مسعود وهو مما به من اخر الليل
فمن نظر اي ساعه هي فقال ابن مسعود فجاء فقال قد طلعت الحمرا فقال اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل
مرة على ابي هريره فقال يرحمك الله ما يبكيك فقال ابو هريره والله ما ابكي على دنيا كم ولكن ابكي على بعد سفري
حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن ابكي لطول السفر وقلة الزاد وروي ان جبريل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله اذا رضي عن عبد قال لملك الموت اذهب الى فلان فانتزع روحه لا يجبه
حسبي من عمله فذلك قوله عز وجل حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وقوله تعالى من الملائكه معقبات من بين يديه ومن خلفه
الرجال واصول الزعفران كل واحد منهم يشوقه منازه سوى منازه صاحبه وتقوم الملائكه حفيف خروج
روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ فيقول له جنوده مالك يا سيدنا مهول
اما نفقن ما اعطى هؤلاء العبد من الكرامه ابن كنتم عن هذا لقد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن
لا راحه للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله فهون الموت عليه سروره وفرحه واهنه وعزه وشرفه
وقيل الجابر بن عبد الله رضي الله عنه ما تشتهي قال ادخل على طاعه وفرح بانه لم يضع نهاره بل استوفى منه حظه وادخر
طوفه البه ثم قال يا اخوتاه عليكم السلام الى النار ابدا ابدا ونعوذ بالله ونسئله ان يرزقنا النزع ابدا ولا يعيننا لتراب
ولا عقاب فخوف صوت الحامه قطع قلوب العارفين وهو من الرواجي العظيمه عند الموت وقد ذكرنا ما مضى من حالته
وشده خوفه فلنذكر ما بقي منه في كتاب الخوف والرجاء هو ان شاء الله تعالى وهذا اوان الشروع في المقصود
واعادته بيان ما يجب من احوال المحتضر عند الموت اعلم ان المحتضر عند الموت من صوره
المحتضر الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهاده ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى
واما الصوره فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قبض المبتعد تلاف اذا نزع جبينه وذرفت
عيناه ويبست سفاه فهو من رحمة الله ونزلت به واذا عظم غطيط المحتضر واجلوذيه واربدت شفتاه فهو من
عذاب الله ونزل به واما النطق بلسانه بكلمه الشهاده فهو علامه الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي روايه جديده فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان رضي الله عنه
عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنه وقال عبد وهو مسهد
وقال عثمان اذا احضر الميت ملقنوا لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنه
وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما تأمرون وتسمعون لا اله الا الله وقال ابو هريره

مسبي انما المهلك ذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشغل بمذمته وهذا
يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت ليبعث به من قبيل الخوف والحث فيلي
بقاء التوبة ويارى كره الموت جمعه من ازعفه قبل اتمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت
ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما
خاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مستعدا للقائه على وجه يرضاه
فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا ان يكون داعي الاستعداد له شاغله سواه والا فالغريق بالمهلك بالدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه بحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر
يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه لتخلص من دار العاصين منفصل الى جوار رب العالمين كما روي عن عيسى عليه السلام
حضر قوما فقال حبيت جاعلي فانه لا افلح من يوم الله ان كنت تعلم ان الفراخ احب الي العش والسقم احب
الي من الصحة والموت احب الي من العيش مقبل على الموت حتى اتاك فادن الي اكرمك معذور في كراهة الموت
وهذا معذور في حب الموت ومنبه وأعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة
بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى الى الغاية القصوى في حب الله والولاء الى مقام التسليم والرضا
وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال في ذكر الموت ثواب وفضل فالمهلك في الدنيا اشد تعذيبا بالموت ثم النجاة عن
الدنيا انتقاص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب
النجاة من فضل ذكر الموت كف ما كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه بقصوا بذكره اللذات حتى يقطع كونكم بها تفضلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم
لو يعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يجزع الشهيد
احدكم فانبع من ذكر للموت والبسه عنه وانما سيء هذه الفضيلة كلها ازذكر الموت يوجب النجافي
عن دار الغرور وهو سقط الاستعداد للاخرة والعمل عن الموت يدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه
وسلم لحفه المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ ليس فيها في عامة مقاساة نفسه ورياضة شهوته ومدافعة
سلطانه والموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة كل
وارادهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا بالنادر
والصغاير فالموت تطهره منها وتكفرها بعد اجتنابه الكبايروا قامته الفرايض وقال عطاء الخراساني مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استضاء الضحك فقال لتوشكن ان تفارقكم هذه اللذات قالوا وما مكدر اللذات
قال الموت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد الدنيا وقال صلى
الله عليه وسلم كفى بالموت مقرضا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم
يضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسن الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت
قالوا انا كنا نراه كاد ان يموت فقال فان صاحبكم ليس هناك وقال الزعم اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت
واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة واما الاثار فقد قال
الحسن رحمه الله عليه فهم الموت الدنيا فكم من يرى حتى ما غاب بيد طرفه الموسى خير له من الموت
وكان يقول الاشهر واني اجد وصلوني الى ربي سلما وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت
قبل ان تصير الى ارض تمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن مسعود اذا ذكر عنده الموت فاذا كعضو
منه وكان عمر بن عبد العزيز مجمع كل ليلة العلماء فيذاكرون الموت والقيامة والاخرة ثم يبكون حتى كان بين
ايديهم جنازة وقال ابرهيم النخعي شكا رجل قلة الطعام الى عيسى عليه السلام فقال اذكر الموت فلعلك
تشبع فلما ذكره شكا رجل قسوة القلب فقال ادن من المرضى وشاركهم في بعض ما هم فيه وقال كعب
مر ملك الموت على صاحب الدنيا وهم مجتمعون فقال ما مر بي ساعة كان فيها بلاء اشد من ساعتي هذه
هو النار وامر الاخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة رضي الله عنها فساوء قلبها
فعالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عايشة رضي الله عنها فكان
يحيى عليه السلام اذا ذكر عنده للموت تغطر جلده دما فكان سرور اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى يخلع
اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجف اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا الا حاضنه من الموت جزوعا وعليه
جزوعا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال ذكر لي فاليس من زاهد يا مالك اهون الا
الا واك الموت وقد جاء نوشك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل
مرات فسئل عن ذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف
عن عبد الله بن التخير ان نقد الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز

لعنيه اكثر ذكر الموت ما ركثت واسع العيش ضيقه عليك وان كثر ضيق العيش وسعه عليك وقال
ابو سليمان الداراني علمت لا مهارون الخير الموت قال لا املك له قال لو عصيتا دنيا ما استهيت لقاءه مكيف احب لقاء
وقد عصيته بيان الطريق في ذكر الموت وقلة اهل الموت هابل وخطره عظيم وغفلة الناس
عنه لغلبة ذكر هو فيه وذهوله ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مستغرق بشهواته الدنيا فلا ينجع
ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يشغل العبد بغيره عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان
يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا يشتد ذكر الموت قلبه فيوشك ان يتوفر فيه
وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا ويكسر قلبه وافضع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا
قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم بحالة التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وتساءل كيف محي اثرات
الارض صورهم وكيف بددت جواهرهم وكيف ارملوا اساهم واتهم الوارثهم وضيعوا اموالهم وطئ
مهدهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت انباؤهم فيتذكر رجلا رجلا وفصلا فصلا من جملة حاله وكيفية موته وتوهم
صورته وهيئته وتردده واهله للعيش والبقاء ونسيانه للموت واخذاعه بموانا ته الاسباب وركونه الى الغرور
والاسباب وميله الى التهمك واللهو وغفلته عما ينتظره من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتبرد
والارض قد هدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يتهنك وقد اكل
التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما يحتاج اليه الى عشر سنين وقد لم يكن بينه وبين الموت الا شهر
وهو افل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشفت له صوره الملك وقرع سمعه النذر اما بالحمى
او بالم وعند ذلك ينظر في نفسه انه متلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء
اذا ذكر الموت بعد نفسك كما هو وقال ابن مسعود انه يغفر في وعظ بعضه وقال بعض عبر الهرمز انكم
تجمعون ما لا يوكل عادا وانتم ترجون ما لا ترجو ان الله عز وجل قد نعت في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع
الاسباب فلا زمه هذه الافكار واما الطامع دخول المقابر وشاهد المرضى هو الذي يحرد ذكر الموت الغلب
حتى يغلب عليه بحيث يصير بضعة منه وعند ذلك يوشك ان يسعد له ويجاوز عن دار الغرور والا فالذكر يظاهر الغلب
معذوره النسيان قيل الجنيد بن محمد النبيه ومما طاب قلبه بتي من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد له من مفارقته
نظر ابو يضع ذات يوم الى داره فاعجبته حسنها فبكى فقال ما الله لو لا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه
من ضيق القبور لفرحت بالدنيا لعينا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ابان الباني
في طول الامل وفضيله قصر الامل وسيطوله وكيفية معالجته فضيله قصر الامل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الفجر ان اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك
لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروي عن كعب قال الله تعالى وجدته في
ان استدامة الخاف عليه بكى خليل ابناء الهوى وطول الامل فاما ابناء الهوى فانه يصاحب الحي وانما طول الامل بانه الجاهل الدنيا
ترمل الا ان الله يعني الدنيا من حب بعضي واذا احب عبدا عطاه الامان الدنيا منها و للدنيا انتم كونوا من ابناء الدنيا
ولا تكونوا من ابناء الاخرة فان الدنيا قد ارتحلت مولية والاخرة قد ارتحلت مقبلة وانتم في يوم لا عمل فيه ولا حساب
الا وانتم في يوم حساب ليس فيه عمل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصبح المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاب عنه الى الناس فقال
ايها الناس اما تستحيون من الله قالوا ومما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ثم قال
ابو سعيد الخدري وقال ابو سعيد الخدري استوى اسامة بن زيد من مريد بن ثابت وليزه بما بعد دبابا الى مصر فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يجيء من اسامة المسكين الاصهر يوم القيامة يطول الامل والذي نفسي بيده ما طرف عيناي الا ظننت ان لا اسفيقها حتى اعض بعض الفكيان
حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي قط ظننت ان لا اضعه حتى انبوي ولا لقمت لقمة الا ظننت ان لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
ثم قال يا بني ادخلتم تعملون بعدا والتسكم من الموتى والذي نفسي بيده لما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن
عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يقرن الى المقبرة بين رجلين من بني سلمة فاتوا رسول الله ان الامل يمرد
ما يعدل ما يمرد بني لعدل المبغة وروي ان صلى الله عليه وسلم اخذ لبنة اعوادفقرنها بعضها ببعض ثم قال هذا الانسان وهذا الاجل وكان الامل يعاطاه ان ادنى دخطه
الاجل دون الامل وقال عليه السلام مثل ابن ادم والخبيئة تسع وتسعون منيه ان اخطاه المايا رقع القبر مات مجوز
هذه المرة وهذه الخوف حوله سوارع اليه والقبر مدوار الخوف والامل والقبر مضمر ما هو هذه الخوف سوارع الله
عالها امر به اخذه فان اخطاه الخوف مكث القبر مدة وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال الدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا الانسان الخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض الخطوط التي حوله بهمسه ان اخطاه هذا نهشه
هذا وذا. الامل يعني الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن ادم ويبقى معه اثنان الحرص والامل
وفي رواية ويشيب منه اثنان الحرص والامل على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم اخاف اول هذه الامة بالبخل والامل وقتل بعضها عيسى عليه السلام قال عيسى اللهم
وهلاك اخر هذه الامة بالامل وقتل بعضها عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعالج عيسى بالبر بها الارض فقال عيسى اللهم
انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم ارددا اليه الامل فقام فجعل يعمل اصلاحه

فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله ولكن سبحان الفكر في الخلق والجلال معرفة
الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثر من تحصيل هذه المعارف كان معرفة الله وعظمته اكثر
كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غرائبه وعجائب مصنوعاته وتعظيمه اكثر وهذا
وتزداد لجنته كلما توفروا واجتهدوا حتى ان كل واحد من كلامه وكل بيت من ابيات شعره يزيده
معرفة بجلال الله وعظمته ويستدعي التعظيم لله تعالى فهذا فكري في خلق الله وتصنيفه وتأليفه وكذا ما
ما فعلته في كتاب التفكر ما ناضرا في كتاب كيف وفعل الله تعالى من حيث هو احسان البار انعام على
صلاله وسعادته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما مضى من هذه الامور من حيث انها فعل الله وصفه اسفادة منه المعرفة
بجلال الله تعالى وعظمته واهدى من نظر فيها فاصاب اللطف عليها من حيث ما ليس بعضها في بعض من حيث اربابها
بسبب الاسباب مفتاح السعادة واردى بعود بالله من الضلال وسئله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين

معرفة

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر

من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل
قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فاذا هي شاخصة الابصار فاصبحوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهد
الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالسراب الى التزعج بالتراب
ومن انيس العشيرة الى وحشة الوحدة ومن النعيم الوبيل الى المرعى الوبيل ما نظر فعل وجدوا ما قدموا من الموت حصادا لما زرعوا
من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالبقاء والاستيلاء واستأثر
باستحقاق الثناء واراد الاصفاء لكل عليهم من الفناء فجعل الموت لخلقه قهرا وموعدا الى حضرته لبقاء
وجعل القبر حجابا لاشقيائه وحبسا ضيقا عليهم الى يوم القضاء ثم جعله بعد القضاء له الابقاء والنعيم المتظاهرة وله الانشاء
بالعلم الباهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فخير ما يرغب في الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ونكير
وحشته والقبر مقره وبطن الارض مسكنه والقيامة موعده والجنة او النار مرجعه ان يكون له فكره
في الموت وذكره الا وانتظاره وترقبه الا واستعداده الاجله وتأهبه لما بعده وتطلع اليه وتلهفه عليه والاهتمام الاهم
والهم الاعم له والاشتغال وترقبه الا وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت
قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز
الاستعداد للحي الذي لا يموت وقد تجرد ذكره على القلب وانجرد ذكره الاحد الذي لا معاني المذكر له
والمتفرد بالمنفعة عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحواله الاخرة والقيامة وما بعده
والنار ما لا بد للعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالاذكار والاستبصار ليكون ذلك مستجنا
على الاستعداد بعد قرب الرحيل فما اقل الاقلين واحلم الغافلين افترى للناس حسابهم فهم غفلة
معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في سطرين السطر الاول في مقدماته والثاني في ذكر حوله الاهل وغيره
ابواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر حول الاهل وغيره
الباب الثالث في ذكر الموت وسكراته وما يجب الاهتمام به عند نزوله الباب الرابع في وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء الصالحين
الباب السادس في آداب الغارقين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع
في تحقيق الموت وما بعقباه الميت والقبر الى نفخة الصور الباب الثامن في الكائن مما عرف من احوال الموت
بالمكاشفة في المنام الباب التاسع في الاوائل المتعلقة بالموت والترغيب في الاكثار من ذكره
اعلم ان المهلك في الدنيا المنكب على غرورها اللعب لشهواتها بغفلة قلبه عن جلاله بحيث لا يذكر الموت فلا يذكره
واذا ذكره كرهه ونفر منه اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم
ثم سترد الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس لما هم فيه من الغفلة عن الله تعالى

علقه حمرا كيف جعلها مضغه ثم كيف صار منها جزا النطفه وهي مشابهه متساويه الى العظام والاعصاب
والعروق والاربطه واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب العروق والاعصاب الظاهره مدور الراس وبه
السمع والبصر والانف والفم وسايز المشاعر ثم صار اليد والرجل وقسم رووسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل وركب
ركب الاعضا الباطنه من القلب والمعده والكبد والدماغ الرييه والرحم والمثانه والامعا كل واحد منها
مخصوص ومعدا لخصوص لعمل مخصوص ثم كيف ركب من كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر توجد في
سايع طبقات لكل طبقه وصف مخصوص وهيه مخصوصه لو فقدت طبقه منها او زالت صفه من صفاتها
تعطلت العزم عن الابصار فلو ذهبت هذه الاعضا من العجايب والايات نفسي فيه الاعمار ولا نظر
الرجل العظام وهي اجسام قويه صلبه كيف خلقها من نطفه سخيفه رقيقه ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدر
جفا دبر مخلفه واشكال مختلفه فمنه صغير وكبير وطويل مستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق وما لا
الانسان محتاجا الى لطيه كيف يجله بدنه ومعهن اعصابه للتردد في جلجانه ثم جعل عظمه عظاما واحدا بعد عظما حتى
بينها مفاصل حتى تيسر بها الحركه وقدر شكل كل واحد منها على وفق ما يطلب الحركه المطلوبه بها ثم وصل
مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوفاد ابتدا من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الاخر كما يراط له ثم حلق في
طرفي العظم زوايد خارجه منه وفي الاخر حفرا عاريه فيه موافقه لتلك الزوايد كيدخل فيها ويتطبق عليها
فصار العضو ان لا تحريك جزو منه لا مع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق
عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقدر تركيبها من ثمنيه وخمسين عظما مختلفه الاشكال الصورة
بعضها الى بعض بحيث استوى به كوره الراس كما تراه منها سته تحصر الدماغ وهي القحف واربعه عشر للحي الاعلى والاسفل
للحي الاسفل والبقيه هي الاسنان منها عريضه تصلح للطحن وبعضها حاده تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والنابها
ثم جعل الرقبه مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها لخرقيات وزيادات
وبعضهات ليتطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمه فيها ثم ركب الرقبه على الظهر وركب
الظهر من اسفل الرقبه الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزه وركب عظم العجز من ثلثه اجزا متحلله ومتصل
به من اسفله عظم الصعصع وهو ايضا مولف من ثلثه اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف
وعظام اليدين وعظام الرقبه وعظام العجز عظام الفخذين والساقين والرجلين فلا نظر الناظر الى كثره عدد ذلك ومجموع
عدد العظام في بدن الانسان فانها عظم ومائتين واربعون عظما سوى العظيمه الصغيره التي حشي بها فاصل العظام وانظر
كيف خلق جميع ذلك من نطفه سخيفه رقيقه وليس المقصود ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا
علم قريب يعرفه الاطبا والمتحون واما الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها وديرها
وخالفين اشكالها واقدارها وحصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان زايدا على الانسان
يحتاج الى قطعه ولو نقص منها واحدا لكان ناقصا يحتاج الى جبره فالجبر اما ان يكون بالعظم
جبرها واهل الصناعه يطرزون فيها ليسندوا بها على حالاته خالقها ومصورها فسبحان من انظر بزعم انظر كيف
خلق الله تعالى الات تحريك العظام وهو العضل فالعضل عند الاطبا بن الانسان خمس مايه عضله وسبعا وعشرين عضله
والعضله هي مركبه من لحم وعصب وربط واعصبه وهي مختلفه المقادير والاشكال بحسب اختلاف
مواضعها وقدر حاجتها فاربع وعشرون عضله منها هي لتحريك حركه العين وكيفيتها لو نقصت واحده من
جملتها اختل امر العين وهكذا في كل عضو عضلات تعدد مخصوص وقدر مخصوص وامور الاعصاب
والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومسايلها واسمائها فانها اعجب من كل ذلك فتطول
فلتفكر مجالا في احاد هذه الاجزا ثم في احاد الاعضا ثم في عمله البدن وكل ذلك نظر الى عجايب
احكام البدن وعجايب المعاني الصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه
والى بدنه وصفاته فترى فيه من الصنعه ما تقصي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى فانظر ما قدره فترى فيها
صنعه في قطره سما فاصنعه في ملكوت السموات في كواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها
وتقادير سيرها واعدادها واجتماع بعضها واختلاف صورها وتفاوت مسايرها ومقاديرها فلا تظن ان ذره
من ملكوت السموات تتحرك تحركا عبثا وحكم بل هي احد حلقها وانفس صنعا واجمع للعجايب من بدن
الانسان بل لا نسبه لجمع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال تعالى ايم اشد حلقا ام السما بناها فارفع
الان الى النطفه وتامل اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل الواجبع الانس والجن على ان يخلقوا نطفه سمعا وبصرا
او عظما وقدره او عليا او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا
ان يعرفوا كيفيه خلقه وكيف نظمه بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فانظر الى صوره الانسان كيف
الى صوره انسان مصور على حايط فان الفاشر يصورها حتى قرب ذلك من صوره الانسان قال الناظر اليها
كانه انسان عظم يتحرك من صنعه النقاش وجذقه وخفه يده وتمام فطنته وعظم قدرته وملكه مع انك
تعلم ان تلك الصوره انما تمت بالصبغ والقلم وبالحايط والجدران وبالقدره والعلم والاراده وشي من ذلك ليس من فعل

الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجله والى ما يمشي على اربع وعلى اكثر
وعلى ما به كما نشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع الصور والاشكال والاخلاق والطبايع فانظر
الى الطيور الجو والى وحوش البر والى البهايم الانعاميه ترى فيها من العجايب ما لا تسكن معه في عقلك حالتها وقدره
مقدورها وحكمه مصورها وكيف يمكن ان يسعني ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب النمله او النمل والنحله
او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنايتها وفي جمعها عما هادي النها لذ رجمها وفي اذخارها لنفسها
وفي حذقها في هندسه بيتها وفي هدايتها الى اجاجا فلم يقدر على ذلك فكري العاجز الكليل بل يتحير
فيطلب اولا موضعا مقفرا بين شيها فرجه بمقدار ذرع فما دونه حتى يمكنه ان يصل الخيط طرفيه ثم ينزل
فيلقي الذباب الذي هو خيطه على جانب للصق به ثم يعود الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر من الخيط ثم كذلك
يتردد ذهابا وايابا ويجعل بعد ما بينها متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى
اسفل بالنحله فيضع النحله على السدى ويصيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع النحله بالسدى ويرعا
في جميع ذلك تناسب الهندسه ويجعل ذلك بتبعه يقع فيها النقر والثقوب ويتعهد زواياه فيدور صدر الوقوع والصيد في
الشبكه فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فاذا عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاويه من حايط وتخيل
بين طرفي الزاويه ليخيط ثم على نفسه منه خيط اخر وبقي متمكنا في الهواء بتظر ذبابه تطير فاذا طار ذباب رمى بنسجه اليه
فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكم ثم اكله وما من حيوان صغير واكثر الا وقد من العجايب ما يحير العقول
الله تعالى هذه الصنعه من نفسه او يكون نفسه او يكونه آدمي او عمله او انعامه له ولا معلم انشك ذره بصيره
انه مسخر ضعيف عاجز بل الفيل العظيم جسمه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا يشهد هو بنفسه على صورته وخلقه وهدايته وعجايب صنعه لغاطره الحكم وخالقه القادر
العليم فما لبصيرته في هذا الحيوان الصغير من عقله الخالق المدبر وجلاله وكماله القدره وحكمته ما يتحير فيه الالباب
والعقول وتتلاشى عن سايره الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير
محصوره واما سقط بعض العلوب منها لا يسهل كثره المباهره نع اذا راى حيوانا غريبا ولودودا الجرد بعينه
وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يعجبه نفسه بل لو نظر الى الانعام والى العضا وتفكر
اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها من حلوبها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله بانتا
لخلقه واكنانا للهوام وطعمه ومراعا منهم وابنيه لاستريتهم واوعيه لاعذيتهم وصوانا لامتعتهم وجهل
الباسها ولحومها اعذيه لهم ثم جعل بعضها زينه للركوب وبعضها حامله للاثقال قاطعه للمبادي والمفاوز
لا ظهر الناظر التعجب من حكمه خالقها ومصورها فانه ما خلق شيا من جميع منافعها سانوعا على خلقه اباها فسبحان
من الامور مكتوفه في علمه من غير تفكر ومن غير اشعاله ولو شاء لكان بغير امر ومستبر هو العليم الخبير الحكيم
القدير فلقد استخرج بالعقل العليل ما خلقه صدق الله تعالى ما اكرمه وما اعظم قدره فما الكلوا الا الاذعان لعجزه
وقدرته في الاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفته جلاله وعظمته من الذي يحصي ثنا عليه بل هو كما اثنى على
نفسه واما غايه معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فسبحان الله تعالى ازيحكم منا بهذا آيه نمنه ورافته
ومن اياته البحار والجبال العميقه المكسوفه اقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان
جميع المكشوف من البوادي والجبال اعني ما ابدا لصافه الى الماء كجزيره صغيره في بحر عظيم وبقيه الارض مستوره بالماء
قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض البحر كالاصطبل في الارض فانظر اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافه
الى البحر مثله وقد شاهد في عجايب الارض وما بينها فتامل الان عجايب البحر فانها بسيطه فانه من الحيوان والجواهر اضعاف
عجايب ما نشاهده على وجه الارض كما ان سعه الارض وعظم البحر الذي فيه من الحيوانات
العظام ما نرى ظهورها في البحر فيظن انها جزيره وسنزل الاكباد عليها فربما حسبنا ان السفران اذا استعلت فيتحرك
فيعلم الله حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من ذوات سم او طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثاله واضعافه
وفيه لجايب لا بعد لها نطير في البر وقد ذكرنا وصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بذكر عجايب البحر وجمع عجايبه
ثم انظر كيف خلق الله اللولو ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف اثبت للرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو
نبات على هيات يجري بت من البحر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي تقذفها البحر وتخرج منه
ثم انظر الى عجايب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسخر فيها التجار وطلاب الامرال وغيرهم وسخر
لهم الفلك لحمل اثقالهم في بحر الرياح لتسوق السفن عرفا للاجل موارد الرياح ومهابها ومواقيتها وايسنقضي
على الجمله عجايب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفيه
قطره الماء وهو جسم رقيق لطيف سال منسفح منصل الاجزا كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع
كانه منفصل مسخر للتفرق قابل للاتصال به حياه كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد
الى شربه ما وجد منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها ثم اذا اشربها لو منع من اخراجها لبذل جميع خزائن
الارض وملك الدنيا في اخراجها فانظر من الادمي كيف يستعظم الدينار والدرهم وتفاسير الجواهر ويغفل عن عجايب المياه والانهار والبحار
ما اذا اخرجت الى شربها او الاستقاء عنها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجايب المياه والانهار والبحار
فيها مستمع للفكر ومجال لكل ذلك يتواتر منها هره وايات فيما ظهره باطنه بلسان حال فصيحه عن جلال

وذلك الجواب فد اقنعه للفتاوي فيما سئل فقد كان المعد لحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يجدون الفتوى وكل من كان يفتي
يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يفتي بساطين الانسان اذا قالوا لا نعقل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست
العلوم من الخلق ولبقل العلماء ربي الاسلام مستغن عنه فانه قد كان مهجورا قبل وشر ذلك يكون بعدي ولو لم
يهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عنه وانا فلست مستغنيا عن اصلاح خلقي واما اذا دلك الى ابتدار اس العلم فحبا
بدا على غايه الجهل فان الناس لو خسروا في سخر وا وفوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلوم والرياسة
صلهم على كسر القيود وهدم حيطان الحبوس والخروج من الاستغلال بطلب العلم فما العلم الا درس ما دام الشيء
احب الى الخلق وهم الرياسة والشيطان لا يقنع عن عمله الى يوم القيامه بل يبتهض لتيسير العلم الذي لا نصيب لهم
في الآخره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد هذا الدين بقوام لا خلاق لهم وان الله يويد هذا الدين بالفاجر
تلا ينبغي ان يقتصر العالم بهذه الخلق حتى يتبرى في قلبه حب الجاه والمال فان ذلك يذر النفاق كما قال
صلى الله عليه وسلم ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبه غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم
ولا ينقطع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من محالطتهم وترك كل ما يزيد جاههم
في قلوبهم فليس وكر العالم في النفوس لجاها هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طرق الخلاص منها وهي
وظيفه العالم المتفرغ فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا يوم الحساب اذ لو رآنا السلف
الصالحون لقالوا فطعامنا هو الموسوم يوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يوم من بالجنه وانا نرفان من خاف شيأ هرب
منه ومن رجا شيأ طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والحرام وبترك المعاصي وهي معلومه
وفيها وان طلب الجاه بكثير من نوافل الطاعات ونحن مصرون في الفرائض فيها فكيف لنا من نرجو الخلاص الا ان نقتدي
بنا في الهرب على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مقصورا على العلماء لكان ينبغي ان يختار به منا فلنتاد
كل العوام اذا مات معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنه التي تعرضنا لها لو تفكرنا مثال الله تعالى اذ
وبصلي بنا ويوفقنا للتوبه قبل ان تموت فانا الله الكريم اللطيف بنا المنع علينا هذه مجاري افكار
والصالحين في علم المعامله فان فزعنا منها انقطع النفاق عن انفسهم وارتدوا منها الى التفكر في جلال الله
والتتم مشاهدته بعين القلب وما بين ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف
المنجيات وان ظفرت منه قبل ذلك كان هو حرزا معلوما مكررا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق
لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن خشي به عقارب تلدغه فهو بعد اخرى يتوقع
عليه لذة المشاهده وما طريق له في اكمال التنعم الا باخراج العقارب من بيته وهذه الصفات المذمومه عقارب
وحيات موذيات ومشوشات وفي القبر مزيد لم لدفعها على لدغ العقارب والحيات فهذا الفرد كان
في انسه على مجاري بصره اعدى صفات نفسه المحجوبه والمكر وهذه عدوه تعالى القسم الثاني
الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وبينه مقام ان العام الا على التفكر في ذاته وصفاته ومعاني
اسمائه وهذا ما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تحير فيما
فلا تطيق هذا البصر اليه لان البصر يقوى ثم لا يطيق دوام النظر بل سائر الخلق احوال البصر بالاضافة الى
الله تعالى البصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البته بل الخفاش يطير ليلا لينظر
بنعته نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال البصر بالاضافة الى الشمس فانه يقدر على النظر
ولا يطيق دوامه وخشي على بصره لو ادام النظر وتحيره المحنطف انها يورث العمى ويقوي البصر ويقدر
النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيره والدهش واضطراب العقل فالصواب ان لا يتعرض لمجاري التفكر
في ذات الله سبحانه وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان
نقلي مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه وانه موصل منفصل
منفصل عنه وقد حير هذا القدر ايضا جمعي نفوسهم اذ لم يطيقوا اسماعه ومعرفته بل صعقت طائفه عن احتمال القدر
اذ قيل لهم ان الله تعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما منحصرا له مقدار وحجم فانا
هذا وطنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله وبعض الجهلة من العوام ان هذا وصف بطئي هذي وصفا لاله كله
المسكين الجلاله والعظمه في هذه الاعضاء وهذا ان الانسان لا يعرف نفسه فلا يستقطع الا نفسه فكيف
فلا يسأل عن صفاته فلا يقف فيه نعم غايته ان تصور نفسه مثل الصوره جالسا على سرير وبيده على
يمتثل امره فلا حرج في غايته ان تصور ذلك في حق الله تعالى ويقدر حتى يقف العطه بل لو كان للذباب عقل وفهم

له ليس لها انف حساس ولا يد ورجل ولا له طيران لا يدرك ذلك وهل كفه يكفي خالق ما يقدر من
يكون مقصور الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون الله وقدره لا يكون له
مثلها وهو حاني ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان هو الظلوم الكفار
ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فيملوا مني وكل اخبر هم عني بما يفهمون
ولما كان النظر في ذات الله وصفاته محظورا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان يقصر
المجاري التفكر فيه لكنا نقول الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدايع اسراره في خلقه
فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وبدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته
وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا لا نطيق النظر الى الارض مهما
استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور
الارض من انا نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر
وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله ونور من انواره بل لا ظلمه اشد من العدم ولا نور اظهر
من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ فوام وجود الاشياء بذاته القيوم
نفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئه بنفسها وبها انكشف هي الشمس فقد جربت
العاده بازيد وضع طست مملوء ماء حتى يرى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فكذلك الاشياء واسطة
تشاهد صفات الله تعالى فعال الفاعل لا يتبين نور الذات بعد ان ابعدناها بواسطة الافعال فهذا سر قوله
صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله بل كان كيفية التفكر في خلق
الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود ما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه فكل ذره من الذرات من جوهر وعرض
وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن
لانه لو كان الجم مرادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمله يكون
ذلك كالمثال للعمراه منها من الموجودات التي لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها
وكم من الموجودات التي يعلمها كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وقال ينشئكم فيها لا تعلمون والى ما لا يعرف اصلها وعلمها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر
في تفصيلها وهي منقسمه الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي ندركه بالبصر فالسماء
والارض والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك مجال التفكر في هذه الاشياء ما لا يصح ونقض فلنعدل
الى الاقرب الى الافهام وهو المدرك بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة
بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طولها وعرضها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها
ومعادنها وانهارها وبحارها وحيواناتها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها
وريحها وبرقها وصواعقها وسحبها وعواصف رياحها فهذه الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما
بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام وينتهب كل قسم الى اصناف وانواعه
لا تعجب ذلك واقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ظاهره وباطنه وجميع ذلك مما لا يدرك
ولا يتحرك ذره في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان والا فلك فما كوكب الا والله تعالى هو محركها
وفي تحريكها حكمة او حكمان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانيه
وذلك على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما
قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لآيات وكما قال تعالى ومن آياته ومن آياته منامكم بالليل والنهار الآيه
كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته خلق الانسان المخلوق من النطفه وقد سبق لك بعض
ذلك فمن آياته الدالة على عظمة الله ما سبق الاخبار في الوقوف على عشر عشيره واستعاذ عنه فما من هو عاقل
من نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفه غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك وفي كتاب الله العزيز
فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفه مذره فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء
خلقه من نطفه خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين
من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق
اول ما خلق الانسان من نطفه فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفه امشاج نبتليه فذكر كيف
جعل النطفه علقه والعلقه مضغه والمضغه عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه
نطفه في قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه الآيه فتفكر يوما في النطفه والكتاب العزيز يسمع لفظه
وتبرك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفه وهي قطره من الماء قدره لو تركت ساعه لصوبها الهواء المنتن
واين كيف آخر جها رب الارباب من اسفل التراب وكيف جمع بين الدم والماء الذي هو الالف
والمحبة في قلوبهم وكيف فاد هر بسلسله المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف اسخر النطفه
من الرجل بحركة الوقاع وكيف استخلص دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود
من النطفه وسقاه بما الحيض وغذاه حتى تم نما وربى وكبر وكيف حيل النطفه وهي سقاء مشروفه

قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس لحسن استعمالها وتاليفها وايصال
الارواح المفضي الى الانتاج فيها ومعرفه طريق الاستعمال والاستثمار فيه يكون بنور الوجه القلب
حصل بالفطره كما كان للانبيا صلوات الله عليهم وذلك نور عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والتمارين
وهو الاكثر المتكرر فحضره هذه المعارف وحصاله الثمره وهو ان يسعى بكيفيه حصولها
ولا يقدر على التعبير عنها لقله ممارسته لصناعه التعبير والاراد فكم من انسان يعلم ان الاجره اولى
بالايثار على الحقيقه ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل
معرفته الا عن المعرفين النافذين وهو ان الابي اولى بالايثار وان الاخر مابقي من الدنيا فحصاله معدوده
تالفه وهو الاخره اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقه التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفه ثالثه
واما ثمره التفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال وكل ثمرته الخاصه العلم الاخر بع اذا حصل العلم في القلب
بغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم
تابع الفكر فالتفكر اذن هو المدار والمعنا والذي يكشف لك عن فضيله
التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان التفكر كرار وزياده وكرر القلب خير من كرر الجوارح
بل ثمره العلم الذي هو ثمره التفكر افضل من جمله الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعه خير من عباده سنه
فمثل هو الذي يسهل من المكاره الى المحاب ومن الرغبه والحرص الى الزهد والقناعه وقيل هو الذي يحرك
مشاهده وهوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتفكرون لعدد كر اولي الالباب وقال تعالى افلا يتدبرون القرآن
فحاله ما ذكرناه من امر الاخره فان التفكر فيه يعرفنا ان الاخره اولى بالايثار فاذا رجحت عنده المعرفه هذا
عند فلوبنا تغرب القلوب الى الرغبه في الاخره والزهد في الدنيا وهذا اما عبناه بالحال اذ كان حال القلب
قبل هذه المعرفه حب العاجله والميل اليها والنفره من الاخره وقله الرغبه فيها وبهذه الرتبه المعرفه
تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الاراده اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال
الاخره فهذا هنا حتى درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو البحث
المعرفه المقصوده منهما والثالثه حصول المعرفه المطلوبه واستناره القلب بها والرابعه تغير حال القلب
عما كان بسبب حصول المعرفه والخامسه خدمه الجوارح للقلب بحسب ما تجدد لهن الحال كما يصرف
الحي على الحديد فيخرج منه نارا يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصره بعد ان لم تكن مبصره وتشهد الاذن
للعمل وكذلك زياده نور المعرفه هو الذي يجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويولف بينهما فالمعرفه هو
كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فيخرج النار والحديد وسيف القلب يسيب
هذا النور حتى يميل الى ما لا يمكن ميل اليه كما ينفر البصر بنور النار فيرى ما لا يمكن ان يراه ثم يتصرف الاعضاء
للعمل بمقتضى حال القلب كما يتصرف العاطس بسبب الظلمه للعمل عند ادراك البصر ما لا يمكن ان يبصر
فاذن ثمره التفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهايه لها والاحوال التي يتصور ان يتقلب عليها القلب لا يمكن حصرها
ولهذا اراد من يحصر فنون التفكر وجاريه وانه فيما ادى تفكر لم يقدر عليه لان مجاري التفكر غير محصوره فيه
غير متناهيه نعم نحن نحمد ضبط جاريه بالاضافه الى جميع العلوم الدينيه وبالاضافه الى الاحوال التي
انسا الكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجمله هذه الكتب التي
لبعضها فانها مستمله على علوم تلك العلوم ستفاد من افكار تخصصه فلنشر الى ضبط الجامع فيها فنقول
تحصل الوقوف على مجاري التفكر بمثال فاعلم ان التفكر قد يجري في امور تتعلق بالدين
وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين واما عرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونقتصر بالدين المعامله التي بين
وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله اما
تخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان
الى العكس وغير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان
فاعاله وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وبهذا ينكشف لك انحصار التفكر في هذه الاقسام
مثال وهو ان حال السايرين الى الله تعالى المسافرين الى لقائه بيضاهي حال العشاق والمحب العاشق المستهتر
مثال وهو ان يتفكر العاشق المغرم في صفه محبوبه وافكاره فيما يتعلق بمحبوبه وما لا يتعلق بنفسه فان نفكر
في محبوبه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صوره في ذاته ليتمتع بالتفكر فيه فيما بعد ذلك واما ان يتفكر في افعاله
اللطيفه الحسنه الدالله على احاطه وصفاته ليكون ذلك مصفيا للذته ومقويا للمحبه فان يتفكر في نفسه فيكون
في صفاته التي تستدعيه من عين محبوبه حتى يتوهم صفاته في الصفات التي يقوى منه وتحبه اليه حتى يصف
لها فان تفكر في خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو بطال فيه ان شاء الله تعالى نسعى ان يكون كذلك فلا يعود ان شاء الله
العاشق وسمي القلب حتى لا يترك منه متسعا لغيره محب الله تعالى نسعى ان يكون كذلك فلا يعود ان شاء الله
محبوبه ومهما كان يتفكر ومحصورا في هذه الاقسام الاربعه لم يكن خارجا عن مقتضى الحب اصلا علمنا بالقسم

لكنه فهذا هو طريق التفكر وعلوم المعامله وصفات العبد من حيث هي محبوبه عند الله او مكروهه
ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يغلب عليه بالاخلاق الجوده والمقامات الشريفه ويتوه باطنه
من الكدره ونعلم ان هذا افضل من سايرا لعبادات فليس وراءه المطلب السؤل ولا محبوب يحب من مطلب
هو النعيم بالذكر في جلال الله وجماله واستغراق القلب حتى نفسه اي بنسي نفسه واحواله ومقاماته
فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقا الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه
فضلا بل ينسى في جنب المحبوب العاشق نفسه وهو منتهى درجات العارفين فاما ما ذكرناه فهو تفكر في احوال النفس
والوصول فاما اضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتهيا القرب وذلك كان الجواهر يدوس البوادي فليفه الحشيش
يقال فيم استعمال الادوات البواري اصبح جاهلا فقال افنيت عمرك في عمارة الطريق فاين الفراغ في التوحيد
الواجب الحق هو غايه مقصد الطالبين ومنتهى نعيم المقربين واما السره عن الصفات المهلكات فتخرج عن الحد
عنه واما الاتصاف بالصفات المنجيات سايرا لطاعات فتخرج عن الحد فيه للواء جمازها وتنظيفها ورسمها ومنشطها
وهي التعديل الكلي فاعلم ان جميع ما يتعرف جمع عمل في شريعه الدين وترتيب الوجه كان ذلك حجابا لها عن القرب
فالتعديل بمعرفه طريق السير ان كنت من اهل المجالسه وان كنت من العبد الصغير الذي يحركه الاخوف من الضرب ولمعها
فالتعديل بمعرفه وتجنب الاعمال الظاهره فان ذلك حجاب بين القلب حجابا كثيفا فاذا قصرت على الاعمال كنت من اهل
والتعديل المجالسه فوق اخرون اذ عرفت اعمال القلب في علوم المعامله التي بين العبد وبين ربه ينبغي ان يجتذلك عاذ فك
ك سبحانه وتعالى ومساوا ته ومعاصيك عن نفسك وعن صفاتك المبعده من الله عز وجل واحوالك المقربه اليه سبحانه وتعالى بل كل
في ان يكون له جريده تثبت فيها جميع الصفات المهلكات وجميع الصفات المنجيات وجمله المعاصي والطاعات بعرض
عليها كل يوم وليلته فكيفيه من المهلكات التي لو سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب
الحسد وشده الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشره الندم
ب الصبر على البلاء والرضا بالقضا والشكر على النعما واعتدال الخوف والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال
ن الجوع المخلوق حب الله تعالى والشبع له تقدره عشرين خصله عشر مذمومه وعشر محموده فمهما كان في المذمومات
عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وينشره قلبه عنها ويعلم ان ذلك نعم
الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على الخوض في شيء من ذلك فقد قال بعض السلف ابا فيه وفكري في نعم
على الجميع وكرر ذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحده منها كالتوبه والندم
عليها واستغفر بالباقي وهذا الحاح المريد المنشر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يتعلم
ذم المعاصي الظاهره كالشهوه والطلاق اللسان بالغيبه والنميمه والمراد والكذب على النفس والافراط
اما عمدا وسهوا والاسلام والمداهنه مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعتد نفسه
ه الصالحين يترك عن جمله من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح من الاثام لا يمكن الاستغفار
متطهره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصيه فينبغي ان يتعهد ذلك ويتفكر فيه
في معاصر هي معتبرة بمثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم
ه الشهره واستماع الصيت اما بالدرس والوعظ ومن يفعل ذلك يغريه لقبه عليه ولا يسلم الا الصديقون
ن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم يسلم عن العجب والخيلا والتزين والتصنع وذلك من المهلكات
كلامه لم يخل عن ايقاظ وعظ وجفد على من يرده هو اكثر من غيظه على من يرد خلاء غيره ومن تلبس الشيطان
ويقول له ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فانت بقدر غيظك فصير انكر عليه كلامه اويرد على عالم
مغرور ومحقه للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثنا واستكاف من الرد والانكار من
عن تكلف يصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب القلوب والله يحب المتكلف والشيطان قد يتبس
ه ويقول له احرص على حسن الالفاظ والتكلف فيها ليتسر الحق ومن وقعه في القلب اعلم ان الامر كذلك
زخرفه لحسن الفاظه وبنا الناس عليه اعتقد من وجه بنبا الناس عليه واعتقد من اقرانه فهو يخدع وانما يتدرج حواطب
ه وهو ظن مطلبه الدين ومهما اخلص ضميره بعيده الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون لسانه قوله المعقد
ه اكثر اهم احتراما ويكون بلقائه اشد فرحا واسبشا وانعم تعلموا في مواساه عسر وان كان ذلك
وسمحا للمواساه وربما يتبين الامر باهل العلم الى ان يعاير ون بعاير ا لسنا فتوعلى اهم ان اختلف بعض الامة
ميره وان كان يعلم انه مسخط ربه ومستجلب مقته وكل هذا شيء من الصفات المهلكات السكنه
والقلب التي قد يظن العالم انها منها وهو مغرور فيها واما ينكشف ذلك بهذه العلامات فعنده العالم عظيمه
اما ما لك واما ها لك ولا مطمع له في سلامه العوام فمن احس بنفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الاهتمام والعمل

كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقدر بما يشاء ما يشاء بحواء قصرا ولم يجعل المرء قدام الاوهام ومن سهام الافهام الى حمى علمه يجري بإدراك علوب الطالبين في سبل اكتساب ما به والهة حيرا كلما اهتز لنيل مطلوبها ردتها سبحات جلاله قسرا واذا هامت بالاتصاف ايسة نودبت من سرادقات الجمال صبرا احسن ما قبل لها اجبني ذا الوجود لك فكر الانك لو تعرفت في جلال الربوبية لم يقدر له قدرا وان ظلت سرا التفكي في صفات امر تضرع نعم الله تعالى وايا ديه كيف تواتيك على ذلك شفتي وجدي لكل نعمة منها ذكر اوشكر او تامل محيار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا او نفعا وضرا او عسرا ويسرا او فورا وخسرا او جمعا كسرا او طيا ونشرا او ايمانا وكفرا او عرفانا ونكرا او اقبالا وادبارا فطوبى لذي نظر في الملكوت فاستدل به على الجبروت وتامل امر الله وخاطر نفسك محاورة حيطانه البشرية طالما وجرها مقد ابتهرت العقول عن مباديء الامور وكفت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد سيد ولد آدم وان كان لا فخر بعد سيادته فخرا وعلى آله واصحابه الذين سبحوا بحار احد منهم في سكر الدبير سرا والطوائف المسلمين صدرا وسلم كثيرا اما بعد فقد ورد السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكرر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو يشبك العلوم ومصدره المعارف الظاهرة واكثر الناس قد عرفوا فضله وربته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره وموارده ومجراه وسرها وطريقه وكيفيته ولم يعلم الله كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اولا ليعد له ثمرته ليستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضله الفكر ثم حقيقة الفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومساراته

فضيلة التفكر

ان الله تعالى اثنى على المتفكرين من عباده في كتابه العزيز في مواضع منها قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما تفكروا في الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل فقال تفكروا في خلق الله عز وجل هكذا فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان هذا المغرب رجل طوله مسيرة الشمس اربعين يوما خلق من خلق الله الله عز وجل لطوله عصوا الله عز وجل ولم يعبدوه وعن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يعرض للعبد وهو في صلاته فيذكره حاجة بعد حاجة حتى لا يدري كم صلى فاذا وجد احدكم ذلك فليسجد سجدتين وهو جالس وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذروا التفكر في الله عز وجل وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا الا وقد احب ان يعرف وان خلقه فتفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله لا يتفكر فيه احد الا ازداد تحيرا وعن عبد الله بن سلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقوم من فراشه او من مجلسه لا يذكر الله عز وجل الا قام عن مثل جيفة حمار وكان مجلسه عليه حسرة يوم القيامة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله عز وجل فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم

فيما لا يصحب المحاسن بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث روعي احب من احببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت وبحك
يا بصر اما تعلم ان كل من ملف الى الدنيا وباشر بها امر الموت مقرور بابه فاما ان تستكثر من الزاد
المفارقه واما ان ترود من اتم المهلك وهو لا يدري او ما تنظر ان الى الذين معواكيف يسوا وعلوا نزهه هيهات خواب الكفه
اورثته ارضهم وديارهم اعدادهم امانا ترا هم كيف جمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما
لا يدركون كم من قصر امرفوعا الى جنب السحاب ومقره قبر محفور تحت الارض فعال في الدنيا عمه
وانكاس اعظم من هذا يعمر الوحد دنياه وهو مرتحل عنها بغيتا وهرب اخرته وهو صابر اليها طائعا
اما تستحيين يا نفس من مساعده هذا على جمعه وتحسبانك لست دار تصيره بعد من الى هذه الامور
وانما تميلين بالطبع الى الشبه والالف فنفسي جعل الانبياء والعلماء والبكاء لعلمهم بالدنيا
واعدى من الفريقين من راعمل عندك ان كنت تعقدين في نفسك الفعل والذكا يا نفس ما الذي اوقعك
واسدحلك واطمع طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحه الجليه ولعلك يا نفس اسكرك
حب الحياه واد هشك عن رشدها اما سمعت من يعبر الناس ان الحياه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاعلمي
ان كل من على وجه الارض يحركك واطاعك افما تعتبرين ان بعد خمسين سنه لا يبقى انت ولا احد على وجه الارض
ممن عبدك وبعدك وبساني ما لا ينفي ذكرك وذكر من ذكرك كما انى على الملوك الذين كانوا
قبلك فهل تحسين منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف يتبع يا نفس ما سبق ابد الابدين ما لا يبقى اكثر من قرنين
سنه ان بقي قدر ان يملك من ملوك الارض سبعة الك السرور والعزيز حتى اذ عشت الرفاب
وانظمت لك الاسباب كيف ورباي ادبارك وسفاوتك الا ان يسلبك من مجدك بلا امور ادراك وفضلا
عن مجدك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبه في الاخره لجهلك وعمى بصيرتك فالك تتركينها فرقا
عن حسته شركاها وشرها عن كثره عنائها وتوقيا من سرعه فنائها ام مالك لا تزهدين في ملذاتها
بعد ان زهدك حتى تيسرها ومالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك ملا تحلوا بالدك عن جماعه من اليهود والمجوس
يسيقونك لها ويزيدون عليك في تيسيرها وتهيئتها فاف لدنيا يسفك بها هو لا الاحتفاظا اجهلك
واحتشمك واسقطرا يك اذ عبت ان تكوني في زمره المقربين من الصديقين والنبيين وجوار رب العالمين
ابد الابدين لتكوني في صف النعال من حمله الحق الجاهلين ايا ما لك اياي حسره عليك ادحرف الدنيا والدين
فبادري وبحك يا نفس قد اشرف على الهلاك واقرب الموت وورود النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت
ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يسترضي عنك ربك بعد الموت وبحك يا نفس مالك الا اياما معدوده
هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقيه عمرك لما ضيعت منها لكنت مقصره
في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقيه واصررت على عادتك اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر
بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على
باب البلد ينتظرونك وقد الواكلهم على انفسهم بالايمان المغلظه انهم لا يبرحون من مكانهم حتى
ياخذوك معهم اما علمتي يا نفس انهم يتعذرون الرجعه الى الدنيا بما يشغلونك اشد الشغل عما فرط منهم وانت
في امنيتهم وبودهم عن عمرك لو ينفع منهم بالدنيا بجذافيرها لا شتروه لو قدروا عليه وانت يضيعين اياما كثيرا في الغفله
والبطاله وبحك يا نفس اما تستحيين من رب العزه ان تلقيه وانت على هذه الحاله اما تستحيين من الخلق
الخلق وانت عين من الخالق وبحك اهو اهون الناظرين عليك اما من الناس بالبر وانت ضاحكين بالذنوب ايا من
وانت عنه فاره وتذكرين بالله وانت له ناسيه اما تعلمين يا نفس ان المذنب اهون على العزيز وان العوده اقبح
غيرها فلم تطهرين وتطيب غيرك وانت غير طيبه في نفسك وبحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفه لطفقت
الناس ما يصبهم بلا ما يشوهك وبحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا ابليس يقودك الى حيث يريد ويبيرك
ومع هذا فتصيرين بعلك وفيه من الاخلاق ما لو جعت منها راسا برأس لكان اربح في يديك وكيف تفلحين
بعلك مع كثره خطاياك وقد لعن الله ابليس لخطيه واحده بعد ان عبده مائتي الف سنه واخرج آدم من الجنه
لخطيه واحده مع كونه نبيه وصفيه وبحك يا نفس ما اعمرك وبحك يا نفس ما اوقحك وبحك يا نفس ما اجرأك
وما اجراك على المعاصي وبحك كم تعقدين وتنقضين وبحك كم تعهدين فتغدرين وبحك يا نفس اشغلتي
مع هذا الخطا يا بعاره دنياك كانك غير مرتحله عنها اما تنظرين الى الهالك الفرد كيف كانوا اجمعوا كثيرا
وبنوا مشيدا واملوا بعيدا واصبح جمعهم بورا وبنيانهم صفرا واملهم غرورا وبحك يا نفس اما لك
بمن عبره اما لك اليهم نظره اما تعلمين انهم دعوا الى الاخره انت من المخلدين هيهات هيهات سكاما
تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك مذ سقطت من بطن امك فانبي على وجه الارض فصرت فانا بطنها عن قليل
يكون قبرك املخافين اذا لمغت النفس منك التراقي ان يتدوا رسل ربك منحدره اليك بسواد الوان كل
الوجوه وبشري العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الجزع او يرحم منك البكاء والعجب
كل العجب كل العجب زياده مالك ولا خرتين سقصان عمرك ومانع مالك في يدوه عمر ينقص وبحك يا نفس تعرضين

عن الاخره وهي معقله عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضه عنك فكم من مستقبل يوما لم تستكمله
وكم من مؤمل لغد لم يبلغه وانت ناظر هدين ذلك في اخوانك وافاربك وجيرانك وقرن فحتى متى
عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالك حاذري ايتها النفس المسكينه يوما ما الى الله فيه على نفسه الاشرك
هيهات امره في الدنيا وبقاء حتى يسلمه عن جهله ودقيقه وجليله سره وعلانيته فاتظري يا نفس بين يدي
يديه وباي لسان تخبرين ولعدي السوال جوابا والعواد صوابا واعملي نفسه فمرك في ايام قصار لايام طوال في دار زوال الى دار
وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان تقلي اخرجي من الدنيا اختيارا اخروج الحر قبل ان يخرج
منها على الاضطرار وارتقرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا قرت مسرور ومربح معبون ورب معبون يشعر وويل لمن له
الويل لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له ويكان الله انه من
وقود النار فلك كيف تتركك يا نفس الى الدنيا اختيارا وسعيك لها اضطرارا وقضك لها اختيارا وطلبك
للاخره انهدارا او ما تكفين ممن يحثك عن سكرها وتنغص الزياده فيها تنافي وبين الناس وبينه واعلمي يا نفس انه
ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للحسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر
فانعظي يا نفس بهذه الموعظه واقبلي هذه النصيحه فان من اعرض عن الموعظه فقد رضي بالنار وما ادراك ما
راضيه ولهذه الموعظه واعيه فان كانت النفس لا تسمعك عن قبول الموعظه فاستعني عليها بدواء التهجد
والقيام فان لم تزل نفسه الخائنه والا فاعلمي ان من لم تصلحه الاحياء والموعظه بالاسلام فان لم يرتدع
ان الله قد طبع على قلبك وختم عليه واقفل عليه والله قد راكمت ظلمه الذنوب على ظاهره وباطنه
موطنتي نفسك على النار وقد خلق الله للجنه وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له
قال لبيوفيك بحال الموعظ فاقطعي من نفسك والغوط كثيره من الكبائر يعوذ بالله من ذلك فاسرعي
لك الى الغوط واسبل لك الادجا مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اعذر اوليس بريحا فانظري
الان هل احدث حزن على هذه المصيبه التي اسلفت فعاوهل تسع عينك بدمعه رحمة منك بها نفسك
فان سحت فسفي الدمع من الجزع الرحمه فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظعي على الناحه والبكا واستغني
يا ارحم الراحمين واستكي الى الاسم الاعظم وادعي الاستغاثه واكثري طول الشكايه لعله ان يرحم
ضعفك ويعينك وبضعفك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وما ذلك قد طال وقد انقطعت
منك الحيل وانحسمت عنك العلل يا امدي ويا مطلبي ويا مستغاثي ويا مهربي ويا منجاي ويا ملجاي الا اليك المولى
فافزعي اليه بالتضرع والابتهال وتمسكي بعروته الوثقى ولا تقطعي رجاءك منه فكم جهلك وكثر ذنوبك لانه يرجع المصرع
الذليل ويغيث الطالب السلهف ويجيب دعوه المضطر وقد اصبحت اليه مضطره والى رحمته محتاجه
وقد ضاقت عليك السبل واسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يتحرك
التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسئول اجواد والمستغاث به بر ورؤف والرحمه واسعه والكرم فائض
والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجاني الذي لا اقلع انا المماذي
الذي لا يستحي هذا مقام المتضرع المستكين والبائس الضعيف الحقير الهالك المقرون بفعال اعدائي
وفرحي وداري آثار رحمتك وادفني يوم تردعفوك ومغفرتك وارزقني فوه عصمتك يا ارحم الراحمين اقرأ يا نبيك
عليه السلام فقد قال وهو منحدر طاهبطا دما الى الارض الجنه مكتوب له دمعه فاطلع الله عز وجل عليه
في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكسر راسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي اراك
فقال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت خطيتي واخرجت من ملكوت سمائك وصرت في دار الهوان بعد الكرامه
وفي دار النصب بعد الراحه وفي دار البلا بعد العافيه وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفنا بعد
الخلود والبقا فكيف لا ابكي على خطيتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واجللك داري وخصصتك
بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيتني
ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسجدوني عصوني لاتيتهم
مثل العاصين فبكى آدم عند ذلك بكاء عاما وقال عبد الله العلي وعبيره البكاء فقول وبكايه طول البله
الهي انا الذي عملت طاعتي زادت دنوي انا الذي كلما هممت بترك خطيته عرضت لي شهوه اخرى واعبداه خطيته
لم تبلى وصاحبها في طلب اخرى واعبداه ان كانت الناركم قيلا وما وي واعبداه ان كانت المقامع لراسك
لهيا واعبداه قضيت حاجه الطائعين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت بعض الليالي باكلونه
عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل
ولا لعفوتك متعرض ولا النظر مستخف ولكني سولت نفسي واجراني على ذلك سقوني وعزتي لاسترك المرخى علي
معصيتك بحلمك وخالفتك بفعلي فمن عذابك الان من ينقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوا تاه
من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا مع المخفين اجوزام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت

الفرد كعدتم يقول لنفسه هو ذا ما دأبي كل سنة فلما ضعفا قصر على خمس فإذا تم كان يبكي ويقول ذهب
يضعفي وكان سنه الربيع بن خثيم يقول له يا أبه ما الذي أرى الناس ينامون ولا تنام فيقول يا بني إن أباك يخاف البيات
ولم يرات أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر زاد ذلك يا بني لعلك علمت شيئا فما الذي أصابك فقال لست من هو حتى
تطلبني أهله فضعفوا عن ذلك فوالله لو علمت ما الذي فيه لرجوت وعوا عنك فيقول يا أماه هو بيني وبين ربي عز وجل
قال سمعت مالك بن دينار يقول لأمي يا أخبثي وخواصري تضربني على مقالة له أمي يا أخي نادر فأخبثي أصل الكلمة
فكل حساب كفى غدي بحساب يوم حوى فمالي لها ويحك أخافه على صغر ذنبها الذي لا أدري أيسير أو له
فتكلمي وبكى معها وبكت معه وقال عمر وإن أمي ما بيتت من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقال لها
يا أخي ليس أمك لم تلدني وقد والله تقطع كبدي فإذا سمعته يقول لها وأنا قليلا مك لم تلدني وأذ ولدتني فإنه ربما
علي فإذا عز وكانت أمي يبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع ائتيت أويس فوجدته جالسا قد صلى الغير طرحت طبلسه
وطئ لا أعلم أنه نسج فكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس مربعا حتى صلى
المغرب ثم سجد مكانه حتى صلى العتمة ثم مال حتى صلى الصبح ثم جلس تعلبة عباءه فقال اللهم إن فلانا
بك من عرض دنياه ومن يطلب ما لم يسع فقد سعى حسبي هذا منه ثم رفعه ونظر رجلا إلى أويس فقال يا عبد الله مالي أراك كأنك
مريض فقال وما أويس إلا يكون مريضا قط إلا وبين غير طاعم ونيام المرض وبين غير ناع وقال أحمد بن حرب
يا محيا لمن يعرفان الجنة بزين وجوه وأن النار تسعر بحنك كفيام بلالها وقال رجل لبشر أيتبارهم الرجل
وجد له قد على العشاء فعمد إلى ركوة له فملأها ماء ثم رمى بنفسه فلم يقلب من جنبا إلى جنب الليل كله
حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فتبالى الصلاة ولم يحدث وضوءا إلى تلك الصلاة وقال مالك قدمت
الليل كله مضطجعا فما نمت ولا وجدت الوجع فقال لي أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يطعم جنبه على فراش ونزل الماء إلى عينيه فمكث
عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل كان ورد عمر ما بين ركعة وركعتين فإذا فاته ورده من الليل صلاه إذا طلعت الشمس
كان ورد سعيد بن المسيب كل يوم وليلة أربعمائة ركعة وكان أبو بكر المطوعي قال
وكان مصور بن المعتمر إذا أراد أن يعتقل رجلا أصبح مغتما منكسر القلب مخفض الصوت رطيا لعينيه
أن حركه جاء عباءه بارية ولفه فيها وقال لأمه ما هذا الذي تضع بنفسك بكى الليل عامة لا تكن
لعلك يا بني أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا أماه إنما صنعت بنفسي وقيل العابد من عبد الله كأن
على سهر الليل وظلم الهواجر وقال الحسن إنما هذا الذي وضع نفسك بكى الليل عامة لا تكن
إلى النهار وليس ذلك خطيرا مرو وكان يقول لما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها
وكان إذا جاء الليل قال إذهب حر النار النوم فإذا جاء النهار قال إذهب حر النار النوم
فما نام حتى مسي وإذا جاء الليل قال إن خافك فلا تجد عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم عجبت
عامر بن عبد القيس أربعين سنة شهرا رأيته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
أنه قال صليت خلف علي رضي الله عنه الفجر فلما سلم أقبل على نفسه وعليه كآبة فكث حتى طلعت الشمس
ثم ليديه وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا أصبح شعثا
عبرا أحمرا مدبانوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا
الله ماد وا كما يميد الشجر يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين
يعني من كثرة جريه وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخيف به نفسه وكان يقول
لنفسه قومي فوالله لأرحمن بك رخاء حتى يكون الكلال منك لا مني فإذا وجد ذلك ألقى سوطه وضرب بيده ساقه ويقول
أن يسأل ربه دونا كلا والله لنراجمهن رجما بعلم الله فيدخلهن ورأى هرم بن حيان عثمان بن سليم
قد نحقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له غدا ما وجد مزيدا وكان إذا
جن الليل اضطجع على السطح لئلا يضربه البرد وكان إذا كان الصيف اضطجع داخل البيت ليجد الحر وهو النوم لا بنام
فإنه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم إني أحب لقاءك فاجعل لقاءك لي محبوبا وقال القاسم بن محمد غدوت يوما
وكان إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها فأسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصلي صلاة
الضحى وهي تقرأ فمر الله علينا ومنا عذاب السموم وتبكي وتدعو وترد الآية فقمت حتى مللت قلما
رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع فمررت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي ترد
الآية وتدعو وتبكي وقال محمد بن إسحاق وما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجا اعتللت أمي فقام

يصلي على جمر وهو حي فلما أصبح نهض العشاء وقال بعضهم ما أعاف من الموت إلا من حيث يقوم
لحوائجي من قيام الليل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سهاد الليل وصفرة الألوان من السهر
وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين أحسن
الناس وجوها فقال أنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول إلهي خلقتني ولم أكن
وتميتني ولم أتمن وخلقتني حرا وجعلتني بحري مني مجرى الروح وجعلت لي أرانا ولم تكلني إلى أسمك لا أكيف
أسمك أن تمسكني أكفني في الدنيا المصور والآخرة الحساب فأبن الراحة والفرح
وقال الحسن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بكاء فصحا ذات ليلة فقام إلى العمد وضع رأسه بين كتفيه
يفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة يضع رأسه بين كتفيه يفكر فإذا كان السحر صاح صيحة
وقال الحسن محمد حدثت به بعض المصريين قال لأنظرن إلى صياحه وأكثر نظري إلى ما كان فيه من الصحيفين
حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان رجل معنا نازلا عندنا بالمغرب وكان له أهل وبنات
وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الأركب المرحولون انهضوا هذا الليل
ترحلون فلا تنامون فيتوارون فيسمع من ها هنا داع ومن ها هنا داع ومن ها هنا داع ومن ها هنا مرتفع
فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم لحكما أن لله عبادا العمر
عليهم قصير فوه وشمر صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الأمر إليه فضارت
قلوبهم معادن الصفا للفكر وسويدا القلوب للحكمة وثوابت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مفكرون
مدبرون وقلوبهم حول الكون وقلوبهم بحب الغيوب متزوجة ومعها طرائف من لطف الغرائب ما لا يمكن
واصفا أن يصفه فهم في بواطن أمورهم كالرياح حسنا وضوء الظاهر منادي يمنون لمن أراد هم
تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما أنا
أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هائل فإذا أنا بصورت قد علا وأذا لك الجبل
تحيته لها ودنى إلي فانتفخ الصورت فإذا أنا بر وضه عليها مجر ملقى وإذا أنا برجل قائم فيها يردد
هذه الآية يومئذ تجدكل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه
أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية أصاح صيحة حر منها معشيا عليه فقلت في نفسي هذا الشقاء
ثم انتظرت فإذا هو بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك
من مقام المبطلين أعوذ بك من مراءاة الغافلين ثم قال لك حتى تقلوب الخائفين وأبكى دموع
المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نهض يتضور ويقول مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك
يا دنيا يا بتاه جسك الأفنيتك إلى محبك فاذهبي وإياه فاخدعي ثم قال إن القرون الماضية
وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يتغيرون فيا ويلتاه يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك تنظر
فراعك فقال وكيف بفريخ من يبادر الأوقات ويبادر مخافة سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف
يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال آت لعمارك لكل شدة انفراج ولهم لها غاية ساعيه
وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه
فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول مرارا ما أخطري هبت إلى إساءتي
بفضلك وحلمك فسترك وأعف عز ذي بريتك وحقك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي
ترجو لنفسك وتتقي به الأكل من شفعك بكلام من يشفعك كلامه ودع من أبعده
ذنوبه إني لفي هذا الموضع مذ سنا الله إذ جاهد إبليس وجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما أنا فيه عمر
ما أبكك عني يا محدوع فقد عطلت لساني ومثلت إلى حرمتك وشفعه من قلبي فأنا أعوذ بالله من شر ذلك
ثم ارجوا أن يعيذني من سخطه ويفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله إحافان أشغله فأغلب في
موضع هذا ما تصرف وتركته وقال بعضهم لصاحب لي بينا أنا أسير في مسير إذ ملت إلى شجرة
لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف علي فقال إلي يا هرم قم فإن الموت لكم بمتيسم هاو على وجهه فانبعثه
فمضيته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وما بعد الموت فقال
من البقر ما بعد الموت ثم مر وشر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا هرم لو جهد عشاق الوجود
بعض وصفي بالنظر إليك وأملاء حلي من المحبة لك وأجري ذلك على ألسنتهم لم يكن ذلك عندك مقدار الجناح
وحقك إلى الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال إلهي لو أحلك لم يسعني أجلي ولو أهلكني لم يحطط فيما عندك أملي
ثم مضى ويوصيني وقد انتشر وا في هذا المعنى

يقوح على معاصي نادجات يحدر دمعها صعب الزكاد
فإن نفحات مخافة وزاد فقد عونه اعني بما لك

وقيل أيضا

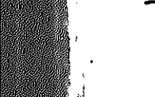

كتاب المحاسبة والمراقبة وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ... على كل حاله بما احب ... الحمد لله على كل حال ... اذا هممت ... على قوله اطرح عباده اذا احبهم ... المحاسبة على الفكر والتطهير والقليل والكثير من الاعمال واحصيت المتعمد بقول ... العباد وان يعرف ما لله عليهم في جوارحه وان حرمت واما محاسبة العباد على ... وبعد المحاسبة والمراقبة لو لم يعد الى المحاسبة ... فعلم الله لو لم يعد الى المحاسبة والمراقبة لو لم يعد الله بقول ... كافة العباد وتملك ... ويسيره ويتيسر ... والصلاة على محمد ... امابعد فقال الله تعالى ... ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ... امابعد فقال الله تعالى ... ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ... ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ... تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها ... وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله ... وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ... وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها ... وقال تعالى ... وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه ... يعلم السر واخفى ... وقال تعالى ... وكفى بنا حاسبين ... وقال تعالى ... ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى ... ويعلم الله جميعا عبيدهم بما كسبت كل نفس اليوم

لو اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب
كلها وملها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد القرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من مجبل
مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة مجبلا يوجب الدنيا في طبعه فمتى رجى الاكل والشرب اشتهاه لان
رغبته فيه كرغبته في الماء الجلد من حيث انه ضروري الطعام لانه طعام لا انه يتلوه على
عباده الله تعالى بمعنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يشتهي الطعام لانه يتلوه على
ويكون قدر الضرورة مطلوبا لانه ضروره دنيته فلا يكون هو الا الله تعالى بمثل هذا النعم لو اكل
او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح لنيته في جمع جوارحه وسكناته ملوما مثابا ليرجع نفسه
مقهورا على العباده بعده كان يوضئه عباده وحثا له درجه المخلصين فيه ومن ليس كذلك فثواب الاخلاص
في الاعمال كالمسدود وعلو الاعلى المذكور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الاخره فاكتسب جوارحه
الاعضاء به صفه حبه وصارت اخلاصا فالذي يغلب عليه الدنيا والعلو والرياسه وبالجمله غير الله تعالى
اكتسب جميع جوارحه تلك الصفه فلا اسلم له عباداته من صوم وصلاه وغير ذلك الا نادرا فان غالب
الاخلاص كسر خطوظ النفس وقطع النفع عن الدنيا والتجرد للاخره بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذلك
يتبشر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ربما لم يخلص خالصه لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه
لا يرى وجه آفته فيها كالذي يرى بعض اهله انه قال قصيده علاه ملبس سنه كنت صليتها في المسجد في الصف الاول الى
آخر عمرك ما تعذر فصليتها في الصف الثاني فاعترتني خجله من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر
الناس الى الصف الاول كان مشربي وسبب استراحه فلهذا اتعبوه وهذا دقيق عامض قل ما تسلم
الاعمال عن امثاله وقل من يفطن له الا من وفقه الله تعالى والعالم من عده يرون حسناته كسيئاته في الاخره سيان
وهم المراد من قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وبقوله تعالى هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه
الفتنه العلماء فان الباعث لاكثرين على نشر العلم لذه الرياسه او الفرح بالاستيلاء
والاستشهاد بالحجه والسبطان يلبس عليهم ذلك ويقول لهم بل انكم تنشرون سنن الله والنصائح عن الشرع
الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يتحقق من عمل الله تعالى بنيته الخلق ووعظه السلاطين ويقول
على قوله وانما همه عليه وهو يدعي بذلك غرضا من نصره الدين ولو ظهر كافرانه من احاسنه وعظما
وصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وعمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله هذا
المهم بغيره ثم لسبطانع بذلك في قلبه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس اليك
فلو انقطع الثواب لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود لا يدري المسكين ان افساده
الخير وتسليمه الامر بتمامه الى من هو اصلح عليه في الدين من يكاده مهلك الخلق ومما
فيه من الثواب الجزيل فان عمر رضي الله عنه يأسف لان من هو اولى منه بالامر وبالعلم لا يشرع في ذلك
وقد يخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واختار ذلك
من نفسه قبل التجربه والامتحان فيحس بنفسه بالكبر والتقدم وان النفس سهله القياد الى الوعد بما شاء لكن قبل نزول الامر
اذ هذه الامور تقدر وتحمل بالوعود لكن يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله
بمجاهدتها فمعرفه تحقيقه الاخلاص والعمل به خير عميق يعوز به الجمع الا السادات الناذر والفرد الفذ وهو الذي
في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وليكن العبد شديد الفقد والمراقبه لهذه الدقايق ولا يتخون بالاخلاص ساهد
وهو لا يشعر بالاخلاص فاول السلوك في الاخلاص قال السوسي الاخلاص فقد رويه الاخلاص رشاهد
في اخلاصه الاخلاص فمداجاه اخلاصه الى الاخلاص وما ذكره اشاره الى صفه التعرف عن العجب بالعمل فان الالتفات
الى الاخلاص والنظر اليه وهو من جمله الافات وهذا بعد ان يكون العبد
وجوده كانه لله تعالى خاصه وهذه كلمه جامعه محيطه بالغرض وفي معناه قول ابرهيم مراده من الاخلاص صدق
الصدع لله تعالى وقيل السهل اي اشد على النفس فقال الاخلاص ان لا يحب لصاحبه نصيب وقال وقع الاخلاص
في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشاره الى ان حظوظ النفس آفه آجله او عاجلا او العباد بالاحمد
نعم الشهوات الخفيه معلوم بل الحقيقه ان يراد بالعمل الا وجه الله وهو اشاره الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص
المطلق فاما من يعمل لرضا الله وخوف النار فهو مخلص بالاضافه الى الحظوظ العاجله والا فهو في طلب حظ نفسه والحظ المطلوب
الحي لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القايل ابكي الانسان الا لحظ والبراءه من الحظوظ صفه الالهيه ومن ادعى
ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءه من الحظوظ وقال هذا من صفات
الالهيه وما ذكره حق لكن الفهم انما اراد به البراءه التامه بحيث تسمية الناس حظوظا وهو الشهوات المرصوده

المعروفه في الخلق فقط فاما السلوك بمجرد المعرفه دون المجاهده والمكاشفه والنظر الى وجه الله تعالى فهذا خط هوى وهذا
لا يعده الناس حظا بل يتخيلون فيه وهو لو عوضوا عنها هو فيه من لذه الطاعه والمكاشفه وملازمه الشهود لقصد
الالقيه سرا او جهرا جميع نعم الجنه لا يسعفهم اليه بحركه لهم لحظ وطاعتهم فقط ولكن حظهم
معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رويه الخلق بدوام النظر الى الحق وهذا اشاره الى ما ذكرناه
فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه سبطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشاره الى مجرد
الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الحافظين وصفا عن العالمين وهذا الجمع للمقاصد وقال الجاسبي الاخلاص هو اخراج
الخلق من معاملتك الرب وهذا اشاره الى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياء سقط عن الاخلاص
العبوديه وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام الحال الذي يحل العمل لله تعالى لا الجنان الجوه عليه اجر
وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما حصره بالترك لانه اقوى الاسباب المشوشه للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص يصفيه
الاعمال من آفاتها رواه وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما
وقيل الاخلاص دوام المراقبه ونسيان الخلوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والا فاول هذا كثير ولا فايده في تكثير
القول بعد انكشاف الحقيقه واما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال
ان تقول ربي الله ثم تستقيم حتما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت
وهذه اشاره الى قطع ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا بـــــيان درجات الشوايب والافات
المكدرات اعلم ان الافات المشوشه بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الخلا وبعضها قوي مع الخفا
وبينهما اختلاف درجاتها في الجلا والخفا والظهور مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكره فنقول
قول الشيطان يدخل الآفه على المصلي بما كان عليها في صلاته ثم نظر اليه جماعه او دخل عليه داخل فسئل له
حسن صلوتك حتى ينظر اليك الخاصر بعين الوقار والصلاح ويزيد ريائك وانتباهك بصنع جوارحه وسكن
اطرافه وتحسن صلاته فهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدي على المريد الراجع اليه الناقه انما يكون
المريد قد ظهر هذه الآفه واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته كما
كان بنيته في معرض الخير ويقول انت منبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك وبتأسي بك
غيرك فتكون لك ثوابا بما ظهر ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك
في الخشوع وتحسين العباده وهذا الخوف من الاول وقد تخدع به من لا تخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل
للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العباده خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك الخلوه
ولا يكون ترك غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس المقتدي به هو الذي استقام في نفسه
واستنار قلبه فاستنار نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا المحض النفاق والتلبيس من اقتدا به اعجبت
عليه واما هو فطالب تلبيسه ومعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الرجعه الى الخالق
وهي اذ عما قليلها ان يحرب ابعد نفسه في ذلك ويتبشه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوه
والمشاهده للغير محض الرياء وبهذا ان الاخلاص ان يكون صلاته في الخلوه مثل صلاته في الملا وسيجي
من نفسه ومزيد ان يخشع لمشاهده خلق خشوعا زايدا على عباداته فيقبل على نفسه في الخلوه ويحسن صلاته
على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي الملا ايضا كذلك فهذا امر الرياء العامض الذي جبل صلوته في الخلوه يحسن في الملا
فلا يكون فرق بينهما فالمعاينه في الخلوه والملا الى الخلق بالاخلاص ان يكون مشاهده الناس لصلاته
ومشاهده الخلق على تيره واحده فكل نفس هذا النفس يسمى باسم الطامه المهلكه الناشئه
من نفسه ان يكون في صوره المرايي وبطن ان ذلك يزول بان يستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال
ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا اخص مقام المهلكين في الخلا
والملا جميعا وهذا من المكايد الخفيه للشيطان الدرجه الرابعه وهو اد وقع ان يتطرق الى الناس
وهو صلاته فمتى الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد يعرف انه بتطرق لذلك فيقول له الشيطان يذكر
عظمه الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واسخى من ان ينظر الى قلبك وهو عامل عنه مخير بذلك
قلبه ويخشع جوارحه ويظن ان ذلك عن الاخلاص وهو محض المكر والخداع فان خشوعه لو كان لظنه الى جلاله
لكانت هذه الخطره ملازمه في الخلوه ولكان لا يخطر بباله في الخلوه كما يخطر بها في حال حضور الغير وعلامه الانس من هذا
الافتقار ان يكون هذا الخاطر بباله في الخلوه كما يخطر بباله في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور
الخاطر كما لا يكون حضور البهيمه سببا فما دام تفرق في احواله بين مشاهده انسان ومشاهده بهيمه
فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الترك اخفى من دبيب
النمله السوداء في الليله الظلماء على الصخره الصماء كما ورد به الخبر واسلم من الشيطان الامر وبطرده وسعد
بعصمه الله تعالى وتوفيقه وهدايته فالشيطان ملازم للمسترسل بعباده الله لا يغفل عن خطفه حتى يحملهم على الرد
في كل حركه من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعه ولبس الثياب
فان هذه سنن واوقات مخصوصه والنفس فيها طمع حتى لا ترتاط نظر الملوك بها وقد سئل بعض الاطباء

يمكنه أن يناله ومن لا يصير الا ممكنه الهرب منها لخلق الله الهدايه والمعرفه وهل
هي أسباب وهي الحواس الظاهره والباطنه وليس لذلك من عرض ثم لو اصر العذر على الله موافقا له فلا
يكفيه ذلك للنجاه إما لم يكن فيه ميل اليه ورغبه فيه وشهوه له باعثه عليه اذا المريض يريد العذا
ويعلم انه موافق ويمكنه التناول لعدم الرغبه والميل لعدم الداعيه اليه كالمريض الذي لا يريد الطعام
والرغبه والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه ونوعا في تكليفه الله تعالى ذلك فما لم يكن فيه
رغبه فيه مريدا ساوله عاجزعنه لكونه بمنا خلقت له القدره والداعيه الباعثه المحركه حتى يجب الفاعل
والعمر يحرك الا بالقدره والقدره مشتركه الداعيه الباعثه والداعيه مشتركه بين العلم والمعرفه أو الظن
والاعتقاد وهو ان يعرف نفسه كون الشي موافقا له فاذا حرم المعرفه بان الشي موافق فاقد وان يعلم وملك
عن معارضه باعث اخر صار فاقدا لداعيه انبعث الارادة وفقد الميل فاذا انبعث الارادة وانتفى القدره
تحرك الاعضاء فالقدره خادمه للارادة والارادة بانبعاث الاعتقاد والمعرفه فالبعث عارض للقدره
المتوسطه وهي الارادة وانبعاث النفس لحكم الرغبه والميل الى ما هو موافق العرض اما في الحال واما في المال
فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض البالغ هو القصد والمنوي والانبعاث هو القصد
والنيه وامتناض القدره لخدمه الارادة يحرك الاعضاء هو العمل الا ان امتناض القدره للعمل قد يكون
باعثا واحدا وقد يكون باعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان باعثا غير مقدر كون كل واحد منهما
لو انفرد لكان ملجا بامتناض القدره وقد يكون كل واحد منهما ناقصا عن الباعثيه الا باجتماع وقد يكون
احدهما كافيا لولا الاخر لكن انضم عاصر اله ومعاونا يخرج من هذا السرا بعه اقسام
فلنذكر لكل واحد مثالا واما المثال الاول فهو ان يقدر الباعث الواحد ويحرك اذا اعترض على
الانسان شيء قام من موضعه فلا مرجح له الا عرض الهرب من الشيء فانه وان رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت
نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانه يعلم قدره عامله بمقتضى الانبعاث فيفعل تنبيه الفرار من السبع
لانه له في القيام عنه وهذه النيه تسمى خالصه وتسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافه الى الغرض الباعث ومعناه
انه جعل عرض مباركه عنه ومماركه وامثاله الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالامتناض
لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوه كان كافيه في الحال او انفرد
ومثاله من غرض صالح سياله عزيزه حاجه فيقضيها لغرابنه وعلم انه لو لا فقره لكان يقضيها
محبا لغرابه وانه لو لا قرابنه لكان يقضيها محبا للفقر وعلم ذلك من نفسه بامارتها فقرب عني فمرغب
في قضاء حاجته ومفرحا جنبي فمرغب اضافه وكذلك من اموه الطبيب بترك الطعام وعلم عليه يوم
عرفه فصام وعلم انه لو لم يكن يوم عرفه لكان يترك الطعام حميه ولو لا الحميه لكان يتركه لاجل انه
يوم نحره وقد اجتمع جميعا فاقتدر على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فليس هذا مما فقده الباعث الثالث
الا بسفل كواحد لو انفرد ولكن مثاله في المحسوس ان يتعاون ضعفان على حمل
ما لا يقدر واحد حمله ومثاله من غرضنا ان يفضه قرينه العين فيطلب درهما فلا يعطيه ويفضه الاجنبي
العفير فطلبه درهما فلا يعطيه ثم يفضه القريب العفير فيعطيه فيكون ابعاث داعيه يحرك الباعث وهو القرابه
والعفير وكذلك الرجل يتصدق على الناس لعرض الثواب ولعرض الناس يريد لو كان لا يعتقد مجرد
على العطاء ولما احتمعا اورثا يحمو عملا لتحرك القلب وليس هذا الجنس مشاركه والرابع ان يكون احد الباعثين
مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثيره بالاعانه والتسهيل ومثاله
يسهل العمل على من يوثر الخفه ومثاله من غرضنا ان لا يكون له انسان يردي في الصلوات ويجاوزه في الصوات
فانه يقول اخصني وقضاء حاجته من الناس فصار بعلمها احق عليه بسبب مساهرته وعلم من نفسه انه لو كان
مقصودا حاجاتها لم يقصر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعه لم يكن مجرد الدنيا لحمله عليه فهو يحب مطولا
البته وليس هذا الخير المعاونه ما الباعث الثاني اما ان يكون رفقا او مثوبه كالمغنا وسنذكر حكمها
في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فبحسب الحكم منه تكون
قبل اما الاعمال فالنيات لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمنوي فان سر قوله صلى الله
عليه وسلم نيه المومن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان نيته شر حتى ان نيته سوء يطلع عليه
الا الله تعالى والعمل ظاهر والعمل الشر مفسد وهو الصحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه
او يتفكر في ملك الله تعالى او يتفكر في مصالح المسلمين فعمره بهذه النيه خير من عمله وقد يظن ان نيته
ان نيته بعمله الخير العمل والاعمال بالنيات وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل
بل ليس كذلك فان نيه اعمال الصلاه قد لا يدوم الا في لحظات معدوده والاعمال يدوم في اليوم بعضي ان يكون
نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان نيته يجر دها خير من العمل يجرده دون نيته وهو ضعيف لكذلك بعمل
يكفر هو المراد اذ العمل الذي نيته او على الاقل لا خير فيه اصلا او نيته يجردها خير وظاهر الترجيح للمستكثر
من الخير بل المعنى به ان كل طاعه تنطوي نيته وعمر ساليته من جمله الخير وكان العمل من جمله الخير
وكل نيته من جمله الطاعه خير من العمل الذي هو من جمله طاعته والعرض ان العمل اختيارا في النيه
معناه نيه المومن من جمله طاعته خير من جمله الذي هو من جمله طاعته والعرض ان العمل اختيارا في النيه

وفي الله

وفي العمل فصاعدا ان والبته من الجمله خيرها فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحه على العمل
فلا يتم فهم الامر فيه مقصد الدرس وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصود وباس بعض الآثار بالبعض
حتى يتطرق له بعد ذلك الارجح بالاضافه الى المقصود فمن الما الخير حرص الناكحه فانما يعني به انه خير
بالاضافه الى مقصود الفوت والاعذار لا بمقصد ذلك الامر نعم العذر مقصدا وهو النجاه والبقاء والاعذيه
مختلفه الآثار فيها وفي نعم اذ كل واحد وباس بعضها بالبعض فالطاعات غير القلوب والمقصود سعادتها وبقاؤها
وسلامتها في الآخره وسعادتها وسعيها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذه السعاده بلقاء الله عفو ولن يتم بلقاء الله الا مرحبا
محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس الا من ذكره فالانس بحصل بدوام الذكر والمعرفه
بدوام الفكر والحبه تتبع المعرفه بالصوره ولن يفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من مواعل
الدنيا ولن يفرغ من مواعلها الا اذا انقطع عنه سعيها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له فالمواعل التي مبتغاه له
واما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخره منوطه بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامه لعلمه
بان سلامته فيها واذا حمل اصل الميل بالمعرفه فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبه عليه فان المواظبه على مقتضى شهوات
واراداتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفه حتى تتاكد الصفه ويقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او الى
الرياسه لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتزينه الرياسه والاعمال المطلوبه بذلك
تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال الميل بالكليه
الا وجب حسر ميلا فميل طبعه اليه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه قد أومى على النظر في العواقب
تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك
كقطع القوت والغذاء عن جمله الميل ويضعف ذلك ويزيله وقد يقوى حتى يصعب ذلك عليه ويشق
وهذا جميع الصفات والحيوانات والطاعات كلها التي يراد بها الآخره وميل النفس الى الخيرات الآخرويه وانصرافها
عن الدنيويه هو الذي يعبر عنها بالذكر والفكر ولن يدوم ذكر والفكر الا بالمواظبه على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح
لان بين الجوارح وبين القلب علاقه حتى انه يتاثر كل واحد منهما بالآخر فترى العصوا ذا اصابته جراحه تالم بها القلب
وترى القلب اذا تالم بعمله بموت عزيز من اعزته او بجمع مرموق فاتر به الاعضاء وانبعدت الجوارح وتغير اللون
الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والرائح والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمه
للقلب شاهد صحة قوله فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصله الى المقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح لي الراعي والرعيه واراد بالراعي
القلب وقال تعالى لنبيه الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفه القلب فهذا
لا محاله ان يكون اعمال القلب على الجمله افضل من جميع الجوارح ثم حب ان يكون النيه من جمله افضل
لانها عبارة عن صرف القلب الى الخير واراده له وعزم من الاعمال الجوارح ان تعود القلب اراده الخير وميله فيه
الميل اليه ليس عن شهوات الدنيا ويتكيف على الذكر والفكر فالصوره يكون جزءا بالاضافه الى الغرض
لانه متمم من نفس المقصود وهذا مثال المعده اذا مالت مفرد اوي يازم وضع الطعام على الصدر وبذا وي يازم وضع الدوا
الواصل الى المعده فالشرب حيث يمر ظل الصدر ازظل الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعده فما يبقى غير المعده
فهو حبر وانفع فهكذا منع ان يعمر ظاهر الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط
دون الجوارح فلا تظن ان وضع الجبهه على الارض من حيث انه جمع بين الجبهه والارض مرحب انه يحكي العباده
بوكد صفه التواضع والعلم فان من يحرق ثوبه اذا اسعفان باعضائه وصورها بصوره التواضع فاكرم تواضعه
ومن وجد في قلبه رقه على يتيم فاذا مسح راسه وقبله فاشتد الرقه في قلبه ولذة لم يكن العمل يعبر به مقيدا اصلا
لان من مسح راس يتيم وهو غافل لقلبه او طبان ايضا مسح راس يتيم من اعضائه ان في قلبه لتاكد الرقه وكذلك
من سجد غافلا وهو مستغرق الهم باغراض الدنيا لم يتيسر من جبهته ووجهه على الارض ان في قلبه تواضعا
كان يوجد ذلك كوجده وما ساوي وجوده عادم بالاضافه الى الغرض المطلوب منه بسبي باطلا فعبادة
يغيرنيه باطل وهذا معناه هذا الا فعل عن غفله فان قصد به رياء او تعظيم شخص حتى يكتسي وجوده كعدمه
بل اراده شر فانه اذا وجد الصفه المطلوب تكررها حتى اكتسب الصفه المطلوب فيها وهي صفه الرياء التي هي
من المهلكات فهذا وجه كون النيه خيرا من العمل ومعنى الاضافه في قوله صلى الله عليه وسلم من حسنه
ولم يجعلها كسبب له حسنه لان هذا القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غايه الحسنات
وانما الاعمام بالعمل يزيدها تاكيدا انس المقصود من ازاله دم الصبيان الدموا الهم يميل القلب حبا لدنيا وبذلها
ايثارا لوجه الله وهذه الصفه قد حصلت عند خروج النيه والنهضه وان عاق عنها عائق من الاشتغال بها
ولاد ماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان هما بالمدينه
وقد شركونا في جهاد نا كما قدر ذكره لان قلوبهم قصد وارادة الخير وميل الى الله والرغبه في طلب
الشهاده واعلاء كلمه الله تعالى حتى اقعدهم عن الخروج العذر الخارج فالجهاد وانما ثاره هو ميل القلب
عن القلب وذلك غير مطلوب لذاته بل لانه يورث هذه الصفات وهذه المعاني بقصد جميع الاحاديث التي اوردناها
في فضيله النيه فاعرضها عليه تنكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعاده بيان تفصيل
المتعلقه بالعمل اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيره من فعل وقول وحركه وسكون وحل ودفع
وغير ذلك مما لا يحصر اقساما وانقسامها باعتبار كثره من فعل وقول وحركه وسكون وحل ودفع
القسم الاول العاصي التي لا يتعبر عن وجه عنها بالنيه وهي بالنيه اقسام طاعات ومعاصي ومباحات
من عجم قوله عليه السلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصيه بقلب طاعه بالنيه كالذي يعاب انسانا

كتاب النية والإخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين وصلى على سيدنا محمد وآله الطاهرين وبعد فإن النية هي أساس الأعمال وقاعدتها ومدار الأحوال وقطبها وعليها مدار الكتاب والسنة وهي سر من أسرار المعاملة وحقيقتها أمر ينبعث من القلب على حسب ما يراه موافقا لغرضه في جلب نفع أو دفع ضر في الحال أو المآل بل يحكم بذلك في جميع أفعاله الاختيارية وهي روح العمل وقائده وسائقه والعمل جثة وهيكل هي له كالروح والإخلاص والصدق هما من صفات النية وهي شرط في صحة العمل وقبوله وكمال الثواب عليه وهي أيضا تحتاج إلى إخلاص ليتخلص من شوائب الرياء والتسويل والإخلاص يحتاج إلى صدق ليتخلص من آفة الكسل والتهاون والغرور فالصدق روح الإخلاص والإخلاص روح النية والنية روح العمل والعمل جثة هامدة وهيكل بلا روح وقد رتبنا هذا الكتاب على ثلاثة أبواب الباب الأول في النية وحقيقتها والباب الثاني في الإخلاص وحقيقته والباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الأول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان تعميمه النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان فضيلة الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن اختيار بني آدم

قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى وقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وقال صلى الله عليه وسلم إنما يبعث الناس على نياتهم وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلبها مباهيا مكاثرا مرائيا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وقال صلى الله عليه وسلم من غزا في سبيل الله لا يريد إلا عقالا فله ما نوى وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وأكبر همه الدنيا فليس من الله في شيء ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن أصبح وأكبر همه الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن طلبها مفاخرا مكاثرا مرائيا جاء يوم القيامة وهو على صورة الخنزير وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا فأدركها كانت كفارة لذنوبه ومن طلبها حراما فأدركها كان مثله كمثل الخنزير يأكل ولا يشبع

مدرج ومدارس على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذي لا خير في موت بلا عشق
ثم رمى نفسه الى الارض فمات فوجدوه ميتا فهذا واشباهه قد يجدونه في حب المخلوق والمصدوق به في حب الخالق ولي
الله البصيرة الباطنة اصدق من ابصر الظاهر وعمل البصيرة الربانية اوفى من كل عمل ايل كل جمال في العالم
فهو حسنه من حسنات ذلك الجمال البديع الذي قد ابصر منكرها البصر والذي فقد السمع بنكرانه
الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا يزوان ينكر ايضا هذه اللذات التي امتطنه لها سوى
القلب بيان ان الدعاء غير منافق للرضا والخروج صلحه عن مقام الرضا وكذلك كراهة
العاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه
ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم ان العاصي والمحب والكافر من قضا الله وقدره محب
الرضا به وهذا جهل بالشرع وبالقدر وغلط عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام عليها مما علمناه في كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اعلى المقامات من الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يرحمونه ويخشون عذابه واما
انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبدنا الله به عباده وهو مصرح على الرضا به مقاما معدودا بالجناة
الدنيا والاخرة فاما الرضا فالله تعالى يحب ان يكون مواقع المخالفة وطبع الله على قلوبهم في الخبر المشهور منه
منه فكانه قد فعله وفي الحديث الداعي الشر كفاعله وعن المستعين العبد ليذنب
عن المنكر ويكون عليه سلم ورضا صاحبه فما وكيف ذاك قال سلفه فرضي به فكان الخبر لو انه عبدا
قتل المشرك ورضي بقتله اخر في المغرب كان شريكا في قتله وقد امر الله بالكبر والمنافسة
في الخيرات وتوعد على الشرور وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها في الناس ويعلمها ورجل اتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته
في الحق وفي لفظ اخر ورجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل وانهار وقول الرجل لو اتاني الله عز وجل
مثل ما اتى هذا لفعلت مثل ما يعمل الكفار والفجار لا انكار عليه ومعنى الحديث ورد فيه
من سوا هذا القرآن والاخبار الصحيحة مثل قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي القرآن الله تعالى اخبر المنافق
على ربه من ان يعضض بنانه على ما انفق ويقلب كفيه ندما وقال تعالى المزمع من احب
وما احب قوما ولا هجر محمد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب
في الله والبغض في الله وسواهد هذا قد ذكرناها في كتاب الحب والبغض في الله من كتاب اداب الصحبة
وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت مقدور دون الامر والنهي عن المنكر ان كان
الله تعالى قد قضى ان يعصى فكيف السبيل الى الجمع وهو مناقض على هذا الوجه
وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما لبس على الضعفا القاصرين
عن الوقوف على اسرار العلوم وقد لبس على قوم حتى راوا ان سكوت على المنكرات مقاما من مقامات
الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل الرضا والكراهة يتصادقان في امور باعتبار
من وجهين واحد على وجه واحد وليس في المقدور شيء واحد يكرهه من وجه ويحبه ويرضى به من وجه
اذ قد يصور عدوك الذي هو اعدى اعدائك في صورة ولدك الذي هو احب اولادك اليك
الله تعالى قد [illegible] وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك
الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث ان كسبه ووصفه وعلامته كونه ممقوتا
عند الله ومقتضاه عنده حتى يسلط عليه اسباب البعد والمقت وهو من هذا الوجه مكروه مذموم
ولا تنكسف هذا لك انا اقيم لك مثالا يقرب عليك فيه محبوبا من الخلق قد اقيم بين يدي محبه اني اريد ان اميز بين من يحبني
ومن يبغضني والصف فيه بعيدا [illegible] ومرادا ما اطفاء هواني اقصد الى ملان فاقدده واحرقه بضرب
بصره ذلك الى السيف في حتى ان سمعني بغضه واحد [illegible]
عدوي وكل من يبغضه فاعلم الله صديقي ومحبي بفعل ذلك وحصل مراده [illegible]
وحصل البغض الذي هو سبب العداوة محق على كل من هو صارف ومحبه وعالم بشره وذ
لمحبه يقول اما ان يترك ما اقدم على اظهاره البغض وضربه واتلافه وتعريضك اياه للبغض والعداوة
فانا محب له وراض به فانك ان تركت ما فعلته [illegible] واما استنقاذه اياك فانه عدو ان من
جهتك اذ كان خفية ان يصبر ولا يسيء ولكنه كان مراده منك فانك قصدت بضربه
استنقاذه للسيد الموجب للمقت فقد تم من حيث الله حصل على وفق مرادك وتركك الذي ربما ترك
[illegible] ذلك بعضا في تدبيرك وبقوسا في مراد [illegible]
وكفه من حيث الله وصف لهذا الشخص وكنت له وعدوا ان وقع منه عليك سعي على خلاف

وردى لاخية
مسترد

مدرج

فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاسقاط والنصح للخلق والعرف وان كان من طريق التعظم والاحتمال
فلا اعرف فالتفت عني عليه وبكى ان بن الحصين قد استسقى رطبة فبقي ملقى على طهره بضع عشرة سنة لا يقوم
ولا يقعد وقد نقب في سرير من جريد كان عليه لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلا فجعل يكلم الامير
من جانبه فقال له مطرف كيف انت على هذه الحال يعظم به فقال له انك فان احبه الى الله احبه الى فقال
له فما الذي حدثك يا بني الله ان يبقيك به واكثر على حتى ظننت ان الملائكة تزورني فاسمع فيها وتسلم علي
فاسمع سلمها فاعلم انك ان هذا الذي يعوده اذهب بصيرته الجسيمة فمن يساهدها في بلائه كيف
لا يكون راضيا به فقال وحدثا على سوء صنعه مروءة فاتها قويا ملقى فاطنا ان لحظه تباعي كيف
فقالت له امرأته اهلي فداوك ما اطمعك ما سيمك فقال اطلت الصحبة ودبرت الحرافيف واصبح بصري
لا طمح طموحا ولا اسيخ سرابا منذ كري وذكرا ما وما سير لي الى بعض من هذا فلامه طفر ولما قد مر سعيد بن
ابي عاصم الكعبة وكان قد ضعف بصره جاء الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فقد عوا لهذا
ولهذا وكان مجاب الدعوة فقال عبد الله بن الساب ما بيته وانا غلام فمر فنا اليه فعرفني وقال ايت وزير
اهل مكة يقل فذكر قصة قال في اخرها فعلمت له بلغ ان تدعو الناس فلا يدعون لمسلك فوذ الله لعمي
بصرك فكسح وقال اني فعلت الله عنك اجر من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير فكله ايام لم يعرف
له خبرا فسأله ان يسأل الله عز وجل ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب بصري
وعن بعض العباد انه قال ما اذنبت ذنبا عظما مما انكي عليه منذ سنين سنة وكان مداوما على قيام الليل
واجل الذنوب عنده ترك ذلك الذنب وما هو الا انه نام ليلة عن ورده فلما اصبح وقال لبعض اهله لو قرص
لحمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اكون نمت تلك الليلة عن ورد ها هنا رجل قد ذكر
خمس سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل وقعت به قال لا قال فهل اتيت به قال لا قال فهل
نصبت حبالة قال لا قال فما ادرك منه الصوم والصلاة فابكى وقال لو اني استحيي منك لاخبرتك
ان معاملتك اخجلت منه مدحوله ومعناه انك لم تفتح لك باب القلب فتسرع في الدخول جاء القرب باعمال
القلب واعمال بعيدة في طبقة اصحاب اليمين لا يدرك منه في اعمال الجوارح التي هي مرداد اهل العموم ودخل
جماعة من الناس على النبلي رحمه الله في مارستان فحسبن فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من اين لقمانا
محبوك فاقبل على صبر منهم بالحجارة منهارا فقال ايا الكمد اذا حتم يحيى ان اصدقهم فاصبروا على بلاي
وللنبلي رحمه الله ان المحبة للرحمن اسكرتني وهل ابات محبا غير سكران وقال لبعض عباد
اهل الشام كلمت ملكا من الملوك في الله عز وجل ولعله قد ذكر به وذلك ان احدكم لو كان له اصبع مزهب
ظن انه يضيء بها ولو كان يضيء ظل انوارها يعني بذلك ان الزهد مذموم عند الله وان الناس يسمونه
والبلاء به اهل الاخرة وهم يسمونه كفوا منه وقيل الله وقع الحرق في السوق وقيل للنبي اخبر واليوم
وما اعرق وكانك مقال الحمد لله ثم مال كيف ملت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين
وترك المجاز رقيه عمره تويه واستغفارا من قوله الحمد لله اذا مات هذه الحكاية عرفت
منها ان الرضا ما خالف الهوى ليس مستحبا لا يثاب مقامه عظيم من مقامات الايمان ومن ما حقق لك
ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله وحظوظه الاخروية حيث
احدهما الرضا بالما يتوقع من الثواب الموجود كالرضى بالقضاء والقدر انه من وجهين
واثنى الرضا به لك لحظ وارادته لك كونه مراد المحبوب ورضاه فقد يغلب الحب حتى ينسى ما يلقى
المحبوب فيكون الالم سببا عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ويقود ارادته ولو هدا كان روحه
كما قيل فما الجرح اذا ارضاك الا وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد سئل الحب
حبيب يذهن عن ادراك الالم فقال هيهات والمشاهدة دالة على وجود ما لم يستغرقه من فقده
من فقده لانه اما فقده لفقد سببه وهو قرب محبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائب تلك
وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال كنت في لسن يا لبرذعة عمر بن الخطاب وكان معي في
جاريه مغنية وكانت تغني في المجلس مقصوبة بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى على العاشقين البلا ولا سيما عاشق اذا الحد منكما فقال لها الغي احسنت والله يا سيدتي
افاد من لي ان اموت فقالت مد راسك اسندا فوضع راسه على الوساده واطرق منه وغمض عينيه فحركاه
فاذا هو ميت قال الحسين رايت رجلا متعلقا بحكم صبي وهو ينتزع اليه وينظر اليه المحبة فالتفت الله
الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال اللهم ان كان صادقا فيما اورده حتى لو ملت لي مسلمت
كتب صادقا فمال الصبي الرجل وغمض عينيه فوجدناه ميتا وقال سمنون المحب كان في حبر تتار جميلة
وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حسا فنيا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية
له قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك فالتفت اليه البغدادي فرأى الجارية
ما هذا ما لي هذا موضع موتك له وعكم عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح

مدرج

امور واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وشهد لذلك الوجود وجميع ما يات المحسن واهوالها فقد قال
شفعة من يرى ثواب السدرة الاسهم المخرج منها وقال الخبر سالت سريا السقطي عن الجد المحب الم
البلاء فقال اذا ملت وان ضرب بالسيف فقال تبع وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربه وقال
بعضهم احبب كل شيء حبا ما واحب النار حتى تحب دخول النار وقال الشبلي الحزن مرور على رجل
وقد ضرب المبسوط ثم شرفيه بعد اذ دوام يتكلم رجل الى الحبس فسمعته فقال له لما ضربت فقال الا اني
عاسق فقلت فلم تسكت قال لان معشوقي كان يجذاي ينظر الي فقلت ولو نظر قال الفشر الاكبر
قال فرعون عفته خرسا وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله اذا نظر اهل المحبة الى الله تعالى ذهبت
عيونهم ملوهم من لذة النظر الى الله تعالى فما بقي سنة لا ترجع اليهم فما طمك بقلوب
وقفت بين جلاله وجماله اذا احظ جلاله هابت واذا احظ جماله هامت وقال بشر مصدقت
وقال ابشر قصدت عباد ان ابرأني فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت
راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال لي من هذا الفضولي الذي ادخل بيني وبين ربي لو
قطعني ارثا ارثا ما ازددت له الا حبا فقال بشر فما رايت بعد ذلك نعمة بين عبد وسيده فانكرتها
وقال ابو عمرو محمد بن الاسعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اسهر ايكن لهم غذاء الا النظر
الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فسعلهم جماله عن الاحساس
بالجوع بل ترك القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لا حساسهن هن بما احظ جماله حتى ما
احسسن بذلك وقال اسعد بن احمد رايت في البصرة في خان عطاس مباشا باوفي يده مدية وهو يسن
على صوته والناس حوله وهو يقول بعد الفراغ من القيامة اطول والكوث من لا المفر واجل
فقال الرجل فقلت لست برجل الكر مجيء الي برجل ثم بقر بالمدية بطنه وخرميا فسالت عنه
وعن امره فقيل لي انه كان يهوى بنت لبعض الملوك فحبس عنه يوما واحدا ورؤي ان يوسن عليه السلم
فقال الحبيب لذي على اعين اهل الارض فوله على رجل فقطع الجزام يديه ورجليه وذهب بصره فصار
يقول الهي سمعتني بها ما شيت اتب وسلبتني ما شيت اتب وابقيت لي فيك الامل يا بار يا رحيم وروي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى مال بعض القوم لفرحسا على هذا
السبي ان حدث بعد العلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته ومر برجل ابرا سرور امنه
فقال له ثكلتك وحمارودبك فالربك يوقطهم للصلاة والحمار يقلوب عليه الماء وقيل لهرم جاهم
والكلب يحرسهم ما لي اجد النعلب فاحد الربك فجر واله وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون
خيرا ثم جاءه فوجد الحمار مقتله فجروا عليه ثم قال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب
فقال عسى ان يكون خيرا فاصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم فقال
ان لهذا لشانا وليك لما سبي عيدهم ما حيم الكلاب والديك وكانت الخيرة لهم الى هلاك
هذا الحيوانات [illegible] الله تعالى فان ضرعت [illegible] لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال وروي ان
[illegible] رجل الى ارض سعد مصروف الحبس يعالج وقد ساترجه من الجذام وهو يقول الحمد
لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروما عنك فقال
يا روح الله الجسيم ممن يجعل الله تعالى له ما جعل ملي من معرفته فقال اصدقت هات يدك فناوله
يده فاذا هو اجمل الناس وجها واطيبهم ريحا فقال له عيسى ما كان الله هنه ما كان به فصح عيسى عليه السلم
ودفع يده مع يده وقطع عروق من الرسغ رجله من ركبته من اكلة خرجت بهم فقال الحمد لله الذي اخذ
مني واعاد الي ليرى كيف اصنع لقد اعجبت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده
ست الليلة وسال ابو سعيد ابو العقر والنعي مطينان ابا بالي ايهما اصعب ان كان العقر فارقه
الصبر وان كان النعي ان يبقيه الدهر وقال ابو سليمان ان الله تعالى اذا اراني مدبلت من كل مقام خلا الا الرضا
فانه لم يفارقني الا مقام الرضا فانه لم يفارقني ابدا وروي ان الخلق كلهم الجنة واد خلني النار لكنت بذلك راضيا
وقيل ما يعرف انه ولت عنه الرضا فقال اما العابد فلا ولكن مقام من الرضا فقد ملئه لو جعل في
كفة جميع اهل الخلائق على الجنة وملاني جهنم لكنت لقسمه وبدا من طيبته لاحب ذلك من حاله
وقيل به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق وجهه حتى منعه الاحساس بالم النار
وقيل احساس بمعرفة ملجعل من لذته [illegible] استغراق حبه لربه رضي محبوبه بالقائه اياه في النار واستبدالا
بالحياة غير محبة الى نفسه وان كان بعد امر احبوا النعمة ولكن لا يتبع ان يسكن الصعف
[illegible] احوال الامرين ويظن انهما خارجان عن عهد الاوبيا وقد قال ابو عبد الله بن الجلا
[illegible] وان هذا الحلو اطلعه ما معناه مقال ما هذا

كتاب المحبة والشوق والانس والرضى وهو الكتاب السادس

من المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا رب العالمين

الحمد لله الذي زهد قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وحضرته وصفى اسرارهم عن ملاحظة غيره بما استحقوا به من الوصول الى كرامته ثم على بساط عزته ثم على لها باسمائه وصفاته حتى اشرفت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سجاف وجهه حتى احترقت سبحات بهجته ثم احتجب عنها بكمال جلاله حتى ناهت في بيداء كبريائه وعظمته وكلما اعترت الملاحظة كنه الجلال عنها من الرهن ملتبس في وجه العقل وتصيره وكلما اهمت بالانصراف آيسة عادت من مرادفات الحيال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجله فبقيت من الرد والفضول والصد والوصول على خير معرفة محبرة بنور محبته والصلاة على محمد خاتم الانبياء بنبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وارضه وسلم كثيرا اما بعد فان المحبة لله تعالى هي العاقبة القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها وقبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عد وجودها الى حمل القلوب عن الامكان بها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا الواظبة على طاعته الله تعالى واما محبة العبد لله تعالى فلم ينكرها الا الاقلون وانكروا المحبة ايضا وانكروا الشوق والانس وكرهة الملاحاة وسائر لوازم المحبة وتوابعها ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر وفي ذكر هذا الكتاب بيان سواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى ثم بيان ان لذة النظر الى وجه الله تعالى سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقربة الى الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في المحبة ثم بيان ان قصور الافهام عن معرفة الله تعالى هو سبب قصورها عن محبته ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله للعبد ثم الفرق بين علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الابتهاج في الانس ثم الفرق بين معنى الرضا وبين فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء كراهة المعاصي لا بنافيه وكذلك الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وظائف المحبين ومعرفته بسائر سواهد الشرع في حب الله تعالى اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف لا يفترض ما الوجود له وكيف يعسر الحب لمن الطاعة والطاعة تتبع المحبة وتثمره فلا معنى لايجاب الجنة بعد ذلك بطريق على اثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب في اثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية وانما اجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال عليه السلام استعد للفقر فان الفقر اسرع الى محبي من السيل الى منتهاه وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل وعليه اهاب كبش قد شطوه فقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه فقد رايته بين ابوين يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما تروون في الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت اذهب الى خليلي فهات خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت لا تقبض

امر ربه بانه اظهار معنى بعضي الكون حتى قبل ما اصاب ابليس من الوقف الا انه في مرضه
مجعل الامر حطه منه وفي الخبر اذا مرض العبد او قال الله تعالى للملك اكتب له اطرا ما كان يعمل في عوده
قال محمد النعماني فخبر دعواله وان يتكي وذكر سرا فلا كذلك يكون وانا كرره بعد العباد
العباده حتى الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق
بابه ملبد على اهله احد حتى يبرأ فيخرج اليهم مهم الفضل بن عياض وشعب بن الورد
وبشر الحافي وكان يقول استحي ان امرض على العواد وقال ايضا اكره العلة الا احل
العواد اخر كتاب التوكل والحمد لله رب العلمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

وهذا الاجلاء

وصار الاحد الاعبد حب الله يكل قلبه فاذا علم ان الله يحب سبب الفكار انزع قلبه
اليه وليكن له محبوب غيره حتى يلطف اليه وقد قال فينا صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد
وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت
لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
من ذاق حلاوة الحب لله عز وجل سغله ذلك عن طلب الدنيا واجتنبه عن جميع البشر وقال
الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والموت يليه وحتى يغفل فاذا ذكر حزن وقال
ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يستطعمهم الجبار وما نهاهم عنه فكيف يستطعمون نعيمه
بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلام مر بملسه نفر قد خلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم
ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى تلمسه
احزن فاذا هم اشد تخوفا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق
على الله ان يعطيكم ما ترجون فجاوزهم الى ملسه اخرى فاذا هم اشد خوفا وتغيرا فقال ما لي اراكم على
وجوهكم الذي من النور فقال الذي بلغ بكم ما ارى قالوا لحب الله عز وجل فقال انتم المقربون
انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل رابع في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال ابن سعله
حب الله الجد البرد وعن سري السقطي قال يدعى الامم يوم القيامة باسمائها على ما كانوا عليه الا فيقال
يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد غير الخير لله تعالى فانهم يادون اولياء الله فهلم الي الله سبحانه
فتكاد قلوبهم تطلع فرحا وقال الفضيل بن عياض ان الرجل اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل
اليه واذا اقبل اليه لم ينظر الى الدنيا هين في يده ولم ينظر الى الآخرة بعين الفرح
وهي تحسن في الدنيا وتربحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ معرفة تسعرف الذنوب ملطفة
رضوانه ورضوانه تستعرف الاعمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده يتبنى
ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي ايما وحقك لا يحبني عبد فيحتمي عليك كرامتي
وقال يحيى بن معاذ مقال لخرد له من الحياء الى من عباده يستغيث به بلاحب وقال يحيى بن معاذ
الهي ان هجم بساطك مستعول بيابك صعرا اصرى اليك سر بليتي بعزك وامكنني
من لطفك وتعلقي في الاحوال فلبستني في الاعمال تسترا وتوبة وزهدا وتقوى وصوما ورضا وهما
سقيتني من حياضك وتعلقني في رياضك ملازما لامرك ومستغرقا بقولك ولما طرت سابحا في رياح طالبا
فكيف اصرف اليوم عنك كرها وقد اعددت هذا منك صعرا الى ما بقيت حولك تحدثه
وبالصراعة اليك همهمة الاني اجيك فكل محب لحبه مستوف وعن غير حبه مصروف
وقد روي في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وكذلك امر طاهر وانما الغرض
في تحقيق معناه على ما يشتمل به بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد
لله تعالى اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا يتكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة
شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يعلم ان
تصور محبة العبد معرفته وادراك واذا لم يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف
بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انفسها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك
وملائمه وليذه والى ما ينافره ويؤلمه والى ما لا يوصف بهذا ولا بذاك وادراك الملائم فكل
ما في ادراكه لذة وراحته فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك
وما خلا عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل مدرك محبوب
عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا انه تتوجه النفس الى الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا انه تنفر
عنه فالمحبة عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض
عبارة عن نفرة الطبع عن الشيء المؤلم فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا يدرض معرفته
الا من لم يدرك في الوجود شيئا يلتذ به الا بالادراك بالحواس الظاهرة فان الادراك بالحواس
للطبع نسبته نسبة اللذة الى الفهم فكما ان الفهم قد يلتذ بادراك المعقولات كحب العلماء العلم
وادراك البصائر الجملة والصور الملحة الحسنة المستلذة ولذة الاكل في انضاج الاطعمة الكثيرة المتنوعة
ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة وما كانت هذه المدركات
بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى ما لا يسمى الله عليه وسلم
حب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محببا وهو معلوم
ان حظ العين والشم فيه بل اللمس فقط وسمى النساء محببات وحظ فيهن اللمس والبصر والفرض دون الى

يمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له او ليتحقق ان بهذه النية لا تضره بوجه من الوجوه
اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له
بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش
فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه من امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق
والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة الرابع
انه اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح انه امكنه ويقول لولا ان الهرة كانت في ذلك
لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين وان
كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه
فالاولى ان يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول
بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته
فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك
في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت
قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك
فقال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد
دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس صعدا ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك
قال لاني لما رايت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها
فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت
وما امضى السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل
لامضيا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد
هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه
اصحابه انهم كانوا قد اخذوا الهميان مرحا معه فجاء هو واصحابه وردوا الذهب فابى عليهم
وقال خذوها حلالا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابنا
له وجعل يصرها صررا ويبعثها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت اخلاق السلف
رضي الله عنهم اجمعين وكذلك من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له رده الى
البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا اخر وكذلك يفعل في الدراهم وساير الصدقات الخامس
وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك
على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ في الدعاء بطل ايضا اجره فيما اصيب به
ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا
وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم يتزعزع لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رايته
وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا
يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان
سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرايت لو ردت
عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك
فقال ما ظلمني احد انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم
شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تعرض لشتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك
عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه
حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس
ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله
ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا في دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق
واخذ ماله فقال ان لم يكن عمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من عمك بمالك
فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن فضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال
اعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيامة ولا يكون له حجة وقيل
لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء الفن الرابع السعي في ازالة الضرر
كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للمرض للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل
لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير
ابواب الطب اعني معالجة البرودة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب
والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف
الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين
واقواها الكي وتليه الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال عليها غاية التعمق في ملاحظة

الاسباب

الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء
ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون
افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي
غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره به اما قوله فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال
عليه السلام تداووا عباد الله وسئل عليه السلام عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور
ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبعة
عشر واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه
قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين
اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو اعيب
الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل
اصلا وفي خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من كل سنة واما امره
فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي وقطع لسعد بن معاذ عرقا
اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي كرم الله وجهه وكان رمد العين لا تاكل من هذا
يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب
وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال انما اكل بالجانب الاخر فتبسم صلى
الله عليه وسلم واما فعله فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر
ويشرب الدواء كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل
عليه الوحي صدعه راسه فكان يعلقه بالحناء وفي خبر اخر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها
حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف
في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى
عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا
لبرات فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف
مجرب وانا نتداوى به فبرا فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا امرتك
حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوحش في نفسه من ذلك فاوحى الله
تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك على من اودع العفاء قبر منافع الاشياء غيري وروي
في خبر اخر ان نبيا من الانبياء شكا علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكا نبي اخر
الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما
شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد
ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل
والنفساء الرطب فبهذا تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة
والادوية والادوية اسباب مسخرة لحكم الله تعالى كساير الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء
دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع
والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض
الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء
بشروط اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط
فيتباعد الدواء عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض
ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب ابدا ينحصر في هذين
الفنين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب
وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب
الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الداء والشفاء فقال تعالى مني
فقال ما يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذن معنى التوكل
مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما
ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت والكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس
الامر كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسقي المبردات للمحرور
واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقل ما يعتاد الكي في اكثر البلاد
وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنها
بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء

القلب عن الركون الى الاسباب الظاهره وحسن الظن بالله تعالى في تسبيب الاسباب
الحقه فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن بالناس شيطان وحسن الظن ملك من الله تعالى
قال الله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفره منه
وفضلا فالانسان بطبعه مستعد لسماع تخويف الشيطان فلذلك قل السفر وكثر الظن
مواضع واذا ضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهده المتكلين على الاسباب الظاهره
والياسه عليها على سوء الظن وبطل التوكل بالكليه بل روية الرزق من الاسباب
الحقه ايضا بسبب التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم
فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فالجأه حتى اعاد له ثلاثا فقال في الرابعه
يهودي في جوار المسجد قد مضى في كل يوم وغير فقال ان كان صادقا في ظنه نعكوفك
في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اجابا ما وقفت بين يدي الله وبين العباد مع هذا القفر
في التوحيد كان خيرا لك اي فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وقال الامام
مسجد لبعض الملوك مرتبا كل يوم اربعة دراهم فانقطع عنه اصبر حتى اعيد الصلة الى صليفها
خلتك ثم احسنت وسفع في حسن الظن بحبل الرزق من لطف الله تعالى واسطه الاسباب الخفيه
ان سمع الى حكايات ضعف الله في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب
بهم الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاعشار وقد روي عن خداش المرعشي وكان
فدخروم ابو هبيرة بن اديهم فقال له ما الذي رابك فقال بينما انا في طريق مكة اذا انا بالم قد
طعاما فاذا انا بشيخ قد اقبل من الكوفه حتى اتى الى مسجد خراب فنظر الى ابي هبيرة بن اديهم وقال
ياخذ فقه ابن ملك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على يده واه وكرر ثلاث مرات فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم انا المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى
انا حامد اذا شاكر اذا ذاكر انا جائع انا ظامئ انا عاري
وانا الضمن لنصفها فكن انت لنصفها يا جبار
مدي لعبدك لقمتا ارحم عبيدك من ذوي الايثار ثم دفع الى الرقعه
وقال اخرج فلا تعلم قلبك بغير الله وادفع الرقعه الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان
رجلا على بغله فناولته الرقعه فاخذها فلما وقف عليها مكث وقال يا فعل صاحب هذه الرقعه
فعلت هذه المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها سبعة دنانير فلقيت رجلا اعرفه فاله
عن اكل البغله فقال هذا رجل نصراني فجئت الى ابي هبيرة واخبرته بالقصه فقال امسها فانه
بحمل الشاعه فلما كان بعد ساعه دخل النصراني واكب على راس ابي هبيرة يقبله
واصل وقال ابو يعقوب الاقطع البصري حججت مره بالجرع عشره ايام فوجدت صعفا مجدثني
نفسي بالخروج فخرجت الى البوادي لعلي اصرسنبا يسكر ضعفي فرايت سلحفيه مطروحه
فاخذتها فوجدت في بطنها حيتة وكان قد قال لي يوما واحد
بكر خطك سلحفيه منكسره فرميت بها ودخلت المسجد فتعبدت فاذا انا برجل اعجمي
فدا قبل فجاء حتى جلس بين يدي ووضع قوطره وقال هذه لك فقلت كيف خصصني بها
قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشره ايام واشرفت السفينه على الغرق ونذرت ان خلصني الله
لا بصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من اهل البر وزن دراهم فوزنها فصحا فصيحها فاذا
فيها سمنه مصري ولوز ومقشر وسكر فجاءت فيضه فرهدا وفيضه مرهدا وقلت
رد الباقي الى صاحبك هديه مني لك وقد قبلتها منك فلما سمع قولي تبسم وقال يا سبحان الله
امام وانت تطلبه من البوادي وقال مستادا الدينوري كان علي دين فاشتد علي فمضيت الى سفيه فرايت
في البيوت كانه لا يتولى الا خل فاخذت علينا هذا المقدار من الدين فجعلت الا خذ وعلينا
العطا فلما جاء سنبل بعد ذلك بقاله ولا قصابا ولا غيرهم وحكى عن سنان الحمال
قال كنت في طريق مكه اجر من مصر ومعي زاد فجاءني امراه وقالت يا سبحان ما جمال
تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اني عليه ثلاثا فاكل
مرت على الاء الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فاردته عليه
فاذا انا بملك الماء فقال لي اي ناجر تفر اعطني حتى يجيء صاحبه فاخذ مني شيئا ورمت الي شيا
من الدراهم وقال انفقه فانفقت بها الى قرب مرو وبقي معي شيء من الدراهم فاحتاج الى عاريه تخدمه
فانبسط الى احوانه فجمعوا له منها وقالوا هو ذي تجيء النفير فنشتري ما يوافق منها
ورد النفير اجتمع رايهم على واحده وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه
الجاريه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنات الخباز اهدتها اليه امراته

من سر مقدر فجملت الى بيان ما ذكرت له القصه وقيل كان في الزمن الاول رجل
في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فتوكل الله به ملكا وقال ان اكلته
غار زقه وان لم ياكله ملا بطنه غيره فلم ير القرص معه الا زمان ولم ياكل ويقال الفرس
بعده وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بعشرة آداد فاصابني غافة فرايت الرحله
من بعيد فسررت بها وصلت ثم فكرت في بقيتي اني سكنت واتكلت على غيره فقلت
ان ادخل الرحله الا ان احملها الهموم لفقد الزاد فاحببته وواريت حسدي فيها الى
صدري فسمعت صوتا في نصف الليل يا اهل الرحله ان الله ولي من يحبه فلما سمعت هذا الرمل
فالحقوه فجئتها فاخرجوني وحملوني الى العريه وروي ان رجلا اتى باب عمر رضي الله عنه
فقال عمر ما هذا فقال هاجرت الى الله واهلي فقال عمر ان الله سيغنيك عن باب عمر
فذهب الرجل وغاب حتى افقره فعاد فاخبره فقال عمر اذا استعملوا بالعباده فقال عمر اني اشفق
اليك فما الذي سهلك عنا فقال اني قرات القرآن فلم يغنني عن عمرو الا عمر فقال عمر رحم الله
ما وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فعلمت ان رزقي في السماء وانا اطلبه
من الارض فقال عمر صدقت فكان عمر بعد ذلك يتباله ويجلس اليه وقال ابو حمزه
الخراساني حججت سنه من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بيداء فنازعني نفسي ان اسعت
ثم قلت والله لا اسعت ولا والله لا استعنت فاستقمت هذا الخاطر حتى مر بي اربعون رجلا ان
فقال احدهم للاخر تعال حتى نسد راس هذي البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بالحصب وباريه فطموا
راس البير فمكثت في ذلك الموضع ثلاثا حتى صحت فجئت الى البير فاذا هو بارد عذب فشربت منها
اذا انا بسبع جاء وكشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول لعلي في همه له كنت ارى
ذلك فعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهو هف في هاف يا ايها الذي هذا حين لجات
من الذئب بالذئب فسبني وانا اقول فهاني حياي منك ان اكتم الهوى واغيتني بالعيم منك عن الكتم

تلطفت في امري فاريت ساهدي الي عاني واللطف يدرك باللطف
ترايت لي يا بغيتي كما تبشرني بالغيث انك شيء الكشف
اراك وبي من هيبتك رجفه فتوسني باللطف منك وبا اعطف
وتخفي محبا انت في الحب حفه وداعيك كون الحياء فيه الحشف

وامثال هذه الوقايع ما يكثر فاذا قوي الايمان بهذا وانضم اليه الفكره على الجوع فدر اسبوع
من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه يسوق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله
ولذلك حبسه عنه ليتوكل بعده الا جوال ولكنا شاهدنا والاقلاع اصلا بالكليه
توكل العمل اعلم ان من له عيال فحكمه حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله
الا بان يجد ما قدره على الجوع اسبوعا من غير اسراف وضيق نفس والا خرج ابواب من الايمان
ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم يات رزقه عاما بان رزقه الموت والجوع
وهو وان كان يصاب في الدنيا فهو زياده في الاخره فيرى الله سبحانه خير الرازقين له وهو
رزق الاخره فهذا يتم التوكل او الجوز تكليف العيال الصبر على الجوع وكيف كان يقرر
عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان سوغ ذلك نادرا
وكذلك سائر ابواب الايمان فادر بها فكنه في جملتها التوكل الكسب وهو المقام الثالث
كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخل البوادي وترك
العيال توكل في جمعهم والعهود عن الامتعه بامونة توكلا في جمعهم معا جراء وقد يبقى
الى هذا الكسب وترك وهو مراعاة بعض الحقين انه لا يرفق نفسه ويتعب عياله فانه ان ساعده
العيال على الصبر على الجوع مده وعلى الاعداد بالموت على الجوع ازداد غمه وتاخره فكان
توكله في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز ان يضعها الايمان ساعده على الصبر
مع الجوع مده فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عياده تعلم انه التوكل
ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى فستق يطبخ لياكله بعد
ثلثه ايام فقال له لا يصلح ان الصوف الزم السوق اي لا يصوف الا مع التوكل او لا يصح
التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلثه ايام وقال ابو علي الرودباري اذا قال
الفقير بعد جمعه ايام انا جايع فالذموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن يزدنه عياله
وتوكله بما يضر بدينه كتوكله في عياله دائما فيضر بدينه وهو لا يدري
تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد لا يكتسب لك فرهذا
ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاقتصاد على الصبر على الجوع مده والرضا بالموت ان
فاخر الرزق وادر وملازمه البلاد والامصار وملازمه البوادي التي لا تحلو عن

احتلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان الارزاق والا يسب الا الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعا يكم الجبال قال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع
ولا تحصد والله تعالى يرزقها وما يوم وما يوم فان قلتم لكن اكثر بطونا منها فانظروا الى الانعام كيف هي
الله تعالى هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي التوكل توحيد الرزق قهم على بدا العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبد كله في رزق الله لكن بعضهم
باكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم
بعزل الصوفية شهدوا الغرض فاضرفوا رزقهم من يده ولا يروز الواسطة الدرجة العالية
فلا ينسبه الاسباب التي يتوهم اقصاؤها الى المسببات من غير بقية طاهرة كالذي يستقي
في الدلو يراد الدقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات
التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا
مباحا الحلال فاما اخذ الشبهة او اكتساب يظن توفيه شبهة فذلك مما به الخروج عن الدنيا
والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب
النافع مثل نسبته الدقيقة والطيرة والكرباصافته الى ازاله الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم
وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار وانما خاطب
من احب سنيا ولم يصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب وانما هذه الاسباب التي لا يتوقى بها
المسببات غايتها ولا يمكن احصاؤها وقال التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى
خلق الخلق ولم يحمهم عن نفسه وانما حماهم تدبيرهم ولعله اراد به استيفاء الاسباب بعده
بالفكر فهي التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فانه ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج
المعلوم بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان التي لا يخرج بقسميه المقطوع به والى مظنون
المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب
فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل واما المظنونة فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل
جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات الاول مقام الخواص وتكرايه
وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد تفة بفضل الله عليه في تقويته على الصبر اسبوعا
وما فوقه او يسير حسيسا له او قوت او نبته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان
الذي يحمل الزاد قد يبخر حذوا ده او يفصل بعيره ويموت جوعا فتزلك ممكن مع الزاد كما انه
ممكن مع فقده المقام الثاني ان يعتمد في بيته او في سجده ولكنه في القرى والامصار وهذا
اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة بقول
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فضل الله في تدبيره امره من وجوه الاسباب الخفية ولكنه يا تفقود في الامصار فتعرض
لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي
يخترع الاسباب لا الى الاسباب اذ يتصور ان يعقل جميع عنه ويضعه
لو لا فضل الله تعالى ينجر بفضله ورحمته دواعي هم المقام الثالث يخرج ويكتسب
اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب
وهذا السبع ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن ظانه نفسه الى كفايته ووثوقه
وجاهه وصناعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل
الحق لحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وصناعته وكفايته بالاضافة الى
قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الا القلم بل الى قلب الملك الذي
الى ما ذا يحركه والى ما ذا يصرفه بحكمه ان كان هذا المكتسب مكتفيا بعياله
او لقرابة على المساكين فهو سيد ته مكتسب وبقلبه عنه منقطع محبا لهذا اشرف من حالة في بيته
والليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة
كما سوا ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاحتزر مه متاعه تحت عضده وحمل
السوق فلقيه المسلمون فقالوا له كيف يفعل هذا وانت خليفة الله فقال فمن اين اطعم عيالي
فقالوا اصعد المسلمون ذلك وفرضوا له قوت مثله من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مصلحة
وتطيب قلوبهم واستغرابه وقد تصالح المسلمون اولى وصحيح ان بقال ان بكرا الصديق رضي الله
عنه في مقام التوكل فمن اولى بعده المقام منه فقد كان متوكلا الا باعتبار تركه الكسب
والسعي بل باعتبار قطع الانقطاع الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى هو مسبب الاسباب ومدبر
الاسباب وبشره وطلاقة وجهه كان يراعيها كما يراعي الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار
ونفاخر وادخار ومن غير ان يكون همه الا التوحيد فان قلت

احب الله مزدرهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد
في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد
وهو سيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق
كنت اكتسب كل يوم دينارا لا آيت منه دانقا ولا اسر لي منه الى الغد ادخل عليه الخباز
ما اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يملك في التوكل لحصيره وكان يقول استحي
ان اتكل على مقامه وهو حاصر عندي اعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد
من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامر الحادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا
على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يستلو بل يتعاطيا بما يحل اليهم
فهو اقوى لكنه بعد استهار القوم بذلك فقد صار بشروطه فقوكل حول السوق لا يكون
داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان فقد فلا فضل ان يعد
من يسه او يخرج ويكتسب اعلم انه كان يفرغ بتركك للكسب لفكره وذكره واخلاصه
واستقباله ووقته بالعبادة وكان الكسب شيئا يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يسترفه
نفسه الى الناس في انتظار من يحمل عليه فيحمل اليه سببا بل يكون قوته الغلب في الصيد
والاتكال على الله فالمعتمد له اولى وان كان يضطرب قلبه في الطلب ويستشرف الى الناس
فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سوء ا بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب
وما كان المتوكلون يأخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل رحمه الله
فداوم ابا بكر المروذي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فلما كان اساء عليه فرده فلما ولى قال
له احمد اخبثه واعطه فانه ظن انه سئل فلم يجبه واعطاه فعيله فسأل احمد عن ذلك فقال كان مد
استشرف نفسه فرد لما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد
في العطاء او خافا عباد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص وقد سئل عن اعجب ما رآه
في اسفاره قال راى اباب الخضر وهي نعصر ولكن قارفته حبة ان يسكن يمشي اليه فيكون
بعضا في توكلي فاذن المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروطه بينه كما سبق في كتاب
الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا
فان قلت ما علامة عدم اتكاله على الصناعة والكفاية فاعلم انه متى ان سرقت
بضاعته او خسرت تجارته او تعوق عنه من امور كان اضطرابه وهمه بسبط طمأنينته ولم يضطرب
قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب
لفقده وفراضطرب لفقد شيء فقد سكن اليه وكان سريع الفقر لتركه ذلك لان المتوكل
كانه يقول الهي انك استعبدت على رزقك بالمعارك اردانان اعتاد الله سمعك وبصرك الورق
على من وقع ذلك في قلبه فاخرج الله المعارك من يده وقل تركها لما توهت باسمه وقصدا جلها
وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان يسفيان جمع سبعة دينار ليجر فيها فلما مات عياله
فزعها فان قلت ملكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسير
يغير بضاعته او خسرت فاعلم ان الذين يعلمون ان الله تعالى هو المسبب يعلمون ان ما قدر وقوعه
وان الذي كثرت بضاعتهم قد تقل وقلة قد تكثر وان من ظن نفسه على ان الله لا يفعل به
الا ما هو صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد
دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فيتخلص من تعب الموت جوعا خير له في
الاخرة مما مضى للعبد ذلك من غير تقصير من عنده فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده
وجود الصناعة وعدمها فان الخير ان يعد لهم من الليل بامر من امور التجارة ما لو فعله
لكان فيه هلاكه فينظر اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصير كمن اتجر تجارة
يتظن بحارة وابن عمه من سبعين من دهاة ما هو الا رحمه الله بها ولذلك قال عمر
رضي الله عنه لا ابالي اصبح غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل فيه
هذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن الحواري لي من كل
مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما تمنيته ولا رجيته هذا كلامه مع علو قدره
ولم يدر كونه من المقامات المحمودة ولكنه قاصر عنها ايما ادركه ولعله اراد ادراك
اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما قدره على العبد من فقر
وغنى وموت وحياة فهو خير له ما يتمناه العبد لنفسه ولم يكمل حال التوكل فيه
التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال
والاعمال يتبنى على اصل لها من الايمان وبا كماله التوكل لمقام مخصوص ولكن يستدعي قوة العلم
وقوة اليقين ولذلك قال اسهل ما طعن على النفس فقد طعن على النفس ومن طعن على التوكل فقد
النفس فقد طعن على التوحيد فان قلت

نادر والمقام الثاني والثالث اعسرها والاول اقربها الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني
فدوامه بعد منه ما يكاد لا يكون والمقام الثالث في دوامه الاكثر هو الرجل فان انبساط القلب
الملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانبساطه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف
طبع وانقباضه عارض والرجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يبرد ظاهر
البشرة الحمرة التي كانت تراى من ورائها الرقيق من البشرة فان البشرة ستور ورقيق تراى الحمرة من ورائه
حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لانبعاث انقباض القلب بالكلية عن الاطراف
الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم وامام المقام الثاني بسبب صدمة الخوف فانه قد يدوم
يوما ويومين والثالث بسبب صدمة مريعة اشد منه فلا بعد ان يزول فان قلت
وقد ابقى صفة التدبير وتعلق بالاسباب في بعده الاحوال فاعلم ان المقام الثالث سقط التدبير اذ التدبير
ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني يبقى كثير التدبير الا من حيث
التفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الثالث لا يبقى اصل التدبير
والاختيار وكل بقي في بعض التدبير فكالمعلق على عامل كله في الخصومة فانه يترك التدبير
من جهته غير الوكيل ولكن كتارك التدبير الذي اشار اليه فركله به او التدبير الذي عرفه
من عادته وسننه دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتركك
الا في حضورك فيستغني في الحال بالتدبير للحضور ولا يكون هذا منافيا توكله عليه
اذ ليس هو فرغ همته الى الحول بقسه وقوته بل الى حول غيره وبل من يأمن توكله
عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لولم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا لله في قوله لما حضر بقوله واما
المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السلاح فيتم توكله ان
كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته وانما يفسدها وهو ان يحمل السلاح بنفسه
اليه عند مجاهدته فاذن لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السلاح ولو ترك ذلك
واحضر السلاح فانسنته وعادته وقعد ناظرا الى مجاهدته فقد بقي في المقام الثاني والثالث في حضرة
حتى بقي كالمبهوت المنظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ قوله حول وقوة وقد كان يفزع
الى حوله وقوته في الحضور واحضار السلاح بما شاره الوكيل وسننه وقد انتهى بفقدانه علم ان الذي
طمأنينة النفس والقلب بالوكيل والاستظهار بالسلاح واذا ما ثلث هذا اندفع عنك كل اشكال
في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك الكاسب وعمل وان كل ما يسد
وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقياد وسياتي تفصيله في الاعمال فاذن مرجع التوكل الى احوال
وقوته في الحضور والاحضار لا بنافض التوكل لانه لو لا التوكل لكان حضوره واحضاره
باطلا او بعضها محضا ما لا حد وعى فاذن لا يصير مفسدا من حيث ان حوله وقوته بالله من حيث ان التوكل
جعله مفيدا لمجاهدته وعرفه ذلك باشارته وسننه فاذن حوله وقوته الا به توكل الا ان هذه
الكلمة يكمل معناها في حق التوكل لانه ليس حالي حوله وقوته بل هو جاعل لها مفيدا
في انفسها ولم يكونا مفيدين لو انفصلا وانما يصدق ذلك في حق التوكل الخوض الله تعالى
اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلها مفيدين اذ جعلها بسر طالما
سيخلق من بعد بما من الفوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا من شاهد
هذا كله لكان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله ودلك
من بسم بعد فما لك كيف يعطي هذا الثواب كله لهذه الكلمة مع سبق لسانها على اللسان
وسبقوله اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد وسبب هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وقد بينا كيفيته معنى اجرائها الى
الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة لتشيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا
الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكلمتين فلتعرف به ثواب لا اله الا
الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من فساد ان التوحيد فيهم من يقول ليس في وسعي ان اعرفه
ولسائر الحكماء واكثر المتكلمين قد رأيا لعسر نزولها طرقوا الى اللسن والى اللسان بقوله صلى
الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة وجبت اطلق من غير
ذكر الصدق والاخلاص اذ لا يا لمطلق بهذا القيد كما اضاف الفعل الى الايمان في العمل الصالح
في بعض المواضع واضافه الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح
لا بال حديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفس وانما

الصدق والاخلاص وراءها ولا يتصف بسر التوكل الا المقربون وهم الخلص من نعم لمن يغرب
منهم في الدنيه من الحجاب الممن ابعاد حجاب عند الله وان كانت لا تنهي الى الملك امانزى
ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين الثلاثة نعم جزى لبسر الملك مثل على بسر ومن ضربه
منكبين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الاثم والظل والفواكه والاشجار
والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمأكول والمشروب والمنكوح ومنصور ذلك للنعيم
على الدواب وامر لذات النعيم منزله الملك والتردد في اعلى علين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه
اللذات قدر لكان وضعت على النعيم ولما ربع عنها درجة الملائكة فانزى ان احوال النعيم وهي
مسببة عن الرياض متسعة بالمياه والاشجار واصنافها الملاذ متنعة بالكنز فان السعادة
اعلى والدواب اشرف واحد ربان يكون عند ذي الكمال معبوبة لمثله شم احرار الملائكة في سرورهم
بالقرب من جوار الله في اعلى علين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا اخبر بان يكون حمارا
او بكرا في درجة حمير ما حمار درجة الحمار على درجة حمير بل وليس في ان تشبه كلبي منجدب اليه
وان النفس التي تزوعها الى صنعة الكنس والدباغة اكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهربا الناس
والدباغ انسية في جوهره منه بالكاتب فذلك من تزوع نفسه الى نيل الذات البهائم اكثر
من تزوعها الى نيل الذات الملكية فهو بالبهائم انسبه منه بالملكية لا محالة وقولهم الدين
يقال فيه فلس وليس كالانعام بل هم اضل اذ اما كانوا اضل الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملكية
فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال اذا جرى بالذم واعذر بالنسبة
الى الضال عما يقلد عن طلب الكمال واذ كان هذا كذلك فلنرجع الى المقصود ولنقتصر منا
معنى قول لا اله الا الله ومعنى لا حول ولا قوة الا بالله وانه ليس في الامكان ابدع مما هو موجود منه حال
الوكيل فانه قائل ليس في وسعي توكل لا حول ولا قوة الا بالله الا بسبب تسبق الى الله طولا قال
قائل السماء والارض حلق الله فهل يكون بعالم مثل قوله فاقول الامر الثواب على قدر درجة
المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما
بالصغر فخرج الامر بعظم الاحتقار بل كل عالم يفهم ان الارض والسماء ليس في جنبه الا مسبح
بل هو من خلق الله اما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على الغير لقلة والدلالة عليه وطوائف كثيرة ممن يدعي
الله يدعون في الرأي والمعقول حتى بتوحيد الصنع تجده نظرته تمنعه عن معاملة مخلوق ومنزله عظيمة هلك فيها العالمون
اذ لم يفتحوا لها عينا مرا وهو شرك في التوحيد وانما حال من سعى الله تعالى ممن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
مقدار علمه ربته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا ان التوحيد
الاعتباري اصر امها النظر الى السماء والارض والنعم والقمر والنعم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر
الى الحيوان والحيوانات وهي اقل من الاعتبار واخطرها وكما ان سر التوحيد ملذ لك عظم ثواب هذه
الكلمة اعني ثواب المشاهدة اني هذه الكلمة مرجعها اذ ذرى حال التوكل الى النبوي من التوكل
والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند تفصيل ذكرنا في القلب التوكل
ان ما قاله السموخ في حد التوكل ليس ان يسأل من احواله اخرج
عما ذكرناه ولذلك سار الى احوال اخر فقال ابو موسى الدبلي علامة التوكل ان لا يريد ما التوكل
قال الجنيد لو ان عقلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع عرضت لك ما تحرك لذلك سرك
فقال ابو يزيد بنحو هذا قرب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة مشغولون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تميز
بينهما خرجت من حيلة التوكل كما ذكره ابو موسى حيث عد من اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث
وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة دون
ما فعله الله تعالى خلقه بالرجاء فلا تميز بين اهل النار واهل الجنة الى اضافة الى اصل العدل والحكمة
وهذا يخص انواع العلوم وراء سر القدر وابو يزيد قل ما يتكلم الا عن اعلى المقامات وافقى الدرجات
وليس يدرك الاحرار غير الحيات شرط في المقام الاول من التوكل بعد احرار ابو بكر رضي الله عنه
في الغار لا سد ما فقد الحيات الا ان يقال لعل ذلك من حيلة ولم يتغير بسببه سره او يقال انما تعلل ذلك
ضعفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على نفسه وانما من اول التوكل ترك الكل حتى سببه وتغيره لا من موضع
على نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان ان اعلى الاحوال واكثر هيبة لا بنافض التوكل
فان حركة البرمكي الحيات هو الخوف وخلو التوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ حول الحيات
وقوته لها الا الله تعالى وان احرز لا يكن اكاله على يديه وعلى حوله وقوته في الاحراز
بل على حول الحول والقوة والبديع وسلوك النور المصري غير التوكل بقال خلع الاسباب وقطع
الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علو التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الانقطاع وليس فيه
تعرض صريح للحال وان كان اللفظ مقتضيه فسيل له رد ذا مقال الفاء التفريع العبودية واخراجها

قول

صفا الاراده بعد العلم الا لعقد شرط العلم وكذلك على منهاج الواجب وترتيب الخوف
ليس في شيء من ذلك لعب وانما ذلك كله في ذلك لحكمة وتدبير ومقتضى ذلك عسر ولكنا نقرب
لتوقف المقدور مع وجود القدره على وجود الشرط منا لا يقرب مبادي الخوف من الاقدام الصفه
وذلك بان يقدر اسبابا قد انتفى عنا ما الى رفعه فالحذف يرتفع عن اتقائه وان كان الماهو
الذي يرفع الحذف وهو ملاقاة المالا عضاء لكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحذف بالماء انظار الشرط
بها ملاقاة الماء الاعضاء لكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحذف بالماء انظار الشرط
وهو عمل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحذف وربما
يظن الجاهل ان الحذف ارتفع عن اليد بوقعة عن الوجه لانه حذف عقيبه اذ يتعذر كار الماء ملاقيا
ولا يكون ارتفاع الماء الا بتغير عما كان وكيف حصل منه ما الم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحذف
عن اليد عند غسل الوجه فاذ غسل الوجه هو الرافع للحذف عن اليد وهذا اجمل بصاحب طريق من يظن
ان الركه تحصل بالقدره والقدره لحصل بالاراده والاراده بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع
الحذف عن الوجه ارتفع الحذف عن اليد بالماء الذي لها لا بفعل الوجه والماء لم يتغير واليد لم يتغير
ولم يحدث بها شيء وكل حدث وجود الشرط فظهر امر العلة فهكذا ينبغي ان يفهم صدر
المقدورات من القدره الازليه مع ان القدره قديمه والمقدورات حادثة وهذا فرع باب لعالم الغر
من علم الاكاسيف فلتدرك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل
وان الفاعل بالحقيقه واحد وهو المخوف والمرجو وعليه الاعتماد والتوكل فلهذا بعد ان نذكر
من انحاء التوحيد الاقطره من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واسبغ ذلك
في عمر نوح لم يحل كاسبغها ما البحر باخذ قطرات منه وكذلك ينطوي بحر ولكن لا اله الا
الله وما اخف موونتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقتها
ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عنهم فان طلبت كيفية الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى
التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف
يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف تكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير معقول
قلنا نعم ذلك غير معقول اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم
محللا مردد بينهما لم يمتنع كما نقول قتل الامير فلانا وبنى الامير المدينة الا ولكن الامير قاتل
بمعنى وبان بمعنى اخر وكذلك الضرب فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله
تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدره
بعد ان خلق الله فيه الاراده بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدره بالاراده والحركه بالقدره
ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدره الله ارتباط المعلول بالعله وارتباط المخترع بالمخترع
وكل ماله ارتباط بقدره الله فهو محل القدره فسمي فاعلا الله كيفما كان الارتباط كما سمي
الحلاء حالا والامر فاعلا بالفعل ارتبط بقدرتها وكل على وجه من يختلف ذلك
سمي فعلا لها ملذلك ارتباط المقدورين القدرتين واحد من ذلك وارتباط بعضه نسب الله تعالى
الافعال في القرآن مره الى الملائكه ومره الى العباد ونسبها تصريحا مره اخرى الى نفسه
فعال يتعلق الموت ملك الموت وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال تعالى اصرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون وقال تعالى افرايتم الماء الذي تشربون
الارض سقيا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فارسلنا اليهم روحنا فتمثل لها بشرا سويا
ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
قال في التفسير معناه اذا قرأ عليك جبريل وقال تعالى ما لهؤلاء يعني يصدون عن الايمان
الصلاة لهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين الفعل يا صرح فعال فلم يقولوا ولكن الله كلم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وجمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت
بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم علم القرآن
الرحمن علم القرآن وقال عليه السلام ان علمنا ربنا به وقال تعالى ابراهيم ما تعبدون انتم تخلقونه اهم الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفه في يده ثم يصورها
جسدا فيقول يا رب اذكرا م انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك في النطفه اخرى وصور
الملك ينفخ فيها الروح بالسعاده او بالشقاوه وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولي
الارواح في الاجساد وانه يتنفس بروحه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلحق كل جسم ولذلك سمي روحا
وهذا كله يضمحل هذا الملك وصفته مع جنوده اسباب العلوب بعضها بعض فاما كون
الروح مخلوقا مسبحا لله تعالى عبادا له عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل لمن تجرد لذلك ذكر

الروح

الله تعالى في القرآن الا دله والكتاب في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
وقال سبحانه الله لا اله الا هو فسر ايه الدليل على نفسه وذلك ليس بصامت ولا ناطق بالاستدلال
مخلقه فكل من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكل من طالب عرف كل الموجودات
بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهذا معنى قوله تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بانه الحي والميت ثم فوض الموت والحياة الى ملك كما في
الخبر ان ملكي الموت والحياة سألا ربهما ملك الموت انا نميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي
الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كفا بما يتعلق عملكما وما سخرهما له من الصنع وانا الميت الحي لا بما
ولا يجوز ان يسمى شيء من افعال العقل ليستعمل على وجوه مختلفه ولا شك ان اضاف هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال الله
عليه وسلم للذي ناوله التمره خذها ولولا انها تسمى تمره لما اضاف اليها التمره ومعلوم ان التمره
لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها ولذلك لما قال التائب اتوب الى الله واتوب الى محمد
قال صلى الله عليه وسلم عرف الحق باهله فكلام اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق
والحقيقه لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المجوز المستعير كقوله تعالى وللمجوز وجه كما ان
للحقيقه وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغه كلهم على ان الانسان مخترع يقدر به فسماه
فاعلا لحركة وطن انه لحقيقي وتوهم ان سببه الى الله تعالى على طريق المجاز مما يسبه الفعل الى الامر فانه
مجاز بالاضافه الى سببه الى الجلاد مما انكسف الخوف عنه عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان
كان الفاعل فوضعه انما اللغوي للمخترع ملاقاعلا الا الله فالاسم له بالحقيقه ولعبده بالمجاز
اي مجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جوز فعله المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او انفاقا
فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد
الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو مفتقر
نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقة غيره لا بنفسه فانه حق بالحقيقه الا الفعل والحي
الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق
وما سواه باطل ولذلك قال سهل رحمه الله ما مسكين كان لم يكن ويكون ما يكون علما
كما اليوم وصف بقول انا وانا كثير الا ترى انك تقول انا اليوم كما كان فان قلت
فقد ظهر ان الكل خير فما معنى الثواب والعقاب والعتب والغضب والرضا وكيف غضب على فعل
نفسه فاعلم ان معنى ذلك مذاسبرنا اليه في كتاب التوكل فلا نطول باعادته فهذا اهم
العدد الذي احتيج اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل وبتمام هذا الايمان بالرجمه
والحكمه فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمه وسعتها هو الذي
يورث قطع الاسباب وتاييم حال التوكل كما سبأتي الا بالفه بالتوكل وتمامه
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان انتهابات عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفه
فيه يطول فلنذكر جاصله ليصيغه الطالب لعلم التوكل اعتمادا بالطبع لا بسرب فيه
وهو ان يعلم يقينا يقينا لا ريب فيه ولا مغمز ان الله عز وجل لو حلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم
فعلم اعلمهم وحلق لهم من العلم ما حمله نفوسهم وفاض عليهم من الحكمه ما استهى نفوسهم زاد مثل عدد
جميعهم علما وحكمه وعقلا ثم كشف لهم عن غوامض الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم
دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الجبر والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يريدوا
الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما امتنع تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر
عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخره حتى يعوضه ولا ان ينقص منها حتى يعوضه
ولا ان يرفع ذره او يخفض فيها ذره ولا لمن يدفع مرضا او عيبا او نقصا او فقرا او صراعن بلايه وان يزال
صحه او كمال او غنى او نفع عن ابقى عليه به بل كما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا رصدا
فيها البر وطولوا فيها التفكر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا فكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق
واجل وسرور وفرح وغم وقدره وايمان وكفر وطاعته ومعصيته وكله عدل محض لا جور فيه
وخلق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس
في الامكان افضل احسن منه ولا اكمل ولو كان لاوجده مع القدره ولسعله لكان جاهلا
بما فقد الجود وظلما بما فاض العدل ولو بخل قادر الكان عاجزا ما فاض الا فيه بل كل نقص
وصرف الدنيا مغمور بعضان من الدنيا وزياده في الاخره وكل نقص في الاخره بالاضافه الى الدنيا
مغمور بالاضافه الى غيره اذ لو لا الليل ما عرف النهار ولو لا المرض لم ينفع الصحيح ولو لا النار
لم يعرف اهل الجنه قدر النعمه وكما ان مدار ارواح الانس بارواح النهار فكذلك مدار ارواح

وقد حاوزت ملك المنازل على سهوله والثاني عالم الملكوت وهو وراي فاذا جاوزتني انتهيت
الى مبازله وفيها الصامته الفيح والجبال الشاهقه والبحار المغرقه ولا ادري كيف بسلها فيها
والثالث عالم الحروف وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلاث منازل الدي اوله
منزل القدره والاراده والعلم وهو واسطه بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه
طريقا وعالم الملكوت اوعر منه مسلكا واما عالم الحروف بين عالم الملك وعالم الملكوت شبه السفينه
التي هي الحركه من الارض الى الماء اما هي في حد اضطرار الماء الى حد سكون الارض وبينهما وكل من يمشي
على الارض يمشي على الملك والشهاده فاذا جاوزت قوته الى حد تقوى على ركوب السفينه كان بين مشي
في عالم الحروف فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينه بمشي في عالم الملكوت من غير متابع فاذا كنت
لا تقدر على المشي على الماء فاصرف مقدار جاوزت الارض وركوب السفينه وابق بين يدي ربك الا الى الصافي
واول عالم الملكوت مشاهده القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحفي عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء الماء على انه يمشي على الماء
فقال السالك قد حررت في امري واستمع قبلي حرفا ما وصفته من خطر الطريق ولست
ادري اطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامه فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء
عينك وحدقه نحوي فاظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فتسبه ان يكون اهلا
هذا الطريق فاذا جاوز علم الحروف وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم
اما تري ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول مره كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله اقرأ باسم ربك الذي
خلق الى قوله وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته
فوالله ما اري قصبا ولا حبرا ولا اعلم قلما الا الذي ذكرت لي فقال العلم لقد ابعدت البغيه اما سمعت ما ساع
الليب بتبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الذوات ولا كلامه سائر الكلام
ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهيه من عالم الملكوت فليس الله تعالى ذاته لجسم ولا هو في مكان
خلاف غيره وكاتبه لجم ولا عظم ولا دم بخلاف الايدي والكلمه من نصب ولا جوهه من حنب ولا كلامه بصوت
وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا راح وعصف فاذا كنت لا تشاهد هذا فما ادراك الا محسابين فحوله
التنزيه وانونه التشبيه مزيد بين هذا وذلك الى الهاوية الا الى الهوا فكيف بزهيد انه تعالى
وصفاته عن الاجسام وصفاتها وتنزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واختزنت موقعه بيده
وقلمه ولوحه وخطه فاذا كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق آدم على صورته الصوره الظاهره المدركه
بالبصر فكن منها مطلقا كما تقال كريم يهودي اصفرا والاقلف يا الغراه وان فهمت منه
الصوره الباطنه التي يدرك بالبصيره الباطنه فاذا كنت قد تجردت من مقدس الخلوا واطو الطريق فانك
بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى لعلك تحد على النار هدى ولعلك من سراداقات القربى تنادى
يا موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استمع عصفور نفسه واذنه فحنت
في التشبيه واذنه فاستعل قلبه نارا من حذره عضه على نفسه لما راها تغير النفس ولقد كاد زيته
الذي مشكاه قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم الذي اشتعل زيته فاضيء
نورا على نور فقال له العلم اعلم ان هذه الفرصه واسعه فاصرف بصرك فلعلك تحد على هذه النار هدى فصح
بصره فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم اصناف العلوم وكان له في كل
قلب راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلها اصناف العلوم وكان له في كل
قلب راس ولا راس له فقبض منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق
ما كنت به عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا اقلام فعندها ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي
عندك ومر اذن لك وانا عازم على السفر الى حضره القلم فاسأله عن شانه فسار اليه وقال ايها القلم
ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى تحاصر القدر وصرفها الى المقدورات
فقال القلم ما رأيت في عالم الملك والشهاده وسمعته من جواب القلم اذ سالته فاجابك
على البديهه فقال السائل فقال نجواي مثل جواب القلم كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت
ان الله خلق آدم على صورته قال بلى قال فاسأل عن ثنائي الملقب بسيد الملك فاني قبضته هو الذي يردد في واما
معقور مسخ ظاهر وباطنه الهي وقلم الادمي في معنى التسخير واما القرون في ظاهر الصورة فقال ومن هو
الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال بلى قال القلم ايضا في قبضه يمينه
هو الذي يردد فاصار السالك من عنده الى اليمن حتى شاهده ورأى من عجايبه ما يزيد على عجايب القلم
ولا يجوز وصف شيء دون شيء ولا شرحه بل لا يجري تحت دائرة كثيرة عشر عشير وصفه والجمله فيه

انه من لا كالا يمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع ذراع القلم محركا في قبضته فظهر له
عذر القلم فسأل القلم عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي وابتها في عالم الشهاده
وهو للوجه الله على القدره اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدره كالجاله فسار السالك الى
عالم القدره فراى فيه من العجايب ما اسقط عندها ما قبل ذلك فسألها عن قبض اليمين فقالت انما
انا صفه فسأل القلم راد الصفه على الموصوفات لا على الصفات وعندها فاكاد ان يربع ويطلق
ما في حراه لسان السؤال منتب بالقول البات ونودي من وراء الحجاب سر اد فاتك الحفره لا يسأل عما تفعل وهم يسألون
فغشيته هيبة الحضره فرصعقا تضطرب في غشيته مده فلما افاق قال السالك ما اعظم شانك
تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بك ايك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخافك ولا ارجوا
سواك ولا اعود الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا اليك ما تضرع الباك
وابتهل بين يديك فاقول اسرح صدري لا عرفك واحلل عقده من لساني لا يفقهوا قولي فنودي من وراء الحجاب
اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبيا بل ارجع اليه فما اتاك به فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله
فعله فانه ما راد في هذه الحضره على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال الهي اليك يرجع اللسان حيراه على الثناء عليك فقل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تعطها
رئاسة الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتده فان اصحاب سيد الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
كالنجوم بايهم اقتديت اهتديت اما سمعت بقول البحر عز درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا
من حضرتنا ان تعرفنا بك محدودا عن خضرتنا عاجزا عن ما احطه حيالنا وحيلا لنا فعند هذا رجع السالك
واعتذر عن اسوء لته ومعايباته وقال للعلم والقلم والعلم والاراده والقدره وما بعدها اقبلوا
عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشه فما كان ذلك
عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم واني اكتفي لحل المقود بالملك والملكوت
واتعزز هو الحروف هو الواحد القهار فما اسمع الا سمع وزن لفظ حضره وقدرته مردودة في قبضته وهو
الاول والاخر وهو الظاهر والباطن فاذا ذكرت ذلك في عالم الشهاده استبعد ذلك منه وقيل له كيف
يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متضادان وكيف يكون هو الظاهر والباطن الاول ليس
باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول لاضافته الى الوجود اذ هو صدر منه الكل على ترتيبه واحدا
بعد واحد وهو الاخر باضافته الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون منتقلين من منزل الى منزل الى ان
ينتهوا اليها الباك الحضره فيكون ذلك اخر السفر فهو اخرهم والمشاهده اول الوجود وهو باطن باضافته
الى العاكفين في عالم الشهاده الطالبة لادراكه فالحواس الخمس ظاهره باضافته الى من يطلبه والسراج
الذي يشعل في قلبه بالبصيره الباطنه الناقده في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق
التوحيد في العلم اعني من انكشف له ان الباء على واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد
الى انه يقتضي على الايمان بعالم الملكوت فما معرفه ذلك وتحديده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا
علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمكه لعالم الحيوت وهم الذين حصروا
العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدره والاراده والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولا رموا حضيض
عالم الشهاده فان قال انا اسمعهم فانا اهتدي الى عالم الشهاده بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال
انكارك لما شاهدناه مماورا الحواس الخمس كانكار السوفسطايه للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه
لا يسوغ ان نعلم ما نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص
فاسد مزاجه واصنع بلاحه مبرسك فان كان مرضه يقدر على علاجه الا طبا فهذا حكم الجاحد
واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق اقناعه ان يطهر قلبه اولا عن جميع ما شاهد عالم الملكوت فان وجدوها
صحيحة في الاصل وقد تزل فيها ما اسود بعد ان اراله استعملوا ما رأته وتنبيه استعمال الكحال
للابصار الظاهره ماذا استوى بصره ارتد الى الطريق لسلوكه كما قيل ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجواسيس اصحابه وان كان غير قابل للعلاج لم يمكنه ان يسلك السبل التي كرناه
في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذات الملك والملكوت بمشاهده التوحيد كلموه لجرف
وصوت ورددوا ذروه التوحيد الى حضض فهمه فان في عالم الشهاده ايضا توحيدا اذ بعلمك الاعم
ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بامير فقال له على حد عقله اله العالم واحد والامر واحد
اذ لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا فيكون ذلك على دون ما رأيته في عالم الشهاده فسيرس اعتقاد
التوحيد في قلبه بهذا الطريق الذي لا يقدر عليه وقد كلف الانبيا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم
ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا
التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون دعاء الى التوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد ظاهر

وهذا كله شرك في التوحيد وجهل لحقايق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قل معناه انهم يتولون لو لم اسوا
الريح لما نجوا ومن ان كشف لهم امر العلم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه
ما لم يحرك وكذلك كشيء متحرك وهكذا الى ان ينتهي الامر الى المحرك الاول الذي ما تحرك له وما هو متحرك بنفسه
فالتقاف الصدر في الجاه الى الريح بمضاهي التقاف من اخذ ليخبز رقيقه فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه
وخلصه فاخذ يسهل بتركي الخبز والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا الفلم
لما خلصت هيري لجانه من القلم لا من محرك القلم هو عالم ان القلم لا يحكم له في نفسه
وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرجه الجاه
وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالتسمير والقهر والحكم والظهر
والعلم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخير القلم في يد الكاتب بل هذا
مثل حقيقة كاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتبنا التوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا الكشف لك ان جميع ما في الحيوانات والارض مسخر
على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خايبا وايس عن مزح توحيدك بهذا الشرك عنانيك
في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف يمكن
الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك
وهذا الشخص هو الذي يجر رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء جر رقبتك وان شاء
عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك وتشاهد فيه
ويقول لي انصافا ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له
وعند هذا زال اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين
فشاهدوا بنور البصايرة كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهدوا جميع الصنعاكون
القلم مسخرا وعلموا ان غلط الصنعاء في ذلك كغلط البله مثلا ولو كانت تدب على الكاغد
فرات اسم القلم بسود الكاغد ولم يقصد بصورها الى الصانع الكاتب ويده فضلا عن صلاح
اليد لغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم الصغير
حد قمتها فكذلك من لم يشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات
والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل يحجز بل
ارباب القلوب والمشاهدات فد از لطف الله في حق كل ذره في الارض والسموات تقدر ربه التي تبها انطق
كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق بكلمة
بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الا من شرح الله سمعه ولو لم يسمعه الظاهر الذي الجار والاصوات
فان الجار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه السامع وانما يريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف
ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان جلت هذه العجوبة لانها العقل فصف لي كيفيه
تلفظها وانها كيف تلفظ وكيف سمعت وقدست وكيف ستدرك على انفسها
يا ايها العاجز عاجلا ان كل ذره في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا يحصر
وانما هي فانها كلمات مسخرة من يحي كلام الله الذي لا يفنى به له ولو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا انها مناجاة باسرار الملك والملكوت
وافشاء السر لوح بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط ماما على اسرار الملك
قد نوجي لحفايا به فنادى بسره على الملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجال امانات فليلا ما يصحب كتم الاسرار يريد كرد لك يكتم حتى يسكون
ويتصاغر ولما نهي عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر
فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذن
عن كتابة مناجات ذوات الملك والملكوت لغلوب ارباب المشاهدات ما فان احدهما
استحاله افشاء السر والثاني خروج كلما نهي عن الحصول والنهاية ولكنا في المثال الذي كافحه
وهو حركة القلم بحكم مناجاتها قدر ما يفهمه على الاجمال كفيه ايضا التوكل
عليه ورد كلماتها الى الحروف والاصوات ان ابيتم خروجها عن محاورة راس القلم الصغير
التفهم فمعول البعض الناظرين عن مشكاة نور الله لكل احد وقدر اداه اسود وجهه

بالحبر ما مالك اسود وجهك بالحبر ما بال وجهك كان البيض مترقما فالان تظهر
عليه السواد فلم اسود تم جهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما اضعفني في هذه المطالبه
فاني ما سودت وجهي بعقلي ولكن بسل الحبر فانه كان مجموعا في المحبره التي هي مسفره وطنه
مسافرا في وطنه وبئر ساحته وجهي طلما وعدوانا فقال اصدقت فسل الحبر عن ذلك فقال ما انصفني
فاني كنت في المحبره وادعا ساكنا عارما على ان ارح منها فاعتدي علي القلم بطمعه الفاسد
والتقطني من وطني واحلالي من بلدي وفرح جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فاسود علي
فقال اصدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وتعديه والخراج الحبر عن وطنه فقال اسل اليد والاصابع
التي كتب قصصنا بنا على بسط الانهار مترهايين حضره الاشجار فاني اليد بسكين فازالت
عني فتري وعرفت علي بناني واقلعني من اصلي ثم قصلت بين انا مبي ثم برى وسقف راسي ثم غمستني
في سواد الحبر ومرارته وهودي يستحدمني ويمسنني على فمه راسي ملقد بترف الملح على جرح بسنوالك
وغالبا فتح عيني وسل من فجري ثم سال اليد عن ظلمها للقلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت
اليدها انا الاجلم وعظم ودم وهل رايت لجمادا يظلم او حيوانا يحرك نفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس
يقال له القدره والقوه وهي التي تردني وتجول بي في نواحي الارض اما تري المدر والحجر والشجر كيف
مكانه ولا يحرك نفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما تري ابدي الموتى تساوي
في صوره اللحم والعظم والدم لا معاملة منها وبين العلم عاما ايضا من حيث انه لا معاملة بيني وبين العلم
فسال القدره عن شاني فاني مركب اجري من ركبني فقال صدقت ثم سال القدره عن ساقها في استعمالها
اليد واستخدامها وكثره تردادها لها فقالت دعك عنك لومي ومعايبتي فكم من لائم ملوم وكم من
ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت لما كلفها وقد كنت بها راكبه
قبل التحريك وما كنت اجريها والسبح بها بل كنت نايبه مناب نومالحي طاوعتها اتي منهه
او معدومه لا بتي ما كنت اتحرك ولا اتحرك حتى تحركني ولا ذهبني الا ما نراه مني فكانت
لي قوه على مساعدته ولم تكن لي قوه على مخالفته وهذا الوكل يسمي الارادة ولا اعرفه الا باسمه ونعرفه
وصياله اذا رجعي من عمره النوم وذهبني الى ماكان به مشغولا عنه لو خلاني وراي فقال صدقت
ثم سال الارادة ما الذي حراك على هذه القدره الساكته المطمئنه حتى صرفتها الى التحريك وذهبتها
اليه اذهابا فانا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تجعل علي ملعلا فانا عذرا وانت ملوم فاني ما
انهضت بقسري ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم ظاهر وامر جازم وقد كنت
ساكنة قبل تحريكه ولكن ورد علي من حضره القلب رسول العلم على لسان العقل بالاستحاض للقدره فانهضتها
باضطرار فاني مسكين مسخر تحيت قهر العلم والعقل لا ادري باي خرم وفتق علي تحيت له والزمت
طاعته لكني ادري اني ذو دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل الا القالم
وقد وقفت عليه وقفا والزمت على طاعته الزاما بل لا بقي لي معه مهما جرم حكمه طاعة علي المخالفه
لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنه لكن مع استعداد واستظهار
لحكمه ماذا الجزم حكمه انزعجت بطبع وقهرت بطاعته واستحصت القدره لتقوم بموجب حكمه
فسل العلم عن شاني ودع عني عنابك فاني بمهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا افارقهم فارقوا الحلوم هم
فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على اسمحاضهم الاراده
وترشيحها لاستحضار القدره فقال العقل اما انا فسراج ما استعلت بشيء ولكني اشعلت وقال
القلب اما انا فلوح ما انبسطت ولكني بسطت وقال العلم اما انا فنير نفست في بياض لوح القلب
لما اسرج سراج العقل وما انبطحت بنفسي فكان هذا اللوح قبل حاكما عني فسل العالم عني فان الخط
لا يكون الا بالعلم فعند هذا اشتغل السابل بتفهم جوابه وقال فلما فرغنا من هذا الطريق وكنت
مشارا لي وانا لا الخيلي من طعن في معرفته بعد العلم الا مرفه على غيره ولكني قد كنت اطلب
نفسا بكثره التردد اذا كنت اسمع كلاما مفهوما في العواد وعدد الظاهر في دفع السر الخاص
فوالك اني خط ونصبح اما خطني فاعلمت انفهمه اني اعلم قلما الامر القصب والاوجا الامر العلم او الحت
والاخط الا بالحبر وانا سراجا الامر السارق واني اسمع في هذا المنزل حديثا للوح والسراج والخط
والقلم ولا اشاهد من ذلك شيا اسمع جعجعه ولا اري طحنا فقال له العلم ان صدقت فما لك نضاختك
مرجانه وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان الملك الطريق الذي توجهت اليه كثيره
فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فانا هذا بعينك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له
وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالي سمعك وانت تشهد واعلم ان العوالم في ركبك
هذا ملئه عالم الملك والشهاده اهلها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم

لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد
قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزل
من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين وهو في معالي الدرجات المقربين وهو في نفسه عامض من حيث
العلم هو سامق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها
سرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب
من غير ان يرى اسبابا بعيد في وجه العقل والشرع وانتفاء من غير الجهل ومحض معنى التوكل على وجه
يوافق مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية العموض والعسر ولا يتوى على كشف هذا
الغطاء مع سدة هذا الجناب الا اساسدة العلماء الذين اكملهم الله من فضله بانوار الجلال وابصرهم
وحققهم بتطهيرا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استطاعوا ونحن الان نشير بذكر فضيلة التوكل
على سبيل العقد ثم نردفه بالتوحيد في السطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل
وعمله في السطر الثاني ان شاء الله بيان فضيله التوكل اما من الايات فقول
الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى انا لله فليتوكل المتوكلون واعظم مقام موسوم بمحبة الله
تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه ممن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز
الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يعدو ولا يحجب وقد قال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب
الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سؤال في معرض استطاف
بالحق كفوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل
على الله فان الله عزيز حكيم ابى عز من توكل عليه ان يستجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى كنفه
وحكم لا يقصر عز من توكل عليه وقال تعالى ان الذين عند الله عباد امثالكم
فان ادعوا ان عباد الله تعالى عبيد مسخرة حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال تعالى
ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى وعلى الله
التوكل في الاخرة لكن المنافقين لا يعلمون وقال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه
ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد
القهار واما الاخبار فقال صلى الله عليه وسلم مما رواه ابن مسعود رضي الله عنه
اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيبتهم فقيل لي
ارضيت فقلت نعم فقال مع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فيهم يا رسول الله فقال
الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن
فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة
اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك
بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه
الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة وتلا هذه
الاية وقال تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وسلم لو توكل
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وروي ان جبريل ابا ابرهيم وقذفه الى النار من المنجنيق الذي جاءه
فقال اما اليك فلا وقال فتوكل حسبنا الله ونعم الوكيل اذ قال له ذلك حرا لجد اير في به فاوحى
الله تعالى الى الجبال يا داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا
واما الاثار فقال سعيد بن جبير لدغني عقرب فاسترقيت فلم يسترقوا فاتاني الراقي يريد
الذي لدغ وقرا الخواص قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه الى اخرها فقال ما منعني ان
ارقيك الا هذه الاية ان يجيء الى الحد عشر الله وقيل لبعض العلماء في منامه ما فعل بك ربك فقال
بعض العلماء اسعد لك المصير لك من الرزق المقسوم عليك من العمل فمتضع امرا خرك ولا تنال
من الدنيا الا ما قدر كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب الله على

ولا جهد فان كل من ابتغى بالله استغنى به ولم يستغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى
بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعلى قدرها واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره
بعض الزهد ففي الدنيا ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعائه ادم عليه السلام اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام العارفين ومن شغل بربه
شغل عن نفسه وهذا مقام الصادقين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول
ان يشغل بعقله وعلمه ليستغني عن الناس ومن الوجود والعدم وان يسأل الله مساكة ظلا
من المال على مقدر زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان كان داود الطائي زاهدا قال اي نعم
وقلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشر سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك
الدانير قال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد فاراد الحقيقة العالية فان الزهد ليس له غاية لكنه
حقائق تتفاوت وابتدا الزهد الاباة الزهد في جمعها فكل من ترك من الدنيا ما سامع القدرة عليه
خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى
لا يوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فسال الله ان يرزقه ما من ميراثه فصبا وان خلد فان
امثالنا لا يستجرى على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تعالى غير مادون فيه
واذا الاحظنا عجائب نعم الله علينا علمنا ان الله لا يعاطينا شيئا الا بعد ان نقطع السؤال اعتمادا على الجود
المجاور لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء العين والحجر والعز والذل والمدح والذم وذلك
لعلمه الانس بالله وسنقرع عن هذه العلامات علامات فاخر لا يمكنه مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي
من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي ولا يطلبها فاذا اعسر سئل وقال الجنيد سيد
معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك
وقال ايضا الزهد ترك الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوفي علم من اعلام الزهد
ان لا يلبس صوفا ثمنه درهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان
علامة الزهد قصر الامل وقال سري لا يطيب عيش الزاهد اذا استغل عن نفسه ولا يطيب عيش
العارف اذا استغل بنفسه وقال النصرابادي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة
وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا اخلاص وقول بلا ورع وعز بلا رياسة وقال ايضا
الزاهد سيعطك الحلو والحامض والعارف يمنعك المر والعسير وقال له رجل منا وهل
جانوب التوكل والبس ردا الزهد واقعد مع الزاهد بن قال لا اصرف من ربا ضك لنفسك
في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ليلة ايام لم تضعف في نفسك فاما اذا بلغ هذه
الرتبة فجلوسك على بساط الزاهد بن جهل لا من عليه ان ينفض وقال ايضا الدنيا كالعروس
ومن يطلبها ما تسطيعها والزاهد فيها يسعى وجهها ويتنف شعرها ويخرق ثوبها والعارف
يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت اليها وقال الكرخي مارست كل شيء من امر الزهد فملت منه ما اريد
الا الزهد في الناس فاني لم الطفه وقال الفضيل حبب الله الى ثلاثة ترك كلفة في بيت وجعل
مفتاحه حب الدنيا وجعل الخمر كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وهذا مما يدل على ان ترك الخمر
من جملة الزهد واحكامه واذ كان الزهد بابا من ابواب التوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله

آخر كتاب الزهد والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر

الحمد لله المبدئ الملك القدوس المنفرد بالعز والجبروت الرافع للسماء بغير عماد
المقدر فيها ارزاق العباد الذي وصف نفسه في قلوب اوليائه بما احاطه الوساوس والاسباب
الى هذه الاسباب ورفع همومهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلا يعبدون
الا اياه على بابه التوحيد الفرد الصمد الاله الواحد الجامع اصناف الخلق عباد امثالهم لا ينبغي
عندهم الرزق وانه ما من دابة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما علموا انه

فالخلاف حسن البناء بان يكون من الحجر والقصب او بالطين والآجر والخلاف قدره السعة والضيق
والخلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستعارا او للزهد مدخل في جمع
ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا سبيل الى الحاق حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا الله الذي
ما جاوز ذلك فهو مذاد للدين والعرض ممسك دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي وقد الرجلين
فيه معلوم وما زاد عليه يعلم من الفصول الفصول كلها من الدنيا وطالبا لفضول الدنيا لعبد من الزهد
جزاء وقد نزل اولئك طهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدبير والتشييد يعني بالتدبير
كف دروب الباب فانها كانت تسد بسداد او التشييد رفع البيوت بالجص والآجر وانما كانوا يعلون بالجص الجديد
وقد جاء الاثر بالي السارية ما زيد شيء فيها فهو كما توسي البرود الى اهله وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم العباس ان يهدم مرقبة كانت قد علا بنيانها ومر عليه السلام الحديد وبعلاه فقال المزهد ما قالوا
لو كان ملك الموت اجله كان يعجل عليه كما كان يعجل الرجل اصحابه عن تعبير وجهه
صلى الله عليه وسلم ما خبر فذهب فهدم بها ممر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها
فذكر له الخبر وقال الحمد لله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد سوءا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر
مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا يا عبد الله فقلنا قد وهى فقال ما ارى الامر
اعجل من ذلك والحدوج عليه السلام بنيا من قصب فمر عليه فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا عبد كثير لم يمت وقال الحسن
دخلنا على صفوان بن محرز وهو يبني من قصب فقال لو اصلحته فقال كلكم من رجل قد
مات هذا همه على حائله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة
وفي الحكم يعقبه العبد يوجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء
وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما لا كن من حر او برد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي بنى بالجص
اليه صنع منزله اسبغ في السماك الجنة وتطرح رضي الله عنه في طريق السلام الى صرح قد بني
بجص واجر فقال ما كنت اظن ان يكون هذا في هذه الامة من بنى بنيانا امان ذرعون يعني
مولد ذرعون فقد بنى بها امان على الطين يعني به الآجر وبقال الزرعون هو اول من بنى له بالجص والآجر
واول من عمله هامان وسمعا الحجارة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار
مثال اذا رأيت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف رأيته مبنيا من رهو فرع رأيته الان مبنيا
بالنبن فان كان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهو فاصحاب الرهو خير من اصحاب اللبن
وكان في السلف من بنى داره مرارا فمده عمره لضعفه بانه وقصر امله وزهده في احكام البنيان
وكان معهم من اذا حج او غزا نزع سبته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاد وكان يوبهم
من الجلود والحشيش وهي عادة العرب الان بلادا لهم وكان ارفاع بنا السلف قامه وسيطه
قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت سقفها بيدي فاسقف وقال
عمرو بن دينار اذا علا العبد الناس فهو سيده اذرع فاداه ملك الى النار افسق الناس وقد نهى سفيان
عن النظر الى بنيان مشيد وقال لو انظر الناس كما سيدوه ما نظر معنى عليه وقال افضل الزهد
مني ترك ولكن لم احب ان نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رأى قوم يرفعون الطين ويصعدون الدين
ويسعلون البراذين ويطيلون الى قبلتكم وهو من علامات يدي عز وجل يعني بالمهدم الرابع اباب
البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها ما قال عيسى عليه السلام اذا كان لاحدكم الا مسط وكوز
فرأى انسانا يمسط لحيته بما جامعه وفي المسطر اي اخير يشرب من الجرة بكفه وفي الكوز
وقد احتكر كل اناء فانه انما يراد للمقصود فاذا استغنى عنه فهو بالنسبة الزهاد الاخرة
وما لا يستغنى عنه فمقصر فيه على قدر الرجاء وهو الحرف وهو كل ما يكفي فيه الحرف والاهالي
بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود تحصل به واوسطها ان يكون له اناء بقدر الحاجة
صحيح نفسه لكن مستعمل الاله الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يثرد فيها ويأكل فيها
ويحيط الماء فيها وكان السلف يستحبون استعمال الاله واحدة في اشياء التخفيف واعلاها ان يكون له
بعدد كل حاجة الا من الجنس الذي الخسيس فانه زائد في العدد او في نفاسة الجنس خارج عن جميع ابواب الزهد
وذكر الى طلب العضو ولنبطر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة اصحابه فقد كان شعاع
كان يجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وساده من اديم حشوها ليف وقال الفضل بن

عياض ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووساده من اديم حشوها ليف
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير موهو ليس بينه
وبين الارض الا الشريط فبكى حين رآه صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي
يبكيك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله
وصفوته وهذا عيبة علم يسر موهو بالشريط فقال اما ترضى يا عمر ان تكون لنا الدنيا ولنا الآخرة
فقال بلى يا رسول الله فعلا ذاك وذكر ذلك ودخل رجل على علي رضي الله عنه محمل بقطيفة بعيره فقال
يا ابا ذر ما ارى مع مالك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فيه
فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمر بيت
امير حمص على غير فقال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واحمل بها حاجتي ان لقيتها
ومعي جراب اجعل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها
ماء حبي فقال ما اراك بهذا بأس فكان بعد هذا من الدنيا فجمع لما معي فقال له صدقت رحمك الله وقدم
على ابي ذر وصي للصلاة فاكان بعد هذا من الدنيا فجمع لما معي فقال له صدقت رحمك الله وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا
وعلى اركانها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألته ابو رافع فقال ما ارجع الستر والسوارين فارسلتهما بهما الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
فقد صدقت بهما قصعتها حيث نرى فقال انطلق فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف
وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية اقد احسنت ورأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على باب منزل عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت
الدنيا ارسلي به الى العلان وفرضت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا حمرا وقد كان على
الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فقال لها اصبح قالت لها اعيدي العباءة المثلثة
وتخي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة وكذلك انه دثر بثوب خمسة او سبعة فنهيتها فنهر
ليلة حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنمت حتى سمعت غطيطه
ثم قال اما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الانصار ما احدهم الا وهو
وما وضع احدهم بينه وبين الارض توبا قط كان اذا اراد التوبة باشر الاربع بخيسه وحمل توبه فوقه
المهدم الخامس المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصل النكاح والى الزنية
واليه ذهب سهل بن عبد الله قال قدمت الى سيد الزاهدين السنا تكيف يزهد فيض من الله
ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان له اربع سنوة وبضع عشرة
سريه والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذا قال الكل ما شغلك عن الله من اهل او مال او ولد فهو
عليك مشئوم وان كان المراد قد يكون شاغلا عن الله وكيف الحق فيه انه قد يكون العزوبة افضل في بعض
الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون الكل
افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب وكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه الا
تركه وانى فعله ولكن ترك النكاح احوازا من مثل القلب الحر والاسر بحيث
يشغل عن ذكر الله ترك ذلك من الزهد وان علم ان المراة انشغله عن ذكر ولكن ترك
ذلك احوازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود
لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي في الاستمتاع هما هو من صورة
الوجود لا بصدد هذا الكتاب على المطلب والمقصد وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء
احوازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء ان ترك ذلك فواب بدنه فكذلك
في ترك النكاح انقطاع نسله فالجبران ترك النكاح زهد في لذته مع خوف فاقة اخرى وهذا
ما عناه سهل بحاله ولا حله ينكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا نسب هذا فمن حاله حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله
لزهده فيض حذرا من محرد له
يشغله كره النساء من
الكره مضرا بحال الم
الزهد في النساء ان كان

يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم
لن تقوموا بشكره ومن ذكر ناسيره الانبياء والسلف المطعم ربيع الممالك فلا تغره
ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قباء اتوه بشربة من لبن ممزوج بعسل فوضع القدح من يده وقال
اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى واتى علي رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل
فرد ساعة فقال اعرفوني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق من يرضى بما وجد ولباسه
ما ستر ومسكنه حنادر الدساكر والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن
حديثه والدنيا نفسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن سائقه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة
كلامه والتراب وساده والقوت زاده والصمت عنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعباد لله
والعبادة حرفته والحبة صلعته ارسانا الله المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يرفع الحر
والبرد وستر العوره وهو كما تنعطا به واوسطه قميص ومنديل ونعلان واعلاه ان يكون قميصه لمديل
وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز الزهد وشرط الزاهد ان يكون له ثوب يلبسه
اذا غسل ثوبه يلبس ثوبه العود في البيت فاذا صار صاحب قميص وسراويل ومنديل فقد خرج من جميع
ابواب الزهد هذا من حيث القدر واما الجنس فاعلاه المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه
القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقضاه ما يستر سوءته واعلاه ما يقي بردا حتى رفع بعضهم ثوبه بورق
البحر ولو كان بشارع الحفاف اليه واوسطه ما يمسك عليه تنهراوا ما يقاربه فطلب ما هي اكثر من سند
خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يقع ذلك تورعه ودوامه مع وجود
زيادة من ذلك فينبغي ان يقصد وبه ما امكنه لكن زاهد بالكان محبا للدنيا وليظر فيه الى احوال
الانبياء والصحابة كيف يروى الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا
فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يبعث نبيا الى
ما لبس وقال نبي الاسود العنسي لا البس مشهرا ابدا ولا انام ليلا على دثار ابدا ولا اركب على ما ثور ابدا
ولا املا جوفي من طعام ابدا فما لبث من سره ان نظر الى بعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليظر الى ع ون الاسود
وفي الحبر ما من عبد لبس ثوب شهره الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واسرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قميصه ثوبه عشرة وكان ازاره اربعة دارع ونصف
واسرى سراويل بثلثة دراهم وكان يلبس ثيابا يصاون من صوف وكانت تسمى هلة لانها ثوبان من
جنس واحد ورباكان يلبس كبرد يمانيين ادسجولبس من هذه العلاط وفي الجبر كان قميص رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس فبعثه
ما بايا دينار فكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا علينا من الجنة تحاكا وكان قد اهداه
اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسله الى رجل من المشركين
وصله به ثم رجع لبس الحبر والديباج وكان انما يلبسه اولا تاكيدا للتزع كما لبس خاتما من ذهب
يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في بيان من يره استتري منه فانها
فلما شطبه صعد صلى الله عليه وسلم للمنبر فحمد وكما اباح الصفة فلما تاخر جها قال كيد امر النكاح
وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال لعلي انظروا الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم
وايتوني بانجانيه يعني كساءه فاحضر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان تراك نعله قد اطلق
فابدا لبسير حديد فصلى فيه فلما سلم قال اعمدوا الى تراك احلوه وانيموا هذا الحديد عني فانه نظرت اليه في الصلاة
ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظره فرمى به وقال لعلي هذا اعجبكم نظره الي نظره الى الكوكب وكان
صلى الله عليه وسلم قد اهدي له حريرة فجعل يحكها باصبعه ويقلبها فتواضعت لذي حسبه
ان يمشي فرج بها فدعا بها الى اول مسكين راه وعن سعد بن سعيد قال رجعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حية صوف من صوف غنم وحملت جانبيها سرورا فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما انهاها قال فقام اليه
اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل سائلا يجابه قال قد وهبتها اليه وامر
ان يحاك له واحدة اخرى فاتت صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فاطمة وهي تبكي بالدموع على احد ابنيها فنظر اليها فبكى وقال يا فاطمة بجري دموع ارواه الدنيا
لنعيم الابد فانزل الله عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم من خيار امتي فتيا ابناء الملاء
الاعلى وقوم يضحكون جهرا من سعته رجمه ويهم وسكوت سرا من خوف عذابه هو وسيم على الناس حميده
على السهل هم يفله يلبس ثوب الخلفاء ويتبع الدهماء احسامهم في الارض واقيد نهم عند العرش نهدة
كان سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وغيرها وصى امته عامة بايثاره اذ قال امرا حبشيا ملبسا
يسيرا عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى لذكر
لمجهول الذي انبعوني يحببكم الله واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة

وقال لها ازاردف اللجوف فياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص
عمر رضي الله عنه اثنا عشر رقعة بعضها من ادم واسترى علي كرم الله وجهه ثوبا بثلثة دراهم ولبسه
وهو الخلافة وقطع كمه من الرسغ وقال الحمد لله الذي هدا من بابسه وقال الثوري وغيره
السمن من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحركك عند الجهال وكان يقول البس الغليظ لتعرف واذا اصلي
فاذعه يجوز ويصير احد من انبياء الدنيا وعليه هذه البزة فما يقبله ولا ادعه يجوز وقال بعضهم
وقال بعضهم ثوب من ثوبي ويعلقه بدرهم وبع دوابين وقال ابن سيرين ما خلطت بالصوف فما لبس منها ما يشهرك
وشرها ما حمدته وقال بعض السلف البس من الثياب ما خلطت بالصوف فما لبس منها ما يشهرك
فنظر الملك وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله وهو ما يستر العوره وثوب للتعفف وهو ما
يطلب لينه وثوب للتابين وهو ما طلب حسنه وحسنه وقال بعضهم من روى به رد ديه وكان
جمهور العلماء من التابعين فمن بعدهم ما بين العشرين الى الثلاثين وكان الجواهر الملبس اكثر من قطعتين
قميص ومنديل وخفه ويعطف ذيله فمه على راسه وقال بعض السلف اول الشيك الذي في الحبر
البزاده من الايمان وفي الحبر من ترك ثوب جماله وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى واتباعا لوجهه
كان حقا على الله تعالى ان يزيد حزله من عفري الجنة في يحاف الباقوت واوحى الله الى بعض انبيائه
قل لولياي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكون توكما بهم اهوائي ونظر رافع بن خديج
الى بشير بن مروان على منبر الكوفة وهو يخطب فقال انظروا الى امير كم يخطب الناس وعليه ثياب الفساق
وكان عليه ثياب رقاق وعاتبه الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يكلمه في الزهد فوضع
ابو ذر راجله على قدمه وجعل يضرط به فعضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انه ضعيف نفسك
تكلم الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي كره الله وجهه ان الله عز وجل احذ على ائمة العدى
ان يكونوا مثل ادنى احوال الناس لفقير لم يعتري بهم العني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة
لباسه ما لها وادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال وقال ان عباد
الله ليسوا بالمسعفين وذوي فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشتكى جافيا فقيل له ائت الامير وتعلل هذا
فقال انما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نجفي اخفافنا وقال علي لعمر رضي الله عنهما
ازار دنانيك يا صاحبك فارفع القميص وتكسر الازار واحتفظ للعلو وكل دون الكعبين في النار وقال
عمر العلو لغوا واحتمشوا وابا كم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي كرم الله وجهه من تزيا
بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر اسرافا امتي الذين يسرفون في
الطعام والوان الثياب ويسرفون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ازره المومن الى انصاف
ساقيه ولا حناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامه
الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مراي او احمق
وقال الاوزاعي لباس الصوف من السنة وفي الحضر يدعه ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم
وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلك والجبن
فقال اكره ان اعود لهذا فقال ويحك نفسي او مرا فاسكت وقال ابو سليمان لما الخذ الله ابرهيم خليلا
اوحى اليه ان ازهد عن ربك من الارض وكان لا يعذر من كل شي الا احلا سوى السراويل فانه كان
يحذر سراويل من الشعر فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى ابا ابي عليه حال الا وعورته مستوره وقال السلمان الفارسي
مالك لا تلبس الحبر من الثياب فقال ارما للعبد والثوب الخشن فاذا اعوز فله والله يا ابا ابراهيم وعن
عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسها من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لقد
ادركت اقواما على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال
يحيى بن معين رايت ابا معويه الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلبسها فقلت له انك
تكسي احسن من هذا فقال اما ضرهما اصابهم في الدنيا خير الله لهم بالجنة كل مصيبه فجعل يحيى بن معين يحدث
بهذا ويبكي الجلد الثالث السكن ولكن هو فيه انضا لمنذ درجات اعلاها ان يطلب موضعا
خاصا لنفسه فيقع نزوا با السماء كاصحاب الصفه واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني
من سعف او حصر او ما شبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما سبا او اجارة فان كان في سعة المكان
على مور حاجته من غير زيادة ولم يكن منه ربنه لم اجز حبه هذا القدر فاذا جاوز الزهد فان طلب البيت
والقصر والسعة وارتفاع السقف اكثر من سنة او ورع فقد جاوز بالكلية حد الزهد فان السكن

على نفسه او على من كان في خاطره قال يحيى رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشاره الى الزهد
في الجاه خاصه وقال ابو سليمان الجوعي الزاهد في الدنيا هو الزهد في الخوف فقدر ما تملك من يملك كذري تملك
من الزهد وهذا اشاره الى الزهد في ستوره واجره ولعمري هو اعلى السهوات على الاكثرون هي المهمه لاكثر
السهوات وقال الفضل الزهد هو القناعه وهذا اشاره الى المال الجاصه وقال النوري الزهد هو قصر الامل
وهذا جامع لجميع السهوات فان من عمل الى السهوات لحرف نفسه بالقناعه فطول امله ومن قصر امله فكانه رغب
عن السهوات كلها وقال ابو سليمان الداراني اخرج بطلب الزهد وما قصد بهذا حدا الزهد ولكن حد التوكل
شرط في الزهد وقال ابو سليمان ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشاره الى الرزق وقال الاهل الحرب
الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنه وهذا ان اريد به الراي الفاسد
والمعقول الذي يطلب به الجاه والدنيا فهو صحيح ولكنه اشاره الى بعض اسباب الجاه خاصه فاما هو من
صول السهوات فان من العلوم ما لا فايده فيه في الاخره وقد طولوها حتى يقضي عن الانسان في الاسفار الواحد منها
فرط الزاهد ان يكون الفضول اولى من عوب عنده عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا علما افضل مني
ذهب الى الزهد هو الواضح وهذه اشاره الى نفي الجاه والنجح وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو
طلب الحلال وابن هذا من قول الزهد هو ترك الطلب كما قال ابو سليمان انما اراد به طلب الحلال
وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال يرجى ان يكون
باصل الزهد وفي الزهد افاويل اما ما نقلناه فلم نر في نقلها فايده فان من طلب كشف حقايق الامور من اقاويل
الناس راها مختلفه فلا يستفيد الا الحيره واما من ان كشف له الحق في نفسه وادركه بما شاهده من قلبه
يتحقق من جمعه وتفرقه الحق على قصور من قصر لقصور وصبر من صبر لصبره على اقصار من اقصر مع كمال المعرفه
لاقصار جاحه وهولاء كلهم اقصر والا لقصوره في البصيره ولكنهم ذكروا ما ذكروه
عند الجاجه فلا جرم ذكروه بقدر الجاجه والجاجات تختلف فلا جرم الكلام تختلف وقد يكون
سبب الاقصار الاخبار عن الحاله الراهنه التي هي مقام العبد في نفسه والاخر المختلف هذا هو الاحوال
المحيره عينا المختلفه واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا والصواب ان المختلف انما الجامع من هذه الاقوال الاكامل
في نفسه وان لم يكن فيه نقصا ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال ما سمعنا في الزهد كلاما اكثر
والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل امره وقال من ترويح او سافر في طلب المعيشه
او كتب لحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك حد الزهد وقرا ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله
بقلب سليم فالهو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال ايضا الزهد في الدنيا للفرغ قلوبهم من هم منها
لاخره فهذا بيان اقسام الزهد بالاضافه الى اصحاب المزهود فيه واما بالاضافه الى احكامه فينقسم الى
فرض ونفل وسلامه كما قاله ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والفضل هو الزهد في الحلال
والسلامه هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام
وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد فقال النقوى واما بالاضافه الى حقايق ما يتركه فثلاثه
فهو به للزهد فيه اذ لا بقاء به لما يمنع به القرع الخطرات والتفاوت وسايرا لحالات لا سيما حقايق الدنيا
فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسره العلما بدقايق الامور الظاهره ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاته
زهد عيسى عليه السلام اذ موسد حجرا في يومه فقال له الشيطان اما كنت تزعم ان الدنيا ما لا تدرك الا بالمال فقال
وما الذي يحتاج اليه قال موسدك الذي تنام عليه قال فرمى الحجر وقال خذه فيما
تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلبس الناس واسراره
حس اللمس سالته امه ان يلبس كما يلبس الناس فلبس جبه من صوف فعمل ما اوحى الله تعالى اليه فاتى اتربت على الدنيا
فلبس ثوب مسح وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد ان يبلغ من العدى الى ان يلبس ثوب صوف
وجلس عيسى عليه السلام في ظل حايط فمال ليستريح فقال له انسان ما فاتك يا روح الله فقال اتيت اباك افمنى الذي
لم يرض لي ان اتبع ظل الحايط فاذن درجات الزهد كما ذكرنا اعلاها الاحتراز عن الحرام واقل درجاته الزهد في كل شبهه
ومحظور وقال قوم الزهد في الحلال الا في الضروره والمحظور فليس ذلك من درجاته حتى يتم ما روي انه لم يشبع حلال
من اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الا ان فلت ما كان الصحيح هو ان الزهد ترك
ما سوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطه الناس ومكالمتهم
فكل ذلك استعمال لما سوى الله فاعلم ان معنى الاعراض عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه
دكرا وفكرا فلا يتصور ذلك الا مع البقاء والبقاء الا بضروريات القوت فما فضل عن الدنيا على دفع
المهلكات عن البدن كان عرضك الاستعانه بالبدن على العباده فلم تكن مستعملا لغير الله
فلا يتصور الى الاتى الا به فهو منه فالمستعمل بعلف الدابه وسقيها في طريق الحج ليس مرتاضا عن الحج

ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك وطريق الحج واعرض لك في بيع ناقتك بالدراهم
مانع حتى منعك منها وبيع المهلكات حتى سير بدنك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان يكون في صيانه
بدنك من الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن مقتصر
على قدر الضرورة وما يقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد
وان طلب ان التلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يفرغ قصدك التلذذ فان شارب
الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك
ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون الغلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح
في قيام الليل من نصب الاسحار واهوال الطهور ولكن اذا لم يقصد موضع لهذه الاستراحه فاتصيبه من ذلك
يعتبر قصده لا نفسه ولقد كان في الحايض من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خوفه من الاستراحه به
وانس القلب معه فيكون فيه انس الدنيا ويصير الانس بالله مقدورا ووقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود
الطايي له حب مكسور فكان لا يرتفعه من التمر ويشرب الماء الحار ويقول ليس وجد لذة الماء
البارد مسوغ عليه مفارقه الدنيا معه محاوفا المحاسن والخزف في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شافعا
فمدته وبيه والاحتياط سيره لتنعم على السالك لا سهل على اهل المعرفه الظاهر بالفهم نسياسه
الشرع المقتصين بعروه البقين ومعرفه المضاده التي بين الدنيا والدين فان بقدر ما يفضل الزهد
فيها هو من ضروريات الجاه اعلم ان الناس منهمكون في فضول والى فضول والمهم بالفضول كالخبز المسومه
مثلا اذ غالب الناس انما يشتهيها للتلذذ بها وهو قادر على المشي والمهمل للاكل والشرب ولسانا
يقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا يحصر وانما يحصر المهم الضروري والمهم انما يطرق اليه
فضول تقصد اره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور
المطعم والملبس والمسكن وآلاته والمنكح والمال والجاه طلب لاغراض هذه الستة من جملتها
وقد ذكرنا ما في الجاه وسبب حب الخلق وكيفيه الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات
ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة اما الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يسد
صلبه ولكن له طولا وعرضا فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فما اضافه
الى جمله العمر فان من يملك طعام يومه قد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله
واما طوله فلا يقتصر الامل وافل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر ما يسد الجوع عند شده الجوع
وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقبل يوما وله ما يتغدى به لم يدخر منه شيئا به ويعاده هو الدرجه العليا
الدرجه الثانيه ان يدخر لشهر او اربعين يوما والثالثه ان يدخر لسنه فقط وهذه
رتبه ضعفا الزهاد ومن اراد حرا كثر من ذلك فسمته زاهدا مجازا لا من اهل الزهد حقيقه واكثر من سنه
فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الا حد من ابدي الناس
كداود الطايي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها واتفقها في عشرين سنه فهذا الا يصاد اصل
الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه فالاضافه الى المقدار فاقل درجاته
في اليوم والليله نصف مد وسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في خصال
المساكين في الكفاره وما زاد ذلك فهو من اتساع البطن والاستعمال به ومن لم يقدر على الاقتصار
حتى يدخر له من الزهد في البطن نهيت واما الاضافه الى الجنس فاقله كما ما يوقف وقوت الخبز
من الحاله واوسطه خبز الشعير والذره واعلاه خبز البر مخول ما ذا ميزت الحاله او صار خبزا
فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوايله واما الادم فاقله الملح او البقل
والخل واوسطه الزيت او شيء من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع
مره او مرتين فان صار دايما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من اخر ابواب الزهد فلم يبق
صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافه الى الوقت فاقله في اليوم والليله مره وهو ان يكون
صايما واوسطه ان يصوم ويفطر ليله وليلا كل ليله ولا يشرب واعلاه منتهى الى ان يطوي
ثلثه ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات
ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في كيفيه زهدهم في المطاعم وترحمهم الادم قالت
عايشه رضي الله عنها كانت نايي لا يعرون ليله وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصباح ولا نار قيل لها فما كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقه والادم
وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك الخمار وليس الصوف ويسعل الحصوف ويلعق اصابعه
وياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وقال عيسى عليه السلام الجوع اول الزمن طيب
الفرد وسر تحبب الله له والنوم على المزابل مع الكلاب ظ[illegible] وقال الفضل بن عياض ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينه ثلثه ايام من خبز البر وكان عيسى عليه السلام يقول

طلب

وقال سهل لا يفلح العبد حتى لا يفرح بمدح الناس ولا يغتم بذمهم وحتى يستوي عنده الذهب والحجر وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لا يطول ثوبه ولا ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا وما امر في بيته بصفة طعام قط فاكل ان شاء الله وقال ابو الدرداء لو تعلمون ما انتم لاقون لما اكلتم طعاما على خدود ولا ادخرتم ذهبا ولا فضة ولخرجتم الى الصعدات تبكون الى الله ان يغفر لكم وقال ابو سليمان الزاهد ليس الزاهد من لا يملك شيئا وانما الزاهد من لا يملكه شيء وقال ابو سليمان ايضا الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقال ايضا الزهد ترك ما لا يعني وقال ايضا الزهد ترك ما يحجب القلب عن الله تعالى وقال ايضا الزهد ترك الراحة في الدنيا وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للدنيا وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للآخرة وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للنفس وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للقلب وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد

وقال ابو سليمان الزهد في الدنيا في ثلاثة اشياء في الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لا يطول ثوبه ولا ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا وما امر في بيته بصفة طعام قط فاكل ان شاء الله وقال ابو الدرداء لو تعلمون ما انتم لاقون لما اكلتم طعاما على خدود ولا ادخرتم ذهبا ولا فضة ولخرجتم الى الصعدات تبكون الى الله ان يغفر لكم وقال ابو سليمان الزاهد ليس الزاهد من لا يملك شيئا وانما الزاهد من لا يملكه شيء وقال ابو سليمان ايضا الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقال ايضا الزهد ترك ما لا يعني وقال ايضا الزهد ترك ما يحجب القلب عن الله تعالى وقال ايضا الزهد ترك الراحة في الدنيا وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للدنيا وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للآخرة وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للنفس وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للقلب وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد وقال ايضا الزهد ترك الدنيا للعبد

اعلم ان الزهد في الدنيا وهو لها مشتهى وطلبه اليها مايل بنفسه اليها ملتفت ولكنه وهي السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهى وطلبه اليها مايل بنفسه اليها ملتفت ولكنه لجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد وهو حزمي يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يزيد اما نفسه ثم كيسه او كيسه ثم نفسه في الطاعة والصبر على ما فاته والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه مشتهاته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة في كل او اكثر الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها لا اضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما حلالا درهمين فانه لا يسمى على ذلك وان كان محتاجا الى ابتغاء فضل ولكن هذا الزاهد يسمى لا محالة زاهدا ويلتفت اليه كما يرى الرابح المبيع ويلتفت اليه حتى كاد يكون محتاجا بنفسه ويزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لها هو اعلم ففر منه وهذا انقص من الدرجة الثانية وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى انه ترك شيئا اذ عرف قلة الدنيا الا شيء فيكون كمن ترك خرقة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ويرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خرقة بالاضافة الى الجوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وبه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد انما ترك الدنيا كمن ترك الخرقة بالجوهرة انما من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في شيء تكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال لطف انه يتكلم في الدنيا الا شيء ليس يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المشهورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من ضيعه عن باب الملك كلبة على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فتشغله بنفسه ويدخل الباب ويلتقرب عند الملك حتى يفوز بامره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما فاز بنائله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول فمن الباب مفتوح والجاه مرفوع والدنيا كلقمة خبز ازاحت فاقة وحال المضغ وقضى على القرب بالابتلاع ثم سعى بعقلها في المعدة ثم منها الى الثرى والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك القذر من تركها لنيل عز الملك كيف يليق بها وبنسبة الدنيا كلها اعني ما يملك الكل بحق منها وارفع ما به نسبة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ نسبة المتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا منتاهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كدر كان نسبتها الى الابد كنسبة ساعة الى عمر قصير ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة عرضة فاية نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لم يلتفت الزاهد الى زهده الا الى ما زهد فيه والملتفت الى ما زهد فيه لا لانه يراه شيئا معتدا به ويراه شيئا مع علمه بانه لا قصور معرفته فسيبقى بقصان الزهد بقصان المعرفة فهذا تفاوت في درجات الزهد وكل درجة من هذه انما تعلم درجات اذ بصر المزهد بخلافه ويتفاوت ايضا بخلاف قدر المشقة في الصبر وتلك درجات المعنى يزهد في قدر التفاته الى زهده واما التفات الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار وفي الخبر ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرفة لصدرت روا فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لواقعهم وامنوا من الحال الذي يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة وحبة من الجور والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فانهم وان تركوا الدنيا فما تركوا الا شيئا فانيا بالعدم والخلاص من الآلام طمعا في وجود دائم ونعيم سرمدي لا يخلو الدرجة الثالثة وهي العليا

ان لا يكون له رغبة

ان لا يكون لله رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والتقرب بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه واحدة وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله تعالى فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا ازهد الخير وهو العيار وفوق الناس الذين الله تعالى خاصة الامن عرفه وكما ان من عرف الدنيا وعرف قدرها وعلم انها لا تقدر على الجمع بينها وبين محبة الله تعالى فكذلك من عرف الله وعرفه النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين السعي بالجور العمر والنظر الى نفس القصور وحفرة الانحدار غير ممكن فلا يحب الا الله ولا ينظر ولا يؤثر غيره ولا ينظر ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى ينفق لذة الحور والقصور ومتسع في ملوهم بل ملك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والانسان على اطراف الاصابع وما فات الملوك بالاضافة الى لذة الانبياء على عصفورة واللعب به والطائرون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعصفور الذاهب لذته الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللعب بالعصفور بعسة اعلى والزمن الاسد يطرق الملك على كافة الخلق واما اشتغاله بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على ما يليه قولا لا يستقل بنقلها وبراهينها لكن يشير الى كلام محيط بالفاصل حتى ينضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فيقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرع لاحاد الرعاع وبعضها اجمع للهمم اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد في نفسه حتى يزهد في زهده ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد كل صفة النقص فيها معه وهذا ايضا يحتمل جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والعفة والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابها اذ اليها يرجع جميع خيوط النقص وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدنيا والدين اذ الامور الثلاثة كثيرة اصنافها فمجمعها الدنيا والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فمرجع الى العلم والقدرة ولعني بالعلم كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب او معنى الجاه فهو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ فيه فكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى ابنه واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رددها في اية اخرى الى جملة معدودة الى العلم اما العلم الذي هو لذة الروح ونعيمه فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ثم رددها الى الكل الى واحدة في موضع اخر فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الى قوله والله عنده حسن المآب ثم رددها في موضع اخر الى الشهوة فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الى قوله ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رددها في موضع اخر الى المال فقال ان تتركوا خيرا الوصية للوالدين والاقربين ثم رددها في موضع اخر الى القدرة فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ثم رددها في موضع اخر الى الجاه فقال ورفعنا لك ذكرك فلا يخلو الزاهد عن خطوط النفس كلها ومهما غفل عن خطوط النفس رجع عن الدنيا والدنيا قصور املك لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الداعي اراده البقاء فمن اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا هذا وام ما هو موجود او ممكن في هذه الجملة فاذا زهد عنها لم يرد دوامها ولم يتمن بقاءها فلا يكون عليها عين البقاء فلو رأينا كتب علينا الفناء لوددنا اخرنا الى اجل قريب فعال على ملاهي الدنيا قليل اي لسهم يريد من البقاء الا لملاهي الدنيا فطوبى عند ذلك الزاهد وزاد الكشف جلاء الناظر تفاوتا اما الزاهد من الحور للهو فما ملوا من سماع الله تعالى يقول ويسارعون في الخيرات وكانوا اذا دعوا الى البقاء استعوذوا الى الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او سارعيه الشهادة وكان فرحات منهم على فراشه كانه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غزوت بنفسي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت البعير فلا نامت اعين الجبناء ومهما مات عند على حسرة كما زعامه فهو من انكار الحال اما حال رضي الله عنهم اجمعين واما المنافقون فيفرون من الزحف خوفا من الموت فمثل لهم ان الموت الذي يفرون منه ملاقيكم فايما رعهم على الشهادة اسد الذي هو اذني بالذي هو خير فاولئك الذين استروا الحياة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما الملهوون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم لم يكرموا بمعرفة عمر بن سنة فلا اولى ان لم يكرموا بمعرفة الابد الذي لا يتغير وانعم الذي لا يتكدر وانما يعرف هذا علم ان ما ذكره المتكلمون في ذم الزهد لم يشر ويه الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه وانما

الشرح فقال ان العبد اذا دخل القلب استرح له الصدر وانشرح فقيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام
وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا فانا نستحي قال ليس ذاك
لاستكون ومجنون ملآنا كلون فتراز ذلك تناقض الجواب من الله تعالى لما قدم عليه بعض الوفود وقالوا انا نرى
قال اوما علامة ايمانكم عندكم قالوا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بما قضى القضا وترك
الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه السلام انكم كذلك فلا تجمعوا مالا تاكلون ولا تبنوا مالا تسكنون
وانما نسوق فيما عنه ترجلون مجعل الزهد تكملة الايمان نصر وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخالط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه عكرم الله وجهه فقال بابي انت وامي
يا رسول الله ما الخالط بها غيرها صفه لنا فسيره لها فقال حب الدنيا طلبا لها وانيانا لها وهموم يعولون فيرزقون
الانبيا ومعاذ الله الحياء به فمن جاء بلا اله الا الله ليس يبقى شيء من ذنبه الا وجبت له الجنة وفي الخبر السحاب البغي لا يدخل النار
هو فرق التجافي الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا الدنيا حرمت من الله قربت من الجنة والجنة حرمت
من الله بعدت من الناس قربت من النار والتجافي عن الدنيا والتحاقي بالزهد والتباعد عن الناس هو الاعتزال
لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة
قلبه فانطق بها لسانه وعرفه كدا الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم
مر في اصحابه بعصافير حمر فجعلن يصحن فاخذ رجل منهن فجعلت امها تعرش عليه فقال من فجع هذه بفراخها
فجع الطير والذئب والوبر ولعظمها في ملكوت الله تعالى واذا العصافير طلبت قال فاعرض عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل يا رسول الله هذه العصافير اموالا بالا ننظر اليها فقال يقال الله تعالى
عزوجل لك ثم تلا قوله ولا تمدن عينيك الآية وروي مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله
الا نستطيع الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت
ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اختار جوع الدنيا على شبعها
وفقرها على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لم تنفع محمدا ولا آل محمد ما عائشة لان الله لم يرض
لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان كلفني فاكلفهم
فقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته وانى والله لاصبن كما صبروا واجهدن
واقوه الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه حمر في يخ عليه العسل وجاءت فالسه ابنته حفصه رضي الله عنها
البسر لين النباذا اذا فتحت عليك الوفود من الاماكن ومر يطعم بضعة طعام وبطعمه ويطعم من حضر فقال عمر
يا حفصه السنت تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال لها سوءتك الله هل علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبث ثلاثة ايام السوه كذا وكذا اوكذا سنة لم يشبع هو واهل بيته عدوة الا جاعوا عامئذ
واستعو عشية الا جاعوا عامئذ وناشدتك الله هل علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث السوه كذا
وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل علمت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرض عليه طعاما على مايده فيها اربعة فشق ذلك عليه حتى يعرفوه ثم امر بالمايده
فرفعت ووضع الطعام على الارض وناشدتك الله هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان ينام على عباءة متثنية فاثنت له اربع طاقات فقام عليها فلما استيقظ قال متعمتني قباء
الليلة بهذه العباءة انوها كما كنتم مثنوها وناشدتك الله هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يضع ثيابه لنغتسل فيها فيه بلال فيؤذنه بالصلاة فيقول توبا يخرج به الى الصلاة حتى نخف
ثيابه فيخرج فيها الى الصلاة وناشدتك الله هل علمت ان ابراهيم مر بخ طهر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كساء وازارا ورداء وتعبا به ما جدها قبل ان يلبسه الاخر فخرج الى الصلاة وهو متمايه لبس عليه غيره
قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فمار الحبل ابكاها ويكي عمر رضي الله عنه واسمع حتى طننا
ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة في هوانهم وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان
سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشها الشديد لعلي ادرك معهما
عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الرجل منا قبلكم يبتلى احدهم
بالفقر فلا يجد الا العباءة او كان احدهم ليتلبى بالقمل حتى يقتله القمل وكان احدهم يسر بذلك احب اليهم
من العطاء اليوم وعن ابن عباس قال الماء والملح وعن موسى عليه السلام ما مدين كان سعره البقل ترى في وجهه
من الهزال فهذا ما كان مراد اخباره انما الله ورسله وهم اعرف بحق الله بالله ويطرين الفوز الاخروه
وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال
صلى الله عليه وسلم تبا للدينار تبا للدرهم فعلمنا بها فانا لا نعلم كنز الذهب والفضة فاي شيء نتخذ
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر اخرته
وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله بثلاث لا يفارقونه
وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وامل لا يدرك ابدا

احب الله من يعرف وحثي يكون قلة التي احب اليه من كثيره وقال عيسى عليه السلام الدنيا فاطرحوها
فاعبروها ولا تعمروها وقال لله يا بني اسرائيل لو امرتما ان تبنوا بيتا بعدد الله فيه فعلا الا اذهبه فابنوا بيتا على الماء ففعلوا
كيف يستقيم بنا على الماء فقال وكيف يستقيم عابدة مع حب الدنيا وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان موسى
عرض عليه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فعلت لا يارب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع
فيه فاتضرع اليك واذكرك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه صعد على الصفا فقال له محمد عليك السلام والذي بعثك
بالحق ما اخرج الا يحمر كفه صوتي وانسفه دفتي فلم يدر كلامه باسرع من ان سمع هذه من السماء فقعقعه
فقال صلى الله عليه وسلم امر الله السماء ان تقوم فقالت لا والله لا اقوم حتى اسرافيل فنزل الملك فسمع كلامك
فقال له اسرافيل قال الله عز وجل يسمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان اجعل
ان يسير معك جبال تهامه ذهبا وفضة فعلت وان شئت ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى الي جبريل ان تواضع لله فقلت اريد فلما رفعت رأسي قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا
زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا احبك الله و
ازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اساق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف
من النار لها عن الشهوات ومن تهن عليه المصيبات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
وروي في عيسى وعن عيسى بن مريم صلوات الله عليهما اربع لا يدرك الا بهن الصمت وهو اول العبادة والتواضع
وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في مدح بعض الدنيا وذم جميعها يمكن فان الانبياء
ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة فالية يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وما اوردناه
كفاية وقد جاء في الاثر لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل اذا سألوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ
اخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم
ليس بها صادقين وعن بعض الصحابة قال يا بني اعمال كلها ظلم ترة امر الاخرة اطبع من زهد الدنيا
وقال بعض الصحابة لصدر الدنيا بعين انتم اكثر اعمالا واصحها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا والدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه
الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد وقال بلال بن سعد كلما زهد دنيا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا
ومن رغب فيها وقال رجل لسفيان ان ابني عالما زاهدا فما ادعو له فقال ادع له بحب ملك ضاله لا توجد وقال
وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها حمل البوابون يقولون وعزته ربنا لا يدخلها
احد قبل الزاهدين في الدنيا والعابثين للجنة وقال يوسف بن اسباط ان استهى من الله تعالى ملئت عجالا
ازا موت خير اموت وليس ملكي درهم ولا يكون علي دين واعطي فلم فاعطي ذلك كله وبروي ان بعض
الخلفا ارسل الى العتبي بجوايز فعلوها ارسل الى الفضل بصرة الف فلم يعلمها فقال له سوه قد فضل
العتبي فانت ترد علي عطائك هذه فبكى الفضل وقال الا ندروي فامثل وملك كمثل قوم كانت
لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت نحروها فقبل ان ينتفعوا بجلدها قال كذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني
موتوبا اهلي هو خير لكم من ان تبيحوا فضلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى ابن مريم عليه السلام
يلبس الشعر ويأكل البقل ويأتدم بالجوع وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اين ما ادركه المساء نام
وقالت امراة ابي جارم لابي جارم هذا الذي قد هجر علينا ولا يدخل في الطعام والثياب والحلي
فقال ابو جارم مالي اكلهن ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة
او النار وقيل للحسن لا تغسل قميصك قال الامراة تحل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حببت الي ربنا
تعالى اعطيه فلن يكشف للعبد اليقين حتى يرفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور
بالمدح فاذا فرح بالموجود فاتت حرمه واذا حزن على المفقود فاتت مصائبه واذا سر بالمدح فاتت معه والحب يخط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد
عليه خير لهذا واجب الى الله من عبادة المتعبد بن المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف
نعمه الله علينا فما صرفنا اكثر من نعمه فما صرفنا الا كانه الف الا معنى قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما يحمون مريضكم الطعام والشراب يحاذون عليه
واذا فهم هذا علم ان البخيل هو المانع المودي الى الصحة اكثر منه الى العطاء المودي الى السقم وكان
النوري يقول الدنيا دار النوايا دار اسمها ودار نوح لا تفرح فرحا ولم يحزن على شيء

المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا بعد ان يقدر على ترك بعض المباحات
دون بعض كما لا بعد ان يكف عن المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد
زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فان الزهد عبارة عن اعراض
عن الدنيا عبدا وردا الى الاخرة او عن غير الله تعالى عدوا الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما شرط في المرغوب
فيه ان يكون عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه لا يحال
وبالترك يليق زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءه الدنيا
راغمة فتركها اما انا فمهما ذا بهدف واما العالم الذي هو المتبصر لهذه الحال فهو العالم بكون المتروك حقيرا
بالاضافة الى الماخوذ كعالم التاجر بان الجوهر خير من البيع حتى يرغب فيه وما لم يحصل هذا العلم لا يتصور ان
تزول الرغبة عن البيع فلذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى لذ بهما خاطره وايقن بهما
وايقن كما يكون الجواهر خيرا من البلخ مثلا وهي ايقن كما يكون الجوهر ابقى من البلخ ولا يعسر
على مالك البلخ بيعه بالجواهر والالتفات عن امر الدنيا والاخرة فالدنيا كالبلخ الموضوع في الحفر
لا يزال في الدوران الى الافتراس والاخرة كالجوهر الذي لا فناء له فيقدر قوة الفقر والمعرفة
بالتفاوت بين الدنيا والاخرة يسهل الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من هوى بنفسه ببيع نفسه
وماله كما فعل الله تعالى بالذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
والحية فعال ما يستبشر به كالذي يا نعم به فليس بحاجز من العلم في الزهد الا الى هذا
القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه
ويقينه واما لاستيلاء الشهوة والخيال عليه وكونه مقهورا لها حتى تطارده اغترارا
بمواعيد الشيطان والتسويف يوما بعد يوم الى ان تخطف الموت وانبتق معه الاحسرة بعد الفوت
والى تعريف حاسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى فما متاع الدنيا قليل ولا تغتر بقلته فان الاخرة
الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على ان العلم
بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه والعالم بتصور الزهد انما معاوضة ورغبة عن مغبوب
وقد حث منه قال ط في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فعال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا تفعل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما تريها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها
حقيرة كما هي وكل محلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه
بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغبته عنه كما يرى خيرات الارض
مثلا انه مستغن عن الخسران وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى
الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه صفرا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى
نفاسة بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد
لا به بيع ومعاملة واسبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو
ترك البيع واخراجه من اليد واحد العوضين فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلية
وهي الدنيا بما سر هو جامع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويرتحل حبا لطاعات ويخرج
من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات
وما كان من سلم المبيع حلم باخذ الثمن جاء وفي شرط الجانبين الاخذ والترك فليس لمشتر
مبيعة الذي باع به فان الذي باعه هذا البيع وفي بالعهد عن اسلم جاء صابرا في غياب وسلم
الحاضر واضطبع في طلب الغائب سلم اليه الغائب خير فراغه من بيعه ان كان الغائب قد من يوثق بصدقه
وقدرته ووفائه بالعهد ودام بمسكه الدنيا لا يبيح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف
بالزهد في ابيهما بين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا
على يوسف حتى سقع فيه احدهم متروك وكاوصفهم انهم بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه
بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرج عن اليد بعض الدنيا
دون البعض فانما زهد فيما اخرج فقط ولم يزهد قطعا وان لم يكن لك مال ولم يساعدك الدنيا
لم يحصل زهدك ان لم تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما يسهو بك الشيطان بغرور
ويخيل اليك انه وان اتاك فانت زاهد فيه فلا تغتر بتسلي الخيال دون ان تظهر بموقف

هذا الله

من الله فانك اذا لم تجرب حال الفدرة ملا تامن بالغدرة على الترك عند هاتكم من ان يفسد
كراهة المعاصي عند تعذرها فلا تيسر له اسبابها من غير كراهة ولا خوف من الله وقع فيها واذا كان
هذا غرور القدرة في المحظورات فاياك وان تتوهم عدها في المباحات والموتى العليل ان يخبرها مرة بعد مرة في حال
القدرة فاذا وافت عاد عدت على الدوام مع اشقا الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان يتوهما ونوقا ما
ولكن يكون من نصرها ايضا على حذرها فانها سريعة الغضب للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان
منها الا عند الترك بالاضافة الى ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي الدنيا سمعت مدا ما يقول اهذا
ان الحائك لا يفتي في مسئلة الارث يعني في الحنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ان الحائك ام ما هو لكن
لكن اعلم ان الدنيا عدوة طالبة فهرب منها وهربت منا فطلبتنا فعاد ولذلك فالجميع المسلم على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما احببت دنيا ولو علمنا في اي محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
منهم يعني من الفقر ما لو علموا ما فيه من الخير لاحبوه كما احببتم انتم دنياكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذل المال على سبيل التجارة والقنوة وعلى سبيل استمالة القلوب
وعلى سبيل النفع بذلك كله من مجاميع العادات ولكن قد يدخل بسببه في العبادات وانما الزهد ان يترك
الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى ما عند الله تعالى واما كل نوع من الترك فانه يتصور من ما يرغب فيه
فلذلك نعرف حقيقة الزهد وقوته وضعفه وحسن حلوه وكيفية يكون زهدا اذ حب الذكر وميل القلوب من حظوظ
الاخرة العاجلة وهو الذي اهلك من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في الغرض ليس من الزهد فكذلك
ترك طمعا في الذكر والثناء والاستظهار بالقوة والسخاء واستمالة القلوب لما في حفظ المال من المشقة
والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استبدال حظ اخر للنفس بالزهد
من اسباب الدنيا واغنية عفوا صفوا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وانواع حظ
فتركها هو ما من ان يأنس بها فيكون انسه بغير الله وهي الما سوى الله ويكون مشركا في حب
الله تعالى غيره او تركها طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع بالدنيا طمعا في نيل الجنة
وترك التمتع بالسراباد والتسوار طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة
واشجارها وترك التزين والتجمل بالدنيا طمعا في زينة الجنة وترك الطعام اللذيذ طمعا
في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فاين في جميع ذلك ما وعد به
في الجنة على ان يسير له في الدنيا عفوا صفوا فعلم ان في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا لم يعما لا ثمنا ولا
لا جدوى لها في الاخرة فصل الزهد قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا فنسب الزهد الى العلم ووصفه بالعلم وهو
غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا اجاز في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن
الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب وقال تعالى واتمتعن عيشك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة وصف الكفار بذلك فعلم ان
المؤمن الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحياة الدنيا واما الاخبار الواردة منها في ذم الدنيا كثيرة
وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان
نقتصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه
الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له
ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال
الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك يقبل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى
ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال يا رسول الله اي الناس خير فقال
كل موصول محمود القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه
ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يبتغي الدنيا ويحب الاخرة ومفهوم هذا ان ترك الناس
الذي يحب الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا
للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومها ايضا ان يحب الدنيا
مبغوض لله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب فحيث كان الله فان صادفا قلبا فيه
الايمان فيها فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مومن حقا قال لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك
قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار كاني بعرش ربي بارزا فقال
صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الايمان قلبه فانظر كيف بدا الظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا
وقد ربه بالفكر وكيف زكاه صلى الله عليه وسلم اذ قال اعبد نور الله قلبه بالايمان وقد سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا

انعدعن الحاد وان الطعام مقدور في اليوم مذهو ما قدر له الشرع ونوعه ما هيات ولو كان السعر
والازدحام على الدواء فضة وقطعه بالكلية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسك فامله
ما لحرير من حيث المقدار وذلك من عشرة ثم اما السوال للزينة والتوسع فهو سوال عن ظفر غني واما
بالاضافة الى الاوقاف فالحاج اليه في الحال من طعام يوم وليله وثوب يلبسه وداوي يكنه ذلك اسئل
فيه فاما سوال المستقبل فهذا له ملك دخان احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه
الى اربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة وليقطع باز من فعه ما يكفيه له ولعياله
ان كان له عيال لسنة فسوال الحرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل القدر المحمود في الحديث فان
حمله دنيا سوء كفى المفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج
اليه قبل السنة فان كان قادرا على السوال ولا يمقوته فرصته فلا حرج له السوال الا به مستغن الحال
وربما لا يعين الى العذر فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه عذا ليوم وعسى الله يجعله يتنزل
الخير الذي ورد في القدير وان كان يمقوته فرصته السوال والحد من بعطيه لو اخر فيباح له
السوال الان المسئول هو بعد فصور باخير السوال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عن بغيته فان كان
خوف العجز عن السوال في المستقبل ضعيفا وكان ذلك لاجله السوال حاز جاعن محل الضرورة لم يحل سواله عن
كراهية وتكره كراهة شديدة حاز ضعف الاضطرار وخوف الفوت فتراجع المدة الى تيقن الحاجة
الى السوال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه مبنيا على ان الله عز وجل
قد تكفل له فكله وبعياله ان كان يسال كاحد من اخوته وكلما كان بغيته اقوى وبقينه بحاجة الرزق
في المستقبل اقوى قبا عنه بقوت الوقت اظهر فدرجة عند الله تعالى فلا يكون خوف الاستيلاء وقد سال الله تعالى
الله قوة يمسك لك ولعيالك الا من ضعف البغين والاضعاف الخوف الشيطان وقد سال الله تعالى
ملا الخاتم وخافوني ان كنتم مومنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسوال من الغنى الذي ابيح بالضرورة رجال من سوال الحاجة من اخيه
عن مومنه وان كان محتاج اليه في السنة اشد من حال من ملك ملايين وناوادخر لحاجته وراء السنة
وكلا هما مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن خبث الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بالله
بفضل الله وهذه الخلة من اعظم المهلكات بيان احوال السائلين كان بشر
رحمه الله يقول الفقر ان تمنعه فقير ا سال فان اعطى لم ياخذ فهذا مع الرجحانين في عليين وفقير ا سال
وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وغني سال عند الفاقة فهذا مع اصحاب اليمين فاذن هذا السوال كله على وجه السوال عند الفاقة خط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن
ادهم لسفيان بن عيينة حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم
ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بتركت السوال فقد اثنى عليهم غاية الثناء
فقال ابرهيم بن ادهم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له سفيان فكيف الفقراء عندك
يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فاقبل راسه وقال صدقت يا استاذ
فاذن درجات باب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسوال كثيرة فلا بد للسالك الطريق
الاخرة من معرفة اقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقي من حضيضها
الى بناءها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد حكى ان انسانا احسن تقويم ثم رد الى اسفل السافلين
ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفلي والعلي لا يقدر على الترقي قطعا وانما السالك فيمن عرف
ذلك فانه ربما يقدر عليه واربابا الاحوال قد يعلمهم حاله بعضي ان يكون السوال مزيد الهم في درجاتهم
ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال لسيا ت وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسن النوري
رحمه الله يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن فانا سنعطف ذلك وسنصحبه له فانه تائب الجنيد
فلما اخبر به قال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم اما سالهم ليتبهم من الاخرة
فيتوجه من حيث صيره وكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال يعضهم
يد المعطي هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والعدل الا لما ياخذه ثم قال الجنيد هذا ان كان المراد من معروفه
درهم ثم مضى فيصله والناس على المائدة ثم قال اعلمها اليه معلقا في بعض انما يوزن التي لتعرف مقداره
فحث فرحلط به بحمرا وهو رجاحكيم فاستحسن ارساله عند ذهبت يا لطوه الى النوري فقال
هذا المراد من معروفه وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك انت شيا واخذ هذا راد على الجنيد فقال

ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك انت شيا واخذ هذا راد على الجنيد فقال الفراد نحي فسالته
فقال الجنيد كم يريد ان ياخذ الجمل بطرفيه وزن الماية لقد ظلما الثواب الاخرة وطمع على فاقته
الا وزن لله عز وجل فاخذ منها كان لله تبارك وتعالى ورد ت ملاجعله لنفسه فقال فرد دتها الى الجنيد
فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الان كيف قلوبهم واجرهم وكيف خلصت
لله اجلالهم حتى كانوا نسيا منسيا هذا واحد قلب صاحبه من غير مناطقته بالسان ولكن بينا هذا القلوب
وساير الاسرار وذلك منبعه اكل الحلال وحلو القلب في حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه
الهمه فمن انكر ذلك قيل لخبرته طريقه فهو جاهل كمن ينكر منا كون الدوا مسهلا قبل شربه
ومن انكره بعد ان ظل الاجتهاد حتى ذاك محموده ولم يصل اليه انكر ذلك لغيره كان كمن شرب
السهل فلم يوافق جسمه خاصته لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدوا مسهلا هذا ان كان الجهل
دون الاول ولكنه ليس خاليا عن خطا واف من الجهل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظفر
له مثل ما ظفر لكنه صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين النفس واما رجل سلك الطريق واوصل
ولكنه لم يدرك وصوله فهذا صاحب علم النفس وان لم يكن واصلا الى علم النفس ولعلم النفس
ايضا ثمرة وان كان دون عين النفس ومن خلا عن علم النفس وعين النفس فهو خارج عن زمرة المومنين ونخرج
يوم القيامة في زمرة الجاحدين المنكرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واسراء الشياطين فسال
الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم الغائصين في امثاله كل من عند ربنا وما يتذكر الا اولوا الالباب
السطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد
وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان فضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث
وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد
في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ومنظر هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات
فان ابواب الايمان كلها كما قال السلف مرجع الى عقد وقول وعمل وكان الاصل لظهوره اقسم مقام
الحال الذي يظهر في الحال الباطن والاسلس للاول مرادا لنفسه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما
فلم يسم ايمانا والعلم هو النسب في الحال الذي يجري مجرى الثمرة والعلم يجري من الحال مجرى البيرة فلنذكر الحال مع
كلي طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما سمي زهدا وهو عباره عن انصراف الرغبة عن الشي الى ما هو
خير منه وكل من عدل من شي الى غيره مما وصفه وسع وغيره فانما عدل عنه لرغبته واما عدل الى غيره
لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه سمي زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه سمي رغبة
وحيثما فاذا استجمع حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه
ان يكون زائفا هو مرغوب فيه بوجه من الوجوه ممن يرغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا سمي زاهدا اذ ترك
الذراب والحجر وما اشبهها سمي زاهدا واما سمي زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان الذراب والحجر
مطنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خير من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالسابع
لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى البيع زهدا فيه وبالاضافة
الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه
من الزاهدين معناه ما عوه ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ لم يعرفوا ان لمن يخلو لهم وجه ابيهم
وكان ذلك عندهم اعظم من بيوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالاخرة
فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو راغب زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية
بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل
في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يطلقوه الا بالعدول الى شي هو احب منه
والاترك المحبوب لغير الاحب مجال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس والحب الا الله
هو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ من حظوظ الدنيا وابقى هو الزاهد في مثل ذلك الحظ في الاخرة
كالجمع في الحور العين والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك
من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل
والاترك الخبز والزبد فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا وان درجته في الزهد درجة من يرغب عن بعض
المعاصي في النامس وهو زهد صحيح كما ان الكف عن بعض المعاصي صحيح فان النهي عباره عن ترك

فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد مررنا في مواضع
واتستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعلك فارجع فإن ان السؤال يباح بضرورة فاعلم ان السائل اما ان يكون
مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنيا عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه
فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري عند خوف كشف ليس عليه ما يواريه
وهو مباح بهذه الشروط الثلاثة ان يكون السؤال مباحا والمسؤول منه كذلك وان يضايق الظالم والسائل
بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب
العلم او فاته وكل من له حظ فادر على الكسب بالورقة واما المستغني عما الذي يطلب شيئا وعنده
مثله فسؤاله حرام قطعا وهذا ظاهر فان واضح واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء
ليس يظهر عنه لو لم يسأله ولكنه لا يجلو عن خوف وكمن له حيه ولا يجد لها ثمنا وهو يباشي
بالبيع فاذا بها مشي الى احد الصور وذلك من سيأتي الاجل الكبرى وهو قادر على المشي مستغن فهذا
ايضا منع ان يسترسل عليه الا باحة حاجته محققة ولكن الصبر عنه اولى وهو بترك السؤال
تارك للاولى واسيء بحاله مكروها مما صدق في السؤال ما ليس بحيث يمضي البيد يوذي
اذى اخفه ولكن يستوفي فاذا صدق وصدقه يكون كفاره لسؤاله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة
مثل سؤاله فمما لليسه فمن يأبه عند خروجه لسير الخروج من يأبه عن اعين الناس وكمن
يسأل الاجل الأدم وهو واجد للثمن وكمن يسأل الكرى الوسط الطريق وهو واجد لكرى الحمار
او يسأل كرى المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال اظهار حاجته عند من
هو حرام او لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات السالفة من الكذب او ايذاء المسؤول فهو حرام
ان مثل هذه الحاجة لا تبلغ ان يباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع
الكراهة فان قلت ـــ فكيف يحكم على هذا السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى
مرفوع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق واما السؤال للمحتاج ولكن يقول انا مستغني
بما املكه ولكني نظالبني وعونه النفس فوق ما املي وهو فصله على الحاجة وفصول من النفس محيره
به من حد الشكوى واما النزل فان سأل الاباء او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا يسعه ذلك فلا حرج عليه
وانما حرم السؤال لما فيه من ايذاء المسؤول بوجوه منها
ويتطرق منه ضيق فسقط عنه النزل لذلك فان النزل لا يزيد على الدين الا منبرح بصدق النزعة
ان لا يعين بحيث المراد بقوله الكلام عرضا حيث لا يفهم على الدين الا منبرح بصدق النزعة
وان كان في الدين محض موقوف لو اسندك كان ولا مهدا ابدا فانه ربما يسدك كرها حوفا من الله
ويكون الاحب الله في الباطن الحلال لو قدر عليه من غير ملامه واما اذا كان سئل معنا
ضيق الا بصرح بل يعرض تعريضا ينبغي له سبيل الى التعاقل ان اذا كان سئل معنا مع القدرة
عليه فذلك لوجيه واله غير مناذبه وينبغي ان يسأل من لا يستحي منه لو رده او يعاقل فان الحياء
من السائل يؤدي كما ان الرياء مع غير السائل يؤدي فان قلت ـــ فاذا احترمنا العلماء
بان ياعب المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين لرؤيته لما ابتداه به فهو حلال او شبهه فما قولك في
حرام محض لا خلاف فيه من الامة وحكمه حكم احتمال الغصب والضرب والمصادرة اذا فرضنا ان نفرد
ظاهر حيلة بسياط الحسب او بالطرق سيوط الحيا وخوف الملاح وصوب الباطن استدراكا به
في قلوب العلماء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انما احكم
بالظاهر والله يتولى السرائر فان بعده ضروره القضاء في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردها الى
اليواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه رجحان كثير الكذب
ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه احكم بالحكمين
والقلوب عنه كالسنة عن سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا [illegible] وملك وان تورك
وانهوك فان المفتي يعلم الفاضي والسلطان فيحكم في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم
علماء الاخرة ويفتوا هم الحياء عن سطوة سلطان الاخرة كما ان يفتوى النفس يا الحياء عن سطوة
سلطان الدنيا فاذن ما اخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه رده على صاحبه
فان كان يشق عليه من اف يسترده ولم يسترده فعليه ان نيته على ذلك فيما سيأتي بيانه في معرض
الهدية والصدقة يسقط عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف

في بلده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حمله الاذى فان
فان قلت ـــ فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فرعا يظن السائل انه
راض وما يكون هو في الباطن راضيا فاعلم ان ترك المفتي السؤال اسلم فانه ربما يظن انه
شيئا اصلا فكان يستر ولا يأخذ من احد اصلا الا من السري وقد قال في علمنا انه يفرح بخروج المال
من يده فانا لعينه على ما فيه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا الامن هذا الاذى الذي الجل
بضروره وهو ان يكون مسترفا على الغراك فلا يبقى له سبيل الى الخلاص فيأخذ من بعطيه من غير
كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له الخمر بل واكل الميتة فكان الاستباع طريق الرخص
ومن اباح لنفسه الغلوب من كان واثقا بتصبره في الاطلاع على قبائح الاحوال فكانوا يأخذون من بعض
الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطي بعض
ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكثير والاقط وكان هذا فيما يتسهم من غير
سؤال فان ذلك لا يكون الا من غير علم ولكن قد يكون بعلمه طمعا في جاه او طلبا لدنيا وسمعه فكانوا
يحترزون من ذلك فاما السؤال بعد استبعاده عنه راسا الا في موضع احدها الضروره فقد سأل الانبياء من
الانبياء في موضع الضروره سليمان وموسى والخضر عليهم السلام وانبأنا انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب
فيهم الثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان وقد كانوا يأخذون طعامهم بغير سؤال
واستيذان لان اباب القلوب علموا ان المطلوب رضى القلب لا نطق اللسان وكانوا فدوقوا باخوانهم
انهم كانوا يفرحون بما سط نفوسهم واذن كانوا يسألون الاخوان عند بسط كف عند استدراجهم
على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤول بضعه لو علم ما بك
من الحاجة لا بتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في الحث
بالحياء والانابة داعيه بالحمل ولا ينبغي للسائل حاله لا يشك فيها في الرضا الباطن حال لا يشك
في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحاله الاولى حلال مطلق وفي الثانية حرام سحي مردود
بين الحالتين احوال يشك فيها فلم يسبعث فيها قلبه وليترك حوان الغلب فانه الاتم ولبدع ما يريبه
الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سيسهل على قريب فطنته وضعف حرصه وشهوته
فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا ينفظن للقرائن الدالة على الكراهة وهذه
الدقائق يطلع على سرها قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوفى
والله جوامع الكلم لان لا كسب له ولا مال ورثه من كسب ابيه او احدا قاربه فيما اكل من
ايدي الناس ومن اعطى بغير سؤال فانما اعطى بدينه ومتى يكون باطنه نحيف لو انكشف لا عطى بدينه
فاما حرفه هو اما ان اعطى سؤال فان من يطيب قلبه بالعطا اذا سئل او ان من يتصدى للسؤال على حد الضروره
فاذا استباح الحر ما يأكل من ايدي الناس علم ان جميع ما يأكله اكثره سحت وان الطيب هو الكسب
الذي اكتسبته او مورث فاذن يعسر ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس وسأل الله تعالى ان
يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده بيان
مقدار الغني المحرم للسؤال اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنا فانما يسأل جمرا فليستقل منه
فله وليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل بتقديره عسير وليس الناس وضع
المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث اسعدتو بغنى الله تعالى فانوا وما هو قال عشاء
يوم وعشاء ليله وفي حديث اخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وورد في لفظ
اخر ما يغذوها ومعها احتمالات القدرات وصحيح الاخبار ينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة
فان الخمسين قد لا يكون الا جرا والنقد يختلف وعاده المكان فيه تقريب ولا بد ذلك الا بتقريب محيط
باحوال الحاضر من هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حد ثلاثة اذا قلت طعام يقيم به صلبه وثوب
يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد هو حساب ملخص هذه الثلاث اما في الحاجات كما سبق
والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس ففي هذه الثلاث وبحق بها ما في معناها حتى
لحق به الكراع للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ولحق بنفسه عياله
وولده وكل من يحتاج الله واما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي المروءة وهو ثوب واحد فيمن
ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه ولا يقنع على هذا الثاني
البيت حمنيه وانما يقنع ان يطلب رغد الثياب وكون الثاني من النفاس والصور فيما يكفي فيه الخزف
فان ذلك مستغنى عنه فمقصور من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية

ما دل له استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله
سبحانه فهو فضله اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا وهذا نسبته حال الفقر القانع الى حال الغنى
الشاكر المقام الثاني في نسبة الفقر الحريص الى الغنى الحريص وليفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال
وصاغ فيه وفاقد له وجده فلا حالة الفقر وحالة الوجود في حاله افضل فنقول نظر فان كان مطلوبه
ما لا بد منه في المعيشة وكان يصدره ان سلك سبل الدين وتيسر به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله
بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدره مدخوله فيتعذل والمكفي هو الفارغ ولذلك قال الله
عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال الفقر زين لكن في الغنى اي الفقر مع الاضطرار اما الاختيار
واركان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن يكون المقصود الاستعانة به على سلوك سبل
الدين فحالة الفقر اصلح وافضل لانهما استويا في الجرح وجب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الا استعانة
على طريق الدين واستويا في ان كل واحد ليس يعرض لمقصده سببا للغرور والعمى وكان الفرق في ان الواحد يأنس
بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويظهر قلبه الى الدنيا والقاعد المتفرغ يحن في قلبه عن الدنيا ويكون الدنيا عنده
مثل السجن الذي يبغض الحاصر فيه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد حبا لها الى الدنيا
لحالة اشرافها اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما شئت فانك مفارقه وهذا التنبيه على ان زوال المحبوب
شديد فينبغي ان يحب من يفارقك وهو الله تعالى ولا يحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا
كرهت لقاء الله تعالى فيكون تردمك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا
فيكون اذا نظر الى فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواحد للدنيا بالدنيا اكثر من انس القاعد لها
وان كان حب كل واحد منهما على الكمال فالفقير اكمل لانه اسرع الى لقاء الله تعالى وهو معنى قول عائشة رضي الله عنها
لا يموت احد يعلم انه من اهل الجنة الا خير له ان يعيش وان يزداد في درجاته ولكن الفقير اسرع الى الجنة
لقوله وحياته على الغني لان الموت جوعا كان معاصيه اقل فالاصل له ان يموت
جوعا ولا حد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وبقي النظر في ترجيح احد المكتسبين
على الطلب المال ليس له هم سواه وفي عيني دونه في الحرص على حفظ المال وان يكن يجمعه بعد المال لا يقدر
كل جمع الفقير بقدره فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة همهما بجمع المال
وقربهما بقدر ضعف همهما بقصده والعلم عند الله فيه بيان آداب الفقر وفقره اعلم ان
للفقر آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله منها ما هو آداب الفقر ومنها ما هو آداب الفقير
فمن آداب الفقر ان لا يكون كارها له بل راضيا به شاكرا لله تعالى عليه فارحا به لما فيه من الخلاص
من تبعات المال وحسابه والتعرض لآفاته وفتنه وقد قال صلى الله عليه وسلم الفقر فخري وبه افتخر
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام نصف يوم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف اعودك وانت رب العالمين
فيقول اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم
استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه
اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف اسقيك وانت رب العالمين
فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني وعريت فلم تكسني وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم ما عدتك فلم تعد

وسلم الكبر ناردائي والعظمة ازاري فمن نازعني منهما قصمته وقال سبحانه وتعالى في هذا الجنس كلمواني العز والفقر
ع الربوبية ومنازعته فيها لانهما من صفات الرب تبارك وتعالى فمن هذا الجنس كلمواني العز والفقر
وحاصل ذلك يتعلق بعمومات نقل النار وازدياد كلمات فاصبره لا بعد منا قصمتها اذ كما يأتي قريبا
من فضل العز بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك نهاقص قول من زعم العز لا نه وصف العبد بالعز والعزة
فانه وصف الرب تعالى والبخل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل العبد على الحق فهو كشف الغطاء
ع هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره صح ان يضاف الى مقصوده
اذ به يظهر فضله والدنيا ليست مجرورة لعينها ولكن لكثرة تعاونها عن الوصول الى الله والا
الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه قطع العوائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى اسقطه
الغنى مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير سقطه الفقر وصرفه
عن القصد وعن به القصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك
سبل المعرفة مع التواصل غير ممكن والفقر قد يكون من التواصل كما ان الغنى قد يكون
رانما التواصل على التحقيق حب الدنيا اذ الجمع معه حب الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به
سواء كان في قرافه او في وصاله وربما يكون مشغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال
اكثر والدنيا معشوقة العاشقين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها
والجمع بها فاذن الزهد عبارة عن حب المال فحب صار المال في جميعها كالا استوى الفاقد
والمفقود اذ كل واحد غير ممتنع الاقدر وجود قدر الحاجة افضل من فقده
اذ الجائع يسأل الموت لا لعرفه وانما لجوع الامر بما عنا الاكثر فالعبرة عن الخطر
ابعد فقد السراء اشد من فقد الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم
ملبنا نفتنه الضراء فصبرنا ولم نفتنه السراء فلم نصبر وهذا حلقه الادميين كلهم
الا النادر الفرد الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لا مع ذلك النادر والحد الاصلي للكل دون ذلك النادر رجح الشرع عن الغنى وذمه
وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فانهم يتوبوا لهم
مذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء بقلب الاموال يصح حلاوة الايمان وفي الخبر كلامة
عجل وعجاهدة الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حليهم الذهب الفضة
ايضا فاسموا المال المال والذهب والحلي اماما يصور لهما ولا وليا ثم بين لهم ذلك بعد قتل
الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا الكلب علي الكلب علي اذ كانت
بمثله بزينتها وكان على كرم الله وجهه يقول يا صفراء غري غيري يا بيضاء غري غيري
وذلك لما استعارته في نفسه طهور مبادي الاعتبار بها لولا ان راي يتعاهدان ربه وذلك هو الغنى
المطلق اذ قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذ كان ذلك بعد اما اذ
الاصلي لكافة الخلق فقد المال او ان يصدقوا به وصرفوه الى الجزاف لا يقدر لا يفكون في الدرة
على التمكن من انس بالدنيا ومنع بالقدرة عليها واستعار راحته فيذلها وكذلك يورث
الانس بغير العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا ليس يستوحش من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة
من صفاته يستوحش من الله ومن حبه ومنها انقطاع الاسباب
الانس بالدنيا تجاذب القلب عن الدنيا وذهابها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان موصولا بالله
انصرف لا محالة الى الله اذ لا ينصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره ممن اقبل على غيره
مقبل تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من
احدهما بقدر بعده من الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما حسان ما طرد دنيهما بقدر ما
[illegible] من الآخر فمن احب الدنيا عن القرب من احدهما هو عين البعد من الآخر فمن حب الدنيا
هو عين [illegible] صفتي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في غروبه عن الدنيا واستعدادها ذن
فضل الغنى بحسب تعلق قلبها بالمال فقط فان نسيانها وبأنه مساوئ درجتها الا ان هذا
سؤاله قدم ومرضع غرور فان الغنى ربما يظن انه مقطع القلب عن المال او يكون حبه دفينا في باطنه

ورجع لا يشعر واما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه سفر بغيه او اذا سنر منه فان وجد لقلبه
اليه التفاتا ما علم انه كان مغرورا فاكثر من جلباع سريه له لعلمه انه منقطع القلب عنها فيعد
لرويه البيع وتسليم الجارية استعلت من عليه النار التي كانت مستكنة فيه فيحمد الله كان مغرورا
وان العشق كان مستكنا في الفؤاد اشتكنان النار تحت الرماد وهذا هو الذي كان الاعشى الا ابنا
والا ولبا واذ كان ذلك فلا يعد ذما فلنطلق القول بان الفقر اصلح لعامة الخلق واقضل لان علاقته
الفقير وانسه بالدنيا اضعف وغروره اضعف علاقته بضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته قال
خرجاب اللسان ليست مراده الا عما يهما بل ليتاكد بها الانس بالمذكور فلا يكون ناشره في اثاره
الانس في قلبه فارغ عن غير المذكور كما نشره في قلب مشغول بذلك قال بعض السلف من يعبد
وهو يطلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الدم بالسمك وقال ابو سليمان الداراني
رحمه الله نفس تفيد دون شهوة لا قدر عليها افضل من عبادة عشر الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق
فراى شيئا فاشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل لبشر
الحوت ادع الله لي بقدر اصبر به العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت
فان دعاك افضل من دعائي وكان يقول مثل العبد المتعبد مثل روضة على مربيله ومثل الفقر المتعفف مثل العقد
الجوهر في جيد الدنيا وقد كانوا يذكرون سبعا علم المعرفة من الاعتبار وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
اللهم اني اسالك الزاهد نصف نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق رضي الله عنه
في كمال حاله حذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن
حال الغني آمن حالا وسيق طيبا ومع ذلك يطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن توقف
الحساب فقد عذب ولهذا ناح عبد الرحمن بن عوف على الحبشة اذ كان مشغولا بالحساب كما راه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه ما احب لي جانبا على باب المسجد كالحنطي
فيه صلاة وذكر وفارغ في كل يوم اربعين دينارا او اتصدق بها في سبيل الله قبل وما تكره قال سوء
الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقر لما فيه اسيا ولا عيا له اشيا اختار الفقر
راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاعيا بقية النفس وشغل القلب وشدة الحساب
وما ذكره ابن عطا من ان الغنى وصف الحق ففيه اضمار صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود
المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي
غناه عن الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور نقاله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد
عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض صحيح في ذم غنى من يزيد غناه المال وما ذكر من ان صفات
الحق لا يتوبا لعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتعلق باخلاق
الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله سبحانه قبل ان يقطع الطريق يصير
الاسما التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا
يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى واما التكبر
فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى ولما
التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع
على العاصي فليس به بأس بل قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والاشر وليس ذلك من وصف الله وانما
وصف الله تعالى انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد ما هو مامور بان يطلب اعلى المراتب
ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن
اكثر من الكافر والمطيع اكثر من العاصي والعالم اكثر من الجاهل والانسان اكثر من
البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها ملوراى نفسه بهذه الصفة روية محققة لاسكن فيها
لكان صفة الكبر حاصلة لائقة به وفضيلة في حقه لان الله تعالى الى معرفته فاذ لك
موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون فكيف يتقن فضيلة مدلك وجب ان يعتقد
لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما ختم للكافر بالايمان وقد ختم له بالكفر فلم يكن
ذلك لانيابه لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كما
ع حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصا
ع حقه اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم بضرة فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تصور
ع العبد من صفات الله ما احرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء

يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وابراك بمجالستهم من علامة الصالحين وفراك من
صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتاب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان افتك
مسقط من عيني فاصيب عليك دنيا صافيا ولقد كان بعاينه رضي الله عنها نفرق مابه الف درهم
يوم واجد بوجهها اليها مغاضبة وابعاها وغيرها وان درعها المرفوع وسؤاليه الجاريه لواشتريت
لك بدرهم لحما نقطر بن عليه وكان صائما فقالت لو ذكرتني بفلس وكان فداوصاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اردت اللحوق بمعيتك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنيا
واستوعى درعك حتى ترتبعه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم يسره الافدرهم فابى عليه ان يقبلها
فطلب اليه الرجل فقال ابرهيم ترى ان اهو اسمى من دينار اهو اسمى من دينار واقبل الفقر اهون
فصل له حصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصابرين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا
للراضي ويكاد يشعر هذا ان فقرهم ان لم يوجب لهم ثوابا له على فقره ولكن العمومات الواردة
في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي لكن يضعفه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة
لفعل الله في حبر الدنيا عنه ورب راغب في المال الخ يظهر بقليله انكار على الله تعالى والكراهة
في فعله تلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر روي عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء التقرب الى الله تعالى يوم
القيامة وروي على كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع يرزقه الراضي عن الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
وقال اللهم ارزق آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الدنيا واومى
الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصابرون
وقال عليه السلام الفقير اعز من الكبريت الاحمر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
يوم القيامة ابن صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين
بعطاي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون وينعمون والناس في الحساب يتردون
هذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر فضله في النظر الثاني من الكتاب ان شاء الله
واما الايثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضاد الطمع وقد قال عمر
رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى اني اذا يئست من شيء استغنيت عنه وقال
ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير
يلهيك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته
الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا واذا نابته بالنقصان هدم عمره بالحزن ذلك وفي ابن ادم
ملبغ ما يريد وعمر يفنى وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك والرضا بما يكفيك
وقيل كان ابرهيم بن ادهم من اهل البلخ بخراسان فبينا هو يتصرف في قصر له ذات يوم اذ نظر
الى رجل قد اقعى على ركبتيه واكله فلما اكل نام فقال ابرهيم عند ذلك انه اذا قام فجيء به
فلما قام جاءه اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلك الرغيف واتت حابع قال نعم قال فشبعت
قال نعم قال فشربت قال نعم قال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تشبع بهذا القدر
ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل البخاء بقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا
فقال لا اذا لك على من رضي بشر من هذا فقال له ارضي من الدنيا بما عوضا عن الآخرة وكان محمد بن
واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد
وقال الحسن رضي الله عنه لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم بعيشه فلم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق وكان ابو درياح ما جالس انسانا الا رأيت امراته فقالت
تجلس مني هاهنا والله ما في البيت هفة فاسفه فقال ياهذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها
الا كل مخف فرحيب وهو راضة وقال ذو النون افر من الناس الى الكفر دوافقه لا صبر له
وقيل لبعض الحكماء ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي

الناس

الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزله يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك
ثم كان لك معها الف الف ما انا اعطينك منها الفوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محزن
لك وقد قبل في القناعة اصرع الى الله واتضرع الى الناس وانفع بياس فاز بالعز في الناس
واستغن عن كل ذي فرج ودني رحم ان الغنى ممن استغنى عن الناس وقيل اصبر
يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مقربا اي ناب فيه تعلقه معكرا كيف مايله ميقته اعادها بها سيري منظومه

جمعت مالا فتكثر هل جمعت له ... يا جامع المال اياما فتفرقه
المال عندك محزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه بمال فتى يعفو وعلى ثقه ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... ملوك طلها هانيا ورفقه

باب فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا
فذهب الجنيد والحواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال اليافعي عطا الغني الشاكر القانع
لحقه افضل من الفقير الصابر وقال ان الجنيد دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا ما صانه مخل
وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التعارض بين الصبر والشكر ومعرفة السبيل
طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ فظاهما
لم يستويا من قرأ الاخبار فالاناة في تفضيل الفقر والتوقف فيه من تفصيل وحمول الما تصور الشك
في معنى احدهما فقير صابر ليس يحرص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني مسرف
ماله بالحرام ليس براض على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يحتمل ان الفقير
القانع افضل من الغني الحريص بل المسك والغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير
الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانها شاركا في ضعف الحرص
على المال والغني معذب بالصبر فاتعا الخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا
فيما حسبه فاما الغني المتمتع بالمال اذا كان مسامحا فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع
وقد تشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء
بالصدقات والخيرات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم يسابقون
بها من وراءهم ولا يلحقهم الا من عمل مثل عملهم فاذا سمع الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله عليه السلم
فقال عليه السلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استدل محمد بن عطا ايضا بما نقل
عن ذلك فقال الغني افضل لانه وصف الحواد لله والاول ففيه نظر لان الخبر ورد
مفصلا ولا دليل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني
دراهم بهذا القدر ثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن ابن عمر قال
جاء الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الى رسول الفقراء انك فقال مرحبا
بك ومرحبا بمن بعثك من عندهم جئت من عند قوم اجسامهم مسامهم قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا
بالجنة بحجهم وعمرتهم ولا نقدر عليه ونعتمر ونغزو ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم
وحيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر منكم واحتسب
ملك حصال ليست للاغنياء اما حصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة
كما ينظر اهل الارض الى الكوكب الدري لا يدخلها الا نبي فقير او صديق فقير او مؤمن فقير والثانية
يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق
فيما عمره الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها ترجع اليهم قالوا ارضينا فهذا يدل
على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي يزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله ان الغني
وصف الحق فهذا اجابه بعضهم بشوع فقال اسماء الحق تعالى غني بالاضافة الى اعراضنا
ولم ينطق واجاب آخرون فقالوا الاكثر من صفات الحق ينبغي ان يكون افضل من التواضع
قالوا والدليل عليه ان صفات العبد يدبه افضل للعبد كالخوف والرجاء
وصفات الربوبية لا شيء ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روي عنه بلسان صلى الله عليه

المطلوب عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء
اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له لبقي استغناوه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب
المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق وهو محتاج الى دوام هذا
العتق والقلوب متقلبة بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك كان
كاسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب
هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حقاف الابرار سيئات المقربين
وهذا ان اكاد للدنيا مستعولا بالدنيا عن الراغب فيها مستعولا فيها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب
عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون العبد حجابا فانه اقرب الملك من حبل الوريد وليس هو في مكان
حتى يكون السماء والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك
وبهواك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبهواك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول
حجب نفسه مشغول عن الله والمشغول بعض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب
الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فالتفت قلب العاشق الى الرقيب والى بعضه واستغفاله
وكراهة حضوره فهو في حاله اشتغال قلبه ببعضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو
استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لجلبه عند
حضور المعشوق تشوش في العشق وتقرقه فكذلك النظر الى غير المحبوب لبعضه يكون شركا فيه ونقصا
ولكن اخف من الاشتغال الكامل فان القلب الى غير المحبوب بعضا وحبا فانه كما
لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببعض الدنيا عامل
عن الله كالمشغول بهما الا ان المشغول بهما عامل وهو في عقبة سالك في طريق البعد والمشغول ببعضها عامل
وهو في عقبة سالك طريق القرب اذ بمقدار حاله اذ بمقدار هذه الغفلة وبقدر ما انقضى
فالكمال له مرتفع عن هذه الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالمحب والمبغض كل جالس في طريق الحج
مشغول بمركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مشتغل بالفعلة والاخر مشتغل
لها فما شتغاله بالاضافة الى الحال اذ كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشتغل عنها ولكن حال
المشتغل بحبوبها بالاضافة الى المشتغل بمراد بحاله الوصول اليها وليس محبوبا بالاضافة الى المتخلف
عن الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يقضي نسكه الى الوصول اليها فلا يمنع
ان يكون بعض الدنيا مقصودا عنه بالدنيا عن الله تعالى ولا وصول للعبد الا بدفع العوائق والعلائق
قال ابو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة فلا ينبغي ان يشتغل قلبه في الاخرة
فمن ان يشتغل طريق الاخرة وراء الزهد وكما ان سلوك طريق الحج وزاد دفع العوائق عن الحج فان من يظهر
ان الزهد في الدنيا ان يريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال واذا يريد به الرغبة في عدمها
فهو كمال بالاضافة الى درجة الحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بالكمال
في حق المال الذي يستوي عنده المال والماء وكثرة المال في جوارك لا يؤذيك بل يكون على شاطئ البحر ولا قلته
يؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون ذلك مستعولا
بالغرارة عن جواز المال الكثير ولا بعض المال الكثير بل يتوسط منه بقدر الحاجة ولا الخيل به على احد
فعلى هذا ينبغي ان يكون المال الذي هو الخبز والماء واجب الحاجة واما الفرو فليس من حاجته اما كونه
الاحر واذا عرفت الله تعالى ونفسه بقدر ما يليق به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يا نيك لا محالة
ما دمت حيا كما يا نيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال الحسن بن
ابي الحواري مكتوب في بعض كتب سليمان الداراني الى مالك بن دينار لتعهد اذهب الى البيت فخذ اركوه الذي اهديته الي فان
العبد يوشك ان يلقى الله فرد احدهما فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهدوا في الدنيا ما عليه
من احدهما فيما اركوه على ان اركوه في بيته الفقاب اليها سيئة الضعفاء والعصاة فان قلت
فما بال الانبياء والاولياء هجروا من المال ونفروا منه كما فر الفار عاقول كما هجروا من الماء على معنى انهم ما تركوا
اكثر من حاجتهم من فقر وعاوزاه ولم يحبوه في القرب والروايا بل تركوه مع انهم يحبونه مع الايثار
والمواساة والبواري لله تعالى الى من كانت قلوبهم مستغرقة بحبه او بقصده وقد حمل خزائن الارض الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان استغنى
عنهم الماء والمال والذهب والحجر وما سواها عنهم من اشياء فاما ان يقال عن حاف ان لو اخذه احد ان يخدعه
المال ويقيده فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء لا حرم البعض المال والهرب منه في حقهم
كمال وهو احكم جميع الحلوان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان يقال عن قوي بلغ الكمال ولكن

اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا
كما ينفر الرجل المعدم من يرى اولاده من الجوع لا لضعفه عن اخذها بل لكي لعله انه لو اخذها اخذها واكله
اذا رأها فهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء قد عرفنا ان المراتب ست
وان اعلاها رتبة المستغني عنه حرا لله تعالى الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد
والرضا والقناعة وقد رتبه تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الجملة
اما تسميه المستغني فقيرا فلا مرحبا له لقبا المعنى الذي فقيرا معنى قهر وهو معرفته بكونه
محتاجا الى الله تعالى في جميع امور عامة وفي بقائه استغناؤه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم
العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وافر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق
كذلك اسم الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير فاسم الفقر مشترك
بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك
من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله اجعني مسكينا وامتني مسكينا
اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى
هو الذي سأله في دعائه بقوله اللهم اغفر لي وارحمني وتوفني مسكينا وامثل الاباب فدل عليه قوله تعالى
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
لا يستطيعون ضربا في الارض يساق الكلام في معرض المدح ثم قد وصفه بالعسر على وصفهم بالحجر
والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى روي
عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير
فقالوا اموسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال ليس هذا الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس
يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي
الجنة قبل اغنيائهم بخمس مائة عام وفي حديث اخر بأربعين خريفا اي اربعين سنة فكون المراد به تقدير يقدم
الفقير المحروص على الغني المرتاض والتقدير بخمس مائة يقدم الفقر الزاهد على الغني الراغب
وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يوشك بالضرورة تفاوت ما بين الفقراء في درجاتهم وكان
الفقر المرتفع على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسائة ولا تظن
ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالظن لان الله تعالى لا ينطق رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا بما عرفه الحق سبحانه بطريق الوحي اذ هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير لا يحقق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك
النسبة الا بحق فاما ما لا يحقق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما اختص به النبي وبقاء وبه عن غيره وهو مختص بانواع
من الخواص احداها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما
يعلمه غيره ما يحالفه بكثرة المعلومات وبزيادة النفس والتحقق والكشف والثاني ان الذي في نفسه
صفة يقتضي له الانبعاث الخارقة للعادات كما ان لنا صفة تقتضي الحركات المفردة بارادتنا وباختيارنا
وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالث ان له صفة تقتضي تسخير الملائكة
وبها هو كما ان للبصير صفة تقتضي ان يدرك بالمبصرات والرابع ان له صفة تقتضي ان يدرك
ما يكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ ما يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب
هذه كمالات وصفات يعانيها الانبياء ويعلم انعام كل واحد منها الى اقسام ويمكننا
ان نقسمها الى اربعين والى خمس والى ست ويمكننا ايضا ان نكلف لتقسيمها الى ستة واربعين حتى ينفع
الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن بغير طريق ولكن من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن
الا بظن وتخمين ولا يدري حكمها انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا واما المعلوم مجامع الصفات
التي تهيأ بها النبوة واصل انعامها وذلك لا يرشدنا الى معرفته عليه الا النظر في قدر تلك الصفات
درجات كما سبق فاما لو كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
حتى لم يحصل له الا قدر يسير كنصف واحد من اربعين سنة الى الجنة وافضى ذلك القدر في حقه الى دخول الجنة
الا بعد الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين لا توثق به والغرض ان يعلم ان مفتاح التقدير في امثال
هذه الامور عسر فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذكر ي من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاشفاق حاسي
منصب النبوة عن ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما خير هذه
الامة فقراؤها واسرعها دخولا الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان في حوض نبيكم من

وأما بيانها فاعلم هذه الأمنية هائلة أن يفضل الله علينا بتوبة نصوح تبادرنا بها وتجيرنا فنسأل
الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يسوق إلى التوبة سرابر قلوبنا وأن الجعل حركة اللسان سؤال التوبة
غاية حظنا فكيف من يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاوزنا العمل
بما سمعناه عصينا ملاءة لامة الحذاء أن نعظ من هذا فسأل الله تعالى أن يجعلنا من التوابين وأرشد علينا به
وفضله ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإن العلم بهذا يحادث القلب القابل
فيبكي فإن لم يكن فيتباكى وإن أفيض على القلب العاقل فلا يبعد أن يرق وقد صدق الراهب الذي حكي عنه
عيسى بن مريم عليهما السلام أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون
من سدرة الوله ما يكاد يرفع دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى ما لي رأيتك هاهنا فقال
أيها الراهب أوصني بوصية احفظها عني فقال يا أخي إما أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة
رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن تغفل عنه السباع أو يسهو
فتهشمه الهوام فهو محذور القلب وجل مهموم في المخافة ليله وإن أمن المحذور وفي الحرز في نهاره
وإن فرح البطالون بما لهم وتركني فعلت لو زدتني شيئا علمت أن شفعني فقال الثمان تجزيه من العلم
أسيره وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المعاوض
وما ذكره من تعديده أنه أحوشته السباع والهوام فلا ينفي أن نظر إليه نظر بر بل هو تخويف لئلا
لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي إلى الآن تفترسك فسبحان
أن يوقفنا لحظة على أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضع عنك
حجابها وقد مثلت لك بصورها وأنك لها الموافقة لها عابها فترى بعينك العقارب
والحيات قد احدودبت بدنك في فرجك وأنها هي صفاتك الحاضرة الآن فيا أنكشف لك حضورها
فإن أردت أن تعلمها وتعرفها وأنت قادر عليها قبل الموت فاشغل الآن نفسك على الدوام
وتهتبها للصيد فلذلك فضلا عن ظاهر تيسرنا وحبيبك آخر كتاب الرياء والحمد

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب الرابع من ربع المحبات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله الذي سبح له الرمال وقدس له الطلال وبارك من رهبته الجبال وحلى الإنسان
من الطير اللازب والصلصال وزين صدر نبيه بنور الهداية عز وطالما صلى وأذن له في رفيع مآب
الحمد بالغدو والآصال ونزه كليمه الملهم في حرمه بنور العبرة حتى لاحظ بصائره
حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ما استوفى نور مبادي أسراره كل حسن
وجمال واستهل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستهلال وتمثل له ظاهر الدنيا
في صوره امرأة جميلة بمسرى وجمال وأكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجمت من طينة
الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلفعة بحلبابها لتخفي مسالك أسرارها بالطائف
السحر والاحتيال وقد نصبت حبالها في مدارج الرجال ففي تقسمهم بقروب المكر
والأغتيال وتارة تخوفهم بالحلف في مواعيد الوصال بالفقر ومع قطع الوصال
بالسلو والإعلال وتسلمهم بأنواع البلايا والأوجاع فلما أنكشف للعارفين منها
فنايح الأسرار والأبعال زهدوا فيها فتركوا الهاخرة وأنكروا الأموال
وأقبلوا بكنه همهم على حضرة الجلال وأنفقوا مهما بوصال الكبرياء الفصال ومشاهدة
الأبدية الأبعد فما قاموا إلا وقد أعلى صفاتك الحاضرة الآن فيا أكشف لك حضورها
فإن الدنيا عدوة للآخرة وكل بعد ورها حاصل من ضد ومن ملك محبها زال عن قرب محبها أس الخطايا
وأنساب الذنوب وبعضها أم الكبائر وأس الفرياف وقد أسسنا ما يغني عن ذكر فصل البغض

والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلا يطمع في النجاة إلا المنقطع عن الدنيا والبعيد منها ولكن مقاطعتها
إما أن تكون بالترفع عنها عن العجز عنها ويسمى ذلك فقرا وإما بالترفع عن العجز عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد
منهما درجة في سبل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز بالنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر
والزهد وأقسامها وشروطها وأحكامها ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر
آخر منه ونبدأ بذكر الفقر الشطر الأول من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر
وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان تفضيله خصوص الفقر وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان آداب الفقر
في فقره وبيان زيادته في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال
وبيان أحوال السائلين بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسامية
اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه أما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وإن كان المحتاج
اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم يشكل عليك أن كل موجود
سوى الله فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله
وجوده فإن كان الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور
أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فاقر محتاج
اليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى والله الغني بأيها الفقراء أنتم
معنى الفقر مطلقا ولكنا نسامح بإطلاق اسم الفقر المطلق على الفقر من المال على الخصوص والإضافة
العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا تحصر لها وسر حاجته حاجاته ما يتوصل
اليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فمقول كل فاقد للمال بالإضافة
إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة
أحوال غنى الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لينفصل بالتمييز الإشارة إلى كل واحد منهما
الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لم يفرح به ولم يتأذ به
من أخذه منه فضله له ومنجر زمن شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثالث
أن يكون بحيث لو يرغب فيه رغبة تفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة تتأذى بها وبزهد فيه
لو أتاه وصاحب هذه الحالة سميه راضيا الثالثة أن يكون وجود المال أحب اليه
من عدمه لرغبته له فيه ولكن لا يبلغ من رغبته أن يبعثه لطلبه بل إن أتاه عفوا صفوا أخذه وفرح به
وإن احتقر إلى تعب وطلب استغل به وصاحب هذه الحالة سميه قانعا فإن قنع بنفسه بالوجود
حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الصفة الرابعة أن يكون تركه الطلب
لعجزه والمحفوف راغبة رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مستغل بالطلب
وصاحب هذه الحالة سميه الحريص الخامسة أن يكون ما فقده من المال مضطرا
اليه كالخابز العاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب وسمي صاحب هذه الحالة مضطرا فكيف ما
كانت رغبته في الطلب أما صفته وأما توبته وقد ما تشكك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال
أعلاها الزهد والاضطرار أن ينضم اليه الزهد وتصور ذلك يظهر أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه
ودون هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده فإن وجد
لم يفرح به ولم يتأذ وإن فقد فكذلك بل حالته كما كان حال عابيه رضي الله عنهما
إذ أتاهما مائة ألف درهم من العطاء فأخذته وفرقته من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت
اليوم سنشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فعاتبت لو ذكرتني فعلت فمن هذا حالته فلو كانت الدنيا
بحذافيرها في يده وخزائنه في بصيرته إذ هو يرى الأمر أجمع خزائنه الله لا في يديه فلا يفرق من أن يكون
في يد ما دون غيره وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لأنه غني عن فقد المال ووجوده جميعا
ولنفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فإن من كثر
ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه
فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده
أيضا فانه ليس بإذن يده لتحتاج إلى إخراجه وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج إلى الدخول
في يده فغناه إلى الله عز وجل أميل منه إلى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب الغنى من الله بقرب الصفات
لا بقرب المكان ولكنا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغنى اسما لمن له الغنى

صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فيما خذت الناس على ربه فيصعقون بالنار
والصراخ ثم ياخذ في [illegible] والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس
ثم ياخذ في اهوال القيامة فياجمه على راسه فيموت من كل طائفة نوع فاذا راى سليمان كثرة
الموتى قال ايها الملا قد خرقت الامم بموت كل عشرة وماتت طوائف من بني اسرائيل من الوحوش والهوام
فيا خذ في البكاء فيما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الخير على ربك
قال فخر داود معتصما عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى سريره فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي
الا من كان له مع داود خير او فرت فليات سرير سليمان فحمله فاذا الذين كانوا معه قد فقدوا ذكر الله
والنار فكانت للمراة تاتي بالتمر والحجل قربها وتقول لما من قتله ذكر النار يامن قتله
خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخلت عباده واعلق بابه ويقول ماله دارود
اعصبان انت على داود ولا ترى الياحج فيا تي سليمان ويقعد على الباب وسيا ذن غيره يدخل ومعه قرص
من شعير فيقول ايها نقوم بهذا على ما تريد فيا كل من ذلك القرص ما شا الله ثم يخرج الى بني اسرائيل
فيكون منهم ويقال ان الهزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يستسقي بهم ويخرجهم فخرج في اربعين الفا
فماث منهم بضعة وثلاثون الفا وما رجع الا في عشرة الف قال وكان لهم جار سان الحديد يما حتى اذا جاء الخوف
وسقط فاضطرب فقعد ما على صدوره وعلى رحليه فحامه ان ينقرف اعضاءه وفاصله فيموت
وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل على يحيى بن زكريا عليهما السلام المقدس وهو ابن ثماني عشرة سنة
فنظر الى عباد هم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهدهم قد حدر موا الاكل فراقه
وسلكوا فيها السلاسل وسدوا انفسهم الى المحراب بيت المقدس فسالوه ذلك فرجع الى اهله فمر
بصبيان يلعبون فقالوا له ياحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب فما لنا فيا اهله فسالهما ان يدعاه
الشعر فعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهاره ويصيح فيه ليلا حتى استعلبه خمسة عشر
فخرج حتى لزم اطراف الارض وعمران السحاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على الجبل وقد
انقطع رجلاه في الماء وقد كاد العطش يقتله وهو يقول ويحك وحلالك لا اذوق بارد الشراب حتى
اعلم ان مكاني منك مثاله ان يطرح على فرجك فحمل من شعير ويضرب من ذلك الماء
فيقبل وكفر عنه فمرح به البر فورده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى تبكي معه
الحجر والمدر وبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يعمى عليه فلم يزل يبكي حتى اعرف دموعه
لم خرقه وبدت اضراسه للناظرين فقال له امه يا بني لو اذنت لي ان اقدك شيا نواري به اضراسك
عن الناظرين فاذنها فعمدت الى قطعتي لبود ما لصقتها على خده به فكان اذا قام يصلي بكى فاذا
استعبرت دموعه في القطعتين انت اليه امه فعصرتهما فاذا هي دموعه تسيل على ذراعي امه فقال اللهم هذه
دموعي وهذه امي وانا اجيرك وانا رحم الراحمين فقال له زكريا يا بني انما سالت ربي ان يصيبك لي
نفر عباي فقال يحيى يا ابه ان جبريل اخبرني ان في الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال
زكريا عليه السلام فانك يا بني وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين حثيه الله وحب الفردوس
يورمان الصبر على المنتقد وبياعدان من الدنيا ويخولان الكرامة اكل السهر والتوبة على المزابل
مع الكلاب حتى طلبا الفردوس قليل وقليل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يعني عليه
ومع اضطراب قلبه ميلا في ميل فبانيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول لم رايت خليلا
تخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه لحوال الانبياء عليهم السلام فدونك
والتامل فيها فاقهر اعرف حلق الله بالله تعالى وبصفاته بسار احوال الصحابة والتابعين
والسلف الصالحين شدة الخوف روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك
ياطائر ولم اخلق بشرا وقال ابو بكر ودد ت اني شجرة بجانب طريق ياكلني البعير ويقضمني ثم يخرجني
مرتين او ثلاثا كما تقدم ولا عبدا اصلحا الذي هو كذلك يوم القيامة انما الخطب في المخلد وروي ان
فتى من الانصار دخلته حشية النار فكان يبكي حتى حسبه ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه فاعنفه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم هكذا صاحبكم فان الخوف في النار فتت
كبده وروي عن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال ليالت امي لم تلدني فعالت له امه يا ميسرة
ان الله تعالى قد اجار كل عبد اسلم قال احب ان الله قد اجارني فقالت له امه لكنا ما وردنا النار ولم نعلم
لنا انا صادرون عنها وقيل لغرقدة السبخي اخبرنا بما هو حتى يلقى من اسرائيل فقال يعني
الله دخل بيت المقدس حين مات عذرا لها سهل الصوف والمسوح فذكر ثواب الله وعقابه فمكث

نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فرض شهرا يعوده الناس
ولا يدرون ما مرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سالم عن صلاة الخوف وقد علاه كآبة وهو يقلب يده اذ
رات اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شبا بهم لقد كانوا اصبحوا صفرا شعثا غبرا
بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يناجون ربا هم ويدعونه راغبين راهبين
اصبحوا وذكروا الله ما دواكما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى بل ثيابهم
والله كاني بالقوم باتوا غافلين فقام قارئ بعد ذلك مناجكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمر ابن الخطاب
لوددت اني رماد تسفني الرياح ويصعها صعفة وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي
فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا رضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من ارید ان اقوم وقال وهب بن منبه كنا اذا جلسنا الى التوراني نجالس
النار وقد احاطت بنا ما نرى من خوفه وجزعه وقرا مفر القاري يوما هذه اكتابا بنظر عليه كالطير
الابيه فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق وقال يغرنك ما عصمتك حيدي ايا ما عني ترفك
على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوم لسبع القرآن في شدة خوفه ولقد كان يمر اعنده
الحرف والاية فيصيح الصيحة فاتعلل ايا ما حتى اني عليه رجل من جنبه مغرا عليه يوم بحسر المغير الاخر
وقرا او سوف الجبر بين الجنة ورد ا فقال انا من الجبر بين لست من النفير اعد على القوا ايها القاري فاعاد ها
عليه فسقط ميتا فحمله اهله فما حروه وقرى عند عمر بن عبد العزيز يوم فصاح صيحة ومكث
مقدار ما يصلي اربعة اشهر يعاد ليطراقه البعرة وقال الملك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا
بحرورة المغبرة معلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من سوءة دهسلتها اقدامي وتبشعها
يا رب اما كان ذلك ادب وعقوبة النار دونك فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال ملك
فلما راني ذلك وصفت يدي على ايدي صارخا انوا ذلكة ملكا امة وردي الى الفصيل ردي ولدها
والناس يعرون وهو سلي يكا النكلى المحترقة حتما ذا كادت الشمس تغرب فسمع على الجنة ثم
رفع راسه الى السماء وقال اواسواتاه مك دان عفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنه
عن الخائفين فقال لو نهبط بالخوف فرجة واعينهم باكية تعوذون كيف بفرج والخوف هو رورا نا
والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا ومن بين يدي ربنا موقفنا ومن الحسن سياب وهو
مستقر في محله وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل لك في امر ترضى به الحاضر قال نعم
ندري الى الجنة نصيرام الى النار قال لا فقال فما هذا الضحك فما ادري ذلك الفتى بعدها ضاحكا
وكان ابن عمر اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فقال له رجل ما لك جلسة
الامن وانا غير امن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما اهل الله هذه العقلة في ذنوب العباد
رحمة كي لا يموتوا من خشية الله وقال لملك بن دينار لقد هممت ان اقول ان انا مات عمر ان يعهد ولي ويعلو في سطاني
الى بريد يطلق بالعهد الى ابي الى سيده وقال حاتم الاصم لا عمر موضع صالح فلما كان اصلح من الخشية
وقد قال عليه السلام ما الفي ولا يعتريه الا عالم فانظر ماذا الفي ولا يعتريه الصالحين ولا اخف اكثر مثله
العلم فان يلعا مكان لخشية الله الا عظم فانظر ماذا الفي ولا يعتريه الصالحين ولا اخف اكثر مثله
عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يمنع بلقاء ابا ذر به واصحابه وقال ابو سليمان الداراني
كل يوم مرات يخالفه ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص ضرار بن عمرو اعتقادي في يعني ان الله
تعالى ينظر الى الخلق ثم قال واعالي ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجتاز
على الله سالة الجنة وقالت امرة محرز بن كعب القرظي لابنها اني اراك صعبا طيا وكيا طيبا
وكانك اجبت حرنا موعدا لما اراك تضع في لملك ويغارك فقال لها اماه ما يومني ان يكون الله
عز وجل قد اطلع علي واما علي بعض ذنوبي وهي التي لا اعترف لك وقال الفضيل اني لاعبط بنيا
مرسلا او ملكا مقربا ولا عبد اصالحا لان هولا يامنون يوم القيامة انما الغبطة لمن يخلص ويرجو ان
فتى من الانصار دخلته حشية النار فكان يبكي حتى حسبه ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه فاعنفه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم هكذا صاحبكم فان الخوف في النار فتت
كبده وروي عن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال ليالت امي لم تلدني فعالت له امه يا ميسرة
ان الله تعالى قد اجار كل عبد اسلم قال احب ان الله قد اجارني فقالت له امه لكنا ما وردنا النار ولم نعلم
لنا انا صادرون عنها وقيل لغرقدة السبخي اخبرنا بما هو حتى يلقى من اسرائيل فقال يعني
الله دخل بيت المقدس حين مات عذرا لها سهل الصوف والمسوح فذكر ثواب الله وعقابه فمكث

صف على حدته محيطة به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فيما خذته التاعلى ربه فبعضهم بالبكاء
والصراخ ثم ما خذته [illegible] اليه والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس
ثم ما خذته اهوال القيامة فيموت من كل طائفة نوع فاذا راى سليمان كثرة
الموتى قال الهي اما ترى ما نتطوائف من بني اسرائيل من الوحوش والهوام
فيما خذته النجا فينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الخير الى ربك
قال فخر داود معشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى سريره فحمله عليه ثم امر منادية يا
ايها الناس كان له مع داود خير فليات فليات الذين كانوا معه فدفنهم ذكر لطيفة
والنار فكانت المراة تاتي بالتمر والرجل قربها وتقول لها من قتله ذكر النار يا من قتله
خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واعلق بابه وبقول يا اله داود
اغضبان انت على داود وانا الخاطي فبالي سليمان بقعد على الباب وسبا ذن يدخل ومعه قرص
من شعير فيقول يا ايها الناس كلوا من ذلك القرص ما سا الله ثم يخرج الى بني اسرائيل
فيكون منهم وقالة يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم الى الناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا
فمات منهم بالخوف الفا ومات مع الفي عشرة الف قال وكان له جار يسان احدهما حتى اذا جاء الخوف
وسقط فاضطرب فعدا على صدره وعلى رجليه مخافة ان يقرف اعضاءه ومفاصله فيموت
وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل عيسى بن مريم عليها السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني عشرة سنة
فنظر الى عباد هو قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى محاريبهم قد خرموا الثرى في
وسلكوا فيها السلاسل وسدوا انفسهم الى الحراب بيت المقدس فجاله ذلك فرجع الى امه فقال
نصبان لي جونا قالوا ما بك يا بني قال الى احلق اذهب فاتني ابوبه فسالها ان يدعاه
الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه الملائكة حتى عشرة
فخرج حتى اتى الارض الغراء فجلس فيها فادركاه على الجزيرة الاردنية فقد
اسمع رجليه في الماء فقد كاد العطش يدخله وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى
اعلم ان كان ذلك مسالة ابواه ان يسقطا على قبر كان فيما من شعير ويشرب من ذلك الماء
فقبل وكفر غير ما سه فخرج بالبزفوده ابواه الى بيت المقدس فجاله ذلك فرجع الى امه وهو
البحر والمدر ويبكي فذكر يا عليه السلام بكاء حتى يبتل عليه فلم يزل يبكي حتى اخرف دموعه
لحم خرشه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذيت لي ان اضحك شيا نواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن لها وعمدت الى قطعتي لبود ما لصقتها على خده به فكان اذا قام يصلي بكا فاذا
استبعت دموعه في القطعتين ان اتيه امه فتعصرهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه
دموعي وهذه امي وانا جبدك وانا رحم الراحمين فقال له ذكريا يوما بني ما سالت ربي ان يعطيك لي
لفرعباني فقال يحيى يا ابه ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال
ذكريا عليه السلام فانبكي يا بني وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين حشيه الله وجب الفرد دوس
بدموع الصبر على المتقه وبا عدان من الدنيا وحوائج الكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل
مع الكلاب حتى طلب الفردوس فليل وبينا كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه
وضيع اضطراب مثله ميلا في ميل فبانيه جبريل فقال يا خليل الله ما يبكيك وانت خليل الله
تخاف خليله فقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلام فدونك
والناس فيها فاصراخ في حلق الله يا الله تعالى وبصفاته بكاء اهل الصحابة والتابعين
والسلف الصالحين بدء الخوف روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر لبتني مثلك
طائرا يوم القيامة فقال ابو بكر وددت انك انا اني سمعت بعضكم وكذي قال لطلحة وقال عمار وددت
اني اذا كمت لم اتبعث وقال عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان
يسقط في الخوف اذا سمع ايه من القرآن معتنيا عليه فكان يعاد ايا ما واحد يوما بنيه مرارا فيقول
مال ابني كنت هذه الاية بالبني لم اك شيا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا ما لبني يا بني
امي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله
لم اعنف عليه ومن اتقى الله لم يضع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما تروون ولما قدر عمر
رضي الله عنه اذا الشمس كورت قال سئل ابي بن كعب عن قوله واذا الصحف نشرت فقال ما سمعت عليه وسر بما
بدا راسان وهو يصلي وبصر اسوده والطير ووقف سمعه فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزع عن

تمارد

نزل عن حماره واستند الى حايط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس
ويدرون ما مرضه وقال عمر رضي الله عنه وفد سمع صلاة الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب يده لقد
رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم غداة ابو موسى شيا ما يتهم بهم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا
بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا يتجرون ارضا ما نالون ذكر الله سواء حتى ما هم وما ادراهم فاذا
اصبحوا وذكروا الله ماد واكما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى بل ثيابهم
والله كاني بالقوم باتوا غافلين فاصبحوا قاسين وقال ابو عبيدة بن الجراح ودد ت اني كنت ضرب ابن ملجم وقال عمر بن الخطاب
لودد ت اني رماد تسفيني الرياح ويصعا صفصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كنت كبش قومي فيا كلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى المنذر بن الزبير حسبنا
النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وخشوعه وقرا مقرا القاري يوما هذه الاية بنطق عليكم بالحق
الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق وقال يا رب كل يعصيك حبيبي ايما فاعفني من ذلك
على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القران من شدة خوفه ولقد كان يمر اعنده
الجرف والاية فيصيح الصيحة فاعقل ايما حي اني عليه رجل من جيع ومر اعليه يوم عشر المقبر الى العصر
وقرا وسوف الجر مبرزت لمن يرى فمال انا من الجر مبرز لست من النفير اعد على القوم ايفا القاري فاعادها
عليه فصعق وسمعته ملي ما احره وفي عند بكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة وهلك
مكانه فمكث اربعة ايام يعاد ليطرا في البصره وقال ملك بن دينار يعاد ايطرا انا ايطرف بالبيت اذا
حوريه المقبره صفقه باسنا والكعبه وهي تقول يا ايها الكم من مسرور هذا اليوم ومتنعم فيه
يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وبئس دار الذلك مقاما حتى طلع الفجر قال ملك
فما راين ذلك وصفت يدي على راسي صارخا اوا تكلته ملكا امه وروي ان الفصيل دوي هرمة
والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كاد الشمس تغرب صفق على الحيته ثم
رفع راسه الى السما وقال واسوا تاه مك دار عفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنه
عن الخائفين فقال لو نعتهم بالخوف وجه واعينهم باكية تعرفون كيف نخرج والموت بين ايدينا
والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومن الحساب مآبنا وهو
مستيقن في صحله وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى ما لي اراك مهموما قال اقال فهل
تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال انا رددي ذلك الفتى بعدها ما ضحك
وكان حاتم بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو الهمانت فجعل لك جلسة
الامن وانا غير امن اذا عصيت الله عز وجل وقال عمر عبد العزيز انما حزن الفعله الغفلة عن رحمة
الله كي تموت من خشية الله وقال لك بن دينار لو علمت اذا انا مات هم ان تعدوني وسط الغوغاء
الى بيتي صابنطاق بالعبد الابق الى سيده وقال حاتم الاصم لعمر موضع صالح فلا مكان اصلح من الخشبة
وقد قال داود عليه السلام الهي لا تعذبني بكثرة العباد فان الناس يعبدونه فكيفي بالهي لا تعذبني بكثرة
العلم فان بلعاما كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا ينفعه العلم ولا تعذبني بدوية الصالحين فلا اشقى اكبر منزله
عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم منع بلقاءه اما به واصحابه وقال السري لا انظر الى الفتى
كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقد في ديني ان الله
تعالى ينظر الي نظر السخط واعالي ندعا على ذلك وقرح ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني احب ان
يعلم الله مسالة الخمسة وقالت امرة محمد بن كعب القرظي لما نهاها بني اني اخاف ان اكون صهرا طيبا وكيثا طيبا
وكانك احببت حدثنا موعظة لما راك تضع في ذلك وتفارك فقال يا بنية الماء ما يوصني ان يكون الله
عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض هنتي وقال لو عرفت لك وقال الفضيل اوحى الله الى الخليل يا
مرسلا واملكا مقربا وعبدا اصطفيا اليس هو كما يعلم بنوري والقيامة انما اضطرف الخلق وروي ان
فتى من الانصار دخلته حشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه فاعنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت
كبده وروي عن ابن سيرين انه كان اذا اوى الى فراشه قال ابت امي لما لدني وقالت له امه يا مهيسره
ان الله تعالى قد احسن اليك فلم لا تسلم قال احب ان اكون الله فذبح لنا انا وادوا النار ولم نعش
لنا انا صادرون عنها وقيل لغرقد السبخي اخبرنا ما حزنك على ما لك قال ذكرت ممر الناس على الصراط فلا
اه دخل بيت المقدس حين ما به عذرا لها سهر الصوف والمسوح فذكر ان راب الله فعقابه فمتن

البابجه

وبما استعصل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرص على نقل المعاصي
جوارحك وعن التكرر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدتها فيها جميعا فان ذلك ايضا مؤثر
في قلبك ويصرف الهوى فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول اسعد لها اذا اعانني الخامسة فان كل ذلك
ايضا مكر خامتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك واقف لقلبك في كل طريقه واياك ان تهمل لحظة فلعل
تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في عافيتك وما اذا دامت فاياك ان تشاغل الا على اظهاره الظاهر والباطن
وتزين قلبك النور الابعد عليه ذكر الله على ذلك لسانك فان حركة اللسان تجدها ضعيفة
الا نزرا لعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان
غالبا قبل النوم وانبعث عن نومك الا على ما تغلب على قلبك في نومك والتوق والعف منه النوم والبقظة
فكما ان اباء الصبر الا على ما عنت عليه في يقظته وما سبق قط الى على ما كان عليه في نومه فكذلك لا تزين
المرء الا على ما عاشرت عليه وكثف الا على ما مات عليه ويحقق قطعا ويقينا ان المرء والعيد جالسان من امر الله
كما ان النوم والبقظة حالتان من احوالك وامين نعد انصرافها باعتقاد القلب ان ذكر اهل المشاهدة
ذلك نعم النفس ونور البصيرة ورأفة انتباهك ولحظاتك واياك ان يغفل عن ذكر الله طرفة عين
فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك خطر عظيم فكيف اذا انت غفل فانا نخاف عليك هلاك
العالم والعاملون كلهم هالكون الا العاملون والعاملون كلهم هالكون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم
واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي
كله فضول والضرورة من المطعم ما تقيم صلبك وسدد رمقك فمتى ان تكون تناولك تناول مضطر
كاره له وان تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذا فرغت من اخلال الطعام
الى البطن بين اخراجه فيما ضرورياتك في الجملة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تسعى لها
قلبك فالمنبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فهمتك
ما خرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عباده الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك
فعلامة ذلك تطهير تلك الامور من ماكولك في وقته وقدره وحبسه اما الوقت فاكله ان لا تأكل في
اليوم والليلة مرة واحدة وتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ملء البطن واما حبسه فان لا تتقلب
الذرائض الاطعمة بل تقنع بما سبق فان قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك هموم الشهوات اللذائذ
قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وامكنك ان لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز والباقي
مع الشراب واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع
البرد عن بدنك ولو فلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول فمتى لبست ثوبك يصيح زمانك ويلزمك السفل الدراهم
والعمائم العالية فحصله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وفتش بعد اما مدفع به البرد
كالبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وحسبه لم يكن
لك موقف ومرد بعده ملكت من لا يملك الا التراب وكذلك المسكن اذا كفت
بمقصوده كفاك انما سقف الارض مسكنا فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت
مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر همك وهو ضائع عنك ثم مسكنك
مقصور من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا لامطار
فاخذ قدر ما يرفع الحيطان وقدر السقوف فقد تورطت في مهواة بعيدة وعليك مهاوي هكذا في جميع
ضروريات امورك ان اعتبرت عليها تقرعت الله وعرفت غرور الدنيا وكذلك خزنك والاستعداد لحاجتك
وان جاوزت بقدر الضرورة الى ما وعدتك الامانى تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه
النصيحة من هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متبع الدينار والدرهم والاحتياط هذا القدر
القصير خاد فعيه يوما بيوم ربما تسوء بك او غلتك احتطفت فجاة في عروقه اراداتك
ولم تقارنك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدك الله لضعف حزمك
اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تحريضك فانا نحرضك عليك من احوال الخائفين
ما نرجو ان نزيل بعض الغاوه عن قلبك فانك تحقق ان عقل الانبياء والعلماء والاولياء وعلمهم ومكاشفهم
عند الله لم يكن الا في عقلك وعلمك ومكاشفتك عاملا مع كل البصير بك وعمن عن
قلبك في احوال الهمم لما استد بصر الخوف وطال بصر الحزن وابكا حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم
يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض واعجب من كل ذلك لا يبقى في قلبك

فان قلوب العافين مثل الجاره او اشد قسوة وان من الجاره لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون بيان احوال الانبياء والملائكة
عليهم السلام في الخوف روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء
وهبت ريح عاصفة تعرف ذلك في وجهه ويقوم ويقعد ويدخل ويخرج فاذا ذلك خوفا من عذاب الله
وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى فخر موسى صعقا وراى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صورة جبريل الا يغلب فصعق وروي انه عليه السلام كان اذا دخل الصلوة سمع لصدره ازيز كازيز المرجل
وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو مرعد فرقا من الجبار وقيل ما ظهر على ابليس ما هو اطم من جبريل
وميكائيل عليهما السلام بكيا ان اوحى الله تعالى اليهما اكما بكيتما كذلك هذا البكاء فقالا يا رب ما امنا
مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا انا مما مكرى وعن محمد بن المنكدر قال ما تجلجل الرعد
طارت افئدة الملائكة من اماكنها فاذا حلوا بزاد عادت وعن ابن عباس عليه السلام جبريل ما لي ارى ما بين
ضحك منذ خلقت النار وما ان الله تعالى ملائكة اشد ضحكا من ضحكهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب
الله عليهم فعدد بصره وقال ابن عمر خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على بعض حيطان الانصار
فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال له ابن عمر مالك تأكل وانت صائم يا رسول الله اتشتهيه فقال لكني اشتهيه
وهذا اصبح رابعة لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي اعطاني تلك كرى وتمر فكيف بك يا ابن عمر
اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم وتضعف اليقين قال ابو الدرداء ما برحا وانا حتى نزلت وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليأمر
بكنز الملائكة بانباع الشهوات من كنوز دنانير ها حيات قاتلة فان الحياة سيد الله الا واني
لا اكنز دينارا ولا درهما ولا احتاز رزق الغد وقال ابو الدرداء اكان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن
صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال لها هذا بكى داود عليه السلام
اربعين صباحا ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحبي عشبي راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم
ام ضمآن فتسقى ام عار فتكسى فضج بجهد هاج العود فاخضر فرح حزنه فاثر الله عليه التوبة والمغفرة
وقال الحارث اجعل خطيئتي بين كفي فصارت خطيئتي في كفه فكان لا يشرب كوزا من الماء ولا الشراب
ولا العشرة الا راها فاذا كان يوم القدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر
خطيئته فابغضه على اشفه حتى يغيض القدح من دموعه وروي عن علي عليه السلام انه ما رفع راسه
الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي صافحت بها الارض حياء منك
واذا ذكرت رحمتك اردت ان اطير فرحا الهي اذا ذكرت الهي اذا ذكرت خطيئتي غلت عنقي دون رحمتك
بدلني فيها ما للقانطين من رحمتك وقال الفضل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا
واضعا يديه على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ادعوا الاربعة فاما ادركوا بكا
على خطيئته فلا استطاعوا الا بكاء فاوحى الله تعالى اني قد غفرت لداود الخطاء كان يعاتب في كثرة
البكاء فيقول دعني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل المرعى الطعام واسعال القتار قبل ان تمرى ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة
نفض صوته فقال الفضيل صوتي في صفا اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما اكاوه وما نفعه ذلك
فصاح فدعه واستدعه فقال يا رب اما ترحم بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت
بكاءك فقال الهي وسيدي كفاني ذنبي وكثرة ذنوبي فاوحى الله تعالى اليه يا داود كفت الملائكة الجاري عن خبره
وسكن هبوب الريح واهلي الطير على راسي واسبت الوحوش الى الجبل وسيدي فاهدا الوحشة
التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ادع خلقي من
خلفك يبكي لي وتعرض فيه فروحي واجعل له ملائكتي وابسه ثوب حزامي وتوجه
بتاج وقار وسكني الى الوحدة فروجته حوراء من عيني واسكنه جنتي عصاني فطردته عن خواري عريانا
ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعمنا ما لعمالك وسالتنا فاعطيناك وان عدت الينا على ما كان
منك قبلناك وقال كعب مر لاوي كثير بلعنا ان داود عليه السلام كان اذا اراد ان يروح مكث قبل ذلك
سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان ذلك اليوم الذي يروح فيه خرج له الى البرية
منبرا فيامر مناديا فينادي بصوت سمع في البلاد وما حوله فامر الغياض والاكام والجبال والبراري
والهوامر والسباع فنادى فيها الامر اراد ان يسمع نوح داود على نبيه ملا فعند ذلك اتاني الوحوش من البراري
والاكام واتاني السباع من الغياض واتاني الهوام من الجبال واتاني الطير من الاوكار واتاني العذارى
من حجورهن وجمع الناس كذلك اليوم واتاني داود حتى ترقى على المنبر ومحط به بنو اسرائيل كل

لابن عمر رضي الله عنه انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا كلمنا فيهم بغير ما قال
كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقبح فيه فقال
ارايت لو كان الحجاج جاحشرا اكنت تكلمه فيه قال لا قال فكنا نعد هذا نفاقا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت من ذلك كما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه
فكان ابطؤ عليهم فقيل من ساعته ما حبسك احتبسنا معك انكم لو علمتم ما كنتم تقولون
لنكنوا ومثال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما روي عن حذيفة كان رجل
حضر يعلم المنافقين واسماء المنافقين وكان يقول انه يأتي على القلب ساعة تمثل بالايمان حتى يكون النفاق فيه
معترز ابوه وما بقي عليه ساعة تمثل بالنفاق حتى يكون الايمان فيه معترز ابوه فقد عرفت بهذا ان خوف
النفاق من سبب الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومنشأ
خلو العبد عن هذه كلها ان يخاف الله تعالى خوفا يمنعه من النفاق فهو مانع ومثال
تعصف بعض العارفين الى الخوف على النفاق مع ان النفاق لم يحقق هو ما روي ان
العارف من يتهم نفسه في النفاق ومثال ما روي عن ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل
وميكائيل ولا يدري ما يختم له به ولا يدري ما الله صانع به وبما يأتي بعده وانما قال ذلك
لان العبد لا يدري ما يسبق عليه في الغيب من سعادة او شقاوة فيه فوائد تقتضي
ان يظن ان الخاتمة مخوفة ولا يجزم بالامن فمن ذلك ان الخوف يحمل على الحذر
واحترام المعاصي والخاتمة مخوفة لان سوء الخاتمة مما علم ان سوء الخاتمة على ربيض
وطهور اهوائه اما الشك واما الجحود مع بقاء الروح في حاله عليه الجحود والشك قد يكون ما
غلب على القلب من عقده الجحود حتى ما منعه من الله ابدا وذلك بقضي البعد الدائم والعذاب
المخلد والثاني منه وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من
شهواتها فيمنعه ذلك من قلبه وسعه فتحجب عنه ذلك الحال مستمرا لغيره فيمنعه فيضر وجهه في ذلك
الحال فيكون اسوء حالا عليه من كان ايمانه مستمرا لغيره ومنها المعاصي ومنها البدع وهي اصل
تعلق حضل الحجاب ومنها حجاب الكفر والعياذ بالله الموجدة ابدا عذابا على المجرمين فاما اللوم الذي
فليه عن حب الدنيا المصروف بمعنى الله تعالى بقول له النار جزاء من فعل ذلك فقد اطلق لمعنى فيها الموت فتح
الروح في حاله عليه حب الدنيا فالامر مخطر ويدل على ما جاء عليه وما يمكن اكتساب ضده فهو
للقلب عند الموت بضاد الصفة الغالبة عليه الا اذا كانت صفة في القلوب الاعمال الجوارح وقد يطلب الجوارح بالموت
يطلب الاعمال لا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا لتدارك وعند ذلك تنعطف الحسرة الا ان اصل
الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب عمره طويله وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يحو
عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الحد معه لا اخرجه من النار
في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولم يكن استصحابه ملابثا دون اخراجه
من النار ولو بعد الف سنين فان قلت فاذكر لنا ما هي امارات حسن الخاتمة وامارات سوء الخاتمة
فاعلم ان ذلك لا يدرك الا بالعلامة ويحمل الحال هذه المدة فاعلم ان من اراد ان يعرف سوء الخاتمة وسرعة عقوبة موته
فليراقب الايمان وضعف اليقين عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان الغيرة اما حجوبة عن
البصائر او مرضة من رياح الجهل وانه قد يتوب الى الله المعذب ستين بابا من التوبة كما ورد به
الاخبار ولا يفارقه روحه الا وقد تاب الله عليه ان كان قد سبق سوء الخاتمة وانما تحلف اصناف
العرب باحلاف الاوفاء فيكون سوء الخاتمة وتكبر عند الوضع في الغير والتغرير بعده
من المنافسة في الحساب والاصلح عجلا ملا الاسماء في الكبائر ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية
الى اخر ما ورد به الاخبار ولا تزال التقي مردا في جميع احواله بل اصناف العرب وهو في جمله
الاحوال المعذب الا ان سعده الله برحمته ولا نظر ان يحمل الاثار بأكمله الترات بل الترات باكل
جميع الجوارح ويمدها الى بلوغ الكتاب اجله فتجمع الاجزاء المغفر فهو يعاد الهما الروح
التي هي محل الايمان وقد كانت صرفت الموت الى الاعادة اما في حال اصل طير حفر معلقه لحب العرش
كما سبق بيانه واما على حاله تصادم الحال ان كانت والعياذ بالله سبقه فان بلغ
فالسبب الذي مضى الى سوء الخاتمة فاعلم ان الاسباب الامور التي كان احصارها على التفصيل
ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فتحصر سببه في شيء احد هما ان يعتقد

مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت
اعماله صالحة ولست اعني بدعته فان بيان ذلك يطول لكن الغرض انه بالجملة عاص
بعقيدته فيعذب على قدر معصيته وانما يعذب على خلاف ما هو عليه اما بدليله ومعقوله
ونظره الذي يدعي انه مجادل للخصوم وعليه يقول ويه يغتر واما باخذه بالتقليد من غير ان يحاله
وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب اقلق بما فيه فربما يكشف له في حال سكرات الموت بطلان
ما عقده جملا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومثاله كمثال من قعد بين يدي سكران يعظه
فيها يطل عقده ما كان يعتقده وقد كان باطلا به مسجاله عند نفسه ما يظن فيه انه احقا في هذا
الاعتقاد خاصة لا لنجابة فيه الى رتبة العالم بل عقله الناصح له ان كل ما لعقده لا اصل له اولا يمكن عقده
فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة فيكون ايمانه كالنافع
اعتقاد انه عن الجهل ستار له طالما بقيه اعتقاد انه اولكنه فيها قال ايقوى وجوده وجه في هذه الخطرة
قبل ان يتوب ويعود الى اصل الايمان فقد خبر له بالسوء وحرب روحه على البركة والعياذ بالله منه
فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد يكشف لهؤلاء سوء
عاقبة المستقبل وذلك بسبب حقد اسفال الدنيا عن القلب فكذلك يكشف في سكرات الموت بعض
الامور اي سوائر الدنيا وسهواتها البدن هي المانعة للقلب عن ان ينظر الى الملكوت فيطلع على الروح المحفوظ
ليكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سببا لكشف ويكون الكشف سببا لسلب
ما بقيه الاعتقادات كل من اعتقد الله تعالى في صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما
تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو هذا الخطر والصلاح لا يكفي هذا الخطر بل لا ينجي منه الا
الاعتقاد الحق والبلة معرفة هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا صحيحا
كالاعراب والسواد به وسائر الصواع الذين لم يخوضوا في النحل والنظر ولم يشتغلوا في الكلام استقلالا
واما هؤلاء الصناف المتكلمون في تقليدا وتلهم المخالف وذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة
البله ولذلك منع السلف من النظر والخوض في الكلام والتفسير في هذه الامور وامروا الحلوان
يقصروا على ما ورد به السمع واتوا الله جميعا وبكل ما جاء من الغوامض مع اعتقاد تنزيه الله تعالى
عن الجهات والتحيز وسائر سمات الحدث وعرفوا الله تعالى في صفاته وافعاله بما عرف به نفسه
حيا الى الله فاصره وهداه الله بنور اليقين عن القلوب ما حجبت عليه من حب الدنيا وهو به وما ذكره
الباحثون بقضاء عنه معوقه مضطرب ومتعارض والقلوب بلدا الى الدنيا مسدا النفوس الى الله وبه معلقة
والمعاصي الثابتة بين المؤمن مباشرة موكدة للعقائد المورثة او الباهرة فهي لكن من المتعلمين في اول
الامر من الطباع لحب الدنيا منغوصة وعليها مقبلة وبشهوات الدنيا بعضها احدة وعن نماذ النكر
صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالراي والمعقول مع تعارف البشر في قرائحهم
واخلاقهم وطباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال لا محاله يكثر الخوض والتخالف
ليستهم بما يقع لكل واحد منهم ويعلو ذلك بالثوب المصنع المقوم وتأكد ذلك بطول الالف
فيهم واستدبالكلية طريق الحالي عليهم فكانت سلامة الخلق ان يستعملوا بالاعمال الصالحة وبالعرض
لما هو جارح عن خرط فاهم ولكن الان قد استرخ العنان وفي الهمزيان ويترك كل جاهل على اهواء وان طبعه
بطن وحسابه وهو بعيد ذلك على واسيقان وانه صفو الايمان وبطن انه مانع فيه من حديث ونفس عن النفس
وعن النفس ولعلي بناه بعد حين وسعي الانسان في هواه عند كشف الغطاء
واحسنت طنك بالايام اذ حسنت ولا تحسب سوء ما بانيه الدهر وسالمك الليالي فاغتر بها وعند صفو الليالي
واعلم يقينا ان كل من وافى الايام السلامة بالله ورسله وكتبه وخاصة في الحب فقد نجى من هذا الخطر ومثاله
من ابحر في سفينة وهو يطلع الامواج ترميه موج الى موج فربما يغلق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد
والهلاك في اغلب عليه وكذلك من عاين عقيده بلقفها من الباحثين بضاعة عفو لهم اما مع الادلة التي خبروها
بعضا بعضا ودون الادلة ان كان يتكافيه وضع فاسد الدين وان كان وافقه فهو اشر من مكر الله
معتمد بعطله الناقوس كل جارحة الحب ملا يتكل عن هذا الحالين الا اذا احاط وجود المعقول الى
نور الكائنة الذي سرى في سائر الكائنات والبنوة وذلك هو الكل مسلم وراي مبسوط اما مسلم
عن هذا الخطر الملبد من العوام او الذين سعد حرف النار وطاعة الله ثم تخوضوا الفصول بعد الاحاد
الاسباب الخطرة عن سوء الخاتمة واما السبب الثاني وهو ضعف الايمان في الاصل استحالة الدنيا
على القلب وهما ضعفا الايمان بضعف حب الله وهو حب الدنيا وضعف حب الله بموضع
في حب الله الامن حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والهوى فكل من مال الى الشهوات

وما يدريك لعل ذلك ما كان يتكلم الا بعنه وكيف لا يخاف المؤمن كلهم وهو صلى الله عليه
وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون قال العلماء لان ذلك
لما في سورة هود من الاخبار عن العاد قوم هود والامر بالاستقامة ليهود الاعداء الذين كانوا يعذرون
هودا مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو سأل الله ما اشترى كما اذكر لاجابه فيقضي هذا اعاد في سورة الواقعة
ليس له قضيها كاذبة اي حتف القلم اي هو كائن وما تسلفه حتى يرتكب الواقعة اما حافظه
فوما كانوا امروا حتى عن الرشاوا امر الواقعة وما كانوا مخفوضين الى السماء في سورة النحل يراعون الغمائم
وانكشاف الخائنة وهو قوله واذا لقيتم صعرت واذا لقيتم ارتفعت نفس ما احضرت وفي سورة سألوا
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمان وقال صوابا والقرآن من اوله الى اخره
مخاوف لمن خاف امره ولو ان كل فيه الاقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
لكان كافيا اذ على المعرفة على اربعة شروط لا بعد عن احادها واستدمنه قوله فاما من تاب
وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
اهل القلان في قوله اقاموا مكر الله الآية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد وقوله يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآيتين وقوله وان منكم الا واردها الآية وقوله تعالى
اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يرجو لقاء ربه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره الآيتين وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط لا بد منها من الخسران واما كان خوف الامن
مع ما قام عليهم من البغي لا بصبرهم بامر مكر الله تعالى وبامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى ان النبي
صلى الله عليه وسلم حرم عليها الباكيا خوفا من النار وحتى اوحى الله اليها ابكيان فدا سكتما
فقالا ومن يامن مكرك وكما اذا علما ان الله هو عالم الغيوب وانه لا وقوف لها على غايته الامور لم
يامنا ان يكون قوله خاسكما اسدا لها واما منا ومكرا بها حتى ابكى كل خوفها ظهر لها فراما
من المكر وما ينافي لهما كما ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكفى
هوه من الدعاوي العظام فامنجي وعرض لجبريل في الهواء حتى قال الله من حاجه فقال اما اليك فلا
فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابرهيم الذي وفى اي بمرجب قوله
حسبي الله ومثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال انا لنخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال تعالى
لا تخافا اني معكما اسمع واري ومع هذا لما التقى الجمعان اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله
والناس لم يزالوا عليه حتى حمد عليه الامر وقال له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت سنوك المسلمين
يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد في الارض احدا بعد ذلك
وقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق
رضي الله عنه مقام البقية بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو
اتم كانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وحقايق افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر
عنها بالمكر وما احد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن غرف حقيقة المعرفة فصور معرفته
عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لاهواله ولذلك قال عيسى صلى الله عليه وسلم لما قيل له اتنقلت
للناس احذفوني اني المعز من شئت ان كنت علمته صدقته علما مني بعيبي والعلم ما في نفسك وما لك
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فوض الامر الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من السبق
لعلمه بان ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة اربابها فخرج عن حد المعقول لانه المالوف فعلا
يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحساب فضلا عن التخصوص والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب
العارفين اذ الطامة الكبرى ارتباط امر ربك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك عذابها لك من حيث
من اعمالك ولم يزل في الدنيا بعد نهيه عن انواع الاثام والاجرام ويعرض عن ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق
تخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم نخر عنه ويقول لو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني
لاملأن جهنم وقال تعالى ويحذركم الله نفسه ربك لا يخاف الا ما حق من القول في الازل ولا مطمع
في تداركه ولو كان الامر بايدينا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم
واستدراج في السابقة من حيث الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن سترله اسباب

النصر وحبل عليه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا كانه كشف له على التحقيق
سر السابقة التي سبقت له بالسعادة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخزائن كلها ميسرة
والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله تعالى فهذا كان هذا يعني بخوف
الخوف ولو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد ميزان الخوف ثقلا
ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يوثق بقلب الجبار وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا
من القدر في غليانها وقد قال صلى الله عليه وسلم قلب الكافر يتقلب في اربعين خريفا ومؤمن فاجعل الناس من امنه وهو بريء
بالعهد من الابرياء ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ دوح فلو بعضهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم بنار الخوف
فاسباب الرجاء جامعة من الله واسباب الغفلة دافعة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء
لانهتكت القوس وتقطعت القلوب ومن خوف قلبا القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين خوفه
بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فما قطع له بالتوحيد لا ادري ما الذي قلب من القلب وقال بعضهم
لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند بابها لوجه لا خوفا الموت على الاسلام لا ادري
ما يعرض لعلي بين بابها ووجهه وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه
عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة
وفقير الدين وصفهم الله تعالى اذا قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك
يا رجاء بان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال اوعلى ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال
الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاغسلني بعد عندك اسي فان
بقيتي مت على التوحيد فحنط جميع ما املكه واستدره لوزا وسكرا وابشره على صبار اهل البلد
وقل بعد اعزز المقلب وانت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى يعزوا ويشهدوا جنازتي ليحضر
جنازتي من يشهد لي بصيرة ليلا لعلي الرجا بعد الوفاة فاليم اعلم ذلك مدركه علامة فراى علامة
التوحيد عند موته فاشترى البكر والثوب وفرقه وكان سهل المريد عافان على بالمعاصي
والعارف يخاف ان يطلع على بالكفر وكان ابو يزيد يقول لان اوجه الى المسجد كان وسطي زنار احب
ان يذهب الى السعة وبين النار حتى ادخل البحر فيقطعني الزنار وعد الى الكفر يوم حتى مات
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين اني بخاتمن المعاصي ولحن معاشر الانبياء خائفون الكفر
وروي في اخبار الانبياء ان نبيا سأل الله تعالى الجوع والفقر والعري سبعين وكان لباسه الصوف فاوحى
الله عز وجل اليه عبدي اما رضيت ان عصمتك ان يكفر حتى تسألني الدنيا فاحذر الزاهد وجهه
على راسه وقال الجنيد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع وسوح
افراطهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب سنقدم
على الوقوف مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة
من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني ارى من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به
النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فكون مسلما مناقا وله علامات
كثيرة فمنها صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون
النفاق بما سيرد لاحاديث في معنى منه الاصديق اذ قال الحسن ازمن النفاق اختلاف السر والعلانية
واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي نحاذر هذه المعاني واصار سعة الامور مالوفة
من الناس معتادة ومتى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة مكيف
الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم عد الله النفاق ان تكره من الناس ما تاتي مثله وان تحب على من
الجور وان تحفظ على من الحق وقيل من النفاق ان تمدح بشيء لم يفعله او تحبه ذلك وقال رجل

البارد والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف فيه الموت
يصلح لانه اقوى كف الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
تموتوا الا وحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضر سليمان النبي
الوفاة قال لابنه يا بني حببني بالرجاء حتى الرجاء حتى الله تعالى حسن الظن به وكذلك لما حضرت
الثوري الوفاة استدعى جمع العلماء حوله يرجونه وقال الحسن جيل عند الموت انه اذكى الاخبار
التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان حب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلم ان حبني الى عبادي وقال ايضا ما زال يتحبب الي ويتقرب الي باداء نوافل العبد
محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة واخراج حب الدنيا من القلب حتى نصر الدنيا كالسجن للمؤمن والخوف
ولذلك رأى بعض العلماء سليمان الداراني في المنام وهو يطير في الهواء فقال الآن افلت فلما اصبح سئل عن حاله
فقال والله مات البارحة فبينما نحن كذلك اذ سمعنا حال الخوف فعلم ان ما ذكرناه
من دواء الصبر شرحناه في كتاب الصبر والشكر وهو كاف في هذا الغرض لان الصبر يمكن الابعد
حصول الخوف والرجاء ان اول مقامات الدين النفس التي هو عبارة عن قوة الايمان بالله وباليوم الآخر والجنة
والنار وهذا القدر بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان المحبة
حفت بالمكاره فلا تصبر على تحملها الا قوة الرجاء والنار وقد حفت بالشهوات فلا يصبر على تركها الا قوة
الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع
عن المحرمات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر
فيه على الدوام ويودي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويودي كمال المعرفة والانس
الى المحبة وهي اعلى مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الآخرة فليس بعد
اصل الغنى مقام سوى الخوف والرجاء او بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا
وظاهرا وكل مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا المحبة والمعرفة وكل مقام بعد المعرفة الا المحبة
والانس وهي ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن ما ذكرنا في علاج
الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جلي سوى ما يحصل بطريق تبعي لتقرير احدهما على الآخر
ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية وهما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية
ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي
الى ابيه وهو يهرب فر ايضا وحال الهرب قام معه وغلب عليه الخوف وافقده الهرب خوف الآلام
عن تصيره ومعرفته بضعفه للحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقله مبالاته واما خوف
الامن فاما ان يجرد التعلق لانه يحس الظن بأبيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم
ان السبع مخوف وما يعرف وجهه فاذا عرف عرف المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين
احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه بل ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب
القلوب العارفين من صفاته حا تقتضي المهابة والخوف والحذر المطلعون على سره قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم المؤمنين وهو حاصل باصل
الايمان بالجنة والنار وكونها جزاء على الطاعة والمعصية ومعه سبب الغفلة وسبب ضعف
الايمان وانما يزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف
العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالسة ومشاهدة احوالهم فان فائدة
المشاهدة فالسماع لا يخلو اعن اثر واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف
البعد والحجاب منه وبيرجو القرب منه فالدواء الموزون لخوف النار عند خوف الفراق كقطرة
قطرت على شرر لحمي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم الوعيد
اينما حيط من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التفكر فيما هو خوف الصبي من الحية تفكرا
لابيه وذلك لا يستدل الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المقدم
يقدم على اخذ الحية فينظر اليه وتغتر به مصرا على اخذها تقليدا له كما اخذ من اخذها
عقيدا لابيه والعقائد المقلد بها ضعيفة في العالم الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها
المذكرة لها على الدوام بالمواظبة على مقتضاها في كثير الطاعات واجتناب المعاصي
مدة طويلة على الاستمرار فاذن ما ارتقى الى درجة المعرفة وعرف الله حقه بالضرورة فلا يحتاج

الى علاج لجلب الخوف كما ان من رأى في السبع ورأى بقته وانفاقا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف
الى قلبه بل يخاف بالضرورة سئل ابو بكر الوراق اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام حقيقي كما تخاف السبع
الضاري وحيلته في جلب الخوف من السبع العاري الا معرفة السبع ومعرفة انه قوي في مخالبه فلا يحتاج
الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي بحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير
وسيلة سابقة والعبد المبلس من غير جرم سالفة بل صفته ترحمه وله ان يفعل هاوية به الجنة ولا يبالي وهو لا
في النار ولا يبالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فما امن الله تعالى مكر
باساءة الطاعة حتى يطيع تسعة ابي ولم يمد العاصي برواح المعصية حتى يعصي تسعة ابي فان الغفلة
والشهوة والعذرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان العبد لا يعصيه عصاه فلم يحمله
على المعصية هذا لك المعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او ينتهي لا بحالة على اولا جاءه له
من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا اللمعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج ادم وموسى عند
ربهما فحج ادم موسى قال موسى انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته
واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله
برسالاته وبكلامه واعطاك الالواح فيها بيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله
كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى بأربعين عاما قال ادم فعصى ادم ربه فغوى قال تلومني
قال افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله قبل ان اكون تلومني بأربعين سنة قال صلى الله عليه
وسلم فحج ادم موسى فحج ادم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو
من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق به فهو من عموم
المؤمنين ولكل واحد من القسمين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وصوع
الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يفعل الافناء فيخلبه وقد يخلي عليه فيفترسه وكذلك
ما سبق ولذلك الافناء اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا
واذا اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع وكلت مع فته لكان لا يخاف
السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلي وترك واما الخائف
خائف السبع وخائف صفاته ملك اول ما يلقى الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا اكتشف
الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله كان الهالك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع
الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد
اهلا يسوقه القدر المفرغ عن القضاء الخير الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا
بحكمته والاسباب لها شاء ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا بحكمته والاسباب لها شاء ام ابوا اما ابوا فلا يرى احدهم نفسه
من ملتقط امواج القدر الا عليه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين سر القدر فمن فقد به الفهم
عن الارتفاع الى بقاع الاسرار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال
الخائفين وانواع القهر وسبب عفو بعضهم ومناصبتهم الى ان اصاب الحق المغرورين ملا يبالي ان الامر
بهما واولى الامرين الاجتهاد الاولياء العلماء واما الامن فنقص الفراغة الجهال الاغبياء اما سمعت قول النبي
الله عليه وسلم هم سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل
ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية انه سمع
قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة مص وقال اما يدريك ان الله كرمك الله اني رسول
الله وما ادري ما يصنع بي الله خلق الجنة وخلق لها اهلا الايراد منهم ولا نقض منهم وروي انه قال
ذلك ايضا على جنازة عثمان مظعون وكان من المهاجرين الاولين اما السائب سلمه هنيئا له الجنة كما
تقول اهنيئا سلمه بعد ذلك لله الا ان كل احد لعبد عثمان وقال بعضهم خوله الجنة والله لا ادري اعبدا
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي قال فارت السفينة عليه فاخذ يذكر من فضائل
علي مناقبه وروي في حديث اخر ان رجلا من اهل الجنة استشهد فقال انه فيما لك عصفور من عصافير
الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويمنع ما لا ضره وفي حديث اخر ان رجلا دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فقال ابشر
الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله عز وجل فقال المريض هي يا رسول الله فقال

ان الصدق مجلبة للرزق وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي وقد رنبت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم ذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نافقت حين ذكرت ما كنت فيه من الخوف والرقة فرجعت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا ما نافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة يا رسول الله كما عذكرك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ماكنا عند ك عليه هنالك لو انكم كنتم ابدا على ما كنتم عندي لصافحتكم الملايكة في الطرق ولاظلتكم بايديها ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات وروي في فضل الرجاء والبكاء وفضل التفكر والورع وفضل العلم ومزمته الامن مقصود لانه على فضل الخوف لان حاله ذلك متعلقه به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو عليه الخوف او غلبة الرجاء واعتدالها اعلم ان الاخبار في فضل الرجاء والخوف قد كثرت وربما ينظر الناظر اليها فيعتريه شك في ان الافضل ايها وقول القايل الخوف افضل ام الرجاء سؤال ايضا هو مثل القايل الخبز افضل ام اللحم وجوابه ان يقال الخبز افضل للجايع وقول القايل الخوف افضل للعصاة فان نظر الى الاغلب فان كان الخوج اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما مستويان وهذا ان كان مراد المقصود فضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه فالخوف والرجاء دوايان مداوي بهما القلوب فضلهما بحسب الدواء الموجود فان كان الغالب على القلب كالا من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل له وان كان الاغلب هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من اللحم اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالكل مرض الصفرا ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر وهو افضل فهذا الاعتبار على الخوف افضل للعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف قرب الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمبتدؤه الالفات الى الاعقاب التي تقتضي الكشف فلا تمام لمحبة المحبة ما لم يخافها والرجاء على الجملة فما يراد لغيره فمتبعي ان يستغرقه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فمقول اكثر الخلق الخوف اصلح لهم من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما الذي يدرك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا تدري انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لعذبك بها ورج الله رجاء تدري انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غلبة الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التفاوت والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه فاما العاصي اذا الهم انه الرجل الذي استثنى من دخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه هل ينبغي ان يغلب رجاءه كما سبق في اول كتاب الرجاء ان ينبغي ان يكون خوفه اغلب قلت ان من نبت البذر الصحيح في ارضه وواظب على تعهده رجا بجميع شروط الزراعة غلبة على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون حال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الغاط ولا يمتلئ بكثرة الله وذلك وان اردنا مثالا نفيس يصاغ ما نخوفه من مكر الله وجه لان سبب عليه الرجاء العلم الحاصل بالخبر به اذ علم بالخبر به صحة الارض ونقاوة وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصراعين المهلكة في تلك البقاع وغيرها امثال مسلمنا بذرا لم تخرب جنبه فمثل هذا الزارع وان اردى كثيه محمودة وجايكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر

ء مسلمنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وحفاياه خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وحبا بالاخلاق فيه عامضه والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم الحال وذلك مما يخفى ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولا يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المعترف من العلماء الى الخبء وذلك لم يجرب فمن عرف حقايق هذه الامور وان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه علب خوفه على رجايه لا محالة كما سبق في احوال الخايفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يباشر نفسه عليه حتى كان يسال حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرفه من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي بعد رسول الله يطهر قلبه من خبايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاءه قلبه عن ذلك فمن اين له مكر الله تعالى بتلبيس جاله عليه واخفاء عيبه منه وان وثق به فمن اين يثق بقلبه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار وقد روي ان الناقة لا تحتمل عقال الباجوراع انما هو مقدار خاطر عن خلجة في القلب عند الموت فمن ذا الذي يقطع بموته على حالة السرور فكيف بموت الاكثرين فاذن ابقى باب الموت من بعد احتوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون عند الاغترار وقلة المعرفة وادراك جمع الله سبحانه وتعالى وصفهم الذي عليهم وقال عمر رضي الله عنه فالحذر الحذر يهيم خوفا وطمعا وقال ابن مسلم رضي الله عنه وطئ الطمع من المغفرة ما يكون ذلك الا كسلا عن العمل وداعيا الى الاتكال في المعاصي فاذن ذلك فنوط وليس بخوف اما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى النجاة في دار الغرور وهو الخوف المجرد دون حديث النفس الذي لا يوثق بالكف والحذر دون الياس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في سبيله الاذكار وقال المجول السني من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الامور وعليه الخوف هو الاصلح ولكن قد يغلب الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح عليه الرجاء وحسن الظن بالله والخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل كما يطيب اسباب الخوف فاذن ذلك يقطع بياض قلبه ويعين على تحمل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه مرجاوه لا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا لقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء لقارنه المحبة فمن ارجا كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم عليه والموت هو الطريق الموصل الى لقاء المحبوب ومن فارق محبوبه استدعت محبته وعند انه تمكن القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محاية كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فهو خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه والكفر فيه فالدنيا وعلايقها ستاعله له عن المحبوب والدنيا اذن جنته لان الجنة عبارة عن البقعة المانعة للمحبوب عن الانسراح الى محابه فهو قدوم على محبوبه وخلاص من السجن واما من حال في السجن وعلى بينه وبين محبوبه بلا مانع وما كد وهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من التواب والعقاب فضلا عما اعد الله لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة ورضوا بها والهانوا اليها من الاتكال والاسترسال والاغترار وصروف الغرور والاتكال فسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله والسعي اليه الا باخراج حب كل شيء من القلب وقطع العلايق كلها ما سوى الله من حاجة ومالك وطن فلا لي الا ان ينزعوا عما دايه بيننا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء

ء الفكر والذكر وسائر الاسباب الموصله الى الله وكل ذلك سدع الجاه مع حسن البذل وسلامة
العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت ـــــ من خاف فات من خوفه فهو شهيد
فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان الله رتب له سبب موته من الخوف كان
لانها لو مات في وقت لا سبب الخوف فهو بالاضافه اليه فضيله فاما بالاضافه الى تقدير
تعالى به وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيله الى السالك سبل الله بطريق الفكر والمشاهده
والسير في درجات المعارف وكل لحظه ربه شهيد وتواجد الكان ربه صبي بعمل او محض يقربه
سبع اعوام ربه نبي وطي خوف خفف انه وهو محال فلا ينبغي ان نتمنى هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله
فكل ما ابطل العمر او العمل او الصحة التي يتسلط الخوف بقطعها فهو خسران بقصان بالاضافه الى الامور وان كان
بعض اقسامها مفضله بالاضافه الى امور اخر كما كانت الشهاده مفضله بالاضافه الى مادونها لا بالاضافه
الى درجه النبي والصديقين فان الخوف ان ابو قوى العمل فهو خوفه كهرمه مثل السوط الذي لا يزيد في جري
الدابه وان لم يقو درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العهد وهو الكف عن معصيه المشهوات
فله درجه فان قوي فهو لعلي وافضى درجاته ان يمنع درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن
عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه منبع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقا الصحه والعقل فان خاوز هذا
الى ازاله العقل او الصحه فهو مرض حبث لا حد له ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب
الدجا وبغيره حتى يزول ولذلك كان سعل وجهه الله يقول للمريدين المذاكرين للجوع ايانا كثيره احفظو
عقولكم فانه بها يمكن لله تعالى ولي ناقص العقل بسبب ان اقسام الخوف بالاضافه الى البلاغ
منه اعلم ان الخوف يحقق الايا بتطار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار
واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كمعاصي لاداتها الى مكروه في الاخره
وكما يكره المريض الدواء كما يكره المصوره لاداتها الى الموت ولا بد لكل خائف ان يعمل في نفسه
مكروها حاضرا لتعصبن وبقوى ابتطاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره وذلك المكروه
ومقام الخائفين يختلف بما يغلب على قلوبهم من المكروهات الحاضره الذين يغلب على قلوبهم مالس
مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبه او خوف فقد التوبه وتنك
العقد او خوف ضعف القوه عن الوفا بتمام حقوق الله او خوف زوال نعمه الله وتبدلها بالضاده
او خوف المبل عن الاستقامه او خوف اسبلا العاده في ابتاع الشهوات المالوفه او خوف زيادته
الله الي احسانه التي اتكل عليها وتغرز بها في عباد الله او خوف الطرد بكتوبه من الله عليه
او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف الكسان عن قابل طاعته
حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحسب او خوف سقطات الناس عنده في الغيبه والخيانه والغش واظهار
السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقيه عمره او خوف تعجل العقوبه في الدنيا او خوف اطلاع الله على
سريرته في حاله عطسه عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمه السوء او خوف السابقه التي سبقت
له في الازل عند كل هذه المخاوف العارفين ولكل واحد خصوص خاوفه وهو سلوك سبيل الحذر عما ينفضي
الى المخوف فمن خاف سلا العاده عليه فتواطئ على القطاع عن العاده والذي يخاف من اطلاع
الله على سريرته يستغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقيه الاقسام واعلى هذه المخاوف
على الاطلاق خوف الخاتمه فان الامر فيه خطر ولا طريق الى الاقسام واد لها على كمال المعرفه خوف السابقه
لان الخاتمه تتبع السابقه وفرع يتفرع عنها بعد تحلل اسباب كثيره فالخاتمه تظهر ما سبق به
القضا في الكتاب والخائف من الخاتمه بالاضافه الى السابقه كحبلين وقع الملك في حقهما
توقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبه ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزاره اليه فلما وصل التوقيع اليهما
بعد فتح رتبط قلب احدهما لما له وصول التوقيع وبشره وابه عما قريب يظفر ويرتبط قلب الاخر
لما توقيع الملك وكيفيته والله ما الذي خطر له في حال التوقيع من رجعه او غضب وهذا التفات
الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضا الازلي الذي جرى
بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر من الايدي والسنه انساء التي تحليه السلاسل حتى كان على المنبر
مقبض كفه الميمنى وقال كتب الله كتب فيه اهل الخير باسمائهم واسما ابائهم واسما ابائهم الى يوم القيامه
وما ينقص فيه كفه البشري وقال كتب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم واسما ابائهم واسما ابائهم الى يوم القيامه
وما ينقص فيه ولعلن اهل السعاده بعمل اهل الشقا حتى يقال كاد يلحق بهم بل هم هم بعينهم
يسعدهم الله تعالى قبل الموت ولو بقواق ناقه ولعلن اهل الشقا بعمل اهل السعاده حتى يقال كاد يسبق

منهم بل هم هم بعينهم يشقيهم الله تعالى قبل الموت ولو بقواق ناقه السعيد من سعد
فضا الله والشقي من شقي فضا الله والاعمال بالخواتيم وهذا كما ان سلم الخاتمه بالامن
لخاف معصيته وخاتمه والى من خاف الله تعالى بقيه لطفه وجلاله واوصافه التي تقتضي
الهيبه لا محاله فهذا على ربه ولذلك سمي خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما
الاخر فهو في عرصه الغرور والامن ازاطف على الطاعات فالخوف من المعصيه خوف
العالمين والخوف الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمره المعرفه بالله تعالى فكل
من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو حدير بان يخاف من غير جنايه بل المطيع لو عرف الله حق
المعرفه لخاف الله ولم يحقر معصيته ولولا انه مخوف نفسه لما سخره للمعصيه وسخر له
سبلها ومهد له اسبابها فان تيسر اسباب المعصيه ايعاد وليسبق منه قبل المعصيه
معصيه استحق بها ان يسخر للمعصيه ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعه وسبله
توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبل القربات فالعاصي مذعني عليه بالمعصيه
متاما ولا كذلك المطيع فالذي يرفع محمد صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيله سبقت
منه قط وجوده جود من يخاف سعه جلاله فان من اطاع الله اطلع بان سلط عليه ارادة الطاعه
واتاه القدره بعد خلق الارادة الجازمه والقدره التامه يصير الفعل ضروريا والذي عصى
لانه سلط عليه ارادة قويه جازمه واتاه الاسباب والقدره فكان الفعل بعد الارادة والقدره
ضروريا فليت شعري الذي اجبر اكراها هذا وخصصه بتسليط ارادة الطاعات عليه
وما الذي اوجب اهانه الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصيه عليه وكيف حال كل
على العبد واذا كانت الوسائله ترجع الى العطا الالهي من غير جنايه ولا وسيله فالخوف
من بقضي بما شا ويحكم بما يريد حرم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز
افشاؤه ولا يحكى بفهم الخوف منه في صيانه الامثال لوجه الا ان الشرع لم يسخر على ذكره
ذو بصيره وقد جا في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود دعني كل خاف الباغ
الضاري في هذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يفيدك علما بسببه فان الوقوف على سببه
وقوف على سر القدر وليكفك ذلك الا اهله والحاصل ان الشرع الحاجا به سقف اليه
بل الصفه وبطنته وسطوته وكبره وهيبته وانه يفعل ما يفعل وانا الى فاز هلك لم يرق وله
ولم يبالي بفتلك وان هلاكك لم يظهر عليك وانما علم وحكم بانت عنده احق من ان
يلتفت اليك جنايتك او ميلنا بل اهلاك الف مثلك واهلاك مثله عنده على يسره واجره
اذ لا يقدح ذلك في علم بصفته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن
من عرفه عرفه بالمشاهده الباطنه التي هي اقوى واتم واعلى من المشاهده الظاهره الله الصادق في قوله
تعالى هارون في الجنه وما ابالي في اي وادي هلكت وما ابالي وبكفيك من موجبات الهيبه والخوف المعرفه
بالاسما وعدد المسما الطبقه الثانيه من الخائفين ان تمثل لك انفسهم ما هو
المكروه وذلك مثل ان يكون الموت وشدته او سوء الحساب وتكراه عذاب القبر
او هول المطلع او هيبه الوقوف بين يدي الله تعالى لكن من تحقق السر الواقع في التقدير والقضا
او الخوف من اضطراط وحزنه وكيفيه الصبر عليه او الخوف من الطرد والخذلان والحرمان من الجنه
من الخروج عن الجنه دار النعيم والملك الكريم وغير ذلك من الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى
وكل هذه الاسباب مكروهه في انفسها فمن تحقق بمعرفه الله تعالى وصفاته افعاله عرف انه لا مخوف
هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين
وكافه العاملين ومن لم يتكمل معرفته ولم يتفتح بصيرته لم يشعر بلذه الوصال وبالم البعد والفراق
واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار ولا الحجاب لجحد ذلك منكرا في باطنه وبعيبه في نفسه
وربما انكر ذلك بلسانه ان كان ممن يعتقد انه لا يصدق بذلك فالعارف الكريم لو لا منع الشرع اياه من انكاره وتكذيب قائله
به بالسان عن صريره العقل والاعتقاد الباطنه لا يصدق بذلك لانه لا يعرف الا لذه الفرح والتلذذ والتنعم
الى الله تعالى والوجه الحسان في الجنه وشاهد كل ذلك فيها فجهله بالذه العارف في الدرجه
غيرهم وتعصل ذلك وسترجه حرام مع من ليس هذا حاله ومن كان هذا الله استبصر

وهو ابعدك ثم كانت نجمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم مدرارا سبحانك ما اجهلك وعزتك
انك تعصى ثم تسبغ النعمة وتقدر الرزق حتى لكانك بارينا اماما طاع سبحانك ما اجهلك تعصى
وتقدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكانك بارينا لا تعصى فقدره هي الاسباب التي تجلب لها روح الرجاء
الى قلوب الخائفين واما الخفي المغرور فلا يمنع ان يسمو بنيلين ذلك بل يسمو عن ما سوى وردة في اسباب
الخوف فان اكثر الناس يصلح الاهل الخوف كالصد السرد والصبي العرم الا يستقيم الا بالسوط والعصى
والمقار للفرة والكلام ما صد ذلك فيصد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف
وبيان اقسام الخلوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الامور المانعة من الخوف والرجاء وبيان ذم الخوف
وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والملائكة

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن ناثر القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا
من بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الخوف قلبه وضاق به فسيأتي مشاهدة الحال الحي على الدوام
لم يزوله الفكر في المستقبل فلم يكن له خوف وما رجا شيئا صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما من
معاني النفس الخروج الى ما تهواه والى ما هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب من الله وسبب العبد
وقال ايضا اذا ظهر الخوف على السر اربكه مهما فضلة لرجاء او لخوف فالمحبة اذا شغل قلبه
في مشاهدة المحبوب بخوف الهجران كان ذلك نقصانا في المشهود واما دوام الشهود عليه المقامات
ولكنا الان انما نتكلم في اوائل المقامات فمقول حال الخوف ينتظم ايضا على وجال وعلم اما العلم
فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن رجى على ملك قد وقع في يده مخاوف القتل مثلا والحبس
العقوبات والاهانات ولكن يكون ذلك الملك مطلعا عليه بالخوف فسبب علمه بالاسباب المفضية الى قتله
وحبسه خوفا حتى يأتيه وكون الملك على بعثه حقودا غضوبا مستهما وكونه محقوقا من تحته
على الانتقام خائفا عن تسفيع اليه في حقه وكان هذا الخائف عالما عن كل واحد من هذه الامور
محقوقا ان تجنبه عند الملك فالعلم بظاهر هذه الاسباب سبب لغلبة الخوف وسكونه على القلب
وحسب ضعف هذه الاسباب تضعف الخوف وقد يكون الخوف تارة عن سبب واحد مما ذكرنا الخائف
بل عن صفة الخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لعلمه ذات السبع وهي سطوته
وحرصه على الافتراس عادة وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة خلية للخوف
منه كخوف من وقع في مجرى سيل او حوار حريق فان الخائف منه بطبعه محمول على السيلان والاعراق
وكذلك النار على الاجزاء والعلم باسباب الكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب
وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته
والله لو اهلك العالمين بأسبابه لم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجنايات من العبد مع معرفته
المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعالى
واستعقابه وانه لا يسأل عما يفعل يكون قدره خوفه فاخوف الناس ربه اعرفهم بربه وبنفسه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت
المعرفة اورثت حال الخوف واحراق القلب ثم يفيض اثر المعرفة من القلب على البدن وعلى الجوارح
وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تسمو به المرارة فيفضي
الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث الغشوط والوسواس واما في الجوارح فكفها
عن المعاصي وبعدها بالطاعات قالا مثل لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل لبعض الخائفين
من بكى ويحك عينيه مالي يرى بك ما اخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف
هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا امن نفسه
منزله السقم الذي يحمي محافه طول السقم واما في الصفات فهو ان يقمع الشهوات ويكدر اللذات
وتنصر المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما تصير العسل مكروها عند من تشتهيه اذا
عرف فيه سما محرفا للشهوات بالخوف وتنادب الجوارح وتحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة
والاستكانة وبقارفه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر
في خطر عاقبته ملا يتفرغ لغيره ويكون له شغل الا المراقبة والمجاهدة والصبر بالافكار والاحتساب
ومواخذة النفس للخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله
حال من وقع في مخالب سبع صاري لا يدري انه يفعل به فعلا او يهجم عليه فيهلكه فيكون ظاهره
وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا مفسح فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا

كان جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو نائل القلب واحتراقه
وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما يبدو بها من الاخطار
والاهوال العاقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان منع عن المحظورات وسمي الكف الحاصل
عن المحظورات ورعا فان زاد قوته كفا مما يتطرق اليه امكان التحرج فتكلف العالم ليتباعد عنه
وسمي ذلك تقوى الله اذا التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وتحليله الجائز ترك ما لا بأس به مخافة
ما به بأس وهو الصدق والتقوى فاذا انضم اليه الحذر من الجائز مما لا بد منه ومما لا بد منه وتجنب ما لا يأكله
والمنفعة الى دنيا يعلم انها تفارقه ويصرف الى غير الله تعالى من انفاسه فهو الصدق وصاحبه
جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق والتقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة
عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذ الخوف يورث الجزاع بالكف والامتناع ويتجدد له
بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلم ان الورع فانما سمي الكف عن
محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحذور الذي به جهتها ووراءه اسم الصديق والمقرب ويجمعها
الزينة الاخيرة مما قبلها هي الاحفز فاذا ذكرت الاعم مقدما كررت الكل كما انك
تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما فرشي او غيره والفرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي
اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته
بانه علوي وصفته بما فوقه وما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متقي وورع وعفيف
فلا ينبغي ان يظن ان كثرة هذه الاسامي يدل على معاني كثيرة متباينة فتختلط عليك كما اختلط
على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى جامع معاني الخوف
وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة المؤجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة
منه كفا وافعالا فاما بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف
محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان اقوى واكثر كان اجود وهو غلط بل الخوف سوط
الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما ربه الفرض من الله تعالى والاصلي
للبهيمة ان تخاف عن سوطك وكذا الصبي ولكن ذلك لا بد منه في الجملة في الترب ضرورة ولكن
الخوف له مقصور وله افراط وله اعتدال والاعتدال هو الوسط وما الفاضل منه فهو الذي يحمل
مجاري قوة النار فخطر بالبال عند سماع اية من القرآن في وصف البكاء فيفر الروح وكذلك عند
مشاهدة سبب هائل واذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف ناقص
قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالعضب الضعيف الذي يضرب به دابة فهو به لا يولمها الما
موجعا ولا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لدرء صدمها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفون
والعلماء وليست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم بعيدون الناس عن الخوف
بل اعني بالعلماء بالله وبآياته وبافعاله وذلك مما قد عز وجوده الا ان ذلك قال الفضيل رحمه الله
اذا قيل لك هل لخائف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت
واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما يوثر في الجوارح هو
حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال
حتى تخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط
وهو الحمل على العمل لولاه لما كان الخوف كما لا انه بالجملة نقصان ان سماه الجهال والنجز
اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذي يتردد فيه واما
النجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى نقص الادنى واما المحمود في
نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يخوف ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى
به ملبس بكمال ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال
الدواء محمودا لانه اهون من المرض الذي هو المرجو والموت ثم الخوف الذي يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا
الى المرض والضعف والى الدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو
كالضرب الذي يسلل اسمي والسوط الذي لذلك الدابة او يمرضها او يكسر بعضا من اعضائها وانما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها لتعالج بها حدة الخوف المفرط المفضي
الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر مهم وسيلة ما يراد لغيره يفضي الى المراد المقصود
منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة

الحاجة بعد ما احاطه الاهوال الباطنة وارام براع ذلك كان يا بنيه بوعظه اكثر مما يصليه والخبر
لو ما تزيد الخلق الله قوما يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم
انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لذا وجم بالموت بعده المومن من الوالاده السفيفه بولدها
وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم "قيامه مغفره ما خطر قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان يصيبه
وفي الخبر ان الله تعالى مايه رحمه خير منها عنده مئة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة
منها سراع الخلق بعض الوالده الى ولدها وتعطفها البهيمه على ولدها فاذا كان يوم القيامه ضم هذه الرحمه
الى التسعه ومئة يسلمها على ٢ عامه وكل رحمه منها طباق السموات والارض قال الله اهلك على الله
على يومنا هذا هالك وفي الخبر ما من احد يدخله عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا انت فقال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته وقال عليه السلام اعملوا واشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه
وسلم الى لاحسب سفاعي باهل الكبائر من امتي اثر من امية للمصفين بل هي للملطخين الملوثين وقال عليه السلم
بعثت بالحنيفية السمحة وقال عليه السلم اجب لاهل الكبائر ان ينعم اهل الكبائر بالنار ٣ دونها سماحة وبراءة على معناه
استجابه الله تعالى للمومنين في قوله يسر ولا تعسر وقال وبشروا ولا تنفروا وقال عليه السلم ان الله كتب
عليهم وروي محمد بن الحنفيه عن علي كرم الله وجهه انه قال لما نزل قوله تعالى واصحاب الصفح الجميل قال جبريل
وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاقبه فقال الله جبريل ما الله تعالى اكرم من ان يعاقب من عفى
عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام
ويقول كف العقاب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة ٤ اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى
واما النار فقد قال علي كرم الله وجهه من اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يثني عقوبته
سره في الاخره ومن اذنب ذنبا فعوفي عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخره
وقال الثوري ما اجتهد احد اجتهادي في امر الا رجوت ان الله تعالى ارحم به مني وقال بعض السلف المومن اذا عصى الله
تعالى ستره الله عن نصار الملايكه كي لا يراه فيشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم يعظه
ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو قالت يا رب تحجبها الملايكه صوته وكرئك الثانيه
والثالثه حتى اذا قال الرابعه يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم انه ليس له رب
غيري استجيبوا كم الى ما دعوته له وقال ابرهيم بن ادهم خلا الي الطواف ليله وكانت ليله مطيرة
فوقف في الملتزم عند الباب فقال يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فخفق خافق فاذا هو بالبيت يا ابرهيم
انت تسالني العصمه وكل عبادي المومنين يطلبون ذلك فاذا اعصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان
الحسن البصري يقول المومن كان مطيرا في المكوف ولكن الله تعالى يحبه بالذنوب وقال الجنيد
ان يوقف عبدا من الكرام الحمقى المسيئين الحسنين ولقي ملك بن دينار ابانا فقال له اي كرة لحذوف الناس يا ذحي
يعني يخرج اشر عن اخته وكان من خيار التابعين وهو من تكلم ابعد الموت قال الهاما فاني في سجي ثوبه والقناه
على بعته فكشف الثوب عن وجهه واسوى فاطرا فقال اني لاعتب ربي عز وجل لحماني بروح وريحان وريد
غير عصبان واني لاب الامر اسير فاظهر ولا اعتذر وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى اردهم
اللهم طرح نفسه مكانها كانت حصاة وقعت في طست فملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني
اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الاخر عابدا فكان يعظه
ويزجره فكان يقول له عني وربي ابعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة وغضب فقال
لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامه ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد
غفرت لك وبعث للعابد وانت فقد احبطت عملك ملا تعاقبه فقال الذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت
دنياه واخرته وفي ان رجلا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنه فمر عليه عيسى عليه السلم وخلفه
عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو تزلت
فكنت معهما فانا قال فنزل اللص من حماره وقال يا روح الله اركب حمارك فقال عيسى عليه السلم
مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال فنزل الحواري ومشى فقال اللص في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم منه نفسه
وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فمر اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى ما لهما يسانفا العمل فقد
احبطت ما سلف من اعمالهما فقال الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت
سيئاته بما ازدى على نفسه فاحب ما يملك وهم اللص ابنه ٩ سياحته وجعله من حواريه

وروي عن معروف انه نشأ من الانبياء كان سياحا فمر على بعض الفتاه عنفه حتى الزمه الحج ماشيا فقال
قال فرفع النبي عليه السلام راسه معتصبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تالي على في عبادي
اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعين على المشركين ببعضهم
٤ صلاة فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ الآيه فترك الدعا عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك الى الاسلام
وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين من بني اسرائيل فاذا ادخل الجنه رفع احدهما في الدرجات العلى
على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعه في عليين فيقول الله سبحانه
انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاه من النار فاعطيت كل عبد سئوله
وهذا مما يدل على ان العباده على الرجا افضل لان الجنه اغلب على الراجي منها على الخايف فكم من فرق
الملوك بين من يخدم اتقا لعقابه وبين من يخدم ارجا ثوابه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانها سالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا
الرغبة واسئلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يعظمه شئ وقال ابو بكر بن سليم الصواف دخلنا على ملك بن انس
٤ العتبيه التي تبغي فيها فعلنا يا ابا عبد الله كيف نجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم سئغابنون
من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم مر بي حيا حتى اغمضناه وقال عيسى بن معاذ في مناجاته يكاد
رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف لا ارجو وانا بكافه
معروف واعتمد في الذنوب على عفوك وكيف لا تعفو وانت بالجود موصوف وقيل ان يهوديا
اسقاف ابو يعقوب الخليل عليه السلم فقال ان اسلمت اضفتك ثم المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم ما نطعمه
الا تعير دينه وخمس مئة بعير بسنه نطعمه على كفره فلما اضافه ليلة ما ذا كان عليك فرا ابرهيم
مع خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما الذنب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني
ثم قال ارغب في الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان
يقول بعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمناه وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي
في المنام على هيئة حسنة فوصف فقال له باي استاذ لم هذا فقال بحسن ظني بربي عز وجل وقيل ان ابا العباس
بن سريج رحمه الله راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول الى العلما
ماذا اردتم فيما علمتم فيما علمتم فقال العلما يا رب قصرنا واساءنا فاعاد السوال كانه لم يرض بالجواب
فاردد جوابا غيره فقلت انا انا تلبس ٤ حقيقي الشرك وقد وعدت ان يغفر ما دونه فقال ادخلوا فقد
غفرت لكم وما ذاك بعيد ذلك بليلة قيل كان رجل سريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام
له اربعه دراهم واسره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام ببائع ٤ مجلس منصور بن عمار
وهو سيال يقشر سماء ويقول من يدفع الى اربعه دراهم دعوت له اربع دعوات فقال الغلام الدراهم
اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك قال الي سيدا ريد ان الخلص منه فدعا منصور فقال الاخر
فقال الله لك فلما ان يتوب الله على سيدي فدعا منصور فقال الاخر فقال ان
يغفر الله لي ولك ولسيدي وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال اسيده ابطات فقص عليه القصة
فقال هم دعا فقال اسالك بالحق فقال اذهب فانت حر لوجه الله وابشر الباقي فقال الله
على الدراهم فقال لك اربعة آلاف درهم فقال ابشر الثالث فقال ان يتوب الله تعالى فقال انت لله
تعالى وابشر الرابع فقال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللدكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات
ملك الليله راى في المنام كان قائلا يقول له فعلت ما كان لك ان افشر ان لا افعل ما الى مد
عفرت لك وللغلام وللمنصور بن عمار وللحاضرين اجمعين وروي غير هذا الوجه ٤ غير هذا المجيد السعدي قال رايت
حبارة مجلسه من الرجال وامراة سالما فاخرجت فكان المراة وذهبنا الى المقبره وصلينا عليها
ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك وما ابني فقلت لها يرحمك الله حيران قالت بلى ولكن
صغروا امره فقلت وابن كان هذا فما لبثت فرجعنا وذهبت بها الى منزلها واعطيتها دراهم
وحيطة وثيابا فقالت رايت تلك الليله كانه اتاني ات كانه القمر ليله البدر وعليه ثياب
سقيه فجعل ينكر علي فقلت مه انت فقال الخبث الذي تصنعونه اليوم وعني يوم حفار النار اما راي وقال
ابو هيثم الطرسوسي كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجله اذ مر قوم احداث في زورق فيهم
بالدف ويضربون بالعود فقالوا المعروف امام يعصون الله علانيه من ادع الله عليهم فرفع يده
وقال اللهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخره فقال القوم انما سالناك ان تدعو عليهم
فقال اذا فرحهم في الاخره تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب يا اهل

من مكر الله وخبث اسباب الرجاء لسعة حق الايمان في غلبة الخوف افراد اسباب الخوف
وسوء صلى الله عليه وسلم انها مستقلان على الخوف والرجاء جميعا لانها جامعان لاسباب السعادة في حق اصناف
المرجى ليستحقه العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة لسعة الطيب الذي لا يزال استعماله
الاخوف الذي يطمئن كل شيء من الاشياء به صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب بغير
احد هذين الاعتبارين الاخرين الايات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان نبدأ ملجمع ما ذكرناه
في اصناف النعم من كتاب الله تعالى حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا عجائب حكمه التي
وعاها قلوب العارفين حتى اعتدله في الدنيا كما هو ضروري له في دوام الوجود كالماء الغذاء
وهو محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستدارة الحاجبين واحداقهما
الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينتظم بفقده عرض موجود وانما كان يعرف به
مزيد جمال كالعنابة الالهية اذا لم يقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يمرض
لعباده ان يقوموا بمصالح المنازل والمدائن في الزينة ولكن احكمه كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد
بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه
يكره الاشقياء في الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت ضلا او الخير اضلا فليس
كراهتهم للعدم الا ان اسباب النعم اغلب لاهاله وانما الذي يخشى الموت نادر ويوافقه طائفة عزيزة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة
سنة الله تعالى ان يجد فيها بدلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون ان شاء الله الخير والسلامة
واجره وهو غفور رحيم يلطف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا ما حث الباحث على ما قوي به اسباب
الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسياستها في مصالح الدنيا والآخرة
للعباد فيها حتى كان بعض العارفين يرى ان المدائن في البصرة ومن اقوى اسباب الرجاء فيه له
وما فيها من الرجاء فان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فاذا نظر كيف
انزل الله تعالى اهون الاشياء ليهدي عباده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي هو غرله
منه الفوز الباقي اسقرا الايات والاخبار فما ورد في الرجاء احاط عن الحصر اما الايات
فقول الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا وفي سراه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض والخبر قال ان النار اعدها لاعدائه واما خوف بها اولياءه
هذا القدر من توهم ظلم النار ومن فهم ظلم الذنب خوف الله تعالى عباده وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال
اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لي سؤالا في امته حتى
اما ترضى وقد ابرلك عليك هذه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى لسوف يعطيك ربك فترضى قال ان رضي محمد وواحد من امته في النار وكان لو حسفر محمد من على بابه كل اهل العراق يدخلون
ارجاء كثيرة من كتاب الله عز وجل قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الآية ولخواص اهل البيت قول ارجى آية في كتاب الله تعالى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى واما
الاخبار فقد روي عنه ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في
الآخرة عجل عفوها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل
الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر بأتي كل رجل من هذه الامة يهودي او نصراني
الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى مرح من جهنم وهي حظ
المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى عيسى
عليه السلام اني ارحل احباب امتك الذين اذا بليت خيرت لهم مني فقال يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا يكن لهم
وروي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه في زوجة امته فقال يا رب اجعل احبابهم الي ليلا
يطلع على ما وهبت غيري حاجي الله تعالى اليه في امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك واحلم
حسابهم الي غيري ليا انتظر من صلاتهم لا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم احبائي خير لكم
وموتى خير لكم اما احبائي فانهم لكم الستر وانشر لكم الشرائع واما موتى فانا اعالكم
تعرض علي فاذا رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم
وقال صلى الله عليه وسلم اكرم العفو فقال جبريل ان ربك يقرئك السلام ويقول اكرم العفو هو ان عفى

عن الشاب بوجنه ثم بدا لها حسنات بكوبه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني
اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة فقال لا قال الا خرا الجنة فقال العلماء فدائم نعمته علينا
برضاه الاسلام لنا دينا قال تعالى وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا ادخل
العبد واسعفه بقول الله عز وجل الا يكنه انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه اعنان السماء غفرتها
ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها الارض مغفرة
وفي الخبر ان الله ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب سبعا فان تاب واستغفر لم يكتبها
عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعد حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
وهو امير عليه الى وهذه السيئة حتى الفي من حسناته واحده من ضعف العشر وارفع له سبع حسنات
فبلغني عنه هذه السيئة وروي انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه
مثلها اعرابي فان تاب عنه قال فان عاد قال فليه السلم يكتب عليه فقال الاعرابي فان
تاب قال فمحي من صحيفته قال الا مجي قال الى ان يستغفر ربه توجب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة
حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد لحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة فقال لصاحبها فان عملها
كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بمعصية لم تكتب عليه فان عملها
كتبت خطيئة واحدة وروا هما حسن يعفو الله عز وجل وحاد جل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان اصوم الدهر واريد ان اصلي الخمس واريد علمها وليس لله علي مالي صدقه وانا حج وانا اضرع ان انا اذا قمت
فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم معي ان حفظت ملكت من ايمانك العمل والكسل ولسانك من
الغيبة والكذب وعينك من ان ينظر الى ما حرم الله عز وجل وان ترد ري بها مسلما دخلت
معي الجنة على رأسي بها نين وفي الحديث الطويل ان الاعرابي قال يا رسول الله من ملك حساب الخلق فقال
الله تبارك وتعالى فقال هو نفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحك بالاعرابي
فقال ان الكريم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي
لا كرم من الله تعالى هو لا كرم مني قال لفظه الاعرابي وفيه انهما ان الله تعالى ترك
الكعبة وعظمها ولوان عبدا هد مها حجرا حجرا ثم اخرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى
قال الاعرابي ومن اولياء الله تعالى قال المؤمن كل مؤمن اولياء الله لما سمعت قول الله عز وجل الله ولي
الذين آمنوا اخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن اعظم من الكعبة والمؤمن طيب
طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى من فضل رحمته سبعين
بسبع الله به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم
لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علم الله تعالى شيئا الا حمله
ما يغلبه وحمل رحمته يغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق
ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله
دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيا حرمت
عليه النار ولا يدخلها من في قلبه وزن ذره من ايمان فوعن خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله لما
ايس من جنته احد ولما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال
اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من
كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار واحد الى الجنة قال فانا يلبث الهرم ان يصيروا شبانا وتسلوا
يوم مهم عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما لكم لا تفرحون ضاحكا
ومن يستعمل بعد ما جرى ما هذا فقال كم امتي قال الف امة فالكم امتي قال سبعمائة الف قال
امم لا يحصيها الا الله عز وجل امتي في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في
ذراع الدراية فاقنط كيف كان سوق الخلق بساط الخوف وبعد هم بارضه الرجاء الى الله تعالى
اذ بساط قصد بساط الخوف اوالما خرج ذلك بعض خبر الاعتزال الى الى اخر الباب الساس واما هم
بين الرجاء وهو هنا الى الاحد الاول القصد والاخر ايكن مناقضا للاول ولكن ذكر
الاول ما راه سببا للسباء وانصر عليه ما لجناحوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر على
الوجه ان تعدي بسيد الدوا كما فيخلط قمة استعمال اجار الخوف والرجاء فجب

الاخلاق الرديه واسطر من فضل الله تعينه على ذلك الى الموت وحسن الخاتمه المفضيه الى المغفره
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبه والقيام بمقتضى الايمان واتمام اسبابه
المغفره الى الموت وان قطع عن بذر الايمان بتقلده بما الطاعات او ترك القلب مشحونا ببرد اليأس الاخلاق
وانهمك في طلب لذات الدنيا استظر المغفره ما انتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى خلف من بعدهم اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا وقال خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وذم الله صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعه قائمه ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد الجاهل والطاعات الخبث للعاصي حقيق بان يظن
فضل الله يتمام النعمه وبدوام النعيم الابدي دخول الجنه واما المعاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه
من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبه واما قبل التوبه اذا كان كارها للمعصيه ستوءته السيئه
وسرته الحسنه هو هو بدء تنفسه ويلوح فيها وتسبق التوبه وتساق اليها فحقيق بان يرجو من الله القبول
التوبه لان كراهته للمعصيه وحرصه على التوبه يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبه واما الرجاء
بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون
رحمة الله معناه اولئك مستحقون ان يرجوا وما اراد بهذا تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو اولكن
خصهم باستحقاق الرجاء اما من يعلم من نفسه ما يكره الله تعالى ولا يندم نفسه عليه ولا يعزم على
التوبه والرجوع عن جادة المغفره حتى كرجاء من بث البذر في ارض سبخه وعزم على ان لا يتعهدها بسقي
ولا تنقيه قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامه
وتوقع القرب من الله بغير طاعه وانتظار زرع الجنه ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي
وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط فاذا عرفت حقيقه الرجاء ومطلبه
فقد علمت انفعاله جالبه اثمرها العلم بان اكثر الاسباب وهذه الجمله ثمر الجهد للقيام
ببقيه الاسباب على حسب الامكان من حسن بذره وطيب ارضه وعزم زارعه صدق رجاءه
فلا يثمر الجهد بعد الرجاء على نقد الارض وتعهدها وجنبه كل حبس يلبث فيها فلا تغفر عن تعهدها
اصلا الى وقت الجماد وهذا ان الرجاء يعاده اليأس ومنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخه
وان الماء معدوم وان البذر لا منبت فيترك لا محاله نقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود
لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء هو مؤلم كما
سيأتي بيانه بل هو باعث آخر يطرق اذهبه كما ان الرجاء باعث بطرق الرغبه فاذن حال الرجاء يورث
طول المجاهده بالاعمال والمواظبه على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال من آثاره التلذذ بدوام الاقبال
على الله والتمتع بمناجاته والتطلف له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو اما كالمتاجر
الملوك او كحصاد من الاحقاء فكيف يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر بتكاسل
به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو اليأس فحقيق بان يورث
من العلم ما استشعر منه من العمل ويدل على امارته لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اسلك عن علامه الله فيمن يريده علامته فيم يريده قال كيف اصبحت
قال اصبحت احب الخير واهله واذا فرت على شيء سارعت اليه وانفلتني ابواه واذا اعتانني شيء منه
جرت عليه وحبت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو اراد بك بالاخرى هيأك لها بسالفي اي
اودية هلكت فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارجى ان يكون
مرادا بالخير من غير هذه العلامات وهو مصر وربما يضله الرجاء والرغبه فيه
اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء
واعبد ذلك بمالك يحرم احدهما خائفا من عقابه والآخر راجيا لثوابه ولذلك ورد في الرجاء حسن الظن
رغائب لا يساوقت الموت قال تعالى لا تستطوا من رحمه الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى
اوحى اليه انك يا يعقوب بثثت الي شكوى يوسف لقولك اخاف ان يأكله الذئب وانت عنه غافلون فحفت
الذئب ولم ترخني ولم نظرت الى غفله اخوته ولم تنتظر الي حفظ الله وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله وقال عليه السلام قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء

ما صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي
وارجو ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه
وقال على رجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثره ذنوبه باهد ايأسك من رحمه الله اعظم من ذنوبك
ان من ادب ربنا فعلى ان الله تعالى قدره عليه ورجا ان غفر الله له ذنبه فقال ان الله عز وجل
يا فقال ايؤدبكم الذي يطعم ربكم ارجاكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامه ما غرك اذ رأيت الكرام ان تكرمه
فاذا لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال لعمرو الله تعالى وقد غفرته لك وفي الخبر
الصحيح ان رجلا كان مداينا الناس فيتسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله فعمل بعمل خير فاظنه فقال الله عز وجل
من اجل ذلك ما نعفو عنه لحسن ظنه ورجائه انه نعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى ان الذين
يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيه يرجون تجاره لن تبور ولما قال صلى الله عليه
وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون صدوركم
وتجاوز الي ربكم فيهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم
وبشرهم وقال لهم ان الله تعالى اوحى الي داود عليه السلام احبني واحبب من يحبني وحببني الى خلقي فقال
يا رب كيف احبب الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك
فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وروي ابن زيد عن عائشه رضي الله عنها ان رجلا كثر ذكره ابو الدرداء رجاء
او تفني الله تعالى بين يديه فقال لها الذي حملك على ذلك فقال اردت ان احبك الي خلقك فقال قد
غفرت لك وروي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه
وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم ملك يا رب ما هكذا حدثتنا
فقال وما حدثتك عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه
وسلم عن جبريل عليه السلام انك ملك انا عذلك عبدي في ليلقين ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني
فقال غر وحاصدق جبريل وصدق نبي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت
قال فالبث ومتى يبدي الولدان الى الجنه فقلت بالهامي فرجحه وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل
كان يقنط الناس ويشدد عليهم فقال الله تعالى يوم القيامه اليوم اواسك من رحمتي كما
كنت تقنط عبادي منها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنه
بناديا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فاتني بعبدي فقال فيجيء به فيوقفه على يديه فيقول الله كيف
وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه فقال فتمثلت لي روحه فقول الله
عز وجل الى اي شيء تلفت فيقول لقد وجوت ان لا تقبرني فيها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى
اذهبوا به الى الجنه فمثل هذا على رجائه كان سبب نجاته بيان دواء الرجاء
والسبب الذي يحصل منه جمال الرجاء ويغلب اما ان هذا الدواء لتحاج اليه اكثر الخلق اما رجل غلب
عليه اليأس فترك العباده واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبه على العباده حتى اضر
بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فبحاجان الى علاج يردهما
الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العباده واتمام المعاصي فادويه الرجاء
غلبت سموما في حقه مهلكة وبيان ذلك ان الاصل الذي هو منشأ الغلبه عليه امران
مهلكان لمن غلب عليه الحواله على المغرور كاستعمال حقنه الاترياق الخوف والاسباب المجمعه له فاذا
يجب ان يكون واعظ الخلق مناظرا الى مواقع العلل مداويا لكل علة بما يضادها
لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها
فاذا جاوز الوسط الى حد الطرف عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في بعده عن الوسط وهذا الدواء
زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغه في التخويف انها كادت ان تورد كل
جاده الخوف وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويوئسهم بالكليه ولكنها
لما كانت تخفف على القلوب والذهن النفوس وتبعث غرض الرجاء عالما الا اسيئه الطاب واستعمال
الخلق بالمكر وكيف ما كانوا ما لوا الى الارجاء حتى ازداد الفساد فاذا وازداد الكون
في طغيانهم تمادوا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمه الله ولا يؤمنهم

الصبر افضل من الشكر الذي تعمه العامة افضل من الشكر الذي تعمه العامة و الى هذا الم
المصنف اشار المجد رحمه الله حيث سئل عن الصبر و الشكر ايهما افضل و مثال ليرجح الغني با
و يمدح الفقير بالعدم و اما المدح في الامرين مهما شرط ما عليها فرط الغني يحبه مما عليه انسانا
و معهما تلاهما و الفقير يصبه منا عليه انسانا ترا صفته و تقيضها و ترجمها و اذا كان الانسان ما يمن الله
عز و جل شرط ما عليهما كان الذي الى صفته و ازجمها انما جعلا من صنع صفته و نعمها و الامر على ما قاله
و هو صحيح من جمله اقسام الصبر و الشكر في الصبر الاخير الذي ذكرناه و هو لم يرد سواه و يقال كان
ابو العباس سهلا اذ خالفه في ذلك و مال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر مذ هما عليه الجنيد و اصابه
ما اصابه من البلاء من قبل اوراده و تلفاه و ورد الى عقله اربعة عشر سنة فكان يقول دعوه الجنيد
اصابني و رجع الى نصر الفقير الصابر على الغني الشاكر و مهما الحظت المعاني التي ذكرناها علمت
ان الكل واجر من الفريقين و جها في بعض الاجر افرب ففقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق و رب غني
شاكر افضل من فقير صابر و ذلك هو الغني الذي لا يرى نفسه مثل الفقير اذا لا يمسك لنفسه من المال
الا قدر الضرورة و الباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين و المساكين
و انما ينظر جلمة نسخ حتى يصرف اليهم اذا صرف لا بصرفه لطلب جاه و صيت و لا تقليد منه
بل اداء لحق الله تعالى في نعم عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا اسقل على النفس
و العبر سقل عليه الفقير اذ هذا يستشعر لذة الفرة و ذاك يستشعر الم الصبر فان كان ما لما يذاق
المال صحبة ذلك بلذيذة الفرة على الاشاق فاعلم ان الذي تراه ان ضر يفوق ماله عن عينه و طيب نفس اكمل
جاما من يفقه و هو يحمل به دائما يقطعه عن نفقه فقرا و قد ذكرنا نقصان هذا فيما سبق من كتاب التوبة
فاما لام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لما يدبها و ذلك مضاهي ضرب كلب الصيد و الكلب المادب
اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب و ان كان صابرا على الضرب و لذلك يحتاج الى الايلام و المجاهدة
في البدايه و الاحتياج اليه في النهايه بل النهايه ان يصير ما كان مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير
التعلم عند الصبي العاقل لذيذا و قد كان مولما له او لكن لما كان الناس كلهم في الابتداء في البدايه
بل قبل البدايه يكثر كالصبيان الخلق الجنيد القول بان الذي لم يصف صفته افضل هو كما قال صحيح
فيما اراده من عموم الخلق فاذ اذا كنت لا تصل الجواب و تطلقه اراده الاكثر فاطلق القول بان الصبر
افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق و تفصيل فان للصبر درجات
افلها ترك الشكوى مع الكراهة و وراءها الرضا و هو مقام و وراء الصبر و وراءه الشكر على
البلاء و هو وراء الرضا اذ الصبر مع البلاء و الرضا به مقام فيه الم فيه لا فرح و الشكر ممكن الاعلى محبوب
مفروح به و ذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها و يدخل تحتها امور دونها فان حيا العبد
من تابع نعم الله عليه شكرا و معرفته بتقصيره عن الشكر شكر و الاعتذار من قلة الشكر شكر
و المعرفة بعظم جلم الله و كثرة سنوه شكر و الاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق
شكر و العلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله و موهبة منه شكر و حسن التواضع بالنعم و الذل
بها شكر و شكر الوسايط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله
و قد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة و تلك الاعراض حسن الادب بين يدي المنعم
شكر و تلقي النعم بحسن القبول و استعظام صغرها شكر فما يدرج من الاعمال و الاحوال تحت اسم
الشكر و الصبر لا تحصر اجادها و هي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر
على سبيل الاطلاق نعم الخصوص ربما للفظ العام كما ورد في الاخبار و قد روي عن بعضهم انه قال رايت
في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال انكحت في ابتداء عمري اهوى ابنة
عم لي و هي كذلك كانت تهواني فما تفارقنا و حبي لها فما زلت تعالى يخي هذه الليلة
شكرا لله على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة و استغرق اعمرنا الى صلاته فلما كانت الليلة الثانية
فلما متذكر ذلك فصلينا طول الليل فمتنا بعد سنة او اثنتين سنة نحن على تلك الحاله كل ليلة الى السحر كذلك
فانه قالت العجوز هو كما تقول الشيخ فانظر انهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو جمع الله
بينهما و انسبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان الشكر افضل فاذن لا موقف
على حقايق الفضائل الا بفضل كما سبق و الله اعلم

اخر كتاب الصبر و الشكر و الحمد لله رب العلمين

كتاب الرجا و الخوف

كتاب الرجاء والخوف

اجياء علوم الدين

وهو الثالث من ربع المنجيات وكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجو لطفه و ثوابه المخوف مكره و عقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم
بلطائف الابه الى النزول لفنائه و الخلود لعز دار بلائه التي هي مستقر اعدائه و صرف بساط التعريف
و زجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه و كرامته و صدهم عن الغرض لامته و الشرف
بحظه و نيله فود الاصناف الخلق بسلاسل القهر و العنف و ازمة الرفق و اللطف الى جنته و الصلاه
على محمد سيد ابنيائه و خير خلقه و على اله و اصحابه و عترته اما بعد فان الرجاء و الخوف جناحان
بهما يطير المقربون الى كل مكان مقام محمود و مطمان بهما يتطلع من طرق الاخره كل عليه كوذ فلا تعود الى الغرب
الرجاء و روح الجنان مع كونه بعيد الارجا قبل الاعيان محفوفا بابكاره القلوب و مشاق الجوارح و الاعضا الا ازمه
الرجاء و البعد عن نار الفجع و العذاب القمع مع كونه محفوفا بلطايف الشهوات و عجايب اللذات الاساط
التخويف و سطوات التخويف فلا بد ان نذكر من حقيقتها و فضلها و سبل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما و تعاندهما من باب
و في جمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على سطرين السطر الاول في الرجاء و السطر الثاني في الخوف
اما السطر الاول و يشتمل على بيان حقيقه الرجا و بيان فضله الرجا و بيان درجات الرجا و الطريق الذي به
تحلب الرجا بيان حقيقه الرجا اعلم ان الرجا من جمله مقامات السالكين و احوال الطالبين و انما
و انما سمي الوصف مقاما اذا ثبت و اقام و انما سمي حالا اذا كان عارضا سريع الزوال و كان الصفرة تقسم
الى يابسه كصفره الذهب و الى سريعه الزوال كصفره الوجل الى ما هو بينهما كصفره المريض فكذلك
صفات القلب تنقسم بهذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب و هذا احد اركان وصف
من اوصاف القلب و عرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا انما ينابع من علم و حال و عمل فالعلم سبب ثم الحال
و الحال يقتضي العمل و كان الرجا اسم للحال من جمله الثلاثة و بيانه ان كل ما لا يملك من مكروه و محبوب
فينقسم الى معدوم في الحال و الى موجود فيما مضى و الى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى
سمي ذكرا و تذكرا و ان كان ما خطر ببالك موجودا في الحال سمي وجدا و وجودا و ادراكا و اما سمي
وجدا لانها حاله تجدها من نفسك و ان كان ما خطر ببالك و وجد شيء في الاستقبال و غلب ذلك على
قلبك سمي انتظارا و توقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا و اشفاقا
و ان كان محبوبا حصل من انتظاره و تعلق القلب به و اخطاره وجوده بالبال لذة في القلب و ارتياح سمي ذلك
الارتياح رجاء فالرجا هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده و لكن ذلك المحبوب المتوقع
لابد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق و ان كان
ذلك انتظارا مع الجزم انتفاء اسبابه و اضطرابها فاسم الغرور و الخوف عليه اصدق فاسم الرجا و ان لم يكن الاسباب
معلومة الوجود و لا معلوما منها الا سقها فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب على كل حال
فلا يطلق اسم الرجا و الخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال لرجو اطلوع الشمس وقت
الطلوع و اخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال لرجو ان يطول العمر و اخاف ان انقطاعه
و قد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخره و القلب كالارض و الايمان كالبذر فيه و الطاعات
جاريه مجرى تهذيب الارض و تطهيرها و مجرى حفر الانهار و شقها الماء اليها و القلب المستعد
بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخه التي لا ينمو فيها البذر و يوم القيامه يوم الحصاد و الحصد
احد الامرين و لا يمو زرع الامن بذر الايمان و قل ما ينفع ايمان مع خبث القلب و سوء اخلاقه كما لا ينمو
بذر في ارض سبخه فينبغي ان يعلم ان رجا العبد المغفره بجا صاحب الزرع فكما فرط في ارضا طيبة
و التي فيها بذرا جيدا غير عفن و اسوس ثم امده بما يحتاج اليه و هو سوق الماء اليه في اوقاته ثم نقى الارض
عن الحشوش و الحشيش و كل ما يمنع نبات البذر و بعده ثم جلس ينتظر من فضل الله دفع الصواعق
و الافات المفسده التي تمنع الزرع و بلغ غايته سمي انتظاره رجاء و ان ترك البذر في ارض صلبة سبخه مرتفعه
لا ينبت فيها ما فلم يستعمل بتعمير البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا و غرورا لا رجاء
و ان البذر في ارض طيبه و لكن ما لها و احتر ينتظر مياه الامطار حتى لا تغلب الامطار
و لم يسم ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع
اسبابه الداخلة في اختيار العبد و لم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره و هو فضل الله تعالى بصرف
القواطع و المفسدات فالعبد اذا بذل الجهد و الايمان و سقاه بماء الطاعه و طهر القلب عن ترك

معه مالا وقد عليه العمل وجب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي وصو
لان الصيام مندوب عليه سهوة البطن فاذا كسرها او سعه الشبع عن صفا الفكر وعلوم الملك
فاذا نقصه القلب بالجوع فما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه التي لا يليس يستحب سهوة بطن
ولا هو مشغول بسبع فكر منعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال ع
وهو كالمريض الذي يشكو اوجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فالمنفع به ما حفه ان يطرق المهلكات
الذي استعمل عليه والشبع المطلع من جملة المهلكات ولا يزيل جياع ما به سنه ولا صيام الف ليله منه
دون ان يزيله الا اخراج المال فغلبه ان يتصدق بما معه ويفصل هذا مما ذكرنا في ربع المهلكات
فلرجع اليه فاذن باعتبار هذه الاحوال يختلف عند ذلك معرفة الصبر ان الجواب المطلوب عنه لختلفا
اذ لو قال لنا قائل الحسن افضل ام المال لم يكن فيه جواب وحتى ان الجواب افضل الخاتم والمال للعطشان افضل
فان جمعهما فينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالمال افضل فان سويا وبالغهما متساويان وكذا اذا قيل
الكحل افضل ام الترياق فلم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا الكحل افضل ام عدم
الصفرا فمقول عدم الصفرا ان الكحل مراده وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لاجله فاذن
فضل المال العمل هو الانفاق وبحصل بمحال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وبينهما القلب
بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله وحبه فلا افضل المعرفة ودونها الخلق ودونها العمل
فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى لطلب الصدقات بقوله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال وبادروا بالاعمال الصالحات فكيف لا يكون العمل والانفاق هو الافضل فاعلم
ان الطبيب اذا اشتغل على الدوا لم يدر ك على ان الدوا امر اذ لعينه او على انه افضل من الصحة والشفا الحاصل به ولكن الاعمال
علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كمرض على وجه من لا مراه معه فانه لا يشعر به
ولو ذكر له لا صدق به فالعمل معه للمبالغة في التباعد عن الوجه بمنزلة الورد مثلا ان كان ما الورد
يزيل البرص حتى يحثه فرط التباعد على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص
عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولم يضر به مثلا اقرب من هذا فمقول من له ولد
عليه العلم والعمل وارادان يعلمه ذلك في حفظه حتى يواظب عليه وعلم انه لو امره بالتكرار
والدراسة لبقي له محفوظا قال انه محفوظ ولا حاجة بي الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما حفظه
في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبد فامر الولد بتعليم العبد ووعده على ذلك بالحمل لتوفر داعيه
على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعلم العبد القرآن وانه قد استحق
لتعليمهم فيتكاسل عليه الامر فيقول ما بالي في تشاغلي بتعليم العبد واما اجل اسعى فيه واعتز عند الوالد
واعلم ان الولد لو اراد تعليم العبد لقد وعده دون تكليفي واعلم انه لا يضاعف لي بقدرها وكان العبد فضلا
عن عدم علمهم بالقرآن فربما يكاد يرهذا المسكين حتى يتركهم اعتمادا على اسعنا اليه
وعلى كرمه في المعونة حتى ينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد اتخدع بمثل
هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاني بمعنى
لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله لاطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا
الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا انضالو يشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك
بالصدق واذا شاء اسعد بالجدل بضلاله كثيرا وهديه كثيرا فهو لا لما طلوا انهم استحدموا لاجل
المساكين الفقرا او لاجل الله تعالى قالوا الاحظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا
سواء انفقنا او امسكنا هلكنا كما هلك الصبي لما ظن ان الوالد انما استخدمه لاجل العبد وما
يشعر بانه كان المقصود نيابة صفة العالم نفسه وناكيده في قلبه حتى يكون ذلك سببا
لسعادته في الدنيا واما اذا كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال
بين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن المسكين الاعظم هالك بسوء ما سطه المال حب العمل
وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم حتى لخرج روح الدابة

المهلكة

المهلكة من باطنك فاحجامه وحاذقه ذلك الآتي خادم الحجام ولا لخرج الحجام عن كونه حاذقا
بل يكون له غرض في ان يضع سبابا مهما ولما كانت المهلكات مطمورة البواطن وفي كثرة لغافل خبايث
استفاض امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها وانهى عنها كما نهى عن كساء الحجام وسماها
اوساخ اموال الناس وشر فاهلها بينه بالصانه عنها والمقصود ان الاعمال هي ورات في القلب كما
سبق وربح المهلكات والقلب نفسه ثمارها ستعيد لقبول الهدايه ونورا لمعرفه فهذا
هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفه فضائل الاعمال والاحوال والمعارف
فلنرجع الان الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول كل واحد منهما معرفه وحال وعمل
فالمحمود من كل واحد منهما المعرفه ثم احدهما بالحال او الكمال في الاخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر
التناسب ويعد التناسب يظهر الفضل ومهما فوتت معرفه الشاكر بمعرفه الصابر ورجعا الى معرفه
واحده اذ معرفه الشاكر ان يرى نعمه العينين منالله ومعرفه الصابر ان يرى المعي من الله وهما
معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعه
وعلى المعصيه وفيها نجد الشكر والصبر ان الصبر على الطاعه هو عين شكر الطاعه لان الشكر يرجع
الى صرف نعمه الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمه والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابله
باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فاثبات باعث الدين في مقاومه
باعث الهوى صبرا باضافه الى باعث الهوى ويسمى شكرا باضافه الى باعث الدين اذ باعث الدين
اما خلق لهذه الحكمه وهو ان يصرع به باعث الشهوه فقد صرفه الى مقصود الحكمه فهما عبارتان
عن معبر واحد فكيف بفضل التي على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلثه الطاعة والمعصيه والبلايا
وقد ظهر حكمها في الطاعه والمعصيه اما البلاء فهو عباره عن فقد نعمة والنعمه اما ان يقع ضروريه
مثلا او اما ان يقع في مجال الحاجه كالزياده على قدر الكفايه من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما
بار لا يظهر الشكوى وبصبر الرضا بقضا الله تعالى واسر حسن سبب العمى في بعض المعاصي ويتكرر
الصبر عليها من حيث العمل بامرين احدهما ان استعين بهما على معصيه والاخر ان يستعملها في الطاعه
وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فاذا عمي كفى الصبر عن الصور المحرمه لانه لا يراها والبصير اذا وقع
بصره على جمال فصبر كان شاكرا لنعمه العينين واتسع النظر كفرانه العينين فقد دخل الصبر
في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعه فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعه مع
قدرته على النظر الى عجايب الله لصنع الله ليتوصل به الى معرفه الله فيكون هذا الشكر افضل
من الصبر ولو لا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبيا فوق رتبه موسى عليها السلام
وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام ابصر ولكان الكمال ان يملك الانسان
الاطراف كلها ويتركه كلها على وجه وذلك محال فاذن الاكمل واجب من هذه الاعضا الذي صرفت
منفعتها ذلك الركن من الدين وتركها استعانها فيما هو آله فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصير
واما ما يقع في محل الحاجه كالزياده على الكفايه من المال فانه اذا لم يوقف الاقدار الضروره وهو محتاج
الى مداواته ففي الصبر عنه مجاهده وهو جهاد الفقرا ووجود الزياده نعمة وشكرها ان يصرف الى
الخيرات واذا استعان بالمعصيه فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعه فالشكر
افضل لانه تضمن الصبر ايضا وقد فرغ سغيه الله وقد احتمال الفقر وصرفها الى الفقر او ترك الى التمتع المباح
وكان الحاصل يرجع الى ان تسعين افضل من تسع واحد وان الجمله اعلى رتبه من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح
الموازنه بين الجمله وبين اعاضها واما اذا كان شكره بان استعين به على معصيه بل يصرفه الى التمتع
المباح فالصبر هاهنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات
لان الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسرها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى
وهذه الحاله تستعدي بحالها قوه والغني انتع نفسه واطاع شهوته ولاكه اقتصر على المباح وفي المباح
مندوحه عن الحرام ولكن لا يذم من قعوده في الصبر عن الحرام اصلا الا ان القوه التي عنها يصدر صبر الفقير
اعلى واتم من القوه التي عنها يصدر الاقتصار في التمتع على المباح والصرف تلك القوه التي بزوال التعلق عليها من الاعمال
لمراد الاخروي القلب وتلك القوه حاله القلب فخلف حبه هو البغض والايمان شاهد على زياده هذه
في الايمان هو افضل الاحواله وجمع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الايات والاخبار انما اريد
به هذه الرتبه فاذن المخصوص من الفضل السابق الى الافهام الناشر من كثره الاموال والغنى نعما والبواعث الى الافهام
من الشكر ان تقول الانسان الحمد لله واستعين بالنعمه على المعصيه او ان يصرفها الى الطاعه فاذن

وعافيتك احب الي وهذا المعنى من اخاح الى استعماده وهذا لان البلاء اصابه بعينه
احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر منه اما في الدين او في الاخر بالاضافة الى ما يرجا مثله
صفتي ان يسأل الله تمام العافية في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء وسأله الثواب في الاخرة على النعم
على نعمه فانه قادر ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت قد قال بعضهم
اوكان احب الي من ان يعطي على الحلو كله فصبرت واكون اناني النار وقال سمنون
وليس لي مع سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني فهذا من هذا سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون
رحمه الله بلي بعد هذا البيت بعلة الجدري فكان يعدد ذلك بدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان
ادعوا لعمكم الكذاب واما محنة الانسان ليكون في النار وذوب سائر الحلي فغير ممكن ولكن
قد تغلب المحبة على القلب حتى يطرب فيه حتى المثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر
توسع في الكلام ولو ابلغ سكره على ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة فما سمعه من هذا الغبي
معوك كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يسلك سماعه ويعول عليه كما حكي ان واحدة
كان يراودها وجها فمنعه فقال الذي يمنعك عني ولو اردت ان اغلب لكنت ملكت سليمان ظهر البطن
بفعلته لاجلك فسمعه سليمان فاسدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما
قال قول القائل اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد فهو محال معناه اني اريد ما اريد
لان مراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بان يكون احدهما
ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي هو صلة الى مراد الوصال في الاستقبال
فيكون الهجر ان وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال الى المحبوب فيكون
مثاله مثال المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو لي الدرهم بترك الدرهم في الحال الثاني ان يصبر
رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له في استشعاره رضا محبوبه منه توزيد تلك
اللذة على لذته في مساهدته مع كراهته فبعد ذلك يتصور ان يريد ما فيه اليما مثل ذلك كما سمي حال
بعض المحبين الذي صارت له نفسه في استشعار هجر رضي الله عنهم اكثر من لذته في العافية من غير شعور
الرضا فهذا اذا قدر رضاه في البلاء اصار البلاء احب اليه من العافية وهذه حالة لا يعدوها غيرها
في اطلاب الحب وكيفما اتفقت وان تفاوتت منازلها فهو حالة صحيحة ام حالة اقصاها حالة الخبري
ورد على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر لحقيقته لا يليق بما نحن فيه
وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء وسأل الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال ما ملون الصبر
افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون بالتفصيل
وذلك باختلاف الاحوال ولنستدل لكل فريق بكلام سديد الاضطراب بعيد عن التحصيل
فلنمش للنظر اولا بالتقليل المبادرة الى اظهار الحق اولى ونقول في بيان ذلك مقامان المقام
الاول البيان على السائل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب ما تحته من الحقيقة
وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصورهم عن درك الحقائق العامضة وهذا القدر
من الكلام هو الذي ينبغي ان يقصده الوعاظ اذ مقصودهم الاصلاح مهما امكن بحسب طبائع العوام
والطريق المستقيم لا ينبغي ان يصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضرب الجلاوات بل باللبن اللطيف
وعليها ان يتدرج عنه الى ما يليق بها فيقوته ويمارق الضعف الذي هو عليه
في فيه فصول هذا المقام في البيان يأتي في الحب والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر
المقصود من ورد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان ورد احيانا في فضله
فاذا اضيف الى ما ورد في فضله الصبر كان فضائل الصبر اكثر فانه اخبار صريحة في الفضل
كقوله عليه السلام ما اعطي احد عطاء افضل من الصبر وفي الخبر يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
جزاء الشاكرين ويحكى ان اهل الارض ضجوا بالشكر فقال الله ارضى ان اخزيك كما اخزيت هذا الشاكر فقولهم
يارب قولهم الله كما انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فمعطى
اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم
الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فمعود دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة
لرفع درجة الشكر فالحقه بدرجة الصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو
درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم

الحج

الحج عرفة المساكين وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابذ الشيخ
بغير حق ان يكون اعلى رتبة فكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وكقوله
على الدعوى نصف الايمان الصبر فان كل ما سقم بشطرين سمي احدهما نصفا وان كان يفهم التفاوت
كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان مالا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم في الخبر الذي
صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود ولم كان ملكهم اخر الانبياء اصحابا دخولا الجنة
عبد الرحمن بن عوف لم كان غناه وفي خبر اخر يدخل سليمان بعد الانبياء بلا بعض خريفا وفي الخبر ابواب الجنة
كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخل ابواب البر اما مهم ابو بكر صلى الله
عليه وسلم وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني
فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ الذي هم عليه فلا نعرف طائفة صلاح دينهم
المقام الثاني هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار لحقائق الامور بطريق الكشف
والايضاح مع قول فيه كل امرئ منهم بحسب الموازنة بينهما مع الاتهام ما لم يكشف حقيقه
كل واحد منهما وكل مكشوف يستدعي اقساما لا يمكن الموازنة بينهما بل الحكم بان
تفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اسماء وشعبها كثيرة فلا يتبين
حكمها في الرجحان والنقصان مع الاحوال ومعرفة ذكرنا ان هذه المقامات منتظمة من ثلثة
امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هكذا ذلك وهذه الثلثة
اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظر بين الطرفين ان العلوم تراد لاجل الاحوال والاحوال تراد
للاعمال فالاعمال هي افضل واما ارباب الصبر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال
تراد لاجل الاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك
الغير لا محالة افضل منه واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف
بعضها الى بعض وكذلك احاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذلك احاد المعارف
وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي اربع من علوم المعاملة ما علوم المعاملة دون المعاملة
فانها تراد للمعاملة فقائدتها اصلاح العمل واما افضل العلوم بالمعاملة على العباد اذا كان
علمه ما ينفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل الا العلم القاصر على العمل كيف يفضل من العمل
القاصر فمقول فائدته اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان يتصف له
جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية
التي تطلب لذاتها فان السعادة سالها عن السعادة واما ستعرفها في الاخرة فهي المعرفة
الجزء التي لا حد عليها ما لا تفيد بعضها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة
اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان نفاوتها بحسب نفعها في الافضاء
الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسائط كثيرة
فكل ما كانا لوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهو افضل واما الاحوال التي
بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن سرايب الدنيا وتواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا لاح
له حقيقة الحق فاذن مضائل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره فاعرف ذلك
لا تحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة حاجة الى ان يقدر على ازالة اجزاء المراة
بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة الى المقربة من احوال
القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا في سائر الاعمال
فان تاثيرها في تاكد صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل ما ان يجلب الله
حاله مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب
اليه حاله مهيأة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية
واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب فساوئه صفاته وكذا
الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها تختلف درجات بتفاوت تاثيرها وذلك يختلف
باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق نقول صلاة الصائم افضل من صلاة عابد
نافله وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن المحقق فيه ان المعنى الذي

الدوا الذي يولد الجال ويدفع المال ليدخل دار الملك للنظاره وعلم انه يخرج منها ٥
وجاء حتى اخرج معه من الدار كان ذلك لا عليه لانه يورثه الانس بمنزل الملك
ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى يفتره عن
وذلك نعمة عليه والدنيا منزل قد دخلها الناس من باب الرجاء وهم خارجون عنها من باب الموت فكل ما
يحق انتهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج ملوكهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة ثم فرع على هذا
تصور منه ان يبكي على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يصور منه الشكر على ان الشكر ينبع
معرفة النعمة بالمعروف ومن لا يعرف من ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يصور منه الشكر على المصيبة
وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابنه فقال اصبر تكن صابرين فانما صبر الرجل بقدر صبر المرأس
٥ حزن ابن عباس احزنك بعده والله خيرا منك فقال ابن عباس ما عزاني احد عزاء احسن من تعزيته
والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اوحى الله تعالى الى عبد من عبيدي بمصيبة في بدنه او ماله
او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا
وقال عليه السلام من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم
اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
من سلبت كريمتيه فصبر اوجه المكوفة في داري والنظر الى وجهي وروي انه جاء رجل يا رسول الله ذهب
مالي وسقم جسمي قال صلى الله عليه وسلم اخر في غير ذهب ماله وسقم جسده ان الله اذا احب
عبدا اذا ابتلاه صبره وقال عليه السلام ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها
بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد بردا له في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو
الله ينصرنا لنا فجلس محمرا وجهه فقال ان كان احدكم ليوتى بالرجل فيحفر له في الارض
حفيرة فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي كرم الله
وجهه قال انبا رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد
وقال ايضا عليه السلام من احال الله ومعرفه جعله ان كافاه وجعك واذكر مصيبتك
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتتركون ما يبقى الا جدا
المكروهات الثلاث الفقر والمرض والخوف وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وحثه عليه حثا فاذا دعاه قالت
الملائكة صوت معروف فازد عاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني
شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير لك واحرى لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان
يوم القيامة حتى يا هل البلاء ما هو اعلمهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يوتى
باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الاجر صبا كما صب
عليهم البلاء صبا فيودوا اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض
لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب وذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وعن انس قال كان من الانبياء عليهم السلام الى ان قال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك
تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجري على معاصيك
تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا ما وحي الله تعالى اليه اني اعايد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكفر
المؤمن عليه من الذنوب فاروي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني
فاجزيه بحسناته والكافر له الحسنات فابسط له في الرزق واروي عنه البلاء فاجزيه
بسيئاته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرج بعد هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تصيبك اللاواء الذي لسن تجزن بهذا انما تجزون به
يعني ان جميع ما تصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عروة بن عامر ان النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال اذا اراد الله بالرجل يعطيه الله ملجا وهو مقيم على معصيته فاعذروا ان ذلك استدراج
ثم قوله تعالى ما سوءا فكروا به معنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
وعن الحسن البصري رحمه الله ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فحملها ثم تركها فجعلا يجل
يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حايط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى اية
في كتاب الله فقالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عافاه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان
عفا في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ كظمها بحلم وجرعة مصيبة صبر الرجل لها ولا قطرت قطرة
احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله
وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء
قال قال في ابن السلماني بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان عليا بن يديه في يوم الجمعة
فقال احدهما يا نبي الله اتستحصد مزرعة هذا فاحصده فقال لا اخر ما تقول فقال احدهما لصاحبه
فانيت الى زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام ما اعلمك
ان لا يمر الناس من الطريق قال فاعلم لحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب الى ربه ولم
يخرج على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه مريض فقال يا بني ان تكون ميزاني احب الي
من ان اكون ميزانك فقال ابوه كان يكون ما احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه نعى اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله وموونة كفاها الله واجر صانه الله
ثم صلى وكبر عليها ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة الاية وعن
ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه محمد بن يوسف فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل
بعد جمعة ايام فقال ابن المبارك اكيسوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد
بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليباهي عبده المومن
بالبلاء كما يباهي الرجل اهله بالخير وقال جابر الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيامة
باربعة انفس على اربعة احياس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى
بايوب صلوات الله عليهم اجمعين وروي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل وخفي
في الشجرة فعثر فاذا لك في بالمنشار فنشر الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا فاتاه الله
ما وحي الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة مانية لاعجونك من دموان البنوة معي زكريا
عليه السلام على الصبر حتى قطع بمنشار وقال الاسعود الليلي سن اصبت بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب
صدرا او كاما فاخذ رجما يريد ان يعاتب ربه عز وجل وقال لقمان لابنه يا بني ان الذهب تجرب بالنار
والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط
وقال الاحنف بن قيس اصحب يوما الى ضر سبك حتى مات اليا رجة مرجع الضر حتى قلبها
ثلثا فقال لقد اكثرت من ضر سبك في ليلة واحدة وقد ذهبت في هذه مدة ثلثين سنة ما علمتها
احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما اشكوك
الى ملايكتي اذا صعدت مساويك وفضائحك بيان فضل النعمة على البلاء
لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء في الدنيا خير من النعم فهل لنا ان نسال الله تعالى البلاء
فاقول لا وجه لذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعايه من بلاء الدنيا
وبلاء الاخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وكانوا يستعيذون من سيئات الاعداء وغيره وقال علي كرم الله وجهه اللهم
اني اسالك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله البلاء فسلوا الله العافية وروي الصديق
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية
الا اليقين واشار بالقلب الى عافية القلب عن كرم الجهل والشك وعافية القلب اعلى من عافية البدن
وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منح عليه عشاكر
وقال المطرف بن عبد الله لان اعافا فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال عليه السلام في دعائه

ابو سعيد

وكلما انه

حتى عظم المصاب لا يؤمن بالصبر بل يؤمن بان الله الا ما اراد الصبر على الم يسير الله
ان الله فاذن يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس بملائم مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه علم ذلك بنوع
ان الجمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سببا هلاك الانسان حتى
بسبب ماله فيقتل ويسأل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيا ويه الا يجوز
ان تصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله قوت عبد يكون الجرة له في الصيف والمرض ولو صح بدنه وكثر
ماله ليطغى وقال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان
رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه
وكذلك الزوجة والولد والقريب وكما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان
وحسن الخلق فانها تصور ان تكون بلاء في حق بعض الناس فيكون اضدادها اذن نعما في حقهم
اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد
في بعض الامور وبالآخرة ويكون مقدارها نعمة مثاله حمل الانسان باحكه فانه نعمة عليه اذ لو عرفه
ربما بعض عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضم الناس عليه من معارفه واخلاقه
نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده واستغاله بالانتقام
وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه لبغضه واذاه وكان
ذلك عليه وبال في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة
عليه فانه ربما يكون ولبا لله وهو يضطر الى مداراته واهانته ولو عرف واذى كان
اثمه اعظم لاجله فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن اذى وهو لا يعرف ومنها
انعام الله تعالى امر القيامة وانها مه ليلة القدر وساعة الجمعة وانها مه بعض الكبائر
فكذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد بمفزه وجوه نعم
الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان الله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد
في حق كل احد ولا استثنى عنه بالطن الآلام التي يلحقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون
نعمة في حق المتألم بها فاذا لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه
وسمه سترته فانه يتألم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة ولكن في حق
غيرهم من العباد لا في حقهم فان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله حلو العذاب وعذب
به طائفة لما عرف المنعمون قدر نعمته ولاكثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة اما سماعا داما
تذكرا في الام اهل النار اما مرئيا اهل الدنيا ليس بسيد فرحهم بسور الشمس مع شدة
حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا سيد فرحهم بالنظر الى وجه السماء
وهي اجسن من كل بساط يتمهدون في عمارته ولكن وجه السماء لما تعمم الاشتراك
بها لم يفرح بسببها فاذن فرح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم خلق سببا الا وفيه حكمة
ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق الله البلاء
ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذن كل حاله لا توصف بها بدا بطلق ولا
نعمة مطلقة مجتمع فيها على العبد وطغيان الصبر والشكر جميعا فان تلك
فيها متضادان فكيف يجتمعان اذ الصبر الاعلى ترك ما علم ان الهي الواجد قد يتعم
به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الامتناع والشكر من حيث
الفرح وفي كل نقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها
ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض يتصور ان يكون اكبر منها اذ مقدور ان
الله تعالى ملوصا غفها الله تعالى وزادها ما ذا كاردده ويحرم عليه شكره اذا هي اعظم
منها في الدنيا والثاني انه كان يمكن ان يكون مصيبة في دينه قال رجل لسري رضي الله
عنه دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال الشكر الله لو دخل الشيطان فلبك فاسد الوجد
ما ذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني
وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني اذ لم
تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا فيها واذا رجوا الثواب عليها وكان بعض ارباب
القلوب صديقا لحبسه السلطان فارسل اليه فقال له استكر الله فضربه فقال استكر الله

في لم يسي

فقط بسوط وقيده وجعل حلقه من قيده على رجله وحلقه على رجل المجوسي فارسل اليه فقال استكر الله
فقد ابتلى المجوسي بحاجة ان يقوم مراتب وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه مرتك
قال استكر الله فقال المجوسي هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الدنيا والذي بعد سوطه على وسطك ما انا
كنت تصنع فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل وجد سوى ادبه ظاهرا وباطنا حق موجاه لكان
يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن يستحق عليك ان يمزق ثيابك ما به سوط فاقهر على غيره
فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يدك فحرك احراما هو مستحق للشكر ولذلك من بعض
الشيوخ في مناجاته قصصت على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة
فقال كنا مطرنا ان نصب على النار فلا فيصار على الرماد نعمة وقال بعضهم الآخر لما استسقا
فقد اخيفت الامطار فقال انا لم نستسق المطر وانما استسقي الحجر فان قلت كيف افرح واري
جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد يرجى له
ما هو اكثر وانما اهمل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
واما العاصي فمن ان يعلم ان ترك العالم من هو اعصى منك وربما خاطر سوء ادب في حق الله تعالى في صفاته اعظم والم
من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فالاستكثار
منه على ذلك هذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تجر الى الآخرة
ومصائب الدنيا سلى عنها باسباب اخر تهون الصبر عنها وتخفف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى
تخفيفها بالسلى اذ اسباب السلى منقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن غلبت عقوبته في الدنيا فالايقاف
ناسيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة وبلاء في الدنيا فالله اكرم
من ان يعذبه ثانيا الوابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في لوح الكتاب وكان
لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها ومن جميعها فهذه نعمة الخامس
ان في ايها اكثر منفعة فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي يكون البلاء
الكريه نعمة في حق المريض يكون النوم من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لولاه لبكى واللعب كان
بمنعه ذلك عن العلم والادب فكان الخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء
حتى العين التي هي اعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد
يكون سببا لهلاكه فالمجنون عذابه اشد من عذاب من لا عقل له اصلا ولم يصر مؤاخذا في دين الله بعقوبة من
هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة فينبغي ان يحسن الظن بالله ويقدر
فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو يعطي العباد اعلى من العباد وعذا يشكره
العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه
وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى يغايبه بعباده اتم راوفر
من عناية الآباء والامهات وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تسخط الله في
قضاء عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمومن ان يقضي له
بالسراء فيشكر ويكافر له بالضراء فيصبر ويكافر له وان قضى له بالضراء فيشكر فيكافر له والوجه الثاني ان راس الخطايا
المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة في القلب عن حب الغرور وموانا النعم على وفق المراد
من غير امتزاج بلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه
فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن
اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها عابها الذي كان لا يرضى من السجن ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والكافر كالمرء عن الله ولم يود الا الحياة الدنيا
ورضي بها واطمان اليها والمومن كل مقلع نقله عن الدنيا سدير الجنين الى الخروج منها والكبر بعضه
ظاهر وبعضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب
الا الواحد الحق فاذن البلاء نعم من هذا الوجه نحب الفرح به واما السالم فهو ضروري ولذلك
يضاهي ربك هذا الحاجي الحجامة بمن يعالج حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشفا وهو مجان
فانك تسالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيا وفيه مثاله

الشكر للنعم الباطنه وشكر الانام الظاهر بالجوارح شكر للنعمه الظاهره بل
كل من عصى الله تعالى عليه في الثمرات والارض وما فيها فان كل ما خلقه الله حي الملائكة
والارض والحيوان والنبات بجملته نعمه على كل واحد من العباد فدع به انتفاعه
غيره ايضا فان الله تعالى في كل طريقه نعمتين في نفس الخفض اذ خلق لكل واحد حق عضلات
لفا او دار وباطا مستقله باعصاب الدماغ بقابلة انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
وعلى كل جفن سطور سود ونعمه الله في سوادها انها تجمع ضوء البياض بعرف الصغر
والسواد بجمعه ونعمه الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهواء من الدخول الى
باطن العين وشبكتها الا قدرا الذي ينبغي ان يدخل الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث
ان اصلها وهو اللين قوم بضها وله في استياك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان
غبار والهواء قد يمنع من صفح العين ولو طبع لم يصر مجمع الاجفان مقدار ما تشاء
الاهداب فينظر مرور استياك الشعر فيكون ساكا الشعر مانعا من وصول القذى
من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل عن اصابة الحدقة غبار فقد جعل
اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقله للكراه منطبقة مرة ومرخية مرة
انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذا الى زوايا العين والاجفان والدباب لما لم يمكن
لحدقة جفن حلو له يدرين فتراه على الدوام يمسح بها حدقته ويصقلها عن الغبار واذ تركت
الاستنقاصا لتفاصيل النعم لاحتياره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا
نسانف له كتابا مقصودا فيه ان اهمل الدماغ وساعد التوفيق تسميه عجايب صنع الله
فلنرجع الى غرضنا فنقول قد كفى مفتح العين نعمة الله في الاجفان والحواجب الاهداب
والعين الابراس والدراس الا لجميع البدن والبدن الا بالعين ولا العين الا بالماء
والارض والهواء والمطر والضوء والظلمة والليل والنهار وما في ذلك الا بالسموات والسموات
انما الملايكه وان الكل كالشي الواحد مرتبط البعض منه بالبعض ارتباطا عضا
البدن بعضها بعض فاذن قد كفى كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثرى الى منتهى
الثرى فلم يبق ذلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا وله نعمة ولذلك تورد في
الاخبار ان البقعة التي تجمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم ولذلك
ورد ان العالم يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وان الملايكه يلعنون العصاه
في الغاظ كثيره لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشاره الى ان المعاصي تتطرق
حتى على جميع مافي الملك والملكوت وقد هلك نفسه الا ان يتوب الله عليه فتحسبه
محوها فيبدل اللعن بالاستغفار وعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى
ادم عليه السلام من عبدلي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعماي قال
الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين
فربما فكر في الشاكرين علو رتبته عندي اذ شكرهم وملايكتي يدعون لهم
والسماع لهم يدعو والامر بذلك عليهم وكاء فان في كل طرفه عين نعما كثيره
فاعلم ان كل نفس متبسط وسفس تعمش اذ بانبساطه تخرج الدخان المحترق من القلب
ولو لم تخرج لعلك في انتفاضه تجمع روح الهوا الى القلب ولو سد مسفسه لاحترق
قلبه بانقطاع روح الهوا وبرودته عند وهلك في اليوم والليله اربع وعشرون ساعه
وفي كل ساعه قريب من الف نفس وكل نفس مرتبط بعشر لحظات فعليك في كل
لحظه آلاف الانعمه في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل تبصر
احدا ذلك شاكرا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقه قوله تعالى وان تعدوا نعمه الله
لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعره من جسدي نعمتان لان لكل اصلها
وان ظهت اسبابها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف انعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه حقد قل
علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فما عتبر ما سواه من النعم به
فان البصير لا يقع عينه في العالم على شي وكل لحاظه موجود الا ويعرف ان لله فيه نعمه عليه

وينظر

ترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع بيان السبب الصارف
للخلق عن شكر النعم اعلم انه لا يقصر بالخلق عن شكر النعمه الا الجهل والغفله فالجهل مضر
بالشكر والغفله عن معرفه النعم ولا يتصور شكر النعمه الا بعد معرفتها فان عرف النعمه طلبا
ان يشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يقنع ان معنى الشكر ان يستعمل
النعمه في انعام الحكمه التي اريدت بها وهي طاعه الله تعالى فكل ما يمنع من الشكر فهو حصول هاتين
المعرفتين اعني المعرفه بالنعم ومانع الخلق قسمان اما الغفله عن النعم فلها اسباب واجداسبابها
ان الناس مشغولون بالنعم لا بالمنعم ومانع الخلق قسمان احدهما جمع احوال النعم فلا يرى كل واحد
ما ذكرناه من النعم الا شاعه الله الخلق مبدد له فهو في جميع احوال النعم فلا يرى كل واحد منها
اختصاصا به فلا يعده نعمه فلا يراهم يشكرون الله على روح الهوا كواحد منهم لم يفقد
حتى انقطع الهوا عنهم ماتوا ولو جيئوا في بيت حمام فيه هوا حارا فاسد لم يدر فيه هوا متقل
بوطوبه الماء ماتوا غما حان كبلي واحد منهم بشي من ذلك ثم مجاورة ما يذكر ذلك نعمه وشكر
الله عليه وهذا غايه الجهل الذي صار شكر هم موقوفا على ان يسلب عنهم النعمه ثم ترد عليهم
في بعض الاحوال والنعمه في جميع الاحوال اللواتي يشكر من النعمه في بعضها غافلون البصير
يشكر جميعه بصيره الى ان يتبع عينه معتقدا لك لواعيد عليه احسن به وشكره وعده نعمه
ولما كانت رحمه الله واسعه عم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمه
وهذا الجاهل مثل العبد السوء الذي ان ضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة لم يعده
منه فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال
الذي يتطرق الاحتصار اليه من حيث الكثره والقله وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما
شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شده اغتمامه به فقال ايسرك انك
اعمى ولك عشره الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشره الاف فقال لا
ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشره الاف فقال لا فقال ايسرك انك
عشره الف قال لا قال اما تستحي ان تشكي مولاك وله عندك عشرون الفا وفي بعض الفا وفي
بعض القراء استذبه الفرحي صاحبه ذرعا فراى الغلام كارها فقال يا بني قول له يودانا اشتك
منوره الانعام وان لك الف دينار فقال لا فقال منوره هرد فقال لا فقال منوره يوسف فقال لا
قال لعبد فيه مايه الف وانت تشكي اعاصيح وقد سري عنه وحدث ان السماك على بعض
الخلفا وفي يده كوز ما يشربه فقال اعطني فقال لو لم تعط هذه الشربه الا بعد جميع اموالك
والاشيت عطشانا فقال كيف تعطيه فقال لو لم تعط الا على كل شعره من جسدك لفعلت
تركه فقال لا فقال اما ان فرح ملك لا يبقى سروره بما فيهذا استبشر ان نعمه الله تعالى
على العبد في سروره باعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع
مايله الى اعداد النعمه الخاصه نعمه دون العامه وقد ذكرنا النعم العامه فلنذكر
اشاره وجيزه الى النعم الخاصه فنقول ما من عبد الا ولنعم النظر في احواله راى من الله نعمه
او نعما كثيره لخصه لا يشاركه فيها الناس كافه بل يشاركه عدد يسير من الناس
وربما لا يشاركه فيها احد ولذلك يعرف به كل عبد في ثلاثه امور في العقل والخلق
والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله معتقدا انه اعقل الناس
وقد قيل ما قسم الله العباد شيا ازين من العقل فان من يعرف به الجاهل عنه كما يفرح به المنصف
به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس من اجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك
فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمه في حقه فمن وضع
كتاب الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكتاب من حيث لا يدري فهو في فرحه
بحسب اعتقاده وبقي شكره لانه في حقه كالماني واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره
عيوبا يكرهها واحلاما يذمها وانما يذمه من حيث انه يرى نفسه بريئا عنها حاذرا ان يستعمل
بذم الغير سببا في ان يستعمل بمثله الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيي واما العلم
فما من احد الا ويعرف من نفسه امورا ويقنع نفسه وحقا بانها افكار ما هو منفرد به دون كثير
العظما حتى اطلع عليه احد من الخلق فمضى فكيف لو اطلع الناس كافه فان لكل
عبد علما بامور خاصه ستاره الله عليها فلا يهتك ستر الله الجميل
الذي ارسله على وجه مساويه وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاثه من النعم خاصه يعرف بها كل عبد اما مطلق واما

وأمدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى اذعنوا له
وكرهاه وكف هوى السلاطين الى مطرح اصلاح البلاد حتى رتبوا احوال البلد كلها
بحيث صاروا يتعاونون على غرض واحد منتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والفقهاء
والسخى وزعماء الاسواق واضطر الخلق الى قانون الغرام الذى هو امر التعاون حتى صار
الحداد منتفعا بالقصاب والخباز وسائر البلد وكلهم منتفعون بالحداد وصار الحجام منتفعا
بالخواب والخواب بالحجام ومنتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم وايضا طهم
بحيث ترتيب السلطان جمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض
وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع
فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكيفية اقامة حكام الامامة والخلافة
واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فصلحوا اعمار ستة وهم الذين
وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان
ينتهى الى الملك المقرب الذى لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالحبار يصلح الحبن بالطبخ
والطحان يصلح الحب بالطحن والخواف يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثين
والحياك يصلح الات الحداد وكيف جمع ارباب الصناعات المصلحة للاثاث الطعمة والخلقان
يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون
الانبياء الى ان ينتهى الى حضرة الربوبية التى هى منبع كل نظام ومطلع كل خير وكمال
ومسائل كل ترتيب وبالبعد وكذلك نجد من ذلك ارباب ومسببى الاسباب ولولا
فضله وكرمه اذا لتعلى والذى جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى
معرفته فضلا عن السيرة السيرة من نبع الله ولولا عونه اياناعن تكميل نعمه الى الاحاطة
بكنه نعمه لتوقفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنا عرفنا بكرمه القهر والقدرة
فقال ولن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانا نكلنا فاذ به انبسطنا وان سكتنا
فقهر وانقبضنا اذ لا يعطى لما منع ولا مانع لما اعطى ولا يكل الحظه من لحظات العبد قبل
الموت سبع بيع القلوب مدة الملك الجبار لمن اليوم لله الواحد القهار
فالحمد لله الذى ميز نا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار
الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة ليس يخفى عليك
ما سبق من نعمه فى الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحى اليهم
وانظر الى ما هم فيه مقصورون فى افعالهم على ذلك القدر من طبقات الملائكة
مع كثرتها وتنوعها مرتبها بحصر بالجملة فى ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية
وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بملك منها يرجع الى الاكل والعدد الذى
ذكرناه دون ما عداه وذلك من العدد الذى لا يعلمه الا الله والارشاد وغيرها واعلم ان كل خزنة من خزنة
بدر بملك واحد الا خازن النار فانه يرى بكل واحد سبعة من الملائكة هو اقله الى
العشرة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى العدد ان نعلم جزء من العدد
مقام جزء مقدر وذلك العدد اقصر دعاء واخر الامر نصير لجما وعظما فاذا صار
لحما وعظما اعيد اوكد والدم واللحم اخص ليس لها قدر وهو اعظم واختار وهى لا تحرك
بانفسها ولا تعبر بانفسها ومحرك الطبع لا يكفى فى تردادها الطوارها كما ان
البدن بنفسه لا يصير طينا ثم لحما خبزا مسدرا مطبوخا الا بصناع فكذلك
الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع فى الباطن هم
الملائكة كما ان الصناع فى الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله تعالى عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة فلا تتبغى ان تغفل عن نعمه الباطنة فاولى
بخبز العدد الى حوار اللحم والعظم فان العدد الا يحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر
يمسك العدد فى جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة
اللحم او العظم او العروق ولا بد من خامس يدبر الفصل الفاضل من حاجة العدد
ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم
حتى لا يكون صقيلا ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الاتصاف فلعجز بالمسدد عن
استدارته وبالعرض عن مالا يزيل اعوجاجه وبالجوف عما لا يطل لجوفه ويحفظ على كل

واحد

واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من العدد على انف الصبى ما جمع على فخذه لكثرة ثقله ويطل
لجوفه وسوء هضمه بل يسبغ ان يسير الى الاحجاز مع رفقائه الى الحرفة مع صغرها والى الاتجار
مع غلظها والى العطر مع صلابة مايلتزمه بكل واحد منها من حب الفقر والتوكل والبطالة
الصورة وبعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو راع هذا الملك العدل العفة والقسط
فساق الى راكس الصبى وسائر بدنه من العدد ما يمر انه الى اجر الرجلين مثلا لبغت تلك الرجل
على كثافتها فى حد الصغر وكبر جميع البدن فكيف تزيد تضاعفا فى قامة رجل عليه رجل واحد
كان فارحل صبى فلا يتسع بقيه البدن لمراعاة هذه العدد سه فى القدر مفوض الى ملك
من الملائكة وكما تتبين ان الدم بطبعه يهدر بسكونه فان محل هذه الامور هو الطبع
جاهل آخر يدرى ما يقول بعده هو الملائكة الارضية وقد شغلوا بك فانت فى النوم تسترجع وفى
الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء بالملك ولاجرك لك منهم وذلك فى كل اجزاء من
اجزائك الذى لا يجرى حتى يعتبر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى ما اكثر من ما به ملك
تركنا تفصيل ذلك للاحجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب
معلوم لا يحيط بكيفيته الا الله ومدد الملائكة السماوية من حمله العرش والمنع على حملتهم
بالتسبيح والهداية والتسديد المهيمن القدوس المقدس بالملك والملكوت والعز الجبروت
جبار السموات والارض ملك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة فى الملائكة الموكلين
بالسموات والارض واجزاء الماء والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب يجرى من
جانب الى جانب اكثر من ان يحصى ملء ملك تركنا الاستشهاد به فان ملك فقط اوضح
هذه الافعال الى ملك واحد ولم اضف الى بسعه املاك والخطب ايضا يحتاج الى من يعلى
او ينزل من يغسله عن الخباله ويرفع الفضلة ناسيا الى من نصب عليه المانا قائما الى من يعجن
رابعا ما الى من يقطعه كرات مدوره خامسا ما الى من يرقها رقعانا عريضة سادسا ما
الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن يدبر لجميع ذلك رجل واحد ويستقل به فلما كانت
اعمال الملائكة باطنا كما ان من ظاهرا فاعلم ان خلقه الملائكة مخالف خلقه
الانس ومن احد منهم الا وهو حيران فى الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل
واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشاره بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ولذلك ليس بينهم
متناقض وتقاتل بل منا لهم فى نفس مرتبه كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر
لا يزاحم السمع فى ادراك الاصوات والسمع يزاحمها ولما يسار عان السمع وليس كاليد والرجل
فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب برأسك
فتزاحم اليد التى هى آله الضرب لان الانسان الواحد الذى يجمعها نفسه الكمى والقوى والحاجز
فان هذا نوع من الاعوجاج والعوج عن العبد لسببه اختلاف صفات الانسان واختلاف
دواعيه فانه ليس وجدانى نفسه فلا يكون فى وجدانى العقل لذلك ترى الانسان يطيع امر الله
مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة بل
هم مجبولون على الطاعة لا محالة للمعصية فى حقهم فلا يجرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد
ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف فى افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه
وطاعتهم لله تعالى من حيث لا محال للمخالفة فيهم يمكن ان يسبب بطاعة اطراف لك فانك
مهما جزمت بالارادة تفتح الاجفان يمكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة
ومعصيتك اخرى وما كانه منتظر لامرك وناهيك يقتضى وينظر مقصلا باسمائك فهذا
يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا عمل له بما يصدر منه من امرك فيطاع واطيانا
والملائكة احياء عالمون فاذن هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الارضية
والسماوية وحاجتك اليهم عرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات
كلها فانا لا نطول بذكرها فبعضه طبقة اخرى من طبقات النوع مجامع الطبقات لا يمكن
احصاؤها فكيف آحاد ما يحتاج اليه مجامع الطبقات فاذن قد اسبغ الله عليك نعمه
ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم ما لا يعرفه الخلق
من الحسد وسوء الظن والبدعة واصرار السر للناس الى غير ذلك من اثام القلوب هو

السموات والارض وما بينهما لا عسر وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائده
فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائده والعالم كله كشخص واحد واجزاء احسامه كاعضائه
له وهي متعاونه متعاونه اعضاء بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينفع ان نطول الامر ان
بان الغيم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها لحكم الحكمه مخالفه
للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل النهي عنه في النجوم امران احدهما
جان تصدق بانها فاعله لآثارها مستقله بها وانها ليست مسخره تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها
وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا تشترك كافه الخلق في
دركها لا نفهم يقول ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء
ثم اندرس ذلك العلم فما بقي الا ما هو مخلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب
اسبابا لآثار تحصل في الله تعالى في الارض في الحيوان ليس فادحا في الدين بل هو الحق ولكن دعوى
العلم من ذلك الا على التفصيل مع الجهل فادح في الدين ولذلك اذا كان معك توت وعسلة
ومريد تخفيفه فقال لك عبرك اخرج الثوب واسطه فان التمر قد طلعت وحي الهوا الا يلزمك
تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه لجواز انه حي الهوى على طلوع التمر واذا سالت عن بعد وجه
الانسان فقال قد رعتني التمر الطويل فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وعلى هذا سائر الآثار
الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه للناس معلوم
كافه كحصول الصداع والحراره بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر
فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل لها حكم كثيره لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال
ويل لمن قرا هذه الآيه ثم مج بها ولفظ الويل يدل على كراهه الشيء ومعناه ان يقرا ويترك التامل وبعضهم من فهم منه
على ان يعرف قانون السماء وضوابط الكواكب وذلك مما تعرفه الهام ايضا فمن وقع منه بعرفه
ذلك فهو الذي مج بها سبيله وطلله في ملكوت السموات والارض والانفس والحيوانات
والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما لا يزال مستحضرا بطلب نصائفه
ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب عمله وكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله
من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنعه بواسطه حلوب عباده فان يحجب من
تصنيف ملا يتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده
وتوفيقه كما اذا رايت لعب الشطرنج ترصد وتحرك حركات موزونه متناسبه
فلا تتعجب من اللعب فانها خرق وبحركه لا تحركه ولكن تتعجب من حذق الشطرنجي المحرك لها
بروابط دقيقه حنيه عن الابصار فاذن المقصود ان عجائب النبات لا تنتهي الا بالماء والهواء والشمس
والقمر والكواكب ولا تتم ذلك الا بالملائكه التي هي مدبرات امورها ولا تتم الملائكه الا
بخركاتها ولا تتم حركاتها الا بملايكه سماويه تحركها وكذلك يتمادى ذلك
الى اسباب بعيده ترشد ذكرها بتمثيلها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على
هذا من ذكر اسباب نبات الطرفا الخامس في تمام الله تعالى في
الاسباب الموصله للاطعمه اليك اعلم ان هذه الاطعمه كلها لا توجد في كل مكان
بل لها شروط مخصوصه لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس مبثوثون على وجه
الارض وقد تبعد عنهم الاطعمه وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله
على البحار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يشهر في غالب الامر حتى يلتجمعوا
فاما ان تفرق بها السفر او بنهبها قطاع الطريق او يموت في بعض البلاد فيا خذها
السلطان واحسن احوالهم ان يا خذها وينهبوها هم ايضا لو عرضوا فانظر كيف سلط الله الجهل
والغفله عليهم حتى يقاسوا شدائد في طلبها ويتركون الاخطار ويغررون بالارواح في
ركوب البحار مجهولة الاطعمه وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك فانظر كيف علمهم
الله صناعه السفر وكيفيه الركوب فيها وانظر كيف حلى الحيوانات وسخرها للركوب
والحمل كالبراذين والحمير والابل كيف خلقت والى الفرس كيف اعدت بسرعه اليركه

والى الحمار

الى عالم يعرفوه من نبع الله تعالى اقل من قطوه ونحو الا ان من عرف شيا من هذا ادرك
من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعيان
وقوام صلاحها وادراكها نعما وقواها بخار لطيف بيضاوي عذب من اخلاط الاربعة ومسيفه
القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا وقد ورد
عنده وصوله فيملك الاجزاء بما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج
الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا وقد حصل بسبب وصوله منه على اجزاء البيت من حلق الله تعالى
واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له لحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح
ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمرجل والدم الاسود الذي في داخل
القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن نسبتها كالضوء
للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي منها انقطع
غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا فتحتاج لان تفتل الزيت ينطفي السراج مع كرة الزيت
وكذلك الدم الذي يسيب به هذا البخار في القلب قد تحترق بقوة حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء
فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت فيولد سببا لناره وكما ان السراج ناره
ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وناره بسبب خارج كريح عاصفة فكذلك الروح ناره
ينطفي بسبب من داخل وناره بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفتا الزيت
او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او بانطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدورة لله تعالى علم الله مرتبة ويكون كل
ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فكون ذلك
اجله الذي اجل له في الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله
فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
والقدرة والارادات وسائر ما لجمعها معنى لفظ الحياة فهذا بعض ما ورد جبرئيل الى عالم اخر وهو من
علوم الله وعجايب صنعه وحكمته ولعلك انه لو كان البحر مدادا لكلمات الله لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات الله فيحتاج من كفر بالله تعالى ان يعرف من كفر به سبحانه فان قلت
فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال قل
الروح من امر ربي فلم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ
الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه
الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس
والقوى في الاعضاء حتى اذا حدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يبلغ الحس
موضع الحدر لامتناع الاعصاب ومواقع السدة عنها ولعلاجها بما يفتح السدة فان هذا الجسم يلطفه
بتقدير في مسالك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء
فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت في الدين فسد لها سائر البدن فذلك
سر من اسرار الله لم يصفه ولا رخصة في وصفه الا ان يقال هو امر ربا في كما قال تعالى قل الروح من امر ربي
والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل يتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات
مقاصرة عنها بالضرورة فقصور البصر عن ادراك الاصوات وسر لذلك في ذكر مبادي وصفها
معيار العقول المقصورة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه
بل نور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق في ملكوت النور في عالم الولاية والنبوة تسميه الى العقل
نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الحسي المحسوسات
ولا يدرك المعقولات كذلك طور العقل سلفه بعد والله لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة
عالية فيها لمحظ حيات الحق بنور الايمان والعشق وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة
لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد وكجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر محال
ومسافات حتى على اول الميدان عنه في مسيس ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز
لا الحاظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات
العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانا بصدد هذا في خزانة الاطباء ومن اين
للطبيب ان يحيط بالمعنى المسمى روحا عند الطب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة
التي تحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فطن انه ادرك الامر

كان يعني رأى الكرة التي تحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا شك في ان خطاه
فاحش هذا الخطأ افحش منه حتى ولما كانت العقول التي لها لجمل التكليف ويعاد رك مصالح
الدين ولا قاصرة عن ذلك لحظة كنه هذا الامر وبادن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يخبر عنه
بل امره ان يذكر الناس على قدر عقولهم وليذكر الله تعالى في كتابه من حقيقته هذا الامر شيا لكن ذكر
سببه وفعله وليذكر انه اما سببه ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكره تعالى في قوله
ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الان الى الغرض
فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله في الات الاكل الطرف
الرابع نعم الله تعالى في الاصول التي منها تصلح فضل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك
بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية
لا تناهى وذكر ذلك في كل الطعام يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ
الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حنطة من البر ولنذكر سائر الاغذية بقول اذا وجدت حبة
او حبات فلو اكلتها هنيئة ونبتت جايعا فانها حينئذ الى ان تخرج الجبة في سنبلها وتزيد وتتضاعف
حتى تفي بتمام حاجتك بحول الله تعالى في جبة الحنطة من القوى ما تعتذي به كما حلوتك فان النبات
انما يفارق الحيوان في الحس والحركة والا فالنبات في الاغتذاء بالماء وجذب الى باطنه بواسطة
العروق كما يغتذي الانسان وتحديد ولسانا نطيف في ذكر الات النبات في احداث الغذاء
الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص
بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزدد به ليس شيء منها الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها
ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض كما فيها لم تزد الا بقدر ارض منها ما يتروح ماؤها
بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم
شققنا الارض شقا ثم انبتنا فيها حبا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم فلا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت
لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في ارض رخوة محلخلة تتخلل الهواء البهائم الهواء الا يتحرك
انها نفسه فتحتاج الى ريح تحرك الهواء وبضربه يقهر وعنف على الارض حتى يثقب فيها
واليه الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواقح وانما الفاجها في ابقاع الازدواج بين الماء والهواء والارض
ثم كذلك لا تنبت لو كان في برد مفرط وسائل تحتاج الى حرارة الربيع والصيف
مقدارا يحتاج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا احتاج كل واحد اذ احتاج الانسان
الى الخبز فزراعته الى الجبار والعيون والانهار والسواقي وانظر كيف خلق الجبار وفجر العيون واجرى
منها الانهار في الارض وبا تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم
وكيف سلط الرياح عليها تسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالمكارم انظر
كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حب الحاجة وانظر كيف خلق
الجبال حافظة للمياه تخرج منها العيون تدريجا ملوحرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع
والمواشي ومنع الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والامطار ما يمسك احصاؤها واما الجرارة
فانها لا تحصل من الماء والارض كالماء بارد فانظر كيف يحوج الشمس وكيف خلقها مع بعدها
عن الارض مختلفة للارض في وقت دون وقت لتحصل البرودة عند الحاجة الى البرد والحرارة عند الحاجة
الى الحر فهذه اجرى حكم الشمر والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان
في الفواكه انعقاد وصلاحه مفتقرا الى رطوبة تسقيها فانظر كيف خلق الثمر وجعل من
خاصية الرطب كما جعل من خاصية الثمن النجن فهو يسقي الفواكه ويصلحها بقدر
العالم الحكيم ولذلك لو كان الاشجار في طل لم ينع ثمر الزيتون والتمر والعنب وسائر الفواكه
عليها لكانت ناقصة جدا ان النبتة الصغيرة تفسد اذا ظلها شيء كبير ونفرط رطوبة
الثمر بان تكشف راسك لله في الليل فتغلب على راسك الرطوبة التي تعتريها بالدماغ
فكما ان رطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول بما لا مطمع في استقصايه بل يقول كل كوكب
في السماء فقد سخر لنوع فايدة كما سخر الشمر للتسخين والقمر للترطيب فلا الحلوا واحد منها
عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصايها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها
عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقوله تعالى وما خلقنا

الى مستوعه الجوف فخلق له الجناح ليطير بالشوعه ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنه
ومنها ما يزحف ودكر ذلك يطول علينا فكتفى لا عضا التي يطابع الاكل فقط ويقاس عليه بغيرها
مفعول روسك الطعام من نقد وحركتك اليه لانك مالم تأخذه لم تعرف الى الله ماطعمه فانع الله
عليك بخلق اليدين وهما طولتان عمدتا الى الانسان وتشتمل على مفاصل كثيره ليتحرك في الجهات
وبنى الملك على كتفه منصوبه ثم جعل راس اليد عريضا خلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسه
اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعه الباقيه
ولو كانت مجتمعه او مستراكمه لم تحصل بها تمام غرضك فوضعها وصفا ان بسطتها كانت لك
معرفه وان ضممتها كانت ويسطتها كانت لك معرفه وان جمعتها كانت لك الله للضرب
واذا بسطتها قبضتها كانت لك الله في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رووس الاصابع
حتى لا تقف وحتى يلتقط بها الاشياء الدقيقه التي لا تمكنها بروس اطفارك
ثم هب انك اخذت الطعام باليد من اين يكفيك هذا مالم يصل الى المعده وهو في الباطن
ملا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعده
مع ما فيه من نبع الكسوه سوى كونه منفذ للطعام الى المعده ثم اذا وضعت الطعام في الفم
وهو قطعه واحده فلا يتيسر ابتلاعه فصار الى الحاجه تعلق بها الطعام فخلق لك الاسنان
من عظم ودكن فيها الاسنان في طبق الاضراس من العلى على السفلى لتطحن بها الطعام
طحنا فاذا الطعام تاده فتحاج الى الكسر وتاره الى القطع ثم تحاج الى القطع تاره دكتف فقسم
الاسنان الى عريضه طواحن والى حاده مواطع كالرماعيات والى ما تصلح للكسر كالانياب
ثم جعل مفصل اللحى مختلفا فجعل مقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى
دوران الرحا ولو اتاه لما تيسر الاضرب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين سلا وبذلك
لا يتم التحى فجعل اللحى الاسفل متحركا حركه دوريه والى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى التعجب
صنع الله تعالى فاركب رحا صنعه الحلوي ونبت منه التحى الاسفل ويدور الاعلى الاهدا
الرحا الذي صنعه الله تعالى ازيد ودور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه
واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام
الى ماتحت الاسنان او كيف يستحره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل
الفم فانظر كيف الهم الله تعالى عليك خلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام
من الوسط الى الاسنان تحت الحاجه كالمجداف فانه الذي يرد الطعام الى الرحا هذا مع ما فيه
من فايده الذوق بعجايب قوه النطق اليه لسانك يطيب تركها هب انك فقدت الطعام
وطحنته وهويا بس فالعده على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبه فانظر كيف خلق
الله تعالى لحم اللسان عينا بفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجه حتى يبتل الطعام
فانظر كيف سخرها الله لهذا الامر فانك ترى الطعام بعد فتور المسكنه للخدمه
ونصب اللعاب حتى يحلب اشداقك والطعام بعد بعد منك هذا الطعام المطحون
المتعجن بالبلل الى المعده وهو في الفم ولا بد على ان يدفعه باليد والماء المعده
بدحي
وجعل على
راسها طبقات ينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق وينضغط
حتى ينقلب الطعام مضغطه منتهى الى المعده في دهليز المرى فاذا ورد الطعام
على المعده فهو خبز وفاكهه مقطعه ملا بد لها من صبر كما ورد عطفا على هذه
الهيئه بلا بد ان يطبخ طبخا ما مشابه اجزاؤه لخلق الله تعالى المعده على
هيئه قدر فيها الطعام فتحتوي عليه وتعلو عليه الابواب ملا مزالا تنا
فيها حتى يتم النضج بالحراره التي تحيط بالمعده من الاعضا الباطنه اذ من
جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الثرب ومن خلف الصلب فيسخن
الحراره اليها من تسخين هذه الاعضا في الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مايعا مشابها
يصلح للتغذي فجاوفيف العروق وعند ذلك تشبه ما النعنع فتشابه اجزاؤه وتفنه
وهو بعد لا يصلح للتغذي به خلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها
قوه جاذبه كثيره حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد مجبول من طينه الدم
حتى كانه دم وفيه عروق كثيره شعريه منتشره في اجزاء الكبد فينصب الطعام

الرقيق

الرقيق النافذ فيها وينشر في اجزائها حتى يستولي عليه فوه الكبد فيصفيه ملوز الدم
فيسلخ فيها تريث ما يحصل له نضج اخر ويحصل له هيئه الدم الصافي الصالح لتغذي الاعضا
الا ان في جواره الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع
ما يطبخ احداهما شبيهه بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهه
بالرغوه وهي الصفرا ولو لم يحصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضا فخلق الله تعالى المراره والطحال
وجعل لكل واحد منها عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في نحو بفه فيجذب المراره الفضله
الصفراويه وجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زياده رقيقه
او رطوبه طافيه من المايثه ولو هاتا استترفي تلك العروق المتعرجه والاخرج منها
منتصاعدا الى الاعضا خلق الله تعالى في الكليتين واخرج من كل واحد عنقا طويلا الى الكبد
ومن عجايب حكمه الله تعالى ان عنقها ليس داخلا في نحو بف الكبد بل متصل بالعروق
الطالعه من حدبه الكبد حتى يجذب ما بينها بعد الفلوع من العروق الذي تنفذ من
الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلط واخرج من العروق ما اتصلت منه المايثه فقد
صار الدم صافيا من الفضلاتين الثلاث فهنا من كل ما يتغذى العضو ثم ان الله تعالى
اطلع من الكبد عروقا قاسمها بعد الطلوع اقساما وسعت كل قسم شعب وانتشر
ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فمجرى الدم الصافي فيها
ويصل الى سايرالاعضا حتى بصر العروق المقسمه شعريه كعروق الاوراق والاشجار
التي لا يدرك بالابصار فيصل منها الغذا بالرشح الى سايرالاجزا لو حلت
بالمراره افه فسد الامر وحصلت منه الامراض الصفراويه كالبرقان والتنور والحمره
وان حل بالطحال افه لم يحذب الخلط السوداوي حرثت الامراض السوداويه كالبهق
والجذام والكما لخولنا وغيرها وان اندفع المايثه نحو الكلى حدث منه الاستسقا
وغيره ثم انظر الى حكمه العالم الحكيم كيف رتب منابع على هذه الفضلات
الثلاث الخبيثه اما المراره فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق اخر الى الامعا
ليحصل به في نقل الطعام رطوبه مزلقه وتجذب في الاسفل لذرع بحركها للدفع فتضعط
حتى يندفع الثفل وينزلق بكرة في صفيرته لذلك واما الطحال فانه يحلل تلك الفضله
احاله يحصل بها فيه حموضه وقبض يرسل ضفاها كل يوم مرسلا الى فم المعده
فيحرك الشهوه لحموضته وينبهها وينبه ها وخرج الباقي مع البقل واما الكليه
فانها بعد ما في تلك المايثه من الماء الذي اعد لاكل ولو ذكرنا كيفيه
القدر من سايرنع الله تعالى في الاعضا التي اعدت لاكل واحد من هذه الاعضا الرئيسه
احتاج الكبد الى القلب والدماغ واحتاج كل واحد من هذه الاعضا الرئيسه
الى صاحبه وكيفيه استعاب العروق والعوارق من القلب الى سايرالبدن التي
بواسطتها يصل الروح وكيفيه استعاب الاعضا من الدماغ الى سايرالبدن
وبواسطتها يصل الحس وكيفيه انتشاب العروق الواكبه من الكبد الى سايرالبدن
وبواسطتها يصل الغذا ثم كيفيه تركيب الاعضا وعدد عظامها
وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها الى الكلام
وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الف من الفضلات
والعروق والاعصاب فمخلقه بالصغر والكبر والدقه والغلظ وكثره
الانقسام وقلته وما شي منها الا وفيه حكمه او اثنتان او ثلاث او اربع الى
عشر او زياده وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو شكرت من حملتها عرق
متحرك او محرك عرق ساكن فلولاك بامسكه فانظر الى نعم الله تعالى ارا
لتقوى تعدها على الكفر فانك لا تعرف منعمه الله تعالى الا الاكل وحده واحدها
ثم انك لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والجمار اقصا يعلم انه تجوع فيا كل
وتعجب منام ويتسع فيجامع ويستريح فيتهيم ويمحي فاد المعرف انت من
نفسك الا ما يعرفه الجمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى وهذا الذي ذكرنا كله
على الايجاز فطره من حصر واحد من خلق الله فقط مفسر على الاجمال ما اعظم شانه
من جمله ما عرفناه جدا ولا من لتطول وجمله ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافه

كمية مع ان جلسه لا يزيد على جوزة صغيره فكيف ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه
وعجائبه فهذه مرامز الى نفع الله تعالى بخلق الاكل اذا كان الطرف الثاني في
اصناف النفع في خلق الاداة اعلم ان الله لو خلق لك البصر حتى يدرك به العدا ضرورة
ولم يخلق لك ميلا في الطعم وشوقا اليه وشهوه له لسحبك على الجوع لكان البصر معطلا
فكم من مريض يرى الطعام وهو اشتاء فيسقط عونه فلا يتناوله فصح البصر
والادراك معطلا في حقه فاضطر فان يكون لك ميل الى ما به اعانك يسمى شهوة ونفرة
عما يخالفك يسمى كراهه فتطلب بالشهوه وتهرب بالكراهه فخلق الله فيك شهوه
الطعام وسلطها عليك وكلها بك كالمقاضي الذي يضطرك الى التناول
حتى يتناول ويعتذر صبغ بالعذاء هذا مثال ركك فيه الحيوان دون النبات بعد
الشهوه لو لم تسكن اذا اخذ مقدار الحاجه اسرع فيه اهلكك فخلق الله
تعالى الكراهه عند الشبع لتترك الاكل بها كالزرع فانه لا يزال الحارث
الماء اذا اصبت به اساغله حتى يعد محتاج الى ادمي بعد وعذاه بقدر الحاجه
فيسقيه مره ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوه حتى تاكل
صبغ بدنك خلق لك شهوه الوقاع حتى تجامع فيبقى بها نسلك ولو لم
يخلق صبغ الله تعالى خلق الرمح وخلق دم الحيض وما يفسد الجنين من التخمه والجوع وكيفيه
خلق الانس والجن والملك والسالكه البهائم الصغار الذي هو مستقر النطفه وكيفيه
انصباب ما الرجل من الترائب بواسطه العروق وكيفيه انتشار مقعر الرحم
الى قرائب نفع النطفه في بعضها حتى تمسك بشكل الذكر ونفع في بعضها متشكل
بشكل الاناث وكيف اداره في اطوار خلقها مضغه وعلقه ثم عظاما ولحما
ودما وكيفيه فتحه اجرابها الى باس ربطن ورحم وظهر وبيد وسائر الاعضاء التي
من انواع نعم الله تعالى عليك في ميدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الان في نفسك
نسيانه بدا ثم تعرض الانبع الله تعالى في الاكل وجوده كي لا يطول الكلام فاذن شهوه
الطعام احد ضروب الاداب وكذلك يكفيك كما فانه ما ينبغي الملك
من الحيوانات فلولم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوانسك
لبقيت عرضه للافات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذا فاركل احد
يشتهي ما في يدبك فيحتاج الى داعيه في دفعه ومقابلته وهي داعيه الغضب
ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوه والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال
اما في المال فلا تكفي فيه هذه الاراده فخلق الله تعالى لك اراده اخرى تسمى
فحب اشاره العقل العرفي للعواقب كما خلق الشهوه والغضب مسخره بحب
ادراك الحس المدرك لكماله الخاصه فيه بما انفاعك يا عقل اذ كان مجرد
المعرفه بان هذه الشهوه مثلا تضرك لا تمنعك الاختيار عنها ما لم تكن
ميل الى العمل موجب المعرفه وهذه الاراده اعرف بها عن الجام اسم اما الفارم
كما انفرد بمعرفه العواقب وقد سميا بعد هذه الاراده باعثا ومنبا فنصلناه في
كتابا لصبر تفصيلا او في من هذا الطرف الثالث في نفع الله تعالى
في خلق الفدره والات الملكه اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والاراده لا معنى لها
الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا كفايه فيه ما لم تكن له الطلب والهرب
من رئس مسافه التي تبعد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد
رجله او لا يمكنه ان يتناوله لعقد يده او لعلج وحفر فيهما ما لا يدمن الات للحركه
وقدره في تلك الات على الحركه لتاتي حركاتها بمقتضى الشهوه طلبا
وبمقتضى الكراهه هربا فلذلك خلق الله لك الاعضا التي تنظر الى ظاهرها
ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم
للدواب ومنها ما هو للدفع كالسلح للانسان والقرون للحيوانات وهذا
تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد عداوه فيحتاج

ع عابه النقصان لو لم خلق لك الا حدا فحاجتك الى البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك
حتى تقصد بلك الجهه بعينها اذ انه لو لم خلق لك الا حد الكنت ناقصا اذ لا تدرك هذا
ما وراء الجدران والحجب فيقصر عدا ليس بلك ولبنه حجابا وتبصر عدو الاحجاب يا لك وبعده
وقد ينعدم الحجاب الا بعد فرب العدو ومعجم تحمى الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات
من وراء الجدران عند جريان الحركات ولا يمكنك ان تدرك بالبصر الا ما حاضرا واما الغائب
فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فانت تدرك
البه حاجتك خلق لك دلك ومنزت بتصير الكلام عن سائر الحيوانات وكذلك
ما كان يغيبك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل العدا الذي فلا تدرك انه موافق
لك او مخالف حتاكله فتهلك كالنحله يصب في اصلها كل مايع وانت وقع فيها
فتحذره وربما كان ذلك سبب حتفها فكذلك لا يكفيك لو لم الحلوى في مقدمه
دماغك اخر بسبي حاسه تنادي اليه هذه الحاسه ساف الخمر ومجتمع فيه دلوه
لطال الامر عليك فانك اذا اكلت سما اصفر مثلا فوجدته مرا محالفا لك
فتركته فاذا رايته مره اخرى فلا تعرف انه مضر ما لم تذقه ثانيا ولا الحيس المشترك
اذ العين تبصر الصفره ولا تدرك المراره فكيف يمنع عنه والذوق يدرك المراره
ولا يدرك الصفره فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفره والمراره جميعا حتى اذا ادرك
حكم بانه مره جميعا عن تناوله ثانيا وهذا كله شارك فيه الحيوانات
اذ للشاه هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمه
تحتال عليها فتوخذ ولا تدري كيف تدفع الحيله عن نفسها وكيف تحتال اذا اقتدت
وقد يلقى نفسها في بئر فلا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمه
ما تسلده لحال يضرها في ثاني الحال بمرض او موت اذ ليس لها الا الاحساس
بالحي ضرر ما ادركه العواقب فلا فينبغي الله تعالى واكرمك بصفه اخرى هي
اشرف الكل وهو العقل فيه تدرك مضره الاطعمه ومنفعتها وما يضرني
المال وبه تدرك كيفيه طبخ الاطعمه تونيقها واعدادا سبابها فتنفع بعقلك
في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو احسن مواهب العقل واجل الحكم فيه بل الحكمه
الكبرى فيه معرفه الله ومعرفه افعاله ومعرفه الحكمه في عالمه وعبده
ذلك سفلت فايده الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس
الاخبار الملوك ليتواحي الملكه وتدرك كل واحده منها باخبار الالوان
والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الاراييح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى
باخبار الحر والبرد والخشونه والملاسه واللين والصلابه وغيرها وهذا البرد
والجواسيس يقتصرون الاخبار من افطار المملكه ويسلم تقالي الحس المشترك
فاعده في مقدمه الدماغ مثل صاحب الفصوص الكتب على باب الملك ليجمع
الفصوص والكتب الوارده من نواحي العالم فيا حفظها وهي محتومه اذ ليس لاحد ان يخزها
فاما معرفه حقايق ما فيها فلا تكون اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير
والملك سلم الانهاك اليه محتومه فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكه
ويحكم منها باحكام عجبه لا تحصى استقصاؤها في هذا المقام ويجب ما يلوح
له من الاحكام والمصالح في ذلك الخزو هي الاعصامره في الطلب ومره في ما في التصرف
الى بعض له محذوه سياقه نعمه الله عليك في الادراكات والمنفعه ان انا استوفينا
فان الحواس الظاهره هي بعض الادراكات والمهم واحد من جمله الحواس والعين الله
واحده له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفه بعضها طوبات وبعضها اعشيه
وبعض الاعشيه كالبقاشي العنكبوت وبعضها كالمشيمه وبعض تلك
الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد وكل واحده من هذه الطبقات
صفته وصوره وشكله هياه وعرض وتدوير وتركيب ولو اختلت طبقه واحده
من جمله العشره وصفه واحده من صفات كل طبقه لاختل البصر وعجز عنه الاطباء
وانكالوز كلهم بعد انه حس واحد مقصر به جامعه النفع وسائر الحواس بل الاعمال
ان تستوفي حكم الله تعالى واوامع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات

بلاغ احد كم من الدنيا كزاد المسافر الراكب معناه لا تشغل خاطرك والافقد
كان من يروي هذا الحديث يعلمه باحاد يثه الغير هرع موضع واحد ويغيرها في موضع
ولا مسك منها حبه لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعضاء مدخلون الجنه
بشره اساذنه عبد الرحمن بن عوف ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل عليه
وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقضي الضيف الحديث فاذن النعم الدنيا وبه
مشوبه فاذا مزج داوها بدواء ابها ومحوها بمحوها صفوها من رنق ونور بصيرته
وكمال معرفته فله ان يقرب منها صفتا داها ومسخر جادها ومن لا بعد البعد
والفرار عن مطان الاخطار والبعد ابالسلامه شيء حوها ولا وهو الملوكل
الامن عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى الدعا بالتوفيق الراجعه
الى الهدايه والرشد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد
وهو عباره عن التالف والتلفيق بين ارادة العبد ومن فيها الله وقدره وهذا جمل
الخير والشر وما هو سعاده وما هو شقاوه ولكن حتى العباده يخصص اسم التوفيق
بما يوافق السعاده من جمله قضا الله وقدره كما ان الالحاد عباره عن الميل الخاص
من السالك الى الخروج كذى الارتداد وما حقا نا لحاجه الى التوصيه ولذلك قلما
اجد الدعا بالتوفيق عن الله للغني فاكثر ما الحي عليه اجتهاده فاما الهدايه فلا نسل
احد الى طلب السعاده الا بها لان داعيه الانسان قد تكون مبادئ الى ما فيه صلاح
آخره ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخره حتى يطلب الفساد ظانا انه فيه سعيه
مجرد الارادة والقدره والاسباب الموصله الهدايه ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل
شي خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنه الا برحمة
الله تعالى اي يصير انفسه معلوما انه سئل رسول الله فقال ولا انا والهدايه ثلاث مبادئ
الاولى معرفه طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد امع الله
تعالى به على كافه عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل
وبصائر العقول هي مبدوله ولا منع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا
والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار ومن جمله العميات الالفه للعاده
وحب استصحابها وعنه العباره بقوله تعالى وقالوا لو لا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وقوله تعالى اشر امنا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي
منعت الاهتداء الهدايه الثانيه ورا هذه الهدايه العامه وهي التي منعت
الاهتداء الهدايه الثانيه ورا هذه الهدايه العامه وهي التي عمي الله تعالى بها
العبد حالا بعد حال وهي ثمره المجاهده حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو المراد بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والهدايه الثالثه ورا الثانيه
وهو النور الذي يشرق في عالم النبوه والولايه بعد كمال المجاهده فهو هدى بعد
الى ما لا هدى اليه بالعقل الذي تحصل التكليف وان كان يعلم العلوم به وهو
الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدماته هو الذي تشرفه الله تعالى بتخصيص الاضافه
وان كان الكل من عنده فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله
صدره فهو على نور من ربه واما الرشد فمعنى به العنايه الالهيه التي يعين الانسان
عند توجهه الى ما قصده فيقربه على ما فيه صلاحه ويقدره عما فيه فساده
ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكان به
عالمين فالرشد عباره عن هدايه ما عنه الى جهه السعاده يحركه اليها فالصبي
اذا لمح حيرا لحظ المال وطرق التجاره والاستنما ولكنه لم يحز ذلك بعد ولا يريد الاسم
لا سمي رشيدا لعدم هدايته للصور وهدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم
على ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهدايه وهيز تها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره
ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بعد الا عتبار اكمل من عود الهدايه الى وجوه
الاعمال وهي تجمعه عظيمه واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب

وليسرها

وتيسيرها عليه ليستند الى صوب الصواب واسرع وقت فان الهدايه بمجردها
لا تكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعده الاعضا والالات حتى يتم المراد مما ينفث
الداعيه اليه فالهدايه تحصل التعريف والرشد هو طبقه الداعيه للسبق فقط والتسديد
اعانه ونصره بتحريك الاعضا في صوب السداد واما التاييد فكانه
جامع للكل وهو عباره عن بقويه امره ما لبصيره من داخل وبقوه البطش ومساعده
الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه النعمه
وهي عباره عن جود الهي يسبغ الباطن بقوى به الانسان على مجرى الخير وجنب الشر
حتى يصير كمانع من ناطحه عمر محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد هممت به وهم بها لولا ان
ان راى برهان ربه وهذه هي مجامع النعم ولن يستقيم الامر لمن فقد الله من الفهم الصافي
الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد
على ما يفضل عن الحاجات بقدر الضائر عما يشغل عن الدين مكثره والعمر الذي يصونه عن
سفه السفها وظلم الاعداء ومبتدع كل واحد من هذه الاسباب السته عد اسبابا
سيدعى تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالاخره الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين
وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذ كانت تلك الاسباب طويله لا تحتمل
مثل هذا الكتاب اسعفناها فلنذكر منها انموذجا لتعلم به معنى قوله تعالى وان
تعدوا نعمه الله لا تحصوها بيان وجه الانموذج وكثره نعم الله تعالى
وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصا اعلم انا جعنا النعم الى ستة عشر صنفا
وجعلنا صحه البدن نعمه من النعم الواقعه في الرتبه المتاخره فهذه النعمه الواحده
لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمه لتعذر علينا ولكن الاكل
احد اسباب الصحه فلنذكر بنده من جمله الاسباب التي بها تمت نعمه الاكل ولا خفى
ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركه وكل حركه فلا بد لها
من جسم متحرك ولا بد لها من قدره على الحركه ولا بد من ارادة للحركه ولا بد من علم
بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا بد للماكول من اصل منه تحصل ولا بد
له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدره
ثم اسباب الاكل على سبيل التفريع على سبيل الاسقصا اما طرف الاول
فنعم الله تعالى خلق اسباب الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا
من الجمد والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تتغذى فان النبات
خلق فيه قوه بها يجتذب الغذا الى نفسه من جهه اصله وعروقه الى الارض وهو له
الات بها يجتذب الغذا وهي العروق والدقيقه التي تراها في كل ورقه بتعاطف اصولها
ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعريه منبسطه في اجزا الورقه
حتى يغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذا اسباغ
اليه وياس اصله حف ويبس ولم يمكنه طلب الغذا من موضع اخر فان الظبا نا
يكون بمعرفه المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمه الله
تعالى عليك ان خلق لك الله الاجساس والة الحركه في طلب الغذا فانظر الى
ترتيب حكمه الله في خلق الحواس الخمس التي هي اله الادراك فاولها حاسبه اللمس
وانما خلقت لك حتى اذا مسك نار محرقه او سيف جارح لجسدك فتهرب منه وهذا
اول حس خلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا ان يكون له هذا الحس كما انه لا يتصور
ملمس حيوان وانفصل درجات الحس ان الحس اما ان يدرك بملاصقه وبمباشره فان الاجسام ما
بعد منه احساس لا لمحاله وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدوده التي
في الطين فانها اذا غرز فيها ابره انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات
يقطع فلا ينقبض اذ لا حس له فاعلم انك لو اخلق الا هذا الحس لكنت ناقصا
كالدود لا تقدر على طلب الغذا من حيث بعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به
فتحركه الى نفسك فقط فانقوف الى حيز يدرك به ما بعد عنك فمن لك اليد
الا انك مدرك به الرائحه واعلم ان الهواء خلق ضياء ناخيه فصار الى ان تطوف
كثير امن الحوانب فربما تعثر على الغذا الذي يشتمه رائحته وربما لم تعثر فلو

ثم مع ذلك يحرم فضيله الحج والزكاه والصدقات وافاضه الخيرات وقال بعض الحكماء
وقيل له ما النعيم وقال الحي فاني رايت الفقير لا عيش له قيل له زدنا قال الامن فاني رايت
الخائف لا عيش له قيل له زدنا قال العافيه فاني رايت المريض لا عيش له قيل له زدنا قال
الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له وكان مما ذكره اشاره الى نعيم الدنيا ولكنه من خير
الله معين على الاخره مع نعمه ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافى في بدنه امنا في سربه
عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا خفى وجه
الحاجه اليها اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المراه الصالحه وقال الولد اذا
مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الخبر وقد ذكرنا فوايد الاهل والولد
في كتاب النكاح واما الاقارب فهما كثروا اولاد الرجل واقاربه كانوا كالعصبه
الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيويه المهمه في دينه ما لو انفرد به لطال سقطه
وكل ما يفرغ طلبك عن ضروريات الدنيا فهو معين على الدين فهو داخل نفعه واما العز والجاه
فمنه يدفع الانسان عن نفسه الذل والصغار ويستغني عنه مسلم مخالفه لا ينفك عن عدو
يؤديه وظالم يتسوس عليه حلمه وعلمه وفراغه وينغل قلبه وتكدر باله وانما يتدبر
هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توامان قال الله تعالى ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى
الا ملك الدراهم فسخر له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما تحتاج الانسان
الى سقف يدفع عنه المطر وجبه تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته
فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القياس كان الانبياء والملوك يعتبرون
سلطنته مراعون السلاطين ويطلبون عند هم الجاه وكذلك علماء الدين على قصد التساول
من حيث يتهمون الاستبشار والاستكثار في الدنيا بما يعتقدهم ولا تظنن ان نعمه الله تعالى على
رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره واظهر دينه واظهره على جميع اعدايه ومكن له في
القلوب حتى اتسع له عزه وجاهه كانت اكثر من نعمته عليه حبشيا يؤدي ويضرب
حتى افتقر الى الهرب والهجره فان قلت كرم العشيره وشرف الاهل من النعم ام لا
فاحوجتم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمه من قريش ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم من اكرم اولاده في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم خيركم النطفكم
وقال اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المراه الحسناء في المنبت السوء
هذا ايضا من النعم ولسنا عنى به الانتساب الى الظلمه وارباب الدنيا بل الانتساب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ائمه العلماء والى الصالحين والابرار المتزمتين بالعلم والعمل
فان قلت فما عد الفضايل الدينيه فما حولك احقا بتبذه الجاحه الى الصحه والقوه
والى طول العمر اذ لا يصح لا بنم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اسعد الناس طول العمر في طاعه الله وانما يستحق من خلبه امر المال فما مالكي ان يكون
ابهى واما في الدنيا فالحق نفعه فيها واما في الاخره فمن وجهين احدهما ان الفسيح
والطباغ عنه نافره وحاجات الجسم الى الاجابه اقرب وجاهه في الصدور اوسع مكانه
من هذا الوجه جناح سلفه كالمال والجاه اذ هو نوع قدره اذ يقدر للجمال الوجه على تسخير
حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الانسان معين على الاخره
بواسطتها والثاني ان المال والاكثر يدل على فضله النفس وعلو النفس اذا
لم تراعه تادي الى البذخ والتبختر وكثيرا ما ينلازمان ولذلك جعل اصحاب
الفراسه في معرفه مكارم النفس علامات اليدين والوجه والعين مراه الباطن
ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والفرح ولذلك قيل طلاقه الوجه عنوان ما في النفس
وقيل مات الارض فيبس الاوجهه احسن ما فيه واستعرض الماموني حسنا فعرض
عليه رجلا قبيح فاستطقه فاذا هو اكثر فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرفت
على الظاهر فصاحة واذا اشرفت على الباطن فصاحته وهذا السر له ظاهر وباطن
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي

لا ابعتكم

الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا احسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت
درجات المصلين في احسنهم وجها او اطولهم قامه وقال تعالى ممثلا بذلك وزاده بسطه في العلم
والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثه وانما نعني به ارتفاع القامه على
الاستقامه مع الاعتدال اللحم والشحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقه الوجه بحيث لا تشوه الطباع
عن النظر اليه فان قلت فقد اخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في خبر
النعم وقدم الله تعالى المال والجاه وكذي رسوله صلى الله عليه وسلم وكذي العلماء فما السبب
في ذلك قلت المال والجاه وان كانا من النعم فليسا من النعم الاخرويه وانما النعم الاخرويه
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنه وقال علي
رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمه كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء
بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمه مع كونها مذمومه شرعا فاعلم ان من ابواب العلوم
من الالفاظ المنقوله المتاوله والعمومات المخصصه كان الضلال عليه اغلب منال الهدى بل لا هدى الا
الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له عقلا بالتاويل مره وبالتخصيص
اخرى فهذه نعم معينه على امور اخرويه كما سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال
المال مثال الحيه التي فيها ترياق نافع فان اصابها السم المعزم الذي يعرف وجده الا حتراز عنها
وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمه وان اصابها السوادي الغر فمتى عليه بلاء وهلاك
وهو مثل البحر الذي فيه اصناف الجواهر واللالي التي يظفر بها البحر فان كان عالما بالبحار سالما
وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهالك البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهل بذلك
فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال نعم العون على بقتي الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه
ولكن المنقول في مدحهما مقابل للمنقول في ذم المال والجاه كثير وحب ذم الدنيا
مفهوم الجاه اذ الدنيا مقصوده احتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما
كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم حمقا يطرق الرقبه لجبه المال وطريق
الغوص في بحر الجاه فوجب لتحذيرهم عنه ان يعلموا ان بسبب المال قبل الوصول الى مرتبه
ويعلمهم مناخ بحر الجاه قبل العزم على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين
بالاضافه الى كل احد لما تصور ان يضاف الى النبوه الملك كما كان لرسولنا
صلى الله عليه وسلم والا ان يضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم
صبيان في الامور الحيات والاسباب العارفون معذورون وقد يصير الصبي فالا بغير المعزم
نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حبه وعلم انه لو اخذها
لاجل ترياقها لافتدى بها ولده واخذ الحيه اذا راها للعب بها فيهلك فله فرض في
الدرياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الدرياق بغرضه في حفظ
الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الدرياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها
لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يعرف الحيه اذا راها
ويشعر على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا يجوز امسه
احد ولا يجدته اصلا بما فيها من نفع الدرياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير مبالاه
المعرفه وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر مرارا فثم ولده اسبعه وهلك فواجب
عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا بد من خروج الصبي مجرد الذكر منها واياه
نحو من قول الساحل فواجب عليه ان يسعد مر الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بنبذ يديه فتذلك
الامه في بحر الاسباب كالصبيان الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد
لولده وقال عليه السلام انكم تقحمون على النار تقحم الفراش وانا آخذ بحجزكم وحظكم
الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لا يعقلون الا كذلك وليس فهم المخاطب
الا بقدر العقل فلا حرم اقتصرنا على قدر العقول وما فضل فامسكنا عنه لان الافهام عاجزه
فيه كالدرياق في الامساك البيع وفتح للناس باب كسب المال ورغبهم فيه امساكا والحرص عليها
ورغبهم عن درياق الاتفاق فلذلك فتح بحر الجاه وقبح الاموال والمعنى بقبحها ان اكثر الدنيا ولذاتها
للاستكثار منها والتوسع في تحصيلها وهو حرام وقد يباح منها القدر الكفايه وصرف الفاضل الى الخيرات وليس بمذموم وكل مباح فان الاجمل
الاقصد وزاد في السفر اذا صح العزم على ان يتقوى بما يحمله اما ما ان يتنعم بها بالطعام
الطعام ويتوسع الزاد على الزاد فلا باس بالاستكثار وقوله عليه السلام لتكن

عنايته عباده المحبوب واستعير لنسبه الواقف دون غايته عباده الكراهه وقيل انهما
جميعا داخلان في وصف المنسبه ولكن لكل واحد خاصيته اخرى في النسبه وهم لفظ المجد
والكراهه منعا امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم اجانب خلقه
واحتراعه الى من سبقت له من المنسبه الازليه ان يستعمله استعمالا في حكمته دون غايتها
ويكون ذلك مقررا في حقهم مبسوطا لدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت له في الازل ان يستعملهم
ليبلغه حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبه الى المنسبه
خاصه فاستعير لنسبه المستعملين في اتمام الحكمه لفظ عباده الرضا واستعير للذين استوفت فيهم
اسباب الحكمه دون غايتها فاستعير عباده الغضب وظهر على من عضيته له في الازل فعل
وقعت الحكمه به دون غايتها فاستعير له الكفران وارد ذلك بسفه اللغو والمذمه
زياده في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل لفعل اسافت بسببه الحكمه الى غايتها
فاستعير له عباده الشكر وارد ف لفظه السلم والاطراء زياده في الرضا والقبول والافضال
فكان الحاصل انه اعطى الجماله اني واعطى الكماله قبح واردي وكان مثاله ان يتلطف
الملك عبده الوسخ عزاي ساخه ثم يلبسه من ثيابه فاذا تمم تزيينه قال يا اجمل يا اجلك
واجل ثيابك وانظف وجهك فيكون في الحقيقه هو المجمل وهو المثنى على الجمال وهو المثنى عليه بكل
حال وكانا فعلين من حيث المعنى الاعلى نفسه واما العبد صدف الناس من حيث الظاهر
والصوره فهكذا كانت الامور في ازل الازال وهكذا سلسل الاسباب والمسببات
بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق ويجب بل عن اراده وحكمه
وحكم حتم وامر جزم واستعير لفظ القضاء قيل انه كلي بالنصر فقاضت لجاوا القادر
لحكمه ولذلك الحتم والجزم واستعير به القدر فاستعير لتوبيا جاوا المقدرات بعضها
على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يارا الامر الواحد الكلي ولفظ القدر
يذكر التفصيل المتمادي الى غير نهايه وقيل ان بينهما فرقا غير ذلك ليس هذا موضع ذكره
والقدر محظور لبعض العباد ان تعمقه لما اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل
مع هذا التفاوت والتفاضل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ما احاطت كنه هذا الامر
والاحتواء على جامعه فالجموا اقلامهم وطووا خوض مجرته لجام المنع وقيل لهم اسكتوا
ثم العذاب اخفض فاسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاه بعضهم نورا مقتبسا
من نور الله في السموات والارض وكان في بعضهم اوصافيا كاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت فاضطرار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا
الامور كما هي عليه فقيل لهم زادكم الله وانتم عبيد واذا ذكر الله فامسكوا
فان للحظ اذا ذاد وحوالكم صفقا الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكفوا احتجاب
الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم متخلفوا ياحلا في الله وانزلوا الى
السما الدنيا من منتهى علوكم لياس بكم الصفقا وتقتبسوا من ثيابها انوارا تزكو المترفه
منورا احبابكم كما تقتبس الخفافيش من ثيابها نورا لتمر والكواكب في جنح الليل
يحيى به حياه محمله محصه وحاله وان كان يحيى به حياه المردد من في كمال نور الشمس
وكونوا اخص فيما بينهم شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب
سقربنا واهرقنا على الارض فضله ولذا رض من كاس الكرام نصيب مهذا كان اول
هذا الامر واخره وابتدئه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له محت العين وابصرت
فلا يحتاج الى فاتر يعود ذلك الاعمى يدرك الى حد ما فاذا صافي الطرف صار
احد السيف اذ وفى الشعر فقد الطايرون على ان يطير عليه ولم يقدروا على ان يسخروا اعمى
واذا دق المجال ولطف لطفا الكي امتلا ولم يحك العبور عليه الا بالسباحه فقد يقدر
الماهر بصفه السباحه ان يعبر نفسه وربما لم يقدر على ان يسبح الحاذق في ٥٢ اخبر
منه امور تشبه السير عليها الى السبر على ما هو مجال ظاهر لكل كتشبه المشي على

القدر

الماء الى المشي على الارض والسباحه يمكن ان يعلم اما ما المشي على الماء ما لا يكتسب بالفعل بل بانسال
بقوه البقر وذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى يمشي على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على
الهواء هذه رموز واشارات الى معنى الكراهه والحمد والرضا والعقب والشكر والكفران بالجملة
بعد المعامله اكثر منها وقد صرف الله بعد مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ هو فسانه فاطن
الجزء الاخس الابعد وهو فكانت عباده تقرب غايته الحكمه في حقهم بما جبرائيل عبد من حيث احد مما
واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عبد محبوب مطاع معكن وبعض الاخوه وهو واسمه اللعين
ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم اجال الارشاد الى جبريل فقال تنزل روح القدس من ربك بالحق
وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واجال الاغواء الى ابليس فقال لاغوينهم عن سبيلك والاغرائ
هو استيفاء العبد دون بلوغ غايته الحكمه فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه
والارشاد وسرايته لهم الى غايته فانظر كيف نسبه الى العبد الذي اجتبه وعبدك في العباده له مثال
مخاخ الذي يستقيه التراب والى فمه فيحمله وينطف فنا منه له عن افنا ذوات وكان له عدال
ملاعبين للجامه والنطفه الا انهما واحسنهما واجملهما لا يخرج حمل التراب الطيب اليه الا الى احسنهما
واكملهما واجملهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا فعلي فلم يكون فعله على دون فعلي مالك اختلفت
اذا صفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصص الفعل المكروه بالشخص المكروه
والفعل المحبوب انما ما للعبد فان عبده ناره بهمز يا مورد مدخل ذلك فهذا ناره بم فيك مالك
ايضا من افعاله وفداعيتك وقدرتك وعلمك وسايراسباب حركتك في التعيين لهذا
فعله الذي نسبه بالعدل نزينا تصدر منه الافعال المعتدله الا انك ترى الانفس
فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهاده ليس له سبب في عالم الغيب والملكوت فذلك لك
تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا
مزورا باجاب توحى وتمشي وتقوم وتقعد وهي مولعه من خرق لا تحرك بانفسها انما تحركها
خيوط شعربه دقيقه لا تظهر في ظلام الليل ورود سما في يد المشعوذ وهو مخفي عن
ابصار الصبيان فيقر حوز ويتعجبون لتظنهم ان تلك الخرق تزفر وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلا
فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله
لا يعلمه كما يعلمه المشعوذ الذي الامر اليه والحاذق بسببه فكذلك صبيان الدنيا والخلق
كلهم صبيان الا العلما ينظرون الى هذه الاجاب فيظنون انها المتحركه فيجلون عليها واعلما
يعلمون ان غير محركون الا بحركه يرونها تشبه التحريك وهم الاكثرون الا العلما قون العلما
الراسخون فيها فهم اولو الابصار حيث ابصارهم خيوطا دقيقه عنكبوتيه تمتد فيها دق منها كليز منطقه
من السما متسببه الاطراف بايدي الاجاب اهل الارض يدركه كذلك الحاذق لو فتها بهذه الابصار
الظاهره ثم شاهد وارد س تلك الخيوط في مساقات لها هي معلقه منها وشاهدوا تلك
المناطات مقابضها في ايدي الملايكه الحافين للعرش وشاهدوا ايجاد ملايكه السموات
مصروفه الى حمله العرش منظورين منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضره الربوبيه في بعض
الله ما امروهم ويفعلون ما يؤمرون وغير ذلك هذه المعاني مشكله في القرآن مفصل وفي السما
رزقكم وما توعدون وغير ذلك من اسطار ملايكه السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر
مفصل حاذق بسبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير
وان الله قد احاط بكل شي علما وهذه امور لا يعلم ما ويلها الا الله والراسخون في العلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا يجلها افهام الخلق
حيث قرا قوله تعالى ينزل الامر بينهن مقال لو كنت ما اعرفه من معنى هذه الايه لرجمتموني
وفي لفظ اخر لعلم انه كافر وللقصر على هذا القدر فقد خرج عن الكلام عن فقهه
الاختيار وامتزج بعلم المعامله ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول
اذا رجع حقيقه الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمه الله الملايكه ولهم ايضا نصيب وما منهم
الا له مقام معلوم واعلام في رتبه القرب اعمه اسرافيل انما علو درجتهم لا لتحرق في انفسهم
كرام بررة وقد اصلح الله بهم الاشياء وهم اشرف مخلوق محكي وجد الارض ملي درجتهم درجه
الانبيا ما نهم في انفسهم احيا وقد هدى الله بهم سايرا لخلق وبهم لهم في حكمته واعلام

٢ القدر

٢ الماء

٢ الملك ذا مان

٢ بالشخص المحبوب

وبعضها خسيسة كالنجاسة فاذا اخذ المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد
حصل الترفع بما هو خسيس فيعفى من حفه فطلبه وعدل عن العدل وكذلك اذا ابر فسقا
في عهد الله واستغفاله في قضاء الحاجه فقد كفر بنعمة الله في خلق الجهات وخلق نبعه العالم
لانه خلق الجهات لذكر مفتاح في حركاتك وفي الجهات الى ما لا يتناهى فاذا دخل الى ما لا يتناهى
وضع مفتاحنا اضافه الى نفسه استدلاله لملكك اليه لتفتح به قفلك فيفتح بسببه بزلك
في ملك نعمه على عباده الثناء والوفاء واذا عرف ربك وكذلك انعمنا لغالك الى ما هي بزلك
كالطاعات والى ما هي خسيسه كمصاحبة الجنه وربما ابتراق فاذا رميت فزانك الى جهة
الميل فقد طلبها وكفرت نعمة الله على علتك بوضع القبله التي توضعها كما لك اعيا دنك
وكذلك اذا البست خفك فابدا من اليسرى فقد طلب الشقاء ومثابه للرجل وللرجل فيه حظ
واليد اوله في الخطوط ينبغي ان تكون للاشرف نحو العبد والوضاء بالكعبة ونعيضه ظلم وكفران
لنعمة الرجل والكف بصرا عند العارفين كثيره وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان
فاجمع اكرام الخطه وكان يتصدق بها فسل عن سببه فقال لسبب المداس من غير اسراف
بالرجل اليسرى سهوا فاذا رأى ان اكفر بالصدقه نفع الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور
انه مسكين يلجأ بصلاح العوام الذين يقرب درجتهم من درجة الانعام وهم مغفور لهم ما لم
واعظم من ان تحصر امثاله وهذه الكلمات بالاضافه اليها فقيل ان يقال الذي شرب الخمر واكل
الدرج وفساده وقد نهى عن جمعهما احدهما الشرب والاخر الاخر بالمسار ومن باع حرا في وقت
الدراسوم المجمعه فصحيح ان مات ناقص وجبر احدهما بتابع الجبر والاخر اتبع على دينه الذي ومن قضى
حاجته في باب المسجد فمستحب الغساله فصحيح ان يذكر تركه الادب في قضاء الحاجه مرجت
لم جعل القبله على يمينه فالمعاصي كلها طلمات وبعضها فوق بعض فصحيح معضها في جنب البعض
فالنسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل يسرته في ايراد نه ولكن لو فعل ذلك السكين
اعزاز اده لم يستعمل السكين بعزاز نه فحكم وكايه في نفسه فكل ما راعاه الانبيا
والاولياء من الاداب وما عجايه في النفسه مع العوام فسنته هذه الضروره والا فكل هذه
الكاره عدوا عن العدل وكفران للنعمه ونقصان عن الدرجه المنعمه للعبد الى درجات
الغرب نعم بعضها وفي البعد بنقصان القرب والخطاط المنزله وبعضها فخرج بالكليه
عن هم ورد القوب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر عضا من تجره
من غير حاجه ما جزه مثله ومن غير عرض صحيح فقد كفر نعمه الله في خلق الاشجار وخلق اليد
اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعه او لنيل اعمال المنعمه على الطاعه واما الشجر فانما خلقه الله
تعالى خلق له الغير وفي ساق اليه الماء وخلق فيه قوه الاعداد لكماله انما ليبلغ منفعه
الى عباده فكسره وامساكه على وجه يمنعه عباده مخالفه لمقصود الحكمه وعدول
عن العزل فان كان له غرض صحيح مثله دلك اذ السحر والحيوان جعل بعضها اغراض الانسان
ما منها حقا فانبار عالكان ما منها في بقا الاشرف مبده ما اقرب الى العدل من قصدهما
والبه الاشاره بقوله تعالى سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك
عشره مغفورا له ايضا وان كان محتاجا لان كل شجره بعينها ملائمه لحاجات عباد الله كلهم
هو الذي جعل البرد وضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالعهد فمغفور اوليه من غيره
فشرح حاجته بذلك فان ذلك في موات ملا يسبق الى احد من غرسه او بغرسه ملا يد
من طلب احتطاب احد وهو السبق الى اخذه فلا سابق خاصة السبق ما لعدل الذي كون هو اولى
به وعبر الفقهاء عن هذا التوجيه بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما
في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وفي نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره
كالملك فيضيف ما يده للعبد فمن اخذ نعمه سيده واحوجه له بزاحمه فحا عبد اخر واراد انتزاعها
من يده لم يمكن الا ان صار مثل ماله بالاخذ باليد فان اليد وحاجه اليد ايضا ملوك
ولكن اذا كانت الكل بعينها لا في حاجه كل العبد فالعدل الغضب عند حصول ضرب

من الترجيح والاحتصاص والاخذ احتصاص بقدر ما يسد به العبد فمنع من لا يدري الا احتصاصا بقدر
عن مزاحمه فحكمي ينبغي ان يفهم امر الله في عباده ولذلك نقول بزاحم من ١٢ لا يدري من حاجته
وكثره وامسكه في عباد الله من يحاج اليه فهو ظالم وهو الذي يتخزن الذهب والفضه
وامسكهما في سبيل الله وانا سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها ترفع
صرورا تهم وترفع حاجاتهم فمن لا يدخل هذا في حيز فتاوى الفقه ان مفاد بر الحاجات حفيه والبؤس
في استعمار القفز في الاستقبال فخلفه واوا خر الاعمار غير معلومه فمنع خلف الموالي ذلك
يجري مجرى تكليف العباد الوفاء بالنذوره والسكوت عن كل كلام مهجور ومحرم
بعضا فهو ولا يطيقونه تركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياها مع ذلك لا يدل
على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال الامتصاص الاسفاف على قدر الامكان
لضروره ما حبلوا عليه من الزهد المخل الابد على الله عابد التي وقد اشار القرآن الى ذلك اذ قال تعالى
ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم بذل الذي لا كدورة فيه
احرز من عباد الله ثم مال الله الا شعر زاد الراكب وكل عباد الله وكاب لمكانا
الابدان التي حصره الملك الديان فمن اصر وزاده عليه ومنعه عن اكل اخر محتاج اليه
فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمه وحاصر نفقه الله تعالى عليه بالقرآن الرسول
والعقل وسائر الاسباب التي يعاقب ان ماسوى زاد الراكب ومال عليه في الدنيا والاخره فمن فهم
حكمه الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفه الحكمي واستقصاء ذلك
محتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم عليه الصدوع بقوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وفتح الليس لعنه الله لقوله ولاغوينهم اكثرهم شاكرين وايعرف معنى
هذه الآيه من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذا سنفضي الكلام فيها ردوني استقصاء ما جبها
واما تفسير الآيه ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغه ويعد ما تلك القدر فهو المغني
والتفسير فاما تلك مقدر جهد جليل الكلام ان الله حكمه كلفني والله اعلم
بعض افعالنا العباد سببا لنيل مملكه الحكمه وبعضها عابه المراد مسارعا جعل بعض افعالهم
مانعا من نيل الحكمه فكل افعال وافق مقتضى الحكمه حتى اسافت الحكمه الى غايتها
محمود شكور وكل خالف ومنع الاسباب من ان تسوق الى الغايه المرادة بها فهو كفران
وهذا كله معقول ولكن الاشكال في ان هو ان جعل العبد المنعم الى ما يتم الحكمه والى ما يعيد بها
هو ايضا من فعل الله فما ان العبد في التي حتى يكون شاكرا مره وكافرا اخرى فاعل
ان تمام التحقيق في هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفه وقدر من ذلك اسبق الى فهم الخلق
عباد بها وفي الان بعيد بعباده وجزه عن اخراجها عابتها فمهما عرف منظوم الطير وتعدها
من تحرى الاصاغ في السير فضلا عن ان يحوك جوان الطير سفرل ان الله سبحانه
في جلاله وكبريائه صفه عبها بصدر الخلق والاختراع وتلك الصفه اعلم واجل من ان يكشفها
عين واضع اللغه حتى يعبر عنها بعباده مدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها ملم يكن العالم
لها عباده ولعلو شانها والخطاط رتبه واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم فضلا عن ان يمد يدهم الى مبادي اسرارها
فالخصت عن درجتها ابصار الخافقين كما حقرت ابصار الخافقين عن نور الشمس والعقول عن نور الكرسي
ولكن لضعف في ابصار الخافقين فاضطر الذين يحبانها جمع الملاحظه حلالها الى ان يستعيروا
من خصوص علم المباطنين باللغات عباره توهم مبادي تهاتيا صنيعا جدا فاستعاروا
لها اسم القدره فيجا مرتاسب استعاره بعض النظر نفسها لله صفه هي القدره عنه صدر
الخلق والاحداث عن مجرد الملك ضيفه الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انفسام
بعده الاقسام واحتصاصا خصوص صفا تها صفه اخرى استعير لها مثل الصروره التي سبق
عباره المشيه فهي توهم بها امرا مجملا عند المباطنين باللغات التي هي حروف واصوات
المنافهين بقبا وقصور لفظ المشيه عن الدلاله على كنه ملك الصفه وخصوصها كقصور
لفظ القدره والانصمات الافعال الصادره من القدره الى ما يفاسق الى المنتهى الذي هو
حكمتها والى ما يقف دون الغايه وكان لكل واحد نسبه الى صفه المشيه
لرجوعها الى الاختصاصات التي يقتضي العلم والاحكام فاستعير

بيت في غاية الحفظ حتى يصير بها وبعلم طريق الشكر والكفران على العموم وقول من نفع الله تعالى ظن
انه ينفرد الدراهم وبها قوام الدنيا وما حج الا من منفعة في اعيانها ولكن يضطر الخلق البهائم حيث ان كل انسان
محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه ومكسبه وسائر حاجاته وقد يتعذر عليه ما يحتاج اليه وما يملك ما يستغني عنه
كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى الجمل ليركبه ومن يملك الجمل وهو يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران
ولا يدّ بينهما من معاوضة وتابد في تقدير العوض من نقد يراد لاجل ذلك فجعل الجمل جملة يكافئ مقدارا من الزعفران
ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعلم مثله في الورس والصوف وكذلك يقدر بالنسبة الى سائر الاشياء
او عبدا حبشيا او دقيقا حنطيا او ثمرا مقدرا مناسبا لا مناسبة بينها وبين الجمل ولا يدري ان الجمل كم يساوي بالزعفران فتعذر
المعاملات جدا فمن فوائد هذه الاعيار المتفاوتة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بالحكم العدل
فيعرف من كل واحد نسبته ومبلغه حتى اذا عرفت المنازل تولت الرتب علم بعد ذلك
المساوي من غير المساوي بحكم الله تعالى الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر
الامور بها فيقال هذا الجمل يساوي مائة وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث انهما مساويان لشئ
واحد لذلك متساويان وانما امكن التقدير بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما انتفي
حصول ذلك الغرض في حق صاحب الغرض من حيث لم يفرض له فلا يتمكن الامر عاد
حكم الله تعالى لسيدنا داود الاموال بالعدل لحكمه اخرى وهي التوسل
بها الى سائر الاشياء لانها عزيزة لانفسها اذ لا غرض في اعيانها وانما عزتها لانها وسيلة الى سائر الاموال لانه واحد
من جملتها فانه ملك كالباقي من حيث ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فلم يحتج الى طعام ربما لم يرغب
صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في صورته كانه يشتهي وهو في معناه
كانه كل الاشياء التي انما تستوي نسبتها الى المختلفات اذ المركز صورة حاصة بعينها
لخصوصها كالمراة لا لون لها ولكن كل لون يتبدل صورة حاصة بعينها
لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وبها ابطل حكم بطول اذ كرها
فكل من علم انها علامة لا يلتفت الى كلام ملك يخالف الغرض المقصود بالكلام فقد كفر بقوله الله فيهما
ما دل من كتاب او سنة على ان الحكم حكم حاكم المسلمين في حكمه فيهما وكان كمن حكم حاكم المسلمين في سجن شخص
عليه الحكم بسببه انه اذا كفر فقد ضيع واهمل الغرض المقصود منه وما علم ان الرافع لزيد
حاكم من الناس وعلامة معرفة المقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى عن الذي يحكم في غير قراه
الاسطرلابية المكتوبة على صفائح الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت فالرقم
يدرك من البصر بل بعين البصيرة اخبر هاروت والعاجز من كلام سمعه عن رسوله حتى وصل
اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يحتاج واعلم ان ادراكه مقال والذي يكنز من الذهب
والفضة ولا ينفقها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من احتاج من الى ثالث ثمرة الدراهم
انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوا حالا ممن كنز الدراهم
مثال من استخرج حاكم اللذع الحامضة وكان اسوا حالا ممن كنز الدراهم مثال هذا
والخبيث اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والنحاس والرصاص ينوب مناب الذهب
والفضة في حفظ المنافع عن تعذر دائما الا واني لحفظ المنافع لا لكنز الخزف والحديد
في المقصود الذي اريد به المقود فمن اراد ان يتكفل له هذا كتكفل له بالرحمة الا لعنة
وقيل له من تريد بكنزه الذهب والفضة فكانما يجرعه جرعة نار جهنم وكل من
عامل معاملة الدرهم والدينار فقد كفر النعمة وكانما جرعها نار جهنم وكل من
اذا غرض عنها فاذا الغرض عنها فقد تخذها مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب
الفقير بغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب لا نقد معه فقد اقدر على ان يشتري به طعاما
ودابة وربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل
به الى مقصوده فانها وسيلة الى الغير لا غرض في اعيانها وفيهما من الامر الاكثر مع الخزف
من الكلام كما قاله النحوي ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكذلك مع المراة
من الالوان فما من معه نقد فلو جاز ان يبيع بالنقد فيجد العامل على النقد عليه حيلة في
النقد فيقيد اعنده وينزل منزله المكنوز ويقيد الحاكم والبريد الموصل الى الغير
ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا بما ذا النقد مقصود الذات جاز
وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر مع ان كل واحد منهما لا غرض في عينه فاعلم ان
احدهما للقدرة من يخالف الاخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث

كنزه كالدراهم فيقرر في الحاجات قليلا قليلا فقي المنع منه ما ليس من المقصود الحاصل به وهو تعسير
التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يدا بيد فمن حيث ان ذلك لا يجري فيه عادة التجار بل هما سيان وباع كسفل
به تاجر فانه غبن يجري مجرى وضع الدرهم في الارض واحدة وقد يخاف على الغفلة وان يصبر حتى ابو حنيفة في وضع الدرهم
على الارض واخذه بعينه ولا يمنع من السفر الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يضر في اصل الباب
اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي ما لم ينضم العقد وان يطلب زيادة في الردي فذلك ما قد يقصده ولا حرج
صنعه منه وتحكم بان يجردها ويردها سواء الا ان الجودة والرداءة مما ينبغي ان ينظر اليها فيما هفت فيه وما لا غرض
في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفه في صفاته واما الذي كلامنا هو الذي ضرب العرف مجلفه في الجودة
والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وجهلها ان تقصد واما اذا اباع دراهم بمثلها سيان فانما المنع لانه ابقدم
على هذا الا مساع فاعذر لنا احسان مقي الغرض وهو مكرمه مندوحة عنه لبقي صورة المساحة وكان
له حمد واجر والمعاوضة احدهما والاجر فيها اظهر لانه اصناعه خصوص المساحة واخر انها في
معرض المعاوضة وكذلك لو لا طعمه خلقت لتعذى بها او يتداوى بها ولما منع ان يعرف عن جنسها
فان في باب المعاملة فيها ما يجر بقيدها في الايدي ويوجر عنها الاكل الذي اريد له فاخلق
الطعام الاكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فيتضرع ان يخرج عن يده المستغني عنها الى المحتاج واتعامل
على الاطعمة الامستغنى عنها اذ من معه الطعام فانما اكله ان كان محتاجا واما بحكمه اصناعة اختاره
واما جعله بضاعة يختاره فليبعه ممن يطلبه ليعوض عن الطعام ليكون محتاجا اليه فما من يطلبه
يعني الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولعذا عظم الحكم وورد فيه من الشديدات ما
ذكرناه في كتاب اداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذا احدهما اسرع فسادا من الاخر
في العرض وبائع صاع من البر بصاع غير معذور ولكنه عاب فلا يحتاج الى منع ان النفوس لا تسمح
الا عند التفاوت في الجودة ومعاملة الخبز مثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد واما حبس
بردين مقدر مقصود لكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد مساو الى الردي في اصل الفائدة
وفي الفاقة في وجوه النفع اسقط الشرع غرض التبع مما هو الفرع فعقده جائز الشرع في الجزء الربوا
وقد انكشف لك هذا فهذا هو الاعراض عن الفقه فليلحق هذا بفن الفقهيات فانه اعرف من جميع ما
اوردناه في الحلاقيات وهذا ينضح وهذا مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالطعمة دون المكيلات
اذ لو دخل الجوز فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولو دخل الملح لكان مذهب مالك
اعم المذاهب فيه اذ حصره بالاقوات ولكن كل معنى مرعاه الشرع فلا يجوز ان يضبطه
بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان يمكننا بالمطعوم فراي الشرع التحديد
بالجنس المطعوم احوى لكل ما هو ضروري البقاء وتحريرات الشرع عديحيط بما طراف لا يقوى لها
اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحرير يقع كذلك بالضرورة ولولم يجد لتحرير الملك
مع سبع جواهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فمن المعنى بكمال فقهه يحلف بالله تعالى
والاشخاص فيكون الحد ضروريا جلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
وان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كما تحدث عن
تحريم الخمر بالسكر وقد حرم سدا بالكونه من جنس المسكر لان قليله يدعوا الى كثيره
والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكمه الجنس كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية
فهذا مثال واحد الحكمة حقيقة من حكم الشرع من يعتني ان يعرف سكر الفقه وكذا
هذا المثال فكل ما دخل في حكمه لا ينبغي ان يعرف فيها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكم وما وراءه
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تعاد فجواهر الحكم في قلوب هي معادن النفوس
وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فعس عليه حتى كيف
وسكونك وتطفك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه امامك واما منك وانما يحوان
لا يصور لك عنها ومعنى ذلك ان نصفه في لسان الفقه الذي سيلوح العوام عواء الكلب بالكراهة
ونعته بالحظر وكل ذلك عذار باب القلوب موصوف بالحظر فما قول
استحيت بالميم فقد كفر صفته الدين اذ حلق الله لك الرجل من وجعل احدهما انثى من الاخرى
فاستحيى الانثى ممن يريد وجهانه في العالم الشريف والفضل اذ من يرغب انا فقير عبد واغنى
العرب الله تعالى بامر الا بالعدل ثم احوجك من اجلها الى العمل نعمها سر بينه كاحد المهمة

فلمقبض العبد ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعامله فنقول لا معنى لقصر الدعوه الحق الى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن ينقسم بين الوصول اليه مسافه بعيده وعقبات شديده واما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافه وقطع تلك العقبات وعند ذلك يتكون النظر من مشاهده اخرى ومقام اخر فتفهم ذلك انقطاع وبالاضافه الى تلك المشاهده الشكر والشاكر والمشكور والشكور ذلك لا معنى لقولك يمكنك ان تفهم ازلكان الملوك ارسل الى عبيد قد بعد منه مركوبا مليوسا ونقد اجزاد فى الطرق حتى يقطع به مسافه البعد ويقرب من حضره الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان مقوم بعض مهماته ويكون له عنانى خدمته والثانيه ان يكون للملك حظ من العبد وحاجه تؤديه اليه بحضوره لا ينبغى ملكه لا يقوى على القيام بخدمته سعى منه عنانه لا غرض من ملكه فيكون قصده من الامر بالركوب والزاد ان يحمل العبد ما يقرب منه وينال سعاده حضرته ليتمتع هو فى نفسه بالملك به وبالشفاعه فتنزل العبد من الله تعالى فى المنزله الثانيه لا فى المنزله الاولى فان الاولى محال عادا الله والثانيه غير محال نعم ان العبد لا يكون شاكرا فى الحاله الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى اراد ها الملك منه واما فى الحاله الثانيه ما يحتاج الى الخدمه اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما اعتده الله مركوبا فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما مزيد فى بعده منه فهذا نسبه العبد الى الركوب والركوب والى سفر الزاد الا ان الطريق حقيقه شكر مولاه اذا استعمل نعمته فى محبته اى فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدر حضرته ناخر بعيد فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان ركبه وان خاطر وبالروح لا فى طلب القرب والى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهو غنى عنهم اسدا فطر نهر محتاجون الى استعمال الشهوات فى كل نفس ابدا فهم مقربون بها عن حضرته واعاسعد ادنهر فى القرب منها فاعد لهم من النعيم ما تقر به عيون كل من ارد وجه القرب وعن بعد هم وقر بصم عبر تعالى الرسل لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الايه فاذن نعم الله الا ف تترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعاده القرب والله غنى عنه فرجاء وجود العبد قبه بين ان يستعملها فى الطاعه فيكون ذلك سلما له فى محبته مولاه وبين ان يستعملها فى معصيه فقد كفر نعمه مولاه ولا يرضاه له قال الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصيه وان عطلها فلم يستعملها فى طاعه ولا فى معصيه فهذا ايضا كفران النعمه بالتضييع وكل ما خلق فى الدنيا خلق آله للعبد ليتوصل به الى سعاده الاخره وبنا القرب من الله وكل مطيع فهو يقدر طاعته شاكر نعمه الله فى الاسباب التى استعملها فى الطاعه وكل عاص لا يترك الاستعانه الا بحاجز استعمل طريق العبد فهو كافر جاز فى غير محبه الله فالمعصيه والطاعه سلمها الشبه ولكن لا سبيل الى المحبه والكراهه الا بمعرفه محبوب ومراد مكروه وورد ابيان هذه الدقيقه سر القدر الذى ضل من اقتحم به وندا جل بعد الاستكمال الاول وهو انه اذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون للشكر وجه فنقول ايضا الجهل الثانى فانا نعنى بالشكر الاعتراف بنعمه المنعم والصرف الى جهه المحبه الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء الله تعالى ومن حسنات فعله فعد اتى على الجهه محبته ملته الشكر على كل حال واسم موصوف بانك شاكر معنى انك محل للعنى الذى هو الشكر وجاره عنه لا معنى انك موصوف كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا معنى انك خالق العلم وموجده ولكن معنى انك محل له وقد وجد بالقدره الازليه فيك فوصفك بانك شاكر اضاف سنته لك وانت سمى ان خلق لك خالق الاشياء كلها وانما تسمى اذا كنت اثبت طانا نفسك بسنته من انك فاما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشياء اشياء حتى اذا احتاجت الى محل خلق لها محلا فهو خالق بالنظر الى هذا الاعتبار وهذا النظر يعين الاعتبار الثانى وهو النظر بعين الاعتبار الى فعل العبد اذ اكان الاسم قد يشتق عنها قبل ان يخلق المسمى بها فالاحسن ان يقال ان الله تعالى هو الشاكر على الحقيقه لانه هو الذى خلق الشكر وجعله سببا لاثابه عباده وجعل الثواب سببا لنعيم الجنه وهو الذى خلق الاسباب والمسببات جميعا وهو الذى خلق الداعيه الى الشكر والشاكر والمشكور والشكور فهو الشاكر على الحقيقه وهو الشكور على الحقيقه ولكن لما كان الشكر على العبد واجبا وكان الله تعالى قد اوجبه على نفسه بمقتضى وعده الصدق وكان الوجوب يستدعى موجبا ومقتضيا وكان الموجب والمقتضى هو الحكمه التى اقتضت ترتيب الثواب على الشكر وكان الله تعالى هو الذى خلق الحكمه والمقتضى والموجب والوجوب والشكر والشاكر فهو الشكور على الحقيقه ولكن لما كان العبد هو المحل للشكر الذى هو فعله وكان الله تعالى هو الخالق للفعل والمحل جميعا كان العبد شاكرا على الحقيقه والله تعالى شكورا على الحقيقه فهذا معنى قولنا ان الله شكور وشاكر وهذا ايضا معنى قولنا ان الله عالم وقادر وحى ومريد ومتكلم وسميع وبصير ومدرك وقيوم وقاهر وقاهر وجواد ورحيم وغفور وعفو وحليم وغير ذلك من اسمائه الحسنى وصفاته العليا فان كل ذلك لله تعالى بمعنى انه خالق الاسباب التى بها يتصف العبد بهذه الصفات وهو الذى خلق العبد وخلق له القدره والعلم والارادة التى بها يتصف بالعلم والقدره والارادة وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الانبياء والاولياء بالصفات التى وصفهم الله تعالى بها فهو الذى خلق الصفات والموصوفين بها وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الشاكرون بالشكر فهو الشكور على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الشهداء والصديقون بالشهاده والصديقيه فهو الشهيد على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الانبياء والاولياء بالنبوه والولايه فهو النبى على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الملائكه بالقرب فهو الملك على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الكفار بالكفر فهو الكافر على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الشياطين بالشيطنه فهو الشيطان على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الفساق بالفسق فهو الفاسق على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المنافقون بالنفاق فهو المنافق على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المؤمنون بالايمان فهو المؤمن على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الموحدون بالتوحيد فهو الموحد على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف العارفون بالمعرفه فهو العارف على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المحبون بالمحبه فهو المحب على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المطيعون بالطاعه فهو المطيع على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المتقون بالتقوى فهو المتقى على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المتوكلون بالتوكل فهو المتوكل على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الراضون بالرضا فهو الراضى على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الصابرون بالصبر فهو الصابر على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الخائفون بالخوف فهو الخائف على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الراجون بالرجاء فهو الراجى على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المحبون بالحب فهو المحب على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المشتاقون بالشوق فهو المشتاق على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المستانسون بالانس فهو المستانس على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المطمئنون بالطمانينه فهو المطمئن على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف الراضون بالرضا فهو الراضى على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المسلمون بالاسلام فهو المسلم على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المؤمنون بالايمان فهو المؤمن على الحقيقه وهو الذى خلق الاسباب التى بها يتصف المحسنون بالاحسان فهو المحسن

كمال الفرده والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال سبحان الله
عشر مرات فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة
وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وقال ليس شئ من الاذكار يضاعف ما يضاعف
الحمد لله ولا تطمئن لهذه الحسنات ما دام لسانك يحركها من غير حصول معانيها في القلب
سبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفه
النعمه من الواحد الحق فالحسنات ما دامت هذه المعارف التي هي ابواب الايمان والتقين واعلم ان تمام
هذه المعرفه في الشكر في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشئ فانما يوزره او توكيله
دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمه فالذي النعمه من الملك من كل وجه بل
منه بوجه ومن غيره بوجه صوزع عليها فرحه فلا يكون موحدا في حق الملك بعد ان لم يعصر من
توحيده في حق الملك كما ينكره ان يرى النعمه الواصله اليه بتوسطه الذي كتبه بقلمه
وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا ينكرهما لانه لا يثبت لهما
دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران بتحت قدره الملك وقد يجعل الوكيل
الموصل والخازن ايضا مضطرا من حيث الملك ازهاق امر حرم بخلاف عاينه لما علم ان الوكيل
ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا
في توحيده من اضافه النعمه الى الملك فلذلك من عرف الله وعرف فعاله علم ان الشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره كالقلم في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس
اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لمعقل بشئ ما انت كالخازن المضطر الذي لا يجد
سبيلا الى مخالفه الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك درهما في يده فكل من وصل اليك
نعمه الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الاراده وهي الداعي والتي خلقه ان خيره في
الدنيا والاخره ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال الا لاجل الاله وبعد ان
خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى شركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه
لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولعلم انه ان منعك مني منعك لما نفعك
فهو اذن انما يطلب بقطع نفسه نفعك فليس مغاثا بل اعرف وسيلة الى نعمائي هو يوزرها
وانما الرزاق علي هو الذي يحرره لك والذي خلقه من الاعتقادات والارادات ما صار به يضطر
الى ايصال الملك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا
وقد رضي عليك وفعلك وفعلت فعلت شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانه معرفته شكرا
اذ من لم يشكر الا بان يعرف ان الكل منه فان جاهل ربما يشكر عارفا بالنعمه
بالمنع فالفرح بالمنع وحده بلا بقيه فيقضان معرفتك بفقر جاهل في الفرح بفقصان
فرحك بفقر عدوك فهذا ايضا هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمره من اصل المعرفه
وهو الفرح بالمنع مع هباء الخضوع والتواضع وهو ايضا نفسه شكر على نحو كما ان
المعرفه شكر وكما انها يكون شكرا اذا كان جامعا لشروطه وشرطه ان يكون
فرحك بالمنع انما لكونه ولا بالانعام ولعل هذا اجابه بعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا
مقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فامر غلامه ان يقصد ان يشرح النعم عليه بالفرس
من ثلثه اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس والله مال ينتفع به وموكوب يوافق
غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في
صحرا فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الوجه الثاني ان يفرح لا من حيث انه فرس بل من حيث
يتيسر له على عنايه الملك به وستفسه عليه واهتمامه بحاجته هي لو وجد هذا الفرس في
صحرا واعطاه غلام الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنايه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له
بالاضافه الى مطلوبه من نيل الحرية لدى الملك الوجه الثالث ان يفرح به لتركبه
ويخرج في خدمته ويحمل مشقته انسفر لينال بخدمته رتبه القرب عنده ويرتقي الى درجه الوزاره
من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعني به هذا القدر من
العنايه بل هو طالب لمشاهده الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزاره وبين الوزاره
لاختار القرب فهذه ملك درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا الا ان نظر صاحبها مقصورا

قول الملك فانما يوزره توكيله

على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا جاهل كافر فرح بنعمة من حيث انها فائزه ومواقفه
لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه بالفرح بالمنع ولكن
لا من حيث ذاته بل من حيث معرفه عنايته التي سبقته على الانعام في المستقبل وهذا جاهل الصالحين الذين
يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه واما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون
فرح العبد بمنع الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والتزود في جواره والنظر الى وجهه
على الدوام فهذا هو الرتبه العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعه الاخره ومعينه
عليها وخزينه كل نعمه لا تلهيه عن الله ذكر الله وتصده عن سبيله لا تسميه نعمه لانها لا تزيده
كمالا بل هو صاحب الفرس الفرس لانه جواد موصل الى القرب بجمله في صحبه الملك حتى يدوم مشاهدته
له وقربه منه ولذلك قال السلف رحمه الله الشكر روبه المنعم لا روبه النعمه وقال الخواص شكر
العامه على المطعم والملبس وشكر الخاصه على وارد ات القلوب وهذه رتبه لا يدركها كل من
انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الاكوار والاصوات وخلاصه الامر
القلب فان قلب لا يتلذذ الا بذكر الله ومعرفته ولقايه واما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستلذ بعض المرضى الاشيا الحلوه
ويستحلي الاشيا المره حتى قيل ومن يك دائم مريضا يجد مرا به الماء الا الذ الا ما ذن هذا
شرح الفرح بنعمه الله فان لم تفهم فعلى اليوم ان لا يكون هذا فاقد رحمه الثانيه اما الاولى فمخارجه عن كل
حساب فكم من فرق بين من يريد الفرس لذاته وكم من فرق بين من يريد
الله ليتوسل به الى مخالفته الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك درهما في يده فكل من وصل اليك
نعمه الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الاراده وهي الداعي والتي خلقه ان خيره في
الدنيا والاخره ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال الا لاجل الاله وبعد ان
خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى شركه فهو اذن انما يعطيك لغرضك
لا لغرضه ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولعلم انه ان منعك مني منعك لما نفعك
فهو اذن انما يطلب بقطع نفسه نفعك فليس مغاثا بل اعرف وسيلة الى نعمائي هو يوزرها
وانما الرزاق علي هو الذي يحرره لك والذي خلقه من الاعتقادات والارادات ما صار به يضطر
الى ايصال الملك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا
وقد رضي عليك وفعلك وفعلت فعلت شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانه معرفته شكرا
اذ من لم يشكر الا بان يعرف ان الكل منه فان جاهل ربما يشكر عارفا بالنعمه
بالمنع فالفرح بالمنع وحده بلا بقيه فيقضان معرفتك بفقر جاهل في الفرح بفقصان
فرحك بفقر عدوك فهذا ايضا هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمره من اصل المعرفه
وهو الفرح بالمنع مع هباء الخضوع والتواضع وهو ايضا نفسه شكر على نحو كما ان
المعرفه شكر وكما انها يكون شكرا اذا كان جامعا لشروطه وشرطه ان يكون
فرحك بالمنع انما لكونه ولا بالانعام ولعل هذا اجابه بعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا
مقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فامر غلامه ان يقصد ان يشرح النعم عليه بالفرس
من ثلثه اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس والله مال ينتفع به وموكوب يوافق
غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في
صحرا فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الوجه الثاني ان يفرح لا من حيث انه فرس بل من حيث
يتيسر له على عنايه الملك به وستفسه عليه واهتمامه بحاجته هي لو وجد هذا الفرس في
صحرا واعطاه غلام الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنايه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له
بالاضافه الى مطلوبه من نيل الحرية لدى الملك الوجه الثالث ان يفرح به لتركبه
ويخرج في خدمته ويحمل مشقته انسفر لينال بخدمته رتبه القرب عنده ويرتقي الى درجه الوزاره
من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعني به هذا القدر من
العنايه بل هو طالب لمشاهده الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزاره وبين الوزاره
لاختار القرب فهذه ملك درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا الا ان نظر صاحبها مقصورا

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر وما يتعلق به

من علوم الصبر واسراره

الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه

الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة

الركن الثالث في بيان الافضل من الشكر والصبر الركن الاول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسيجزي الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين انك لا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم تستثن حال ان شكرتم لازيدنكم واستثنى في جملة الاعطاء والاحايب والارزاق والمغفرة والتوبة فقال تعالى صوف نعطيهم الله من فضله ان سألوا وما كان معذبهم وهم يستغفرون وقال عز من قائل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى ومن يشكر فانما يشكر لنفسه وقال تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله الشكر معناه الحمد لله الذي صدق وعده وقال تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبريني يا عمة ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عندنا انه اتاني ليلة فدخل معي في لحافي حتى لصق جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي فقلت قلت اني احب قربك ما دخل قلبك فقام الى قربه ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وما لا افعل وقد انزل الله علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها آية خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء بعد الشكر مستحب وقد روي انه ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع في سواد الليل من خشية الله تعالى او قطرة دم تهراق في سبيل الله تعالى وروي انه ما من شيء الا وله كيل او وزن الا الدموع فان القليل منها يطفئ بحورا من النار وما جاوز دمعة مثل ذلك مقلة ابكى الا فان ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء السكر والسرور وطلب العبد كالمختار اذا اسبغ عليه النعم فانه يشكر ولا يزول تسميته الا بالبكاء في حال الخوف وانكر جماعة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فيدخلون الجنة فلا يرى الحامدون ما الا يرى الشاكرون على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم المحروم من حرم الدعاء وروي انه اوحى الله تعالى الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله تعالى اليه ايضا في صفة الصابرين وآخرهم دارا اذا السماء انشقت والكواكب انتثرت وهو خير الكلام وعند الشكر اسير نهم وبالنظر الي ازينهم ولما نزل الكوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه مالي الم اجد مثل هذا الا شاكرا فامر بانية الفلب الشاكر بدلا عن المالح قال الراوي فرأيت عمر رضي الله عنه الكوز طيبا شاكرا فامر بانية الفلب

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم ان الشكر نصف الايمان والايمان ينقسم الى علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل ويورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بالمنعم والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك بالقلب والجوارح واللسان ولا بد من بيان مجموع ذلك ليحصل الوقوف على الاحاطة بحقيقة الشكر فاركان ما يقال في حد الشكر ثلاثة اركان الاول العلم والثاني الحال والثالث العمل وهو كمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو العلم بكيفية امور بعض النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي تتم الانعام وتصدر الانعام منه على قاعدة لا بد من معرفتها فالنعمة ومنعم عليه ومنعم وفعل المنعم بالنعمة على المنعم عليه كل ذلك من الله وهو المنعم والاواسط مسخرون من عند الله فاما النعمة فخلق الله فلا يتم الايمان بمعرفة ان النعم كلها من الله وهو المنعم والاواسط مسخرون في حقه وهذه المعرفة ورأس التوحيد اذ دخل القدر في التوحيد فهما يميل الربه الاولى في معارف الايمان المقدس ثم اذا عرف ذا ما مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يتمثل ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فما لكل نعمة منه منفع هذه المعرفة في الدرجة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد

فصدة عنه ومعنى الزهد ان ملك العبد شهوته وغضبه فيفقد ان لما عنف الدين واشاره الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ انه يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسايراعراضه لتكون هي امثل الشهوة مسخره ومنام الشهوة اخذا بحقه الى حيث يريد ويهوي واعظم اغترار الانسان ان يظن انه مالك بان يصير مملوكا وسالاريوشه بان يصير حيدا ومثل هذا هل يكون الامعنى وسائر الدنيا منك وسائر الاخرة ونحو امثال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كف اطلبتك حاجة وملكي اعظم من ملكك قال كيف قال لان سلطانك عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وملكي هذا كله عبد لي وهذا ادنى الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الاخرة فالمجد عرض يعترض الشيطان حسرة الدنيا والاخرة جميعا والدين وقهر الشهوة اشد على الصالح المسلم فاذا رأيت الدنيا والاخرة جميعا فاذا عرفت ان معنى الملك والربوبية ومعنى السعي والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيف تعمد الشيطان وتلبسه فيسهل عليك السلوك عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عن فواته اذ يصير بركة ملكا في الحال ويرجو به ملكا في الاخرة ومن كشف له بعد الامور بعد زال الغشاء واستبان له ورسخ فيه بالعادة صار سيرته واسبابه فلا يكلفه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يصيف اليه العمل وعلة في بلغة امور احدها ان يهرب عن موضع الخطاء كما يشاهد اسبابه فيفسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من عليه السهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يعمل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالفها اعتاده فمدار التكلف بالتدريج والتدريج هو المتواضع وكذلك كل هيئة وحال في مسكن وملبس ومطعم ومنام وتعود كان بعناده وفاعضني جاهه فمتى ان يسير لها سابها حتى يسهل يا عياد ذلك صدما بر سهل مدمن فعل يا عياد صدره والامعنى للعالجة الا المصادمة الثالث ان يرى في ذلك اللطف والتدريج ملاسفل درجة واجرة الى الطرف الاقصى من البذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا تعب نفسه بذلك البعض وسلى نفسه بالصبر ان يترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبعض وهكذا في كل شيء يفعل شيئا ميلا الى شيء فيتكلف ذلك الصفات التي ترسخ فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والى هذا الاشارة بقوله عليه السلام اسددوا وقاربوا من شيء عليه فاتقن ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن السهو عن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من مرغوبات نفوس المتعاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واخذه دستورا لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي عددناها فمن قبل فان بعض الاحاد يطول ومن راعى التدريج لم يرض به الصبر الى حاله يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الطبع معه فيتعكر امور فيصير ما كان محبوبا عنده مكروها وما كان مكروها عنده مستلذا هذا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبر مجال على البعض في الابتداء فيشق عليه الصبر عن البعض مع العلم حتى اذا انضم بصيرة وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على البعض والى هذا اشار من حكي عن بعض العارفين انه سئل عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال الصبر لله عز وجل اذا قال الصبر مع الله فقال فاين قال الصبر عن الله مصرح الشبلي صرحة كاد ان يوجه سلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا اباكم ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله على الصبر بالله بكا والصبر مع الله وفا والصبر عن الله حفا وقد قيل في معنى قوله تعالى ان الصبر عنك هو الصبر معه والصبر في سايرالاشياء مجهول وقيل ايضا الصبر لجام في المطر كلها الا عليك فانه تاجل هذا اخر ما اردنا شرحه

البعيد وعزيمه الصبر والثاني ان يعدد هذا الباعث مصارعه باب الشهوة مثلا فانه
حتى يدرك لذة الظفر بها سيجري عليها وتقوى منه في مصارعتها فان اعتاد المجاهدة
النفس تقوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك فزيدوه الجمالين والعلاجين المعالجين بالجملة
اعلم ان لاعمال النفس قوة على قوة الخاطئ والعطار بن والصالحين ولذلك لان تقوى كما ذكرنا
بالمجاهدة والعلاج الاول ايضا هي اطباع المصارع في المقابلة عند الغلبة ودوعده بانواع الكرامة كما
وعد فرعون بحرزه عند اعترافه ايام موسى حيث قال وانكم اذن لمن المقربين والثاني نصاحي
تقويد الصبي الذي مراده مصارعته والمقابلة مباشرة اسباب ذلك مثل الصبي حتى يأنس به ويسخر
وتقوى فيه منه فمن تركه بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الهوى وتقوى على النهوة
وان ضعفت ومن عوده مخالفة الهوى غلبها مما اراد فهذا اصلاح العلاج في جميع انواع الصبر
ولا بد من استيفاء وجه واما اسبابها الباطن عن حديث النفس واما سبب ذلك على من
يقوى له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة وحلس للمراقبة والذكر والفكر
فان الوساوس والخواطر من جانب الى جانب وهذا الاعلاج له البتة الا قطع العلائق كلها
ظاهرا واما طنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاة والرضا والاصدقاء والاعتزال
الى زاوية بعيدا حراز قدر سير من الصوت وبعيد الشاغبة به وكل ذلك لا يكفي ما لم نصر
النهوة مقهورا واجرا وهو الله ثم اذا اعلى ذلك القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال
في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفته
الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع استيلاءه بذلك مجاذبة الشيطان وسواسه وان لم يكن
سبيلا الباطن فلا يحد الا الاوراد المتواصلة المتوبة في كل لحظة من العمر اداء والاذكار
والصلوات ومجاهدة ذلك الى تكلف القلب الحضور فان الذكر في الباطن هو الذي يستغرق
القلب دفع الاوراد الظاهرة ثم اذا افعل كل ذلك ارسله من الاوقات فلا بعضها اذا اخلوا
في جمع اوقاته من جميع ادث يجد دستغاله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وابرد من انسان
ولمعان نور مخالط اذا لم يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد
الانواع الشاغلة واما النوع الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو استغاله بالمطعم
والملبس واسباب المعاش فان لهذا ذلك اضطر الخروج الى شغل الدنيا كواه سقمه وارباه فهو
فاما عجزوا فيشغل قلب من يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها فيسأله اكثر الاوقات
ازلم يحجم به مملة وواضعة في ملك الاوقات يصفوا القلب وليس الذكر ويتمكن فيه
من اسرار الله في ملكوت السموات والارض فالا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان
صفو القلب بما العلائق والاشتغال الى هذا اقصى المقامات التي يمكن ان ينال بالاكتساب
والاجتهاد فاما مقادير ما يبتلى به وما لا مرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك
بحري مجري الصيد وهو تعب الرزق فقد يقل الصيد وقد يطول التعب وقد يكثر الصيد
وينقل الخطر والتعرض واحد اعلى حذر من مرض باب الرجاء فانه قد يمرض ولا يموت
باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يصبر على ذلك او يجزع ويسخط ولكن ذلك
الحذر في اسفل السافلين لا يحترز الى اعلى عليين وكل ما هو مقدور لا بد وان يأتي فان
قطع العلائق الجاذبة هو الذي اراد بقوله عليه السلام ان ربكم في ايام دهركم نفحات الا
فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذا قابل قلبي في
الفكر وذكر وجاء عدو هذا من اعلى انواع الرزق في الامور السماوية عاجلة فاما امور
يسر الله اسباب الرزق فيها علينا الاصرع المحل والاستظار لتنزل الرحمة وبلوغ الكتاب اجله
كالذي يصيب الارض وفيها من الخبيث وبيت الذر فيها وكل ذلك لا يقع الا بالمطر ولا يدري
متى يقع والله اسباب المطر الا الله نبي يقعها الله انه لا يخلي سنة عن مطر فلذلك قل ما تخلوا
سنة عن مطر وشهر ويوم عن جزئه من الجزئيات ومنفعة المنخفض العذب
قد طهر القلب عن حبس الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاحلام ورجى نبته الهداية وياح الرحمة
وكما يقوى انهمار المطر في اوقات الربيع وعند طهور الغيث حينئذ ينتظر تلك النفحات
في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة
وايام رمضان فان الخير والاشياء كما سبق بحكم بعد بذر الله تعالى لا ستدرار رحمته حتى سنة

[illegible] وهو استدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف
من خزائن الغيوب اسند هذا سببه هذا استدرار قطرات المواهب استجرار الغيوب من اقطار
الجبال بل الاحوال والمكاشفات جاهزة معك في فلكك وانما انت منقول عنها بغلاف تلك
وستولاك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تصلح الا الذي تكسير البوق ويرفع الحجاب فتشرق
انوار المعارف من باطن القلب واظهارها الارض لجفير التي اسهل واقرب من استنزال الماء بالهما
من مكان بعيد مختفي عنها ولكونه حاصرا في القلب ومسببا بالاستغال عنه سمي الله تعالى
معارف الايمان يذكر الاهال ولهذا ذكروا الالباب وقال لقد سبرنا القرآن للذكر فهل
من مذكر فهذا هو علاج الصبر في السادس والشواغل وهو آخر درجات الصبور انما
الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الجوع الطرفال الجندر حمه الله المسير من
الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران المألوف حبب الى سيد ولد آدم المسير من النفس الى الله تعالى
صدر والصبر مع الله استكثر وذكر سدره الصبر عن شواغل القلب ثم سدره هجران الخلق
واستعلاء على النفس عليه الخلق وجاهاد فان لم تكن الرياسة والغلبة والاستعلاء
والاستتباع اعلب اللذات الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اعلى اللذات
ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما
فيه من المناسبة لامور الربوبية وعد العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب
مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على عدم وقع له سبب لغير ولا سبحان التعبير
المبعد عن عالم الامر اذ حبه على كونه من عالم الامر فاصله واعزاه وكيف يكون مذموما
عليه وهو يطلب سعادة الآخرة وليس يطلب الا بما فيه وعز الاذل فيه وانما الخراب
فيه وعما لا فهو فيه وكل الانصاف فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وكمالها لكن
مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك
طالب للقدر والعز والكمال المحال ولكن الملك ملكان ملك شوب بانواع الآلام
والمحن وسرعة الانصراف ولكنه عاجل وهو الدنيا وملك لا شوب فيه ولكنه آجل
الهم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد حرم الانسان بحجبه عن رؤية عاجل الدنيا
وتوسل اليه بواسطة العجلة فاستغواه بالعاجلة وزينة الحاضرة وتوسل الله بواسطة
الحمق وقعوده بالقعود عن الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما ما العلة السلم
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فاجتمع الحذر ان بعد دوره واستغل بطلب
الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يسأل الموفق بحيل عن عروره اذ علم ان مدار الكون
فاعرض عن العاجلة فقصر عن الحذر ولبس قبل الحيوان العاجلة ويذر وقال الآخرة وقال
تعالى ازهاوا لا يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال بقلي فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة
الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما يأمر على الخلق من العدو واعوانه فاستطاروا
يدعوه الخلق الى الملك الحق عن الملك المجازي الذي اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا
فمادوا فيهم ما يهيأ الدين اسوأ ما كر اذا قبل الحكم انفروا الى سبيل الله انا مقبلا الى الارض رضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتزوا واعملوا والتزموا
والقرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل الا الدعوة الحق الى الملك الذي الملك الخلد
والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فليزهد فيها
والعاقبة بالتبصير فيها واما ملك الآخرة فالغرض من الله تعالى مدرك بقدر ما فيه
وعز لا ذل فيه وقرة عين احقيقة في هذا العالم لها تعلق من النفس والشيطان يدعو هم الى
ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوته الى الدنيا والآخرة صغران في جنب الدنيا لعلمه بان الدنيا
لا منتهى له انقضاء ولو كانت تنتهي لكان لحده انقضاء ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المتاعب
والمكدرات وطول العمر في الدنيا وكذلك سائر اسباب الجاه كما تسلم
ومن الاسباب ينقضي العمر حتى اذا احذف الارض وخرفها واريت وتلى اهلها الغير قادرون
عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس مثل الله تعالى بها
مثلا وقال كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا خسره الشيطان

ويطهر الرضا بقضاء الله ويمضي مستمرا على عادته ويعقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت
كما روي عن ام سليم انها مات ابو طلحة وزوجها ابو طلحة غائب فمرضت مريضة فمات
فقدم ابو طلحة عشية فهيأت له عشاء فتعشى ثم تصنعت له احسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها
فلما رأت انه قد شبع وري قالت يا ابا طلحة ارأيت لو ان قوما اعاروا عارية من اهل بيت فطلبوا عاريتهم
ألهم ان يمنعوهم قال لا فقالت فاحتسب ابنك فغضب وقال تركتني حتى تلطخت ثم اخبرتني بابني
فانطلق حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لكما في ليلتكما فحملت بعبد الله فولدت غلاما فقال لي ابو طلحة احمله حتى تأتي به
النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم حملته امه ومرت به على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم بارك لهما في ليلتهما فولدت غلاما آخر فقال لي يا انس لا يرضعن هذا الليلة فغدوت به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتمرتها معك قلت نعم وعلى ان الله قبضه اليه فجاء الله واسترد وديعته
فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعروسا تريد ان تعرسا قلت نعم فعرس بها
فلما فرغ قال اسقوا الغلام فسقيته فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتعلم ان رجلا اعار عارية من الله تعالى ولن الله قبضه اليه فجاء الله واسترد وديعته فاحتسب
فغضب ثم قال ما كان ينبغي لك ان تغلب على ابني قبل ان تعلمني فاخبرته بما كان
فاسترجع ثم حمد الله تعالى فلما رأى ان قد اطعمناه وأصاب منا قال يا ابا طلحة ارأيت قوما
اعاروا عارية من الله تعالى ولن الله قبضه اليه هل لهم ان يمنعوهم قال لا فقال فاحتسب ابنك

أحد الأمرين إما أن يصبر على ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان ضعيفا
من الحيوان ما في أمعائه وعظمه عند قصدهم له في حربه واستعداده لذلك ليس يصدر إلا عن اصطبار الكبر
وصارعه الروميه في وكزه الكبار خاتف الصوت ديه ساقه على النفس مطلقا ثم العادات عاتكة
سبب الكسل كالصلاة ومعها ما يكره سببا كالزكوة ومنها ما يكره سببها جميعا
كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على أشد الأمور ويحتاج للتطبع إلى الصبر على طاعته في تلك أحوال
الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص فيه والصبر عن سوء الرياء ودواعي الآفات وتعهد
العزم على الإخلاص في الوفاء وذلك من أصعب السدد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الدنيا
ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال
الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وبعد اللتيا والتي فالصبر على العمل وقال الذين
صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كالصبر عن الله في أثنائه وإكماله
عن تخريب آدابه وسننه ومبطلاته إلى الإخلاص فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ
وهذا الصابر متدارك الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا إلى إتمام العمل
الحالة الثالثة بعد الفراغ عن العمل وهي محتاجة إلى الصبر عن إساءته والتكاهر به للسمعة والرياء
والصبر على النظر إليه بعين السخط وعن كل ما يحبط ثمرته كما قال تعالى لا تبطلوا أعمالكم
وكما قال تعالى بطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله
والطاعات تفتقر إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليها جميعا وقد جمعها الله في قوله إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والإحسان هو النفل وإيتاء ذي القربى هو المروءة
وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر الصنف الثاني المعاصي مما أوجب الله على العبد إلى الصبر
عنها وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم
المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى طباع الهوى والشر
أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت ملوفة بالعادة فإن العادة طبيعة ثانية
فإذا التصقت إلى السهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى بأعباء الدين على
قمعها إن كان ذلك الفعل ما يسير فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي
اللسان من الغيبة والكذب والمراء والسخرية على النفس كالصبر عن معاصي البصر غضا
وإيذاء الخلق للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الإزراء والاستهزاء وقد ذكر الله تعالى
وتفريح قلوبهم وفي علو مهرهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه بناء
على النفس تلتفت فيه سهوا فإن أحدهما نفي إثبات نفسه وبهائم له الربوبية التي
طبعته وهي صد ما أمر به من العبودية وإحياء النفوس وتسريح اللسان ومصرفه ذلك بعادا
في المحاورات لعسر الصبر عنها حتى بطل استكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها
وعموم البلوى بها فترى الإنسان يتلبس حرير امتلأ من الاستبعاد عادة ويطلق لسانه
طول النهار في أعراض الناس فلا يستبعد ذلك معاودة في الشر من الغيبة أشد من الزنا
ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصمت يحب عليه العزلة والانفراد ملازمة عبره
فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على الشركة مع المخالطة وتخلف سدة الصبر في
إخماد المعاصي باختلاف دواعيه بتلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة
الخواطر بالاحتراز الوسواس ولا حرج في حديث النفس في العزلة ولا يكثر الصبر عنه أصلا إلا أن يغلب
على القلب هم آخرة الدين يستغرقه كمن أصبح وهمه هما واحدا وإلا فمن لم يستغل الفكر
في شيء لم يخطر له ولا وسواس عنه القسم الثالث ما لا يوطن النفس عليه ولا يحتاج إلى الصبر عنه
اختيارا في دفعه كالوارد الذي يفعل أو قول يخشى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك يترك
المكاره تارة يكون ولجاء وتارة يكون مضطرا فالمضطر الخائف ما كنا بعد إيمان
الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد
بها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمر وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى
قد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى وقد أذاهم قومهم ويتوكل على الله وقال فاصبر على ما
يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال

ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا
فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا عن المكافاة وذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم
في القصاص وغيره فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال
صلى الله عليه وسلم صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عن ظلمك وقال لأشج أزد الحلم أعيى عليه
السلام لقد قتل الكرم من قتل إن الشر بالشر والآن يا أنف وأنا أقول الكرم إعفاء والشر بالشر
بل من عرف حزك الجنين فحبه إليه الحذاء أيسر ومن أحرد راك فاعطه إن تركك ومن سبك فلا تسبه
معه ملا فتر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر
لأنه يتعارض فيه باعث الدين وباعث السفه والغضب جميعا الفصل الثالث ما يدخل تحت
الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وفوات الصحة بالمرض وفي العين
وفساد الأعضاء بالجملة فسائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس
رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله عليه ثلثمائة درجة وصبر عن
محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى له ستمائة درجة وأما فضل هذه
الثلاثة مع اليقين فالصبر إما على ما يلها وهي من الغرائض أو كل موقدر على الصبر عن المحارم وإما
الصبر على البلاء الله ما لا يقدر عليه الآحاد من الناس فذلك فوق ذلك شديد على الصبر ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم اسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا بعد أصبر مستشهد حسن اليقين قال أبو سليمان
والله ما نصر على ما يحب وكيف ينصر على ما نكره وقال النبي صلى الله عليه وسلم فمن الله عز وجل
إذا وجه إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه
يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر
عبادة وقال عليه السلام ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون
اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الأفعل الله ذلك به وقال أسرع شيء وسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال يقول الله عز وجل إذا ابتليت
عبدي ولم يضرع إلي ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإن أبرأته
أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته توفيته إلى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الصابرين على المصائب
قال أتمم لهم أجورهم بغير حساب وقال عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل
مما انتزع منه وقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وسئل بعض الحكماء عن الصبر فقال الصبر منها اسمه
بفعل الله قيل وكيف ذلك قال الراضي بما يجتمع عليه من مكروه نزل به وقيل لحبيس الشبلي رحمة الله في
المارستان فدخل عليه جماعة فقالوا لأحبائك جاورك زائرين فاخرجوا فقال لو أحبائي لصبروا معي بالحبارة
فأخذوا يصيحون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في حبس فرفعه بخرجا كل
ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وتعالى امرأة فتح الموصلي
عثرت فانقطع ظفرها فضحكت وقيل لها ما الذي أضحكك قالت زلة قدمي حالت أن لها قوائم أزالت عني تكلي سرائر
وجهه وقال أوحى الله لسليمان عليه السلام ليتوكل على يتوكل المؤمن علامات حسن التوكل فيما نزل
وحسن الرضا فيما قدر ما الرضا حسن الصبر فيما قدرات وقال ابن أبي صالح الله عليه وسلم من أطال الله ومعرفته
جهله الاستكراه وحكمك وأمدك بمصيبتك ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كفه
صرة فافقدها فإذا هي في أخت من كمه فقال يا رب الله لك فيها لعلك أخرجها مني وروي
عن بعضهم أنه قال مر رجل على سالم مولى أبي حذيفة في الغلس وبه رمق فقلت له استيقظ فقال
لجزني قتيلا إلى العدو واحمل الماء في السرعان ما أصبح فإن عشت إلى الليل شربته فقد كان
صبر سالم على طوق الأخرة على بلاء الله تعالى فإن قلت فما الأفضل في درجة الصبر في
المصاب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أو أبى فإن كان المراد به أن لا يكره في نفسه
كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم أنه لا يخرج عن مقام الصابرين
بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في النكري وإظهار الكآبة وتغيير
العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها

المعاني من الاسامي بقي ان هذه احوال يصلحه دواءها وحفايقها من حيث رأى الاسامي يخلفه
والذي يملك الدرس المنصف ويخطر بنور الله يلحظ المعاني ان اطلع على حقايقها بلاحظ الاسامي فانها
وضعت دلاله على المعاني والمعاني هي الاصول فالاحاطه بالنواح ومن يطلب الاصول من الفروع لا يدري ان
مزلق الى العثرات الاسامي بقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
فان الكفار لم يعلموا فيما عاطوا فيه الا ميل هذه الانعكاسات بيان اقسام الصبر
حسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين يأمر بالاضافه الى باعث الهوى له ملكه احوال
احدها ان يتجرد داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعه ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا
يقال من صبر ظفر وانما صار يؤتى اجره هذه المرتبه هم الاقلون وهم الصديقون المقربون الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا واستقاموا لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم والمعاني
نفوسهم على مقتضى بواعث الدين وايا هم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الى
ربك راضيه مرضيه الحاله الثانيه ان تغلب دواعي الهوى ويسقط بالكليه
منازعة باعث الدين فتسلم النفس الى الجاذب الشيطاني وهذا هو الذي يعبر عنه بالخذلان
وهاولاء هم المغاضيب وهم الاكثرون وهم الذين اسرتهم سيئاتهم وغلبت عليهم شقوتهم
فحكموا على انفسهم بالخسران وهم الذين اشير اليهم بقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فهاولاء هم الذين اسروا الحياة الدنيا بالاخرة فخسروا صفقتهم وقبل لهم
والناس المصيبون وهاولاء هم الذين اسروا الحياة الدنيا بالاخرة فخسروا صفقتهم وقيل لهم
فصبرا ساداتهم خاسرين عن ولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
وهذه الحاله علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الجهل كما قال صلى الله عليه
وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وصاحب هذه الحاله اذا وعظ قال انا مستاقا الى التوبه ولكن ما فرغ بعد من
على وقت اطمع فيها اولم يزل مستاقا الى التوبه ولكن ما لم تزل الله غفور رحيم
كريم ولا حاجه به الى توبتي وهذا لسكر قد صار غفله ريحا لسهوته فلا يستحل
غفله الا الانسلاخ دماغ من الحيل التي بها تتوصل الى قضاء شهواته فقد صار غفله في يد
شهواته كمثل اسير في ايدي الكفار فهم يستخدمونه في رعاية الخنازير وحفظ
الخمور وحملها وهلة عند الله تعالى من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا
عندهم لان ساحر حنابله سببه الله بحكم ما كان حقه ان يتسخر وسلط من حقه
ان يسلط عليه واما استخدام المسلم ان يكون مسلطا عليه لما فيه من معرفه الدين وباعث الدين
واما استخدام الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الحمل بالدين وباعث التدين
وحق المسلم على نفسه ان يحبس من حيث عبوره عليه فهما سحر المعنى البديع الذي هو من حزب
الله وحزب الملايكه للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشيطان البعيد عن الله كما ان من اراد
صيدا لكافر هو حكم من صيد الملك المنعم عليه فيا عجبا من اراد ان يصيد الى يعصي اعدايه
فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته لشهوته لان الذي يعصي الله عبد في الارض عند
الله والعبد اعز موجود خلق في الارض الحاله الثالثه ان يكون الحرب سجالا
بين الجاذبين يارة له البر عليها ويارة لها عليه وهذا امر المجاهدين بعد من الطائفين
واهل هذه الحاله هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا
باعتبار القوة والضعف وينظر فيه ايضا لمثله كموال باعتبار عدد ما تصبر عنه فانه اما ان
يغلب جميع الشهوات او ان يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتمثل قوله تعالى
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من تحرى بعض الشهوات دون بعض والتارك لكل الشهوات مع
الشهوات مطلقا يسهو زيادة بالانعام بل هو اصل اذ الشهيه لم تخلق الا للمعرفه والعبوديه فهي
مجاهدة مقتضى الشهوات وهذا امر خارج عن حد الناظر في التدبير والتقدير فيما
ولم ازد على الناس عيانا كقدرة القادرين على الصيام وبقيم الصبر ايضا
باعتبار البسر والعسر الى ما يسهل على النفس فلا يمكن الدواء عليه الا بمجاهدة وتعب
شديد وسمي ذلك صبرا والى ما يكون من غير مشقه تغيير ما لم يحصل يأذن تحامل على
النفس والجمع ذلك باسم الصبر واذا دام النهوى وقوي الصديق يسمى في العافيه من الحسي يتيسر
الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمه

قدره المصارع على عزه فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيله وايسر فوده بحيث
لا يتاذاه في مصارعته اعتاد والخوف والتقطب فيه نفسه ويتهيأ ويتقوى على ان يصرع الشديد
الاتعب ومزيد جهد وعرق وحبس نفس يكون في المصارعه بمن يباعث الدين وباعث الدنيا غايه على
الحقير صراع بين جنود الملايكه وجنود الشياطين وبما اذعت الشهوات فانها تتبع وتسلط بها
الدين واستولى وبشر الصبر بطول المواظبه اورث ذلك مقام الرضا كما سياتي في كتاب الرضا
فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فانه مستطيع ففي الصبر على ما تكره
خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اوله ترك الشكوى وهذه درجه
الناسين والثانيه الرضا بالمقدور وهذه درجه الزاهدين والثالثه المحبة لما صنع به مولاه وهذه
درجه الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا
اعلى من مقام الصبر وكان هذا الاسم يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا
واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض
وعلى الكاره فضل والصبر على الاذى المحظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكنا
وكمن يصبر حتى سهوه بخطوره منهي عنه فيصبر عن الهذيان المكروه ويسكت على ما يجري
على اهله بهذا الصبر محرم والصبر المكروه وهو الصبر على اذى يناله تهمة مكروهه في
الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر بحسب الامر فينبغي ان يحمل الكتاب جميعه
محمودا بل المراد به انواع من الصبر مخصوصه بيان مقام الحاجه الى الصبر وان الصبر
لا يستغني عنه في جميع احوال العبد فان جميع مقامات العبد في هذه الحياه لا تخلو اما ان تكون
هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما
وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كلاهما فاذن لا يستغني قط عن الصبر
النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحه والسلامه والمال وكثره الغنى واتباع
الاسباب وكثره الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه
لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحه منها اخرجه
ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء
يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافيه اشد من الصبر
على البلاء ولما فتحوا اموال الدنيا على الصحابه قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة
السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده عن فتنة المال والولد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنه مبخله محزنه ولما نظر الى ابنه الحسن
يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنه اني لما رايت
اني لا اصبر عنهما اخذته وفي ذلك عبره لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من صبر على العافيه
ومعنى الصبر عليها ان يراعي حدودها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعن قريب يسترجع منه
ان يرسل نفسه في الفرح بها ويستمرئ التنعم واللذه والتمتع واللعب واللهو وان ينسى حقوق الله
في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونه للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر
ما انيع عليه وهذا الصبر متعلق بالشكر فان الايمان في الشكر كما سياتي وايمان
الصبر على السراء اشد لانه مغرور بالعذر ومن العصمة ان يتعذر والصبر على الجامه والقعود اذا
تراءى عمر امر الصبر على مضرة نفسك وحجامتك نفسك والجايع عند غيبة الطعام اقدر
على الصبر منه اذا احضرته الاطعمه الطيبه وقدر عليها ولهذا عظمت فتنة السراء
النوع الثاني ما وافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات
والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصايب والثواب او ما يرتبط اوله باختياره وليس له اختيار
في ازالته كالتلوث من الملوذي بالاسقام منه ينشي بلية اسقام القسم الاول ما يرتبط باختياره
وهو سايز افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهاضر باز الغرب الاول الطاعة
والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعه شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبوديه
وتسمى الربوبيه ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مصورة بها الطهر فرعون من قوله
انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهر اذ استحق فوده فاطاعوه وما من

آخر قام الفتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم
ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم وكل به
عند كمال تجسمه ملكين احدهما يهديه والآخر يغويه فتمتحن معرفته الملك
عن البهائم واخص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب
وكل ذلك حاصل من الكتاب الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية
الى معالجة العوائق بل مقتضى شهوتها في الحال يفعل فلذلك تغلب الا للذ فالا للذ فالا للذ الثاني
مع كونه مضرا في المآل لا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
له عقبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة
على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على
دفعه فاضطر الى فزعه وقوة يدفع بها هي التي سميناها فتلك القوة حتى يدفع به
عدوا تهاجم في نفسه موكل الله به ملكا اخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم نرها
وامر هذا الجند بعينه جنود الشهوة فمرة تضعف هذا الجند ومرة تقوى وذلك بحسب
امداد الله عبده بالتأييد كما ان نور الهداية اصلا مختلفا في الملك اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه
الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبه
الشهوات بمجموعها باعث الهوى ولنفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب
بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب
الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن نياب باعث
الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على قالعه الشهوة فعند ذلك
حزب الله والنجي بالصابرين وان تخاذل ضعف حتى غلبت الشهوة وانحسر بصيرته فدعاها
النجي بامداد الشياطين فان يترك الاعمال المشتهاة عملتها حال سمي الصبر وهو نياب باعث
الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال يسمى المعرفة بعد اوده
الشهوات ومصادقتها الاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي بقينه اعني المعرفة
التي سميناها ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله هوى نياب باعث الدين واذا
قوي نياله تمت الاحوال على خلاف ما تقاضاه الشهوة فالايمان يقتضي قهر الشهوة الا قوة باعث
الدين المسمى ايمانا والشهوة هو المعرفة والايمان يقتضي معه الشهوات وشوقا فيها
وهذا الملكان هما المتكفلان بتعديل الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياها وهما من الكرام
الاحصائيين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى
من رتبة الملك المغوي فاعلم ان يجب ان يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو جانب الخامس من حيثي الرئيس
من رتبة الملك المغوي

وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة خالصة عن كدر ولا تصفو من القذى عن المعاصي والاشتغال عما
الله له لذة دنيا ولا آخرة الا الله تعالى واستراحة معرفته والانس به وطول المناجاة له والتبرك للطمع هذا على
الا ما عدده من حلاوة الطاعة وروح الانس بالله لكن ذلك لا يتم فما لم تكلف نفسك ما يشق عليها من ضبط
فتح هذه الله ولا تكون آيسا من التوبة ولكنه تصعر عليه مدبره وقد صار الخمر دينا كما كان السكر
دينا فالمفسر ما يعود لها سهود والخير عاده والشر لجاجه فاذن هذه الافكار هي المهيجة للخوف
المهيج لقوة الصبر على الدوام ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تنفع للطلب بالباب
موقوف على دخول الحصر فحصر الفكر مواقفا للطبع فميل الغلب اليه وهو شرح السبب الذي اوقع الموافقة
بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب التوفيق وهي الارادة وبين المعنى الذي هو طلاقة ناقة الآخرة
وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر مقال لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخبرنا عن الصبر على ما
يتعمد فعل الاربع دعاع الجفا والعي والغفلة والشك فمن جفا احقن الخوف جهر بالباطل ومقتا لعلا
ومن عمي ذكر ومن عقل جاد على الرشد وغربه الامالي فاضربه لنسيره والندامة وبداله من الله ما لم يكن
لحسب فما ذكره وبان لبعض ما في الغفلة عن التفكر وهذا القدر من التوبة كاف واذكان الصبر
ركنا من اركان دار التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى

آخر كتاب التوبة

والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله الطاهرين

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني

من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اهل الحمد والثناء المنفرد بدوام الكبرياء المتعرف بصفات الحمد والعلاء المريد صفوة
الاولياء بعقوة الصبر على البلاء والصبر والشكر على الرخاء والبقاء والصلاة على محمد سيد الانبياء
وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البرية الاتقياء صلاة يحوسه بالدوام عن الفناء وموهونه
بالتحاقه عن التصرم والانقضاء اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما ورد
به الآثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من صفات الله تعالى وايمان من اسمائه الحسنى اذ سمى
صبورا وشكورا فالمتحقق الصبر والشكر جميعا يكمل له شطر الايمان وهو عقلة عن وصف
اوصاف الرحمن والسائل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان
دون معرفة ما به الايمان وما يزيد الايمان والمتباعد عن معرفة الصبر والشكر متباعد عن معرفة ما به الايمان
وعن ادراك ما به الايمان فاحوج كل السالكين الى الايضاح والبيان من وضح له كل السطور في كتاب
واحد ارتباط احدهما بالآخر ان شاء الله السطر الاول في الصبر وبيان حده وحقيقته
وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اسامية باختلاف متعلقاته وبيان الكبيرة منه والصغيرة
القوة والضعف وبيان مطايا الحاجة الى الصبر وبيان دواعي الصبر وما فيه الايمان به جملة
فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

الفصل الاول في فضيلة الصبر

قد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات
الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال ثم
كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال في الخبر الذين صبروا واجرهم باحسن ما كانوا
يعملون وقال الملك يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فاخبر
قربه الاجر بها بغير حساب الا الصبر كما جعل كون الصوم للصبر فانه نصف الصبر فقال تعالى
الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم
فقال اصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها
لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات
والرحمة مجموعة للصابرين وانما جمع الاباء في مقام الصبر بطول واما الاخبار
عنه صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي فانه كونه نصفا وقال صلى الله

التفكر فيه يعالج الله الطالب عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت اصبر على ترك
لذاتي اياما والصبر هو ايام قلائل فقد اصبر على ذلك ابدا اياما واذا كنت اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم
النار واذا كنت لا اصبر عن شهوة الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف
اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فمعالجته بالتفكر في ان اكثر صلح اهل النار من التسويف بان التسويف
بني الامر على امل البقاء طويلا ليبقى وان يبقى فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليتفكر
هل عرف احدا من اقرانه الشهوة اسهوه ليت فارقه غدا بل يضاعف اذ تمادى به الاعتياد فليست
الشهوة التي اذكرها الانسان انه تركها وعزم على تركها ولم يتركها بل هو يطوف الفرق بين
المتماثلين ولا يطوف الايام مساهلة ان يترك الشهوات فيها ابدا ساكرها مثال السوف الامثال من احتاج
الى قلع شجرة عزاها فوجد لاصلها لا يمكنه شديدة مثال ادخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة
كلما تبقى ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حياته في الدنيا اعظم من حياته اذ عجز
عن مقاومته ضعيف فاخذ منطرق الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الخصم واما المعنى السرابع
وهو اسطار وعد الله وعلاجه ما سبق في سبق جمع اموالك وترك نفسه وعياله مقترا مستظرا من فضل الله
ان يرزقه العثور على كنز او ارض خزينة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من وقع
الخوف من الظلمة في بلده وحاير اموالك في صخور داره وقدر على دفعها واخفائها فما يفعل وما الذي ينظر من فضل
الله ان يسلط عليه الظالم الكافر حتى لا يفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان
الموت ممكن والغفلة ممكنة وفرح بكثير من الاسرار اثر مثل ذلك ونفع فانا ننظر من فضل الله مثله
لمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الخفاء واما الخامس فهو انك تعرف كثرة
وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول فكر يمكن ان يعالج بعلم غريب يليق بهذا
عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات هاهنا ممكن او يقول اعلم انه محال كما اعلم
استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان مثال اعلم استحالة كذلك هو الفرق
مفقود وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وان مثال اناشاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول
عند ترك طعامك في البيت لحفظه انه قد دس فيه حيه والغ سمها فيه وجوزت صدقه فهل
تاكله ام تتركه وان كان الذي اطعمه فيسهل اتركه لاحتمال انه كذب فلا ينبغي ان لا
هذا الطعام والصبر عنه وان كان سديدا فهو غريب ان صدق في الحياة والموت بالاضافة الى
الم الصبر عن الطعام واضاعته سديده فيقال يا سبحان الله كيف تاخر صدق الانبياء كلهم مع ما
ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم
جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق واحد مجهول العدالة عرضا مما يحتمل قلبي في العقلاء الامر يصدق
باليوم الآخر وانت تواباد عقابا واد الخلود كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد
الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض رأب هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان
كان عاقلا مع هذه الافكار واذا رجع بهذه الى ابد الآباد ليل الوقد رنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدر طائرا
يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص الابد الا دنيا فكيف يقدر
راي العاقل في الصبر عن الشهوات ما يدوم سنة ملا اجل سعادة بقي الابد الآباد وذلك لا منتهى له ولذلك
قال ابو العلاء المعري

فالموت اجلى والذي نكره من عيشنا اهون مما نلقى بعده

ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض اصحابه وقد عزاه على فقد بعض اولاده ان صح قولكما فليس بخسارة وان صح قولي فالخسار
طلب فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصت انت وبقيت انا وكان شاكا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين
هذه امور جلية ولكنها لبست تلك الا بالنور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده وهو نور العقل وما يعالج القلوب هو الفكر فيها واستقلبه
وما علاج القلوب لردها الى الفكر الا سماع من ذكر بما صل الشرع وتفصيله ما علم ان المانع من الفكر
امران احدهما ان الفكر النافع هو الذي يورث في عقب الآخرة وهو الهارب شديد الهرب وخراب
العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مولم للقلب فتنفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر
في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر يتفق في الحال مانع عن الذهاب
الدنيا وشهواتها ومانع ان لا وله في كل حالة من احواله ونفس من انفاسه شهوة قد
تسلطت عليه واستولت فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مستغرق بدرجاته وصارف لذته في
طلب الجهة فيه او في مباشرته فصار الشهوة والفكر بمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين
فهو ان يقول لنفسه ما استدعاك في الآخرة من الفكر في الموت وما بعده فالمتذكره
مع استحضار الموت وما بعده فكيف يصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير
الموت وما بعده وهذا لما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا هو ان يعلم ان
عذاب الآخرة سرمد ولعظم ما فيها لا آخر لها وكل ما يكدر فيها ولذات الدنيا سريعة الزوال

بالناس ذهب الناس وبقي النساس وما اراهم بالناس يا عسواء ما الناس وكانه نفرس فيه فانه
الهالفه او اخوه عاكان هو الغالب عليه حاله في ومنه وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر السائل
حال السائل او لي من ان يكون في حال العامل وكتب معويه الى عايشه رضي الله عنهما ان اكتبي لي كتابا
توصي فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عايشه الى معويه سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس
كفاه الله مونه الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت له لانه التي يكون الوباء بصددها
وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فان الله فانك اذا اتقيت الله كفاك
الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاقدر على كل ناصح ان تكون هنايته مصروفه
الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال الله ليكون اشتغاله بالمهم فان حكايه جميع مواقع النزع
مع كل احد عسرة والاشتغال بوعظه بما هو مستغرق عن الوعظ فيه بضيع زمان فان قلت
فان كان الواعظ يتكلم في جمع او ساله من يريد باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان نفسه في ذلك
ان وعظه بما يستوي كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان فتح علوم الشرع عاذ به
وادويته والاعذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني
فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن
فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان
وقال رجل للحسن اوصني فقال اعتز امر الله تعز فقال للقمان لابنه يا بني ناجح العلماء بركتيه ولا تجادل
فيمقتوك وحذر من الدنيا بالغ غاك واتق فقرك كسبك لاحزنك ولا تعرض لاداء كل الدرض فتكون عليلا
وعلى عيالك كلا وصم صوما كثيرا شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من
الصوم والجالس السفيه والغافل ذا الحلم وقال ابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير
ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضع مالك وتصلح مال غيرك فانك اذا فعلت ذلك ضاع مالك وبقي
يا بني ان يرحم يرحم ومن يسمع يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن املك لسانه يندم وقال
رجل لرجل حاذر او صني فقال كل ما لوجاك الموت عليه رايته عنيمة فالزمه وكلما لوجاك الموت
عليه فرايته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلام للخضر اوصني فقال كن يسيرا ما ولا تكن
عضا ما وكن تقاعا فلا تكن صقرا واذا نزع عن احد فلا تصحبه ولا تصحك من غير عجب
ولا تغير الخطايين خطاها هو وايك على خطيئتك يا بن عمران وقال رجل لحكيم كرم اوصني فقال
اجتهد في رضى خالقك بقدر ما تجتهد في رضى نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال احمل
لدنيك علافا كعلاف المصحف ان لا يدنسه الناس قال ما علاف الدين قال تارك طلب الدنيا الا ما لا بد
منه وتترك كثيرة الكلام الا فيما لا بد منه وتترك مخالطة الناس الا بما لا بد منه وكتب الحسن
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وعد ما في يديك سلما بين يديك
فعسى الموت يا تيك الخير اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه
اما بعد فان الهول الاكبر عظيم والامور المفظعات امامك وليأتين عليك اما بالنجاة واما
بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه
ضل ومن حلم عنه ومن خاف امن ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا رايت الخير
فارجع واذا ابصرت ما تطمع واذا اهلت فاكل واذا عضضت فامسك وكتب طرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها خلق من لا عمل له ولها تغتر من لا علم له فكن فيها
يا امير المومنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد
العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اعذر الله اما اولياؤه فحزنهم واما اعداؤه
فغرتهم وكتب رجل الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك المقدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم
احد فاذكر قدرة الله عليك واطلاعه منك لانا في الناس نبقى الا كان لا ملاحقهم بما قبا عليك
واعلم ان الله عز وجل اخذ للمظلوم من الظالم بيد وانا فقد كن بمنع ان يكون وخط العمامة ووخط من
لا يدري حضر وما تحته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يستمرئ الكافة في الانتفاع بها واجل فقد
مثل هاروكل الوعاظ الخسم باد الانبساط وغلبة المعاصي واستمرار الفساد وفي الخلق بوعاظ فرخ فون
اسجاعا ويشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما لست في سعيه عليهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن
قلوب العامة وقارهم ولم يبق كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والسامع
متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطب لاول علاج المرضى فطلب العلم
اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر وجه الحاجة
اليه ان المرض ايما يطول لمرضه ما يسوءه واما يناوله ذلك اما الغفلة عن مضرته

عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته مثله سبيان فاذكرناه علاج الغفلة فمن علاج الشهوة وطريق
علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وجاصله ان المريض اذا اشتد ضراوته بما كان في مضرته فطريقه ان
يستشعر عظم ضرره عند ذلك عن مضرته فلا تخلو عن يستشعر عنه بما يعرف منه في صورته وما يخشى ضرره
ثم يصير بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد له من اجل من مراره الصبر فكذلك يعالج الشهوة في
العاصي كالشارب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه احفظ جوارحه في
السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يتفكر في المخوفات التي جاء فيها من كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه بما عدد في الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو
حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والفرار ومن اسفل اذا بدا الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم
الدائم وكذلك في كل ما يصير والا يصبر على خوف والا يخاف الا على ولا يعلم الا على صبره وافتكاره
او على سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ولزوم الاستماع من ملك مجرد عن سائر الشواغل مصروف
الى السماع ثم التفكر فيه لتمام التفهم وتبعث من كلامه لاجل خوفه واذا قوي الخوف يتسر عن به الصبر
واتبعت الدواعي لطلب العلاج وتوقع الله وتيسيره من وراء ذلك فمن علم من نفسه حسن الاصغاء واستعمر
الخوف فانه يستحضر الثواب وصدق بالحسنى فسيسره الله تعالى لليسرى واما من ثقل واستغنى وجذب بالهوى
فسيره للعسرى نعوذ بالله منه فاسفل به من ملاذ الدنيا مما هلك وتردى وما على الانبياء الا نصح طرق الهدى
واما الله الاخره والاولى فان ملت فقد رجع الامر كله الى الايمان اذ ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر
والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظيم ضرر الذنوب والمغفور يعظم ضرر
الذنوب هو تصديق الله ورسوله فهو الايمان فكان اصل كل الذنب لا يتوهم الا لانه غير مومن فاعلم ان هذا
لا يكون لعقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله سبب
العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غير متحقق بل محاصر
والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر الثاني
ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي بالحال اخذة بالمحتوى وقد توفى ذلك واستولى سبب
الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل المخوف الاجل شديد على النفس ولذلك
قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة ويذرون الاخرة وقال الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها
والذين هم عن اياتنا غافلون فذمهم بالرضا بالدنيا وبالغفلة عن الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى لما خلق الجنة بالمكاره وخلق النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم
فنظر
لما خلق الله النار قال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها
فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها
فلما خلق الجنة قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها
بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن للشهوة
مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المال يسان ظاهران في الامر سر آخر وهو ان حصول الايمان
ملبس كل مرتبة من مرضه ما اللائق لشدة غلظته مكذبا بالاصل الطب والا مكذبا بان ذلك
مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وام الصبر عند ما جز متعذر عليه الا المنظر المالي
انه ما من مذنب مومن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيات بالحسنات وقد يعجز بان ذلك
لحسرة الان طول الامل غالب على الطباع فلا بد ان يسوف التوبة والتكفير في حيز رجاية التوبة
للتوبة ربما يعد مرعليه مع الايمان الرابع انه ما من مومن من الا وهو مصدق ان الذنب سبب العقوبة
اجمالا بانه يمكن العفو عنها فهو يذنب ويتنظر العفو اتكالا على فضل الله بهذه اسباب اربعة
موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان ثم قد يعدم الذنب لسبب خامس يقوى في اصل
الايمان وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر الذي يحذره الطب بتاول ما نصره
ان الله هو المبرز وكان المحذر ممن لا يعتقد عنه الله عالما بالطب يتكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا
هو الكفر فان ملت ما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يفكر على انه
السبب الاول هو تاخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا لناظره قريب وان المرء اقرب الى كل
احد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريبة والتاخر اذا وقع صار تاخرا وتذكر بعقله انه ما
في دنياه بيع في الحال خوف امر في الاستقبال اذ ترك التجار وبقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن الله
قد حاج اليه وفي ثاني الحال الا مريض لم يجره نصرا في طبيب بان ترك الماموره وسوفه الى الموت
وكان الماء البارد الذي الا شيا عنده تركه مع ان الموت اليه لحظة اذا لم يخف ما بعده وبقاء نفسه
للدنيا لا بد منها فكم بين وجوده في الدنيا الى عدمه الا لا واذا فليتفكر كيف يبادر الى تركه ملاذ
بقول ذمي لم تعجزه على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء المبرئين بالمجزات عندي
دون قول اليهودي مع علي الطب لفقده فلا معجزة على طبه ولا مشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب
النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الاخرة مقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا

قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا المحسن ومعنى قوله وان تك حسنة يضاعفها
فانظر كيف ضاعفها اذ صار الاستغفار في الفعله عادة للسان حتى دفع سلك العاده شر النسيان
بالغفله والله يغفر الفضول لهذا تضعف الدنيا الطاعات وتضعف الاخره اكثر لو كانوا يعلمون
فاياك ان تلهج الطاعات بعد الاتيان فتضعف في العبادات فان هذه مكيدة روحها الشيطان
تلقيه على المغرور وحيل البصير انكسار اوبات العصاير واهل النظر للقضاء والسرائر فاي خير في ذكر
باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ملبسة اقساما ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
اما الظالم فمثال صوف بالملبوس ولكن هي كلمة خرادت بها باطلا فاحذر ان تعد بك مرتبن وارع
انك عريض من حصن فاصبح الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي راى حرج
الشيطان يشرا لملح عليه واما الظالم المغرور فاستمع في نفسه خيلا الغطنه لهذه الوقعه فم عجز
عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وقد لحل عزوره فقنع
منها بالمكاله والموافقه كمائل وافق طبقه واقعه فاعتقه واما المقتصد فلم يقدر على
ارغامه باستراك القلب في العمل وقطن بقصاص حركه اللسان بالاضافه الى القلب ولكن اهتدى
الى كماله بالاضافه الى الكون والفضول فاستمع عليه وسال الله تعالى ان يترك القلب مع اللسان
في اعتياد الخير فكان اللسان كالجابك الذي رمت حاكته حتى كها واصبح كانبا واطالم
المحلف الذي ترك الحاكه واصبح كانسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابه فقال انكر
مؤنه الحاكه ولكني الجابك مذمومة بالاضافه الى الكاتب لا بالاضافه الى الكانس فاذا
عجزت عن الكتابه فلا اترك الحاكه ولما غالت رابعه العدويه استغفارنا يحتاج الى استغفار
فلانظر الفائدة في حركة اللسان من حيث انه ذكر الله يلزم عن القلب فهو لحتاج الى الاستغفار
من غفله فليه لم حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين
لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان تفهم كل ما يذكر وتحمد ما لحمد ولا تحمل معنى ما قال القائل
الصادق حسنات الابرار سيات المقربين فان هذه امور ونسبت بالاضافه فلا ينبغي ان يقع حذر من غير اضافه
بل ينبغي ان يستغفر ذنوب الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله يقول حيا ما لا ياتي
ملائت رضاه في طاعته فلا تحقرن ما امرك به وعصني في معاصيه فلا تحقرن ما منها نهيتك
فلعل عفوه فيه وخيارا لله في عباده فلا تحقرن ما مضى احدا فلعله وفي الله الذي ادركه
من دون التوبه وطرق العلاج لحل عقده الاصرار اعلم ان الناس فمن تائب لا صوبه له تعالى على الخبر
واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له
صوبه وهذا اعز من نادر العنقا الذي هو الذي لا يخلو عن مقارنة الذنوب ثم هم سيقسمون الى مصرين
والى نادم وهو صنفان الذي يمكنه العلاج في حل عقده الاصرار وترك الدواعي فاعلم ان سقما التوبه
لا يحصل الا بالدواء والشفاء على الدواء اذ لا معنى للدواء الا ما ينافيه اسباب الداء
فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله وابطال الشيء الا صوره
ولسبب لقاء الاصرار الغفله والشهوه والاصرار الغفله الا العلم والاصرار الشهوه الا الصبر على قطع
الاسباب المحركه للشهوه والغفله راس الخطايا مال الله تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم
في الخسره هم لحاسرون فلا دواء اذن للتوبه الا معجون يحجن من حلاوة العلم ومراره الصبر وكما يجمع
في الكمجر من حلاوة السكر وحموضه الخل وبضد يكسر احدهما عرض اخر في العلاج
مجموعها ينفع الاسباب المهيجه للصفراء فكذلك ينبغي ان يتهيا علاج الغفله عما به من مرض الاصرار
فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلب انتفع كل
علم للحل الاصرار لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم مجلبها ادوية لامراض القلوب ولكن
لكل مرض علاجه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض فما لجمله ولكن لحتاج كل عله علم
مخصوص فكذلك الاصرار يلتذكر خصوص ذلك العلم على دوائه مرض الابدان فيكون
اقرب الى الفهم فصل لحتاج المريض الى تصديق بامور الاول ان يصدق على الجمله بان للمرض والصحه
اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما دلته مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من
لا يؤمن به لا يستعمل بالعلاج ولحمله عليه الهلاك وهذا وراء ما لحق فيه الاعمار باصل الشرع
وهو ان للسعاده في الاخره سببا هو الطاعه وللشقاوه سببا هو المعصيه وكلهما الايمان باصل الشرائع
وهذا لا بد من حصوله اما عن لحقيق او تقليد وكل ايمان اتى عن جلة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد
المريض في طبيب معين انه عالم بالطب جاذق فيه صادق فيما يخبر عنه لا ملبس ولا يكذب فان
ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان وزائد ما لحق فيه العلم بصدق الرسول صلى الله
عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد وان

يسعى

يصغي الى الطبيب فيما لحذره من تناول الفواكه واسباب المضره على الجملة حتى يغلب عليه الورع
في ترك الاحمية فكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء ووزائد من الدين الاصغا الى [illegible] الاخبار المتعلقه
على الترغيب في الصوم والتحذير من ان كتاب الزبور ابتداء الصبي والصورين بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك
من غير تناك واستراب حتى يقيع به الخوف القوي على الصبر الذي هو الركن الاخر في العلاج
الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما لحفي مرضه وفيما يلزمه نفسه الاحتماء عنه لمعرفته او لمعرفة ما يضره
من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض احتماء كلي وانما يمنعه كل مرض
بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزائد من الدين ان كل عبد فليس يخلى بكل شهوه
وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصه واما حاجته في العلاج
مرفقه الى العلم بافاده ذنوب ثم الى العلم بافنائها وقد رضوها من الدين ثم الى العلم بكيفيه التوصل
الى الخير عنها ثم الى العلم بكيفيه تكفير ما سبق منها فهذه علوم خمسه فيها لحتاج الدين وهي العلم
وبه الانبيا فالعاصي ان عاصاه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان مريضا ان
ما يوتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك بان يتكفل كل عالم بافقه او بلده او محله او مسجد
او مسجد معلم اهله دينهم ويميز ما ينفعهم عما يضرهم عما ينفعهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان
يسال منه بل ينبغي ان يحتال لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثه الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على
جهلهم بل كانوا ياتونهم في مجامعهم ويدورون على ابوابهم دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا
فيرشدونه فان مرض القلوب اكثر من مرض الابدان ولا يعرف مرض القلب الا من عرف الصحه
لا يعرف مرضه ما لم يعرف صحته وهذا فرض عين على العلما كافه وعلى السلاطين كافه ان يرتبوا
في كل قريه وكل محله مفتيا مسددا ويامر الناس بان يتعلموا منه ما لا بد لهم منه في امر دينهم فان الجهل
من تبليغ الدعوه اكثر من مرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلما اطبا والسلاطين قوام دار المرضى
فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواه العالم بسياسة السلطان بكفه كما يكف الطبيب
المريض الذي يعتقي والذي غلب عليه الجنون الى العتم لعقده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن
سايرالناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل احدها ان المرض هو ادراك
الله مريض والثاني ان عافيته غير مشاهده في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عافيته معروف
مشاهد بنفر الطباع منه وما يعقبه الموت غير مشاهد فعلت النفوس عن الذنوب وان علمها
موتكبها فلذلك تراه يشكو على فقد الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن
من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلما وقد مرضوا
في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت تقرسلوة في عموم المرض حتى لا يظهر
بعضهم فاظهروا الى الخلق والاتباه عليهم ما يزيدهم مرضا ان الداء المهلك هو حب
الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استكانا فمن ان يقال لهم
فاما الكبريت الاحمر والعلاج وشفاء الكبريت فهو الزهد وعلم البلا سواء فقط الدوا
وهلك الاطبا الخلق لقعدا الاطبا بل استغل الاطبا بفنون الاغراض عليهم اذا بصلح الى
بفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا الى بصيرة في مواعظهم كانوا
يزعج العوام ويستميل قلوبهم ويتوصلون الى ذلك الابار وخاء وتعلب اسباب الزهاد
وذكر دليل الرحمه ان ذلك الذي الساع واخف على الطباع لشرف الخلق في مجالس الوعظ
وقد استفاد دوا من يزيد جراءه على المعاصي ومزيد ثقته بفضل الله وبهما كان الطبيب جاهلا
او خائنا اهلك بالدواء الذي نصفه في غير موضعه فالرجا والخوف دوا ان ولكن لتعصل
مصادفة العله اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكليه وكلف نفسه ما لا يطيق
وضيق العيش على نفسه بالكليه فكثير سوره اسرافه في الخوف بذكر اسباب
الرجا العود الى الاعتدال وكذلك المقصر على الذنوب المستهي للتوبه المتسع عنها يحكم
القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي سبقت فعالج اولا باسباب الرجا حتى يطمع في قبول
التوبه فتوب فاما معالجه المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجا فتضاعف
معالجه الجرح ورباعلل طلبا للعدا وذلك مزداد المهالي الاصل فاذن بداية الاطبا العقله
الرجا الى ان العمل الدوا اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي يتسع ان سلكه الواعظ
في وعظه مع الخلق واعلم ان ذلك بطول لهذا لكن اسقطاه ثم نشير الى انواع النافعه

لا استعمال ان يرحل الانسان حرا بالحد كرا فيتوانى لجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم
من غير تعلم كما كان لادم اصلوات الله عليهم مطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهل
والتكثر وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بالجوامع حراب الاعمال كطلب الكنوز بالبواضع
الخربة وطلب العلوم من غير تعلم الملائكة ولست من احبهم بتعلم ومن الخير استغنى وليت من صام
وصلى عفر له فالناس كلهم هالكون الا العالمون والعالمون كلهم هالكون الا العاملون والعاملون كلهم مغرورون
الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكم ان من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله
جياعا عريانا منظرا فضل الله بالرزق فكذا الجده في الارض فيتبه الخرب بعد عمارة دوى
البصائر من الجهل والغرور وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من
ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب ظن سالك سبيل المغفرة معدود وهذا باب
القلوب من المحو هن وانجى من عقل هذا المعتوه وتوهينه عائنة في صفة حسنة بقول ان الله كريم
وحسنة ليست تضع عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم يراه يترك التجارة وكسلك يترك التجارة
دنيا وآخرا فيقال له ان الله كريم ودائم تجارته ليست تضر عن فقرك وكسلك يترك التجارة
ليس بضره فاخلص في مثل هذه المعاملة من حيث الجنس فسيق مثل هذا الكلام وتسمع
به ويقول ما هذا الوسوس الا يقطر دهنا وافضه وانا بما ذلك يا لئيم هكذا قدره رب
الارباب واجرى به سنته ولا سبيل لسنة الله ولا بعل المغرور ان يسأله عن اجراء الدنيا واجراء سنته
لا سبيل لعاقل ما فحصها وانه مذ اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى مكلف بعبيد انه كريم
في الاخرة وليس بكريم في الدنيا وكف يقول ليس مقتضى الكرم الكور عن كسب المال مع قيام
العبودية لملك المليك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك لمن اكبر عطيته من غير جهد وهذا مع
مع سوء الاجتهاد في غالب الامر فتعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انكاس على الرأس
والتعاس في طلاب الجهل وصاحبه جدير بان يكون احد حطبي قوله تعالى لو نرى اذ المجرمون ناكسوا
رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقا وعدك
وانذرتنا العواقب الماسية فارجعنا نتبع وعدك لا ممكن من الانقلاب والحق عليه كلمة العذاب
نعوذ بالله من رؤاي الجهل وانكبه والارتكاب الساني بالصدور الى سوء المنقلب والمآب
بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه كلما ذنب اما عن قصد وسهو غالبه او عن الام
ذكرنا طريقه فانه يجب عليه التوبة والندم والاستغفار لذلك كفيرة لحسنة تقاده شجا
ملا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يزيل بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا
واخر سيئا والحسنات الكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولكن
الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بها اما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى
في سؤال المغفرة والعفو وبذل لذلك العبد الآبق ويكون له لحيث يطهر لسائر العباد
وذلك بقصان كبيرة فيما ينبغي للعبد الآبق المذنب وجه للذكر على العباد وكذلك
يصير قلبه اخراب للبلية والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالذنب والاستغفار
فيقول ربي ظلمت نفسي وعملت سوآ فاغفر لي توبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما
اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فانطاعات والصدقات
باتواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بحسنات اعمالها كان العفو عنه مرجوا
اربعة من اعمال القلوب وهو التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وخوف العقاب
عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر
الله بعدها سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة على كل صوم
يوما من بعض الايام يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات
وفي الخبر اذا تلمسه ما تبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك
قيل صدقة السر تكفر غضب الله وصدقة الجهر تكفر سبعين ذنبا والخبر الصحيح ان رجلا
قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقضي علي

لعل الله

يحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال ان الحسنات
يذهبن السيئات وهذا ايراد على الزنا فمن معالجة السر اصغيره اذ حصل الصلوة كفارة له بمقتضى
قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر بقي الاجوال كلها مبتغاز لحاسب بقيه كل يوم
وجمع سنانه وخصه ذنوبها بالحساب فان قلت كيف يكون الاستغفار باللسان غير حكم
عقده الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم
يقول استغفرالله من قولي استغفر وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقال رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم ان ما ورد في فضل الاستغفار اخبار حاوية عن الحصر ذكرنا لها
في كتاب الاذكار والدعوات حتى قوله الاستغفار يمحو الذنوب كما ان الماء يطفئ النار وقوله ما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض العجابة يقول كان لنا امانان رفعا احدهما
وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فاذا ذهب هلكنا فجعل الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو
الاستغفار بجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه تركه كما يقول الانسان لحكم العادة وغرابة
العقل استغفرالله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير ان يتاثر به قلبه وهذا يرجع الى
مجرد حركة اللسان ولا جرم روي له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وانتهاله في سؤال المغفرة
عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فصلح ان يرفع بها السيئة وعلى هذا تنزل الاخبار
الواردة في فضل الاستغفار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة
فهو عبارة عن الاستغفار بالقلب والتوبة والاستغفار درجات واوائلها محاولة عن العائدة وان لم
يتبه الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحب احواله ان يرجع اليه
في كل حال فان عصى قال يا رب استرعلي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب
ارزقني العصمة واذا عصم قال يا رب فضل علي بالطاعة والاستغفار الذي يكفر الذنوب فمثال اول
الاستغفار الاستحياء ثم الانابة ثم التوبة فالاستحياء اهمال الجوارح والانابة اعمال القلوب
والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ويسئل الطاعة الاستحياء من الجهل بالله وتركه الشكر
وبعد ذلك بعضه له ويكون عنده ساواه ثم السفل الى الانفراد ثم الثبات ثم اللسان ثم القرب ثم المعرفة
ثم المناجاة ثم الصفاء ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الحلة والاستغفار هذا الى ملء عمد حتى يكون العلم
عداه والذكر كوامه والرضا ارادة والتوكل صاحبه ثم ينظر اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه
مقام حملة العرش وسئل البناء عن قوله صلى الله عليه وسلم اثنان حيث الله مقالا يكونان حيثما
اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال المحب هو الذي لا يدخل قلبه
حبيبه والمقصود ان التوبة ثم تنزل احوالها كثيرة التباس حتى تصير كمن لا ذنب له والثاني نزل الرجاء
حتى تصير حيثما والتكفير انصاف درجات فمعنى اصل الذنب بالكلية وبعضه بعضه وبقارف
ذلك بقارف درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن جميع هذه الاصرار
من اهل الدرجات وليس يخلو عن العائدة اصلا الا من يخلو عن وجودها كعدم مبالاة عرف اهل
المباهرة واربابها القلوب معرفة لا ريب فيها ان فعل الله تعالى في فعل مفعال ذره خيرا يره صدوفاته
لا يخلو اذره من الخير عن اثر كما لا يخلو استعمله تطرح في الميزان عن اثره ولو حلت السيئة الاولى عن اثر
كانت الثانية مثلها ولكان لا يترجح الميزان باحدهما وذلك بالضرورة محال فاميزان الحسنات
يترجح بذرات الخير الى اسفل فيسكن كفة السيئات فاياك وان يستصغر ذرات الطاعات
فانها تنجيك وذرات المعاصي فانها تهلكك فاراه الخوف كفيل عن العزل بالكلية عن الطاعات
الا على خيط واجد واي غني يحمل الخيط وما موقع ذلك في التباب وما يدري العبد لعله ان يباب ان ربنا
اجمعت خيطا خطا واي احمام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن النفع والاستغفار
بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان
بها عن غفلة خير من حركته عن الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت
عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون بعضها بالاضافة الى عمل القلب ولذلك
قال بعضهم لسبحة ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال
اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر واستعمله في الشر وابعوده
الفضول وما ذكره حري ان يعود الجوارح للخير حتى يصير ذلك لها كالطبع يرفع حمله من المعاصي
من يعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما يعود فقال استغفر الله ومن
يعود القول سبق لسانه الى ان يقولها اجمعك وما اكثر ذلك ومن يعود الاستعاذة اذا حرك
بطهور صادي الشر من شر ما قال لحكم سبق اللسان يقول بالله فاذا يعود القول قال العبد الله
منعني في احدى الكلمتين وسلم في الاخرى وسلامته انواع عباد لسانه آخره وهو من جمله معاني

الوقوف الرحل اذا كان لا يعرف السلوك وكان على طريقه انهار وهو خائف على نفسه
انحر بها فلطرا كاوه وحزنه على نحر الحمر لئلا كد يطول الحزن منه على الاعود الى مثله
فسلوك الطريق الذي به من
الاستعانة بذكر نحر الحمر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق
وطريق السلوك وقد اشرنا الى كل هذا في كتاب العلم وفي ربع المهلكات يا عزيز اشرط دواء الدنيا
ان يكون كثير الفكر في القبر والاخرة لتزهد رغبته ولكن ان كان شابا لا ينفع ان يطالع كثيرا
في كل ما له تعلق بالدنيا كالعمران والقصور فان ذلك يحرك رغبته فتطلب العاجلة ولا يرضى
بالاجلة فلا ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا تطيقه في الدنيا فكذلك
ترك الذنب قد يكون تركا للرغبة فالمبتدئ انما قد يستضر به فيكون السبب افضل له
عن ذلك وما يصدك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود وبكاء حيتان
فسك على الانبياء فاس في غاية الاعوجاج لا تعد قدر بكاء الحمر وانما تقصر الى الادراك
الدانية منها فانها تعقل الا الارشاد هي تعلمها ما ينفع امثالها ويزجرها عما يضرها وان كان
ذلك نادرا في ذرية مقامهم مقدار كان في التسبيح من لا يسمع على مريده بنوع رياضة الا وهي ضعيفة
بها وقد كان مستعينا بها لفراغه عن الجاهدة وتأديب النفس ولكن يسهل الامر على المريد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا امسي ولكني اصلي واصوم واعمل هذا فان الامر
في كف سقفه الانسان الى وجه كيف شاء اما قرى الاب اذا اراد ان يستعلق ولده
الصبي كيف يحمل الى ذرجه فطن الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ لما اخذ تمرة
من الصدقة ويضعها في فيه وما كان مضاجعته يقصر عن ان يدخل هذه التمرة فانها حرام
ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك مضاجعته ونزل الى لكنه بل الذي يعلم اباه
او طاهر الصوت به رفيقا صفيرا استنبطها بفهمه والطافه في تعلمه فاياك ان تغفل عن
امثال هذه الدقائق فانها من امام العارفين فضلا عن العاقلين بل هذه الدقائق هي اسرار
العباد في دوام التوبة اعلم ان الطفات الناس اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب
العاصي ويستقيم على التوبة الى اخر عمره ويدرك ما فرط منه ولا يحدث نفسه بالعود
الى ذنوبه الا الذرات التي لا تنفك النفس عنها في العادات مهما لاح لك وجه التوبة فحدث نفسك بالعود
هو الاستقامة في التوبة وصاحب هذه الطبقة السابق بالخيرات المقرب والطبقة الثانية
واسم هذه التوبة النصوح واسم هذه القرية التي تسكنه القرية الملعنة التي نرجع الى ربها
راضية موضية وهاوية هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سيئ المقرون
اشارة الى الذين كانوا يحبون اوزارهم ويودون العياذ بالله ان لا يكون لهم اوزار وصورها الذكر عن غير
من حيث الرجوع الى الشهوات فمن تاب سكت شهوته عن ذكر المعصية فقط ولكنه
سيغلبه على السكوت صراعها والى من يسكت عن مبارزة النفس ولكنه ملح بمجاهدتها ورد
ثم سيقاوم درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك
الحلقين من حيث طول الفكر فمن مخطر قريب من وقوعه يحيط على ذلك لسلامته ومونته قبل
الفكر ومن مخيل لطال جهاده وصبره ومادته باستقامته وكثرة حسناته وحال هذا
اعلم افضل واكمل بستة فاما تحوها حسنة حتى يال بعض العلماء انا بكاء الذنب
الذي اركبه العاصي عمره اذا ان يتحرك منه عشر اوراق مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكثر
للبريد الضعف ان سلك هذا الطريق فهو اذا كان يتكرر عظيم اثره لو فرط ركن الى ما مضى
فانه يهوي في وهدة عمار اكبوة عن اجتياز ويقطع عن السير الى الله تعالى واستراط هذا البعد واذا كان
اسبابه المسيرة له حتى سيد طريقنا على نفسه ونسي مع ذلك سهوه عما يقدر عليه فيه
الطاعات وكثير الفواحش كلها الا انه ليس سلك طريق الاستقامة في امهات
وحضر وقصد ولكن يقدر في محاربة احواله من غير ان يقدر مرة على الاقدام عليها ولكنه
كالنادم عليها لا مع نفسه وقدم وناسف وجدد عزمه على ان لا يعود اليها ولكنه

الى التعريف

التي يعرض لها وهذه المعصية جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما سبق له من
الاحوال الذميمة لا على تصميم عزم وتصوير رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى
وهي اعلى احوال الناس لان السهو مغلوب عليه الادمي فما ليس يملك عنه وانما غايته سعة ان يغلب خيره شره حتى
يقل ميزانه فيرجح كفة الخير فاما ان يملك بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهاوية لهم
حسن الاعتماد من الله تعالى اذ ما اكثر الذين يخيبون كاميزان من الاثم والفواحش الا انهم ان يكن اسم المغفرة فكل الناس
يقع بمعصية لا عن توطين يتعين عليه فهو جدير بان يكون من اهل العفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انسهم لسوء صنيعهم ولو صح انسم حلية
والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه على كرم الله وجهه حوار كل مفتن تواب
وفي اخبار اخر المؤمن كالسنبلة تحيى احيانا وتميل احيانا وفي الخبر ايضا للمؤمن من ذنوبه يأتيه الغيبة بعد
الغيبة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا يقطع التوبة والى صاحبها درجة الصديقين
ومن يرى مثل هذا عن درجة الناس كالطبيب الذي يرى بعض الصحيح عن دوام الحجامة بما يتأذى به من الجراحة والاطلاقة
الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالغيبة التي يرى بعض المغفلة عن مبادرة التفكر بعقوبة عن
التكرار والتعليق اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على بعض الطيب والنقية
بل الغفلة في الدين هو الذي يرى بعض الحلق عن درجات السعادات بما يسقط بعض من الفرائض ومفارقة السنن
المحظورات قال صلى الله عليه وسلم كل بني ادم خطاء وخير الخطائين التوابون وقال ايضا المؤمن واه راقع
مجبور من مات على وجه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والتغير وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
السيئة ما وصفت بعدم السيئة اصلا الطبقة الثالثة ان يتوب ويستمر حال الاستقامة
مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب حتى قدر عليها في قصد وصدق شهوة الخير عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك
مواظب على الطاعات ويترك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان
وهو يود لو اقدره الله على قهرها وكفاه سرها هذا امنيته في حال قهر الشهوة وعند الفراغ يهتدم
ويقول لينني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها الكلية سيئ الظن بنفسه ويتوقف توبته
مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم مهذه النفس هي التي تسمى النفس اللوامة وصاحبها من الذين قال الله فيهم
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عامرة من حيث سوء الخاتمة والعياذ بالله منها
لما تعاطاه من خوف عيسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخلوة من حيث سوء خاتمته وباجابته عرما عتلف
قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان يرادكه الله بفضله وخير كره وامن عليه بالتوبة التحق
بالسابقين وان خلطه سيئته وقهرته شهوته يخشى ان يخلق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول فالازلان
مهما تعذر على المتفقه مسلك الاحتراز عن مواقع التقاعد لتعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من
الجاهلين فمتعرف الرجاء في جفه واذا ثبت له اسباب المواظبة على الفضل دل على انه سبق له في الازل ان يكون
من حملة العالمين وكذلك ارتباطات سعادات الاخرة ودركاتها باحتراف واكتساب فعلم
بقدر ميسر الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول الشفاء
النفس الذي مستحق المناصب العلية في الدنيا بتركه الكسل المواظبة على تعلم النفس وكذلك التعلم
لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا من صارت فقهه بطول المعاشرة والمطالعة ملابسا للعلم لا خارجا
ونفعها ولا للقرب من رب العالمين الا ملك سلم صار ظاهره ابطول التركية والتنظيف باطنه
في الازل بسوابق الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فعار الذنب بقدر التوبة بسبة كان تعلم
من علامات الحذاق ان صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمال اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس
الله من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا سير فسبق عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها فاذن
الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل تقصير فهو خائفه اذ يمكن ان يكون الموقف مضلا به
فليواقب الانفاس والاوقع الخواطر وورد امت الكرامات حتى لا يقع التحيش الطبيعة الرابعة
ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى ذنوبه او الذنوب من غير ان يحدث نفسه
بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل يهنئه الخاطر العاطل ويسمح اليها ويستلذ بها
المصير وهذه النفس هي الامارة بالسوء الغرارة من الخير والحاب على هذا سوء الخاتمة وامره في
مشيئة الله فان رحمه له بالسوء سقى سقاوة لا اخر لها وان رحمه بالحسنى حتى مات على التوحيد
فيتطرق له الخلاص من النار ولو بعد حين وان سبق له عزم العفو كسبب خفي يطلع عليه كما

الخير وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه مامن مومن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله
بعد ما اما اصابها واما تركها ولكن تكون لذة نفسه في ملك المعصية اقوى من الالم الذي في الخوف منها
لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الالم موجودا
وانما لم يكن ملما بحركة العزم ولا اصرارا عليه فان ما يلم عن شهوة اقوى منه بل المعارضة الا ما هو
اضعف فهو الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد يستلد صراوة الفاسق
بالخوف ولا يقدر على الصبر عنه ويكون له صراوة ما بالغيبة وقلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه
من الله فيطرء بسببها ندم هذه الشهوة الضعيفة فهو الذي يوجب عليه حد الخوف فيخاف العزم للترك
بل يعود هذا الفاسق في نفسه ان تهمر في الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينفي ان اقطع
العذار واخرج العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فاعلى اعليه فيكون يقدر لي في البعض
كفارة للبعض وهو وان امكن تصوره هذا الحال فليس بمتصور ولا يقال له ان كانت صلوتك
لغير الله فلا تصلي وان كانت لله فاترك النفس لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان يقصد بصلاتك
القرب الى الله مالم يتهرب بتركك النفس وهذا محال بل يقال لله على امران ولعل الحال فيهما
عفو سان وانا ملي باحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فاقصده فيما اقدر عليه وارجو
بجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف يتصور هذا وهو حال كل مسلم
اذ لا سبيل الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان الخوف
لله للشهوة في بعض الذنوب معين وجودة والخوف اذا كان من بعد ما صار ورث الندم والندم
يوجب العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة واستيطر الندم يحل كل ذنب وقال عليه السلام
التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة ترفع كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض
الذنوب غير ممكن لا نفاما تلك في حق الشهوة وفي حق العرض لحظ الله نعم يجوز ان يتوب عن الكبير دون الصغير
لتفاوتهما في اقتضاء الحظ ويتوب عن الكثير دون القليل لان كثرة المعصية تابيرا في كثرة
العقوبة فتساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذي حذره
الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول الطباهو لكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب
عن ذنب ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما يقع عليه اما في قدره المعصية واما في
علة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم متصورا
اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك بلحقه بمن لم يذنب وان ابلغ
في اطاعة الله في جميع الاوامر فان ملك ـــــ فعلم ان توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل المريان
العنة فاقول الان اكتوبه عباده عند مريض العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على
فعله فقد انعدم نفسه لا يتركه اياه لكني اقول لو قدر على فعله لم يعد الغة كتف ومعرفة
بحقوق ضرر الزنا الذي قارفه وما رمنه اجراق ويحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع
باقية لكان حرقة الندم يمنع تلك الشهوة وعلمها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه
وما حتاجه عنه اذ لا خلاف انه لو تاب قبل المريان العنة وما في عقبه كان من التائبين
وان نظر عليه حاله تفيح فيها الشهوة وتفسر اسباب الفها للشهوة ولكنه تائب باعتبار
ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو طفر قصده فاذن يسهل ان يبلغ قوة الندم
في حق العنين هذا البلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من يستهي شيا يقدر نفسه قادرا على
تركه بادنى خوف والله مطلع على صميمه وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه
يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تنحى على القلب بسبب احدهما حرقة الندم والاخر
ان يبقى الندم على هجرها دون المجاهدة وقد اصبغ المجاهدة تزول الشهوة ولكن ليس محالا
مرة مجاهدة نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما يبعد الظاهر انه يقع على استرطاه اصلا
فان قلت فاذا فرضنا ما بين احدهما فرسكت نفسه عن التوبة الى الذنب والاخر يقول لي
نفسه نتوبة اليه وهو يجاهدها ومعهما ما هما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال
احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الدراني ان المجاهدة افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة وقال
علما المعصية ذلك الاخر افضل لانه لو تشوق توبته كان الى السلامة اقرب من المجاهدة الذي هو
في عرصة القصور عن المجاهدة وما فاك كل واحد من القريقين لا يخلو عن حق وعن قصور وعن كمال

الحقيقة

الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع بترويح نفسه له حالتان احدهما ان يكون انقطاع بتروحه
البقا فقوته في نفس الشهوة منقطع مالجاهدة افضل من هذا اذ ترك بالمجاهدة مردود على قوة نفسه
واستلاء دينه على شهوته مقهور لبل قالع على قوة البغض وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي
تبعث بامارة البغض وبقمع الشهوة المبغضة بامارة السلطين فهاتان قوتان تدرك المجاهدة
عليهما قطعا وقول القائل ان هذا السلم اذ لو فتر عاد الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال اللفظ
الافضل فيه خطاء هو كقول القائل ان العنين افضل لانه ـــ امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ
لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر لاعدائه لا عذاب له كان المفلس كما هو قوله والملك رما
يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر عن عالم
بان العبرة بالاخطار وان الصلوة وشرطه اقتحام الاعمار وهو كقول القائل الصياد الذي يمسك
فرسا ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد واعلم ان به من صاحب الكلب والفرس لانه امن فرار
يحمي به ترسه فكم اعقاه عند السقوط على الارض وامن من نفسه الكلب وتعنى عليه
وكهذا خائل صاحب الفرس والكلب اذا كان فوما عالما بطرق تاديبها على ربه واجرى بترك
سعاده الصد الجاله الثانية ان يكون بطلان النزوع سببا لاشارة الدين وقد
السابقة اذ بلغ مبلغا مع هجران الشهوة حتى نادت بادي الشرع ملاحيح الاشارة الدين وقد
سكت بسبب اسبابا الدين عليه هذا على ربته من المجاهد الفاسي فيحتاج السهو وهو مقنعا وقول
القائل له لك فضل الجهاد فيصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصود العنة بل
المقصود قطع صراوة العدو حتى يسكن الى سجوانه وان عجز عن استيراك ملا نصرك غلب سلوك
طريق الدين فاذا تقرر به وجعل المقصود هو القصور في المجاهدة فانه بعد في طلب
الظفر ومثاله كمثال من قصر العدو واستوعبه بالاضافة الى من هو مستغرقا بالجهاد في صف
القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من عاد الصيد واراض الفرس فيها ان يمان
عنده بعد ترك الكلب صراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مستغرق بطاسه
الناديب بعد ترك في عقده فيقول ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولا يعلم ان ذلك
طلب للاقصى من عرابي الطريق وطن احرون ان مع السواف واما طلبها بالكلية مقصود حتى
حرب بعضهم فجزء عند مقال هذا اجلال كذب بالفرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في
اتباع الشهوات وكذلك جهل وضلال وقد ورد ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع
المهلكات فان قلت ـــ فاذكر لي ما يمنع احدهما من الذنب ما يستغل بالفكر فيهما الاخر
جعله نصب عينيه والبراء التفكر فيه وتجنبوا ما عليه ايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلفوا فيه
مثال بعضهم حقيقة التوبة ان نصب ذنبك من عينك وحال اخر حقيقة التوبة ان ينسى ذنبك
وكل واحد من الامرين عبارة جوفكر بالاضافة الى حالين وكلام المصنف فيهما ابدا يكون
كاصرا فان عاده كل واحد ان يخبر عن حاله نفسه فقط وحاله حال غيره مختلف الاجوبة
لاختلاف الاحوال وهذا انقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الانسان على ما هي عليه
افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى العمل والارادة والحد حيث يكون صاحبه
مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومبادئه اخواله
وقد يكون تمريض العذر الى الله اعلم والله اعلم والكمال في الطرق الى الله كثيرة وان كانت
مختلفة في القرب والبعد والله اعلم هذا هو المراد بسبيلا مع الاستراك في عالم العدالة فاما قول
القائل ذكره والتفجع عليه كمال حوا المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكن احترافه
على بقاء ارادته وانباعه لسلوك الطريق وان ذلك مسجح منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع
الى مثله يقربا الاضافة الى العامل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق بعضان فانه يشغل
مانع من سلوك الطريق بل السالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على شيء من مبادي الوصول وانكشف له انوار المغفرة فلو راعى الغيب استغرقه ذلك وهو ينبغي فيه منع للالفات
الى ما سبق من اجرابه وهو الكمال بل الواقف على الطريق من البلاد يقدر حاجز طالب الغيب السائر
في عبوره من حيث انه كان عدو حرمه من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يتلمى مباشفا على
حربه الجبر كان هذا مانعا آخر استعاذ به بعد الفراغ عن ذلك الذي نعم ان لم يكن

والتوقف من اول احيانه الى يوم توبته قبل ان يتاب في القيامه وليناقش قبل ان يناقش فمن اجاب
منه في الدنيا طالت الاخره حياته فاذا حصل المجموع ملخصه بطن غائب ونوع من الاهمال ومعنى بلكنه
وليكتب اسامي اصحاب المظالم احادا واحادا وليطف في نواحي العالم وليطالبهم وليستغفر لهم او ليردحقهم
وهذه النوبه فرض على الفلانه وعلى الجبناء فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم
ولكن على كل واحد منهم ان يفعل ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يسهر
منه يوم القيامه صحائف حسناته فتوضع في موازين ارباب المظالم وليس في كثره حسناته
بقدر كثره مظالمه فانه ان لم تف حسناته بحمل من سيئات ارباب المظالم فيحمل نسيئات
غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر حسب
طول مده الظلم فكيف وذلك مالا يعرف وربما يكون الاجل دنيا فينبغي ان يكون شغله الحسنات
والوقت ضيق استدرك من تمره الذي كان في المعاصي في سبع الاوقات هذا حكم المظالم التابعه
في ذمته اما حقوق الله الماضيه فمتعلقه بالمالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا
فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال ولم يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما
سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الخيانه في الفروج بمخادنه الناس بما يسوءهم
او بتعرضه في الغيبه فليطلب كل من تعرض له بلسانه او ادى فلبه بفعل من افعاله وليتحمل واحدا
واحدا معهود من مات او غاب فقد فات امره وما يدارك الا بحر الحسنات ليوم حرمه موصوفه
القيامه ولما من وجده واجله بطيبه قلب منه وذلك كفاره وعليه ان يعرفه قدر جنايته ويتواضعه
له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما او عرف ذلك وكثره بعدره عليه لم يطب نفسه بالاستحلال او ادخر
ذلك في القيامه فذخيره يأخذ حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في حمله حنايته على الغير
ما لو ذكره وعرفه لنادى بحرقه كزناه بجاريته او باهله او نسبته الى العيب من حيث يا عيوبه
بعظم اذاه مما يتوقع به مغفرا استحلال فليس له الا ان يسجل ميتا ثم سعى له مطلقا
فليجبرها بالحسنات كما خير مظلمه الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فغير ممكنه جدير به نجب
الاستحلال منها وما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه ظن نجح نفسه بالحلال المطلق عليه فان
هذا جفه فعليه ان يتلطف به ويسعى في معالجته واغراضه ويظهر من حبه والشفقه عليه ما سمل به
قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من تقرب بمال يحسم فاذا طاب قلبه بكثره تودده وبلطفه
سمحت نفسه بالاحلال فان الاصرار فيكون بلطفه به واغراره اليه من حمله جنايته التي يمكن ان
تجبر بها في القيامه حنايته ولكن قدر سعيه في وجه وسرور قلبه بتودده وبلطفه كقدر سعيه
في ايذائه حتى اذا وفى احدهما الاخر وادعليه اخذ ذلك منه عوضا في القيامه بحكم الله به عليه
كمن اتلف في الدنيا مالا فحاكمه فاستوفى منه عن الاصرار فان الحاكم يحكم عليه بالتسليم عنه شيئا
فيما يمكن تحكيم في صعيد القيامه احكم الحاكمين واعدل القسطين وقد اشتمل عليه من
الخبر عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعه
وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعه وتسعين نفسا
فهل له من توبه فقال لا فقتله فكمل به مائه ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل فقال انه قتل
مائه نفس فهل له من توبه فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبه انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها
اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق
اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكه الرحمه وملائكه العذاب فقالت ملائكه الرحمه جاء تائبا مقبلا
بقلبه الى الله وقالت ملائكه العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صوره ادمي فجعلوه بينهم
فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته
ملائكه الرحمه وفي روايه فكان الى القريه الصالحه اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي روايه
فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر
فغفر له فهذا يعرف انه كان حاضر الايمان حاضر الحسنات ولعمثال هذا يبذل الثواب من تكثير الحسنات
هذا حكم القصد المسلوب الماضي واما العزم المربوط بالاستقبال فيعوان بعقد مع الله عقدا موكدا
وبعاهده بعهد ويتوب اليه ويرجو الى ملك الذنوب واما اصناف الناكثين فيجمع موصيه ان الناكثين
بضروب مثلا معتزم عزما جازما انه لا يتناول الناكثه مالم يزل يصمم عزمه فان هذا العزم يتاكد
في الحال فان كان يتصور ان يغلبه الشهوه في ثاني الحال ولكن يكون ثانيا ما لم يتاكد عزمه

في الحال لا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول العوده الا بالعزله والصمت وقله الاكل والنوم واحراز
قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كان له حرفه يكتسب بها قدر الكفايه فليتفقه
عليه فان اس المعاصي اكل الحرام فكيف يمكن ان تنام عن الاصرار عليه وانت تعتقد الحلال ويترك الشهوات
من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات فما بعضه يصدق في ترك شهوه وجاهد نفسه لله
سبع مرات لم يبتل بها وعمل الخير من تاب عن ذنب واستقام عليه سبع سنين بعد التوبه الا ليه ادبر من معاصيه
التائب ان لم يكن حلالا ان تعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يجوز عليه لحتى يمكنه الاستقامه
وان لم يتوقع العزله لم يمكنه الاستقامه المطلقه الا ان يتوب عن بعض الذنوب كما الذي يتوب عن الزنا
والربا والبغض مثلا وليست هذه توبه مطلقه وقد قال بعض الناس ان توبه النوبه النصوح وقال
ما ارى ان هذا صحيح ولفظ النصوح في هذا المقام مجمل لا يقول ان قال النصوح ان يتوب به ان تركه بعض الذنوب
لا تقدر اصلا على جحوده فما اعلم خطاك فانا نعلم ان كثره الذنوب سبب لكثره
العقاب وقلته سبب لقلته ويقول الذي قال النصوح ان اردت به ان التوبه عن بعض الذنوب توجب
قبولا يوصل الى النجاه او الفوز فهذا خطا بل النجاه والفوز لا يترتب الا على الجميع فهذا حكم الظاهر
ولسنا نتكلم في حقنا بل اسرار عفو الله وان قال من ذهب الى انه لا يقع الا ما اردت به ان التوبه
عباره عن الندم وانما يندم على السرقه مثلا لكونها معصيه لا لكونها سرقه ويستحيل
ان يندم عليها دون الزنا ان كان يرجعه لاجل المعصيه فان الفعله سائله لها اذ من يتوجع على
على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه لمعنى يوجب به سواء كان بالسيف
او السكين وكذلك توجع العبد بتوانب محبوبه وذلك بالمعصيه سواء عصى بالرقه
او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالته توجبها العلم بكون المعصيه
معوقا للمحبوب من حيث انها معصيه فلا تتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض وليجاز
هذا الخبر ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث المعصيه
في الخمر واحد وانما الدنان ظروف وكذلك المعاصي الآت للمعصيه والمعصيه من حيث هاذه
الامور واحد فاذن معنى عدم الصحه ان الله وعد التائبين وبشه تلك الاشياء لا بالندم وكما تتصور الندم
على بعض المخالفات دون بعض كذلك المرتب على الاجتناب والصوم فانه اذا لم يتم الاجتناب والفعول صل ان العقد
لم يصح اي لا يترتب عليه الثمره وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمره مجرد الامر ان يسقط عنه عقاب
ما فوته وثمره الهذر ان يكفر ما سبق فترك السرقه كاكثر الزنا مثل الندم عليهما لا يتصور
الندم الا لكونها معصيه وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستطرق النقد
بتفصيله يتكشف الغطا فقول التوبه عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر
او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيره دون كبيره اما التوبه عن الكبائر دون الصغائر ممكن
لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجل فيحظ الله ومقته والصغائر اقرب الى تفوق العفو
البته ولا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويندم عليه كالذي يحب على اهل الملك وحرمه ويحب على
دابته فيكون خائبا من الجنايه على الاهل مستحقا للجنايه على الدابه والندم بحسب استعظام
الذنب واعتقاد كونه معذبا عند الله وهذا ممكن وجوده في الشرع مفقود الناس في
الاعصار الخاليه ولم يكن احد منهم معصوما فلا استبعاد في التوبه المعصيه والطبيب قد يحذر المريض
العسل لحذره شديدا ويحذره السكر لحذره اخف منه على وجه يتبعه معه بانه ربما لا يظهر
ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال ويجوز ان اكلهما
جميعا يحكم بتحريمه مع علمه على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض
وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واعظم عند الله كالذي يتوب عن القتل
والنهب والظلم ومطالبة العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين العباد يتسارع العفو
اليه فهذا ايضا ممكن كما في تتوب الصغائر والكبائر دون الكبائر ايضا متفاوته في انفسها
واعتقاد من تركبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر الى ان يتعلق بالعباد كالذي يتوب
عن شرب الخمر دون الزنا مثلا او دون قتل النفس او دون السرقه فان الخمر مفتاح الشرور والله اذا زال عقله ارتكب جميع
العاصي وهو لا يدري فيجب كسر الخمر عنده بل يجب ان يعلم منه حتى لو علم ذلك توقف في
المستقبل وندم على المعاصي الماضيه ان يتوب عن صغيره او صغائره وهو مصر على كبيره بعلم
انها كبيره كالذي يتوب عن الغيبه او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب

المثال الذي ضربناه أنس من رضا الملك واكرامه فلا يعقل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون
الا لاحد من المقربين للدنيا المكرمين بالله ورسله فان السعادة الاخروية في القرب من الله
والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي تبعثر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم
المكرمون والمكذبون قصروا الاسم عن رحمة الله ابدا والاشقياء الذين يكذبون بهذه العالمين هم
الموسلين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون ما محاله وكل محجوب عن محبوبه فهو محجوب معذب
محترق بنار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس في نار جهنم اذ ذاك اشد من نار الحجاب
مطلقا الفراق وهو بنار من الحجاب هطر وقالوا من بعد الله بعوض فهو بليم اذ يعبده للطلب جنه او خوف
نار بل العارف بعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما الجنة والنواكه فقد كما ينسيها واما النار فقد
لا تفتقها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة لاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة ونار جهنم استغل لها الامم الاجسام والم الاجسام يستخفر مع الم الفواد ولذلك قيل
في وعد معاد الجبار نارهم حر نار الجحيم ابردها وكما ينبغي ان يكون هذا في عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد
في عالم الدنيا فقد روي من غلب عليه الوجد وبعدا على النار وعلى اصول الغضب الجارحة للقدر وهو الحس به لفرط
غلبه ما في قلبه وكن الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال ثم
الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العضب مضغة من النار واحتراق الفواد اشد من
احتراق الاجساد والاشد يسلط الاحساس بالاضعف كما راه قلب الملك من النار والسيف لا من حيث انه يفرق
بين جزئين يربط احدهما بالاخر برابطه التالف المدرك في الاجسام فالذي يعرض من اهلكه بين محبوبه المربط
به برابطه التالف استاجا كما من تالف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت مزاريا بالبصائر وارباب
القلوب وما يعد ان يدرك من لا قلب له سنذره هذا الالم ونسميه بالاضافة الى الم الجحيم فالصبي لو خير
بين الم الجحيم من غير الكره والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبه السلطان لاختار الم الجحيم من غير
دليل بعد ذلك الما وقال العارف الميدان مع الصولجان احبب الي من سير الف سلطان مع الجلوس عليه بلا ريب
تقلبه شهوة البطن لو حس بن لهو نسبة والحلوا وبين فعل جمل يقهره الاعراء ويفرح به الاصدقاء كما
كانه لهو نسبه والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استوفيه
صفات البهائم والسفاع لم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا تناسبها ولا يلذها الا القرب من رب
العالمين وما يلمها الا البعد والحجاب كما لا يكن الذوق الا في اللسان والسمع الا الاذان فلا تكن هذه العين
الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كما لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الابحار وحسن الصور والالوان وليس
لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فحصل من ان يتذكر
بالعرفان معلما من القلب ونسبت اعني بالقلب هذا اللحم الذي كثفته عظام الصدر بل اعني به السر
الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق يشبه والصدر كسبه وسائر الاعضاء عماله وخلقته
والله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير
الامر وعالم الخلق مربيا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا اضاءت صلح لها
سائر الجند من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يتم العبد مبادي رواج المعنى
المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته ونظر بالرحمة الى الكمال من على ظاهر لفظه
والى المتصفين في طرق اوليه وان كانت رحمته للجاهدين على اللفظ اكثر من رحمته للمتعسفين في التاويل
لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الخروج عن حقيقة الامر
فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والبعد الى الغور من قدا وجبنا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى
من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد طهر ان ربنه الهلاك ليس الا للجهال المكذبين
وسبها دة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده الرتبة الثانية
ربنه المقربين وهذه ربنه من تخلى بالايمان ولكن قصر في الوفا بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد
وهو ان يعبد الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك
لا اله الا الله قوله تعالى اللهم ذو هم وهو ان يزيد ربا كليه غير الله ومعنى قوله الدرس سالوا ربنا الله ثم
استقاموا اي لما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه اردف الشعور
واجد من السيف مثل الصراط الموصوف في الاخرة ما يقال بستر عن مثل هذا الاستقامة ولو في امور
لا تحاذي اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد تقدر مثله عن الصراط المستقيم
في ذلك بمعصية ما محاله نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان نار ان نار الكما الغراق لذلك الكمال
الغائب بالنقصان ونار جهنم كما وصفنا القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا

من تين من وجهين ولكن تتفاوت ذلك العذاب وخفته وثقله بحسب طول المدة اما يكون بسبب امرين
احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته اذ الحلو انشر في غالب الامر على واحد
من المؤمنين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
ولذلك قال الخائفون من السلف اما خوفنا انا ناتيقنا انا على النار واردون وسئلت كنا في المجاه والمارون الجسر
الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام والله يناد ي باجبار امنان قال الجسر يا ليتني كنت ذلك الرجل
واعلم ان الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة
وبين سبعة الف سنة حتى قد تجوز بعضهم على النار كبر وخاطف وما يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة
الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالسدة لا تفاوته
لا عمالها واديانه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة
في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويطرق الى العذاب اختلاف
ثالث في عين المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ
المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاعزاب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن
وعيون فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة دل عليها قواطع السرع وهو يجب اختلاف قوة الايمان
وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها. اما شدة العذاب فبسبب كثرة السيئات
وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف
هذا الارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما يذكر الا ظالم للعبد
وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من تكون العقاب
والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك يعدل الا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى
فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس
وروي من لدنه اجزاء عظيما فاذن هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات
والسيئات معلومة بقواطع السرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر
الاخبار وقوع حدس مستند من انوار الاستبصار بعض الاعتبار فمقول كل من اعتكر اهيل الايمان واجتنب
جمع الكبائر واجتنب جميع انواع الاصرار اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الاصغائر مغفرة له ان يعبر
عليها صيبة ان يكون عذابه للمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب وحيث حسابه على مسامحة
اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر
يحكم فرائض القرآن مكفرة للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب لان يدفع الحساب
وكل من هذا حاله فعند تقلب موازينه ينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من
الحساب في عينيه راضيه بغير الجاهة بالصحاب اليمين وبالقرب من تنزله في حياب عدن انزل الفردوس الاعلى
فذلك سبع اصناف الايمان كان الايمان ايمانا تقليديا كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويسمعون على
وايمان كشفي تحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى يكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه
فتصح ان الكل الى الله من حيث هو وصنعه وصفاته وافعاله وهذا الصنف
هم المقربون الذين لا يرون في الفردوس الاعلى وهم على عاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم
السابقون بعلمهم من دون نظر وتفاوتهم لجسيفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة
لا تحصر اذ الاحاطة به كما جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق واما يغوص فيه
الغواصون يقدر غوصهم يقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالمقربون الى الله لا نهاية لمنازلهم فالمنازل الذين
سبق الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة
المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين يقارب رتبته رتبة الادنى من درجات
المقربين هذا حال من اجتنب الكبائر وادى الفرائض كلها اعني الاركان الخمسة التي النطق بكلمة
الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او اهمل بعض
اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل الذي عنده يرتكب الذنب كمن لا ذنب له والتوب العمل كالذي لم يذنب قط او ان تاب قبل التوبة بعذاب الاخرة محظوظ عند الله
اذ ربما يكون توبته على الاصرار سيئا لنزل ايمانه فختم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله اذا كان
ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان حقا فانه فاتل له الحال الذي هو شك وخيال والعيان بالبصر
البعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكذا من مات على الايمان بعد بان الا ان يعفو الله عذابا يريد على
عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العذاب من حيث المدة كثرة مدة

كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كلها القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عن
اقوا ما في سورة النساء الى راس ثلثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وكذا
نهى الله عنه في هذه السورة الى هاهنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر بسعة عشر جمعها من جملة الاخبار وحمله
ما اجمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على بعضه
والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصنة واليمين الغموس وهي التي يحلف بها
بالطلاق او بغيره كاذبا وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واللواط وسمي عز وجل اللواط فاحشة فقال تعالى
في النار والسحر وهو كل كلام يعمل به ما في جسم او عقل او مال ويكون بسقي شراب او اكل شيء طعاما او
والمسكر من كل شراب وكل ما اسكر كثيره فقليله حرام والقمار وهو كل شيء فيه خطر كالنرد والشطرنج
واقتضاء الدين وهو المطل وانت واجد والرجل وهو الفرار من الزحف الواحد من الاثنين والعشرة من عشرين
وواحدة في حج البيت وهو عقوق الوالدين وهو ان يسيء اليهما حتى يلجئهما الى ان يسالاه حاجتهما فلا
يعطيهما وان سياه فنصرها وهو عكس ما ابيح لهما هذا اذا كانا مسلمين وهو ثبت ولكن ليس بحد اذ يمكن
الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا ومال اليتيم من الكبائر وهو حينئذ على الاموال لم يذكر في
كتاب الفرائض الا العمد فاما قتوه الخطيئ وقطع الطريق وغير ذلك من تعذيب المسلم بالضرب وانواع العذاب
لم يضرح له وضرب البريء وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انها كبائر كيف وفي الخبر من الكبائر
السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصنة وقال ابو سعيد الخدري
وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكبائر وقال طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف لهما
عن هذا ان الناظر في السرقة اهي كبيرة ام كما لا نعني بالكبيرة الا ما يفهم معنى الكبيرة والمراد بها في قول القائل الربا
حرام ام لا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ
معجم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من شيء
الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه فما لم تعاين جميع الاجناس مع الاجناس
الى النظر صغيره بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيره بالاضافة الى ضربه صفعه بالاضافة الى قتله
نعم للناس ان يطلقوا على ما ورد بالنار على فعله حاصة اسم الكبيرة ويعنون بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار
عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصرا الى ان يجعل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة ولهذا ان يطلق على
بعض ما ورد في بعض الكتاب النفي عنه فقول الخصم بالذكر في القرآن دليل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة
لا محالة بالاضافة الى منصوصات القرآن ايضا تفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل عن الصحابة
يتردد بين هذه الجهة ولا بعد ستر بعضها على من هذه الاحتمالات ثم من المهمات ان نعلم معنى قول الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات
لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر والحكم في ذلك بان الذنوب منقسمة في نظر الشرع
الى ما نعلم استحقاقه اياها والى ما نعلم انتفاء استحقاقه والصغائر وان لم يرد فيها نص خاص فهي في
حد جاء فيها وعيد جامع مانع طلبنا لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يقول اذا ورد بالكبائر عشرا واحدا وبعضها فاذا لم يرد في بعض العظائم انه من الكبائر وفي
بعضها سبع من الكبائر ثم وردان السبعة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن البيع والثلاث
علم انه لم يقصد به العدد الحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعرفه الشرع وربما قصد الشرع ايهامه ليكون
العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم حد الناس طلبها ثم لنا سبيل الى ان نعرف به اجناس
الكبائر وانواعها بالحقيق واما اعيانها فنعرفها بالحزر والتقريب ونعرفها اكثر الكبائر فاما الصغائر
الصغائر ملابسة المعرفة وبيانه انا نظم ستة اهد الشرع وانوار البصائر جمعها ان مقصود الشرع كلها
سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته
ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ويكون
العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ظاهرا وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى
بعثة الانبياء ولكن لابد هذا الى الحياة الدنيا وهو المعني بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار
حفظ الدنيا ايضا مقصودا ثانيا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة سببان النفوس والاموال
فكل ما سد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر وليه ما سد باب حياة النفوس وبلي ذلك ما
سد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه للشرائع لحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال
على الاستمرار فهي مدى في مقصود السرائع كلها وهذه ملة امور لا تتصور ان تختلف فيها الملل ولا يجوز ان يتعبد
الله تعالى نبيا بتبديد اصلاح الخلق في دنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله
او يامر بما يؤدي باعلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى
ومعرفة رسوله او يامر بضدها واهلاك النفوس وهو الكفر فالكبيرة فوق الكفر اذا تجاوز عن العبد ترك الله
هو الجهل والوسيلة المؤدية له الذي هو العمى والمعرفة وكونه تعالى بقدرته ومعرفته وبعده بقدر جهله وبقدر
العمى كفر الامر بكفر الله والمحرم من رحمة الله فان هذا القدر من الجهل معرفة الله تعالى ولكن
انه يمكن ان يكون الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله وصفاته وافعاله
وبرسله وباوامره ونواهيه ومواجب ذلك لا ينحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخله بحد
ذكر الكبائر المذكورة في القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه فطلب رفع الشك في القسم
المتوسط طمع في غير مطمع الرتبة الثانية النفوس التي بقائها وحفظها مع المياه وفصل المعرفة
بالله فقتل النفس بغير حق من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدهم عن المقصود وهذا ابعد وسيله
للمقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا لاجرة والتوصل بها لمعرفة الله تعالى وبلوغ هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل
ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة شرب الزنا واللواط لانه لو لم يحرم الناس
على الاكثار بالزنا وسائر الشهوة انقطع النسل وقع الوجود فوت مقطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت
اصل الوجود ولكن يستوعر الاسباب ويبطل الوارث والناصر وجملة من الامور التي لا تنتظم العيش الا بها
مع كثرة تيسر النظام مع اباحة الزنا فاعظم امور الدنيا مما يتميز الفعل منها بانات فحتم بها عن سائر الفعل
وذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا اصلا في شرع قصد به الاصلاح ويتبع ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل
لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا جميع اصله ولكنه يفوت تميز الاسباب ويحرك من الاسباب ما يفضي
الى العداوة فلا ينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية الله من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم الضرر
بكثرته الرتبة الثالثة الاموال وما معها بين الخلق فلا يجوز تسلط الناس على اتلافها كيف شاؤوا وحتى
بالاستيلاء والسرقة وغيرهما فلهذا عظم الامر فيها فاذا لم يسع في حفظ ليسع سعيها النفوس الان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فلهذا عظم الامر فيها فاذا لم يسع في حفظ ليسع سعيها النفوس الان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فلهذا عظم الامر فيها فاذا لم يسع في حفظ ليسع سعيها النفوس الان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق احداها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فلم يتدارك
والثاني اكل مال اليتيم وهذا انما من الخفية اعني به من حيث الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له حيص سوى الله
وهو صغير لا يعرفه فعظم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الجاني على الوديعة
فان الوديع خطر فيه فنصر نفسه الثالث يقوتها شهادة الزور والرابع اخذ الوديعة وغيرها
بيمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان يختلف الشرائع في تحريمها اصلا وتعظيمها اشد
من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة حد يمكن ان يكون مرادة بالكبائر
ولم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعد عليها وعظم في مصالح الدنيا شرها واما اكل
الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاحلال بشرط وضعه الشرع والبعد عن تخلف الشرائع
في مثله واذا لم يحل العصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر
فاكل الربا احرى ان لا يحل بغير رضا المالك ولكن بغير رضا الشرع وان عظم الشرع الربا والخبر عنه فقد عظما
الظلم بالغصب وغيره وعظم الجناية والمضرة الى ان اكل دانق بالجناية او الغصب من الكبائر فيه
نظر وذلك واقع في مطنة الشك واحقر من الذر الى اليه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان يختص
الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى ما ذكره ابو طالب المكي القذف
والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب فلما يزيل العقل فهو حد يزيل ان يكون من الكبائر
وقد دل عليه سائر ادلة الشرع وطريق النظر ايضا ان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل الاخروي النفس
دون العقل ما زاله العقل من الكبائر ولكن هذا الاخرى في قطره من الخمر وما شك في انه لو شرب ما فيه
قطرة من الخمر لم يكن كبيرة وانما هو شرب ما لحس والقطرة وجرعاته محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم امره وذلك من الكبائر بالشرع ولبقية الرتبة الشريفة الوقوف على جميع اسرار الشرع
فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فالتوقف فيه محال واما القذف فليس فيه الا زنا واللاعراض
عن اضرار دون الاموال الرتبة ولسانها واعظمها الساول بالاضافة الى ما جنسه الزنا وقد علم
شرع امره والحط عاليا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما جاء الحد به كبيرة فهذا الاعتبار
لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي يريده بالكبيرة الان ولكن من حيث انه يجوز ان يختلف فيه الشرائع
فلعل شارعا يجوزه لا يدل على كبيره وعظمه بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى انسانا يزني
فله ان يشهد وعلى المشهود عليه بحد شهادته فان لم نقبل شهادته فجحده ليس ضررا في مصالح الدنيا
وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا ايضا ملحق بالكبائر في حق
من عرف حكم الشرع فاما من طن ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل
في جملة من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد
من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا انما ينبغي ان يكون من
حيث القيام في محل الوقوف واذا قطع بان سيف الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والقتل لهم
بسبب امور اخر احقر من مساكنهم وبلادهم واعلاهم من اوطانهم ليس من الكبائر بل
اذا دلت قرائن الاحوال على ان سيفه عند كثيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالوقوف فيه ايضا عسير بعيد ولكن
الحنيث يدل على تسميته كبيرة وقليلي الكبائر فاذن يرجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره
انه واذا انتهى الى ان يحكم الشرع وذلك مما لا سبيل الى ما علم انه لا يكفره قطعا الى ما يسع ان يكفره
ويجاوز فيه الوقوف فالتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك

كتاب التوبة وهو الكتاب الأول من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك

الحمد لله الذي تخيره يستفتح كل كتاب وبذكره تصدر كل خطاب ... وبحمده يفتتح أهل النعيم في دار الثواب ... وبأسمه يستفتح الاستفتاح وإن أرتجا دونهم أبواب ... سبحانه أسبوح لا باب باطنه قريب الرحمة وظاهره من قبله العذاب وتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب ويرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الغفور التواب ويرجو رجاء ما لا يرجى مرجو من الأرباب أنه مع كونه حائزا لذنب غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى صحبه الأكرمين وعلى صلوته تقدمهم من أهل المطلع يوم العرض والحساب وبعد لما عند الله ولقي وحسن مآب أما بعد فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المريدين ومفتاح استفادة المآرب ومفاتيح الأصطفاء والاجتباء للقربين وبالبداية دعي صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين وما أحدثها أولا وأعدها آخرا للأحباء فلا عوج إذا أدب الأدبي وأخبر وفي شبهته أخبر وفي أشبه أباه فاطلع ولكن الآب أنجب معه ان كثر وعمر بعد أن هدم ملكه السروج إليه في بساط طي البين والوجود والعدم ولقد مع آدم سر الذنب وتدم على ما سبق منه وتقدم من أجله قدوته في الأدب دون التوبة فعدلت به القدم بل الحجر لهم الجبود أب الملائكة المقربين والحجر للشرود الضلال في تيه الشياطين والرجوع إلى اللبن بعد الوقوع في الشر ضروره الأدبين فالحجر للشر ملك موقت عند الملك الديان والحجر للشر شيطان وأملاق الشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة أساس معد أزوج في طينة الإنسان شيطان وأطغى فيه حيوان وكل عبد مجيء نسبه أما إلى الملك أو إلى الإدم أو إلى الشيطان فالثابت قدم أمام البرهان على صحة نسبه إلى الإدم بملازمته حد الإنسان والمصر على الفجور مستحل على نفسه منسوب الشيطان فما نصح النسب بالتجرد لحق الخير إلى الملائكة فخارج عن حيز الإمكان فإن الشر مقهور مع الخير في طينة الإدمي كما يحكى الإخاء الأحدى ناري النار والماء نار جهنم فالأجزاء الناري صدوري في خلق جوهر الإنسان من جنات النعيم والكن النار للشر أهون السريين والمبادرة إلى الخف الناريين قبل أن يطوي بساط الاختيار وتساوى الدار الاضطرار أما إلى الجنة أو إلى النار وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لتشرح حقيقتها وشرطها وسببها وعلاجها وثمراتها والآفات المانعة منها والأدوية المسهلة لها ونصح ولك بذكر أربعة أبواب الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الآثام وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني في بيان عاقبة التوبة وهو الذنوب وبيان أقسامها إلى الصغائر والكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي لها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة وما معها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من الكبائر ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة

الركن الأول في نفس التوبة وبيان حقيقتها التي بها تصح

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يلتئم ويتنظم من ثلاثة أمور متريبة علم وحال وفعل فالعلم أول والحال ثان والفعل ثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث أعني اقتضاء الأول للثاني واقتضاء الثاني للثالث وأما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة محققة بتيقن غالب على قلبه ناشئ عن قوة الإيمان وسمي ذلك علما لأنه سبب لحال وهو الندم فإن الندم لا يتصور إلا بعد العلم بأن الذنب سبب حجاب العبد عن محبوبه فإذا حصل هذا العلم الذي هو كالأصل للثاني ثار من هذا العلم حالة في القلب تسمى ندما وهي حالة تتبع العلم إذا كان المفقود محبوبا وكان الفائت بسببه مكروها فإن استشعر القلب فوات محبوب هاج منه الحزن والألم كما إذا فقد ولده أو ماله فيتألم قلبه بسبب فوات ما كان يحبه وهذا الألم يسمى حزنا وغما وهما فإن كان الفائت أمرا يتعلق بالدين سمي الألم الحاصل بسببه ندما فالندم هو الألم الحاصل بسبب فوات المحبوب الذي كان حصوله بسبب الذنب الذي كان يظن أنه لا يفوته فإذا فاته علم أن فواته بسبب ذنبه فيتألم قلبه بسبب ذلك العلم فيسمى ذلك الألم ندما فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل يحكى بالحال ما يعلم أن الفائت لا يعود إلا بالإتيان بمثله فيحاول الحال ما تركه الذنب الذي كان ويلابسه ويأتي بما كان تركه في الزمان الماضي فيصير عائدا إلى المحبوب الذي فاته بسبب الذنب الذي كان ارتكبه فيصير عائدا للمحبوب إلى أخر العمر وأما بقايا آثار الحزن والغم والندم فهي خارجة عن التوبة

اقوى من القلب سيد المال محارا هو الامير واسراك مضيفه الجام والمها صفت للقلب بالسوط وما
صوفين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله على حال الباطن هذا الله فاظهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم
بالملك يظاهر صوته وصفته لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يظن انه لتنزيه لسانه او لسمعه
سماعه منه محرم عليه وكذلك كل ما اليه هذا الوجه فهو حرام الا ما اذن الشارع الى ما جاء في سمعه داود عليه
السلام حتى صار يعجن اعذر له ما رب كف لي عصى فامر الله بالسجود له وكان سببا فاذن لبكاء في سجوده
ملك القدس نادى يا داود ما جاءك بهذا حتى اسلفنا لبكاء في امر يهيد
لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله ما تصرف وقد رجع الى ركنك فقال له جبريل هذا ذكرك له ما فعلت ما الاموال
عار جع فيه فرجع فنادى فقال لبيك يا نبي الله مما الذي اذهب اليك دنيا قال الم اهبه لك قال الا تسلني
ماذا اذهب قال يا امام يا نبي الله قال اكرى وكرى قد سار الدراة ما تقطع الجراب فقال يا داود ما الكبائر التي
مالي يا نبي الله ما كنز اهبل الدنيا حتى اقف بعبدي بين يدي الله حاسبا فلا واود الصلاح والكبائر التي الدراس
حتى وعزة الله ان مسوحه منه في القيامة فعذابك ان الغيبة من غير طيبة ملك لا تقدر ان طيبة القلب
لا تحصل الا المعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون الا بر او الطهر وغيره الا اذا اخلى الانسان اختياره
حتى يتعلق الدرك في ذات نفسه لا ان يسقط بر انه الى الحركة بالجاء الا ترى ومن ذلك قيد الرجل مال الزكوة
في آخر الحول يزيد قيمته وانما له مال الا سقاط الزكوة فالغيبة تقول سقطت الزكوة فكان اراد به ان مطالبه
السلطان والساعي قد سقطت فقد صدق فان صلى نظر هو طاهر الملك وضرر الزكوة انه يسلم في القيامة
ويكون كمن هلك المال او كمن باع حاجته الى البيع لاجل هذا القصد وما اعظم حمله بقيمة الدين
وسر الزكوة ما ذكر سر الزكوة تطهير القلب كما في ذيله النحل ما ان النحل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ملك مهلك
سخي مطاع وانا صاحبه مطلعا ما فيه وفضله لم يكن مطاعا مقدما هاكه بما يظن انه فيه خاصة حتى الله
مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الخلق على سد على نفسه
طريق الحاجة من النحل بالجهل والغرور وذلك انه اتاه الله مالا الصالح للفقيه وغيره تقدر اخلاقه والقيام
المغرورون بالجهل بين الشهوات والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما يتمنى هو منهم انه يوده حاجة
وهو محض الغرور بل الدنيا حلقت حاجة العباد اليها في العباده وسلوك طريق الاخرة فكل ما نالوا له
العبد للاستعانة به على الدين والعباده فهو حاجته وما عدى ذلك فهو فضوله وسهوه ولو ذهبنا نعد
غرور الفقهاء امثال هذا لملانا فيه مجلدات والغرض التنبيه على اصله نعرف الاجناس دون الاستيعاب
فان ذلك يطول الصف الثاني ارباب العباده والعمل والمغرورون منهم وهم كثير
منهم من غروره في الصلوه ومنهم في تلاوه القران ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك
كل مستغرق في نوع من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقه اهملوا الفرائض
واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا في الفضايل حتى خرجوا الى البدع والخروج الى السرف كالذي يغلب
عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ويرى ان في الماء الجاري مع طهارته في قنوى الشرع وتقدر الاجتهاد
البعيده قربه في النجاسه واذا ال الامر الى اكل الحلال فورد الاحتمالات القريبه بعيدة وربما اكل الحرام
المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الحلال الى الطعام لكان اسهل بسيره الصحابه اذ مرضا عن الشعير
الحرام مرة هو كالمرض يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاه ويخرجها
عن وقتها وان اخرجها ابصاعن وقتها هو معذور لما فاته من فضلها والوقت وان لم يفته فهو معذور
لانه اشتغل في الحال بما لم يسرف فيه معذور لضيعه العمر الذي هو اعز الاشياء ماله مندوحه عنه
الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق ويقدر على صد العباد الا ما شاء الله فاحتمل اللهم انه عباده فيتعذرهم
عن الله بمثل ذلك ويفرد عليه عليها الوسوسه في نيه الصلاه فلا يدعه ان يطان حتى يعقد به
صحيحه بل يستوسن عليه حتى يفوته الجماعه وربما يخرج الصلاه عن الوقت ولن يكثر فيكون في قلبه بعد
تردد في صحته بنيه وقد يسوسون في التكبير حتى قد يفوت صحه التكبير كله الاحتياط فيه
يفعلون ذلك بما ول الله ثم يفعلون في جمع الصلوه والخروج ظن بهم ويعتذرون بذلك ويظنون انهم اداء الفرض
بصحيح النيه في اول الصلوه وتبرؤا عن العامه بهذا الجهد والاحتياط فهذا خير عند ربهم
وفرقه اخرى تكلب عليها الوسوسه في اخراج حروف العامه بهذا الجهد والاحتياط فهذا خير عند ربهم
في التشديدات والفرق بين الصاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره وما سائر الاذكار من
سواه ذاهل عن معنى القران والانغماط به وصرف مخارج الحروف الى التشديد وهذا من افحش انواع الغرور
هؤلاء مثال من جهل رساله الى مجلس سلطان وامر ان يرد بها على وجهها فاخذ يبري الرساله وينا في مخارج
الحروف ويكررها ويعيدها وبعود مره بعد اخرى وهو ذلك عامل على مقصود الرساله ومراعاه
حرمه المجلس واحترامه بان يقام عليه الرساسه ويترد الى دار الحاجبين ويحكم عليه بعقيب الفعل وفرقه
اخرى اغرموا بقراءه القران فهذوه هذا وربما يختمون في اليوم والليله مره ولسان حدهم يحكي به وقلبه

يشهد او ديه الامانى اذ لا يتفكر في معاني القران ليزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويعتبر
اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوه القران من مقاصد
التلاوه فهو معذور وبطن ان المقصود من انزال القران المفهمه به مع العقله عنه ومثاله عبد كتب اليه
مالكه كتابا واشار عليه فيه بالامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والقيام به بل اقتصر على حفظه
فهو مستمر على خلاف ما امر به وقد قال الله تعالى مكررا لكتاب بمعنى وصونه كلمة ومعانيه مره فهو مستحق
للعقوبه ومما طن ان ذلك هو المراد منه فهو معذور بل ما امره انما اراد لكي يتبين بلفظه وحفظه يراد
لمعناه ومعناه يراد للعمل به والاسماع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فتقويه اولى يراد به ويعتبر
ما سلذاذه ويظن ان ذلك لذه ما حاه الله وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته ولو رزق الجاهه
يستعبر وكلاما آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو معذور اذ لم يعتبر فليعرفه ان لذته بكلام
الله من حيث نظمه ومعانيه او بصوته وفرقه معتبر اعتبروا بالصوم وربما صام الدهر
او صام الايام الشريفه وهو بعيد لا يحفظ السنه عن الغيبه وخرق الصوم من الربا وبطل فرض الحج
عند الامطار والاستسقاء من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يطلب سفيه الخير بهذا
الغرض ويطلب الفضل بما يفوته ذلك غايه الغرور وفرقه اخرى اعتبروا بالحج مجتمعون الى الحج
من غير خروج عن الطاعات وقصدا للدين واستر ضا للوالدين وطلب للزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد
سقوط حج الاسلام ويصحبون في الطريق العلاه والغرايض ويخرجون بحق طهاره الثوب والبدن ويغرطون
ملكهم الطهاره حتى يسوخ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والجماع وربما جمع بعضهم الخمر واتفقه على
الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعه والرياء ينجي الله في كتب الحج او اوى الى اناقه بالدراهم بنيا
ملاهو اعظم من حله واعظم وضعه في حينه ثم يحضر البيت تقلب ملوب برذايل الاخلاق وذميم الصفات
لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن ان الله على خير من ربه وهو يغرور وفرقه اخرى
اخذت في طريق الحسبه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتكلف على الناس وهم احوج بنفسه
منه ماذا امرهم بالخرق وطلب الرياسه والعز واذا بامر منكرا فرد عليه عنف وقال انما
المحتسب فكيف تنكر علي وفرقه اخرى الناسل الى مسجده ومن تاخر عنه علد القول عليه وانما غرضه
الرياء والرياسه ولو قام بمسجد غير مسجده لجلد عليهم بل مسجد من هو ذو بطن اله يوذن لله ولو جاء
غيره واذن وقف عند بنته قامت عليه القيامه وقال لم احد جيرانه ورد هت علي مريتني وذلك قد
سقلد امامه مسجد وبطن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو ظهر غيره وان كان
اورع منه واعلم منه نفل عليه وفرقه اخرى جاوروا بمكه وفرقه اخرى جاوروا بالمدينه واعتزوا بذلك ولم
يراعوا ظهورهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم وظهورهم بعطفه بلادهم ملتفته الى مواضع يعرفه
ان ملاذا بجاور بمكة تراه يحدي ويقول حد جاور بمكه كذا كذي سنه واذا سمع ان ذلك
ضيع تركه صرح الحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويبعد عن طبعه الى اوساخ اموال
الناس واذا جمع من ذلك شيئا تبع عليه واسكه ولم يسمح نفسه بانفقه يتصدق بها على فقير يطهر
فيه الربا والبخل والطمع وجيله من هم لكان كان غيها بمعزل عن ترك المجاوره ولكن حب الحمده
وان يقال انه من المجاورين الزهده المجاوره مع ان الصحيح بهذه الرذايل فهو انها معذور وما من عمل من الاعمال وعباده
من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخلها فانها واعتمد عليها فهو معذور وما يعرف
شرح ذلك الا من جمله كتاب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاه من كتاب الصلاه
وفي الحج والزكوه والتلاوه وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها واما الغرض الان الاشاره
الى مجامع ما سبق في الكتب وفرقه اخرى زهدت في المال وسعت من اللباس والطعام بالدون من
المسكن بالمساجد وطننت انها ادرك رتبه الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسه والجاه
اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك امورا من ورائها عظيم الملكين فان الجاه امم من المال
ولو ترك الجاه واحد المال كان الى السلامه اقرب فهذا معرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم
يفهم معنى الرياسه ولم يدر ان متعلى لذتها الرياسه وان الزاهد فيها لا يذوق ان يكون رئيسا مقتدى
ومكبرا ومراييا ومصانعا جميع جنايات الاخلاق ثم قد يترك الرياسه ويتولى الحلوه والعزله وهو مع
ذلك معرور اذ يتخيل ان ذلك على الاغنيا ولحسن معهم الكلام وبطن انهم يعتقدون السكوت ويحبونه
نفسه اكثر مما يحب الهروب يحمله ويصفه جمله من جنايات القلوب وهو لا يدري وربما يعطي المال ولا يراه
خيفه من ان يقال بخيل لكي زهده ولو قيل له انه جبان لحمله في الظاهر ورده في الحميه لم تسمح نفسه حتى قام
دم الباسور وهو من الزنا بواب الدنيا ويرى نفسه الله راضيا عن الدنيا فهو معرور ومع ذلك فرعا الجاه
عن توقير العلما والتقدم عليهم عند الفقرا والميل الى المديد نزله والمنتبر عليه والتقيره عن المايل
الى غيره من اذ ذاك وكل ذلك خدعه وغرور من الشيطان وفي العباد من يستبد على نفسه في اعمال
الجوارح حتى يصلي في اليوم والليله مئة الف ركعه ويختم القران في مع ذلك حفظ له مراعاه
القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فما يدري ان ذلك هلاك

الاستعمال بفرض الكفاية مثل الصواغ من فرض الغير معصيه هذا لو كان نيته صحيحه هكذا مال وكان قد
قصد بالصنعه وجه الله فانه وان قصد وجه الله عصى باستغاله به معرض خوض فروض عينه في حاجته وطلبه
هذا غرور من حيث العمل واما غرور من حيث العلم فشيء اقصى على علم الفتاوى وخوف انه على الدين وترك ما
كتاب الله وسنة رسوله وما اطبق عليه الخلق من اول الامر بقله وجهله اسفار وانتهمهن وترك العمل
بغرائب الاخلاق وترك النفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والخشيه والخضوع
وتحويل على الفتوى فيراه اصناف الله معتبرا به منكل العلم انه لابد وان يرجع فانه قوائم دينه وانه لو لم يكمل
بالفتاوى لبطل الفقه والحرام وفقد تركوا العلوم التي هي اكبر وهو عالم مغرور وسبب غروره ما سمع
في السوق من بعض الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفه صفاته الموجبه لخشيه
القلب الخوف ولازم التقوى اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فليتفقهوا لينفقهوا في الدين وليذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم احفظ الاموال بشروط
المعاملات وحقيقه الايثار بالاموال ودفع الغل في الحاجات والمال في طريق الله اله تعالى البذل ترك وانما
العلم المحمود هو معرفه سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومه في الحجاب بين العبد
وبين الله واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله وما له في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر
من سلوك طريق الحج على علم خروج الرواديه والخفر ولا يسلك فانه لو لم يكن ليفعل الحج ولكن المقتصر عليه
ليس من الحاج فهكذا فاسئل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن حصر العلم على الفقه على
الخلافيات وما يتعلق بالجدل والاقرار والحمام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبه والمباهاه
مغلوط كل النهار والنساء التفنين من مناقضات ارباب المذهب والتعقد لتعجب الاقران والتلطف
لانواع السفهاء المؤذيه وهو كالمشتغل بمداواة السباع الضاريه ليأكلوا ومن سباع الانس طبعهم الايذاء ومن السفه ولا يصدون العلم الا بصوره
ما يلزم منها من الاقران وكل علم لا يحاجون اليه في المباهاه كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله
يعلم بحر الصفات المذمومه ويتبدل بالمهلكه فانها سموم قاتله ونسيمه النار وخوف وكذا علم الوعاظ
واما التصوف عندهم معرفه تفاصيل العوائد التي جرى بها الاقتصار عن الجدل وهو كالفقه وهو كالفقه
الدين فيما يرجع الى العمل وكزيادة واذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع ذمائم
الجدل الفقه بدعيه يعرفها السلف واما ادلته الاحكام فمتعلق عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنه رسوله وفهم معانيها وما حمل الجدل الكسر والعلب وفساد الوضع التركيب والتصوير
انما ابتدع لاظهار العلبه والاخفاء وافامه سوق الجدل الى بعض فروض الكفايات وهو كل مندوب اليه
وفرقه اخرى استغلوا بعلم الكلام والمحاجه والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم
واستكثروا من معرفه المقالات المخلفه واستغلوا بعلم الطرق ومناظره اولئك واخفاهم
جدلهم وما سموه ادله عقايدهم وطنوا انه لا حرز يعرف بالله تعالى وصفاته سواهم وانه لا ايمان لا يتضح ايمان الايمان بعلم
مذهبهم وانهما عليه ودعت كل فرقه منهم الى نفسها ثم هم فريقان صالحه فجعله علمها من
تدعوا الى غير الكتاب والسنه والعقل هي التي تدعوا الى السنه والعقل وجعله الصالحه هي التي
صالحا لنفسها وطنها بنفسها الجاه وهم فريق كثير يحصرهم بعضا واما انبت من حيث ايمانهم
رايها ولم يحكم اوائل شروط الادله ومسالمها وقرأ اطرافها ولم يتبحر دليلا والزلل شبهه واما
الشرذمه القليله فانما اعتبرها من حيث انها طنت بالجدل ان امر الامور واعلى القربات في دين الله
وعلم انه ليس كل احد دينه ما يتحجج ولم يتحجج ولم يتحجج ولم

من الجلوس في اعداد الآلات ونحو ذلك وكان ذلك في الاعلى الاسلام ونبي المغرور ان عدوه الذي حذره
مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسعد به وبني ان النبي صلى الله عليه وسلم حذا حذا ذي بصر الدين وحاذى اغير
الكافرين ونبي ما راى من الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى جوب عمر رضي الله
عنه في مرآته زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزة بغيره ثم هذا
المغرور يطلب بخز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدمقس والابريسم الحمر والخيول والمراكب ويزعم
انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحمد في اقواله او تمين ركن عليه شيئا من كلامه
لم يطق نفسه ان ذلك حمد ولكن قال انما هذا عصبت لله تعالى ورد على المبطلين في عداوته وظلمه وانما يطلق نفسه
الحمد حتى يتقدد انه لو طلع في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوجه فيها هل كان يغضبه وعداوته
مثل غضبه الآن يكون غضبه لله ام لا ويحسب مهما طلع في عالم الحرم ومنع ما يفرح به فيكون غضبه
لنفسه وحميته لا لقرآنه مرحت باطنه وهكذا يراي باعماله ويعلومه واذا اعطره له خاطر الرياء قال
هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل افساد القلوب ليهدوا الى رب الله ويخلصوا من عقاب الله وانا
سامل المغرور وانه ليس يفرح بافساد الناس غيره كما يفرح بافسادهم به فلو كان غرضه ما ذكره
صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان سبب له عبد موصى يريد معلم الخير مهما انه لا يفرق بين ان يجعل سلم
على يده او على طيب آخر وربما يذكر هذا له خاطبه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانه اراد الاعتداد في
كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقول الخلق هذا ما يظنه نفسه والله يطلع من ضميره على
انه لو اخره بين ثوابه وقبول الخلق واحبا العلم اكثر من ثوابه في الاطهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد
بالسلاسل الاحبال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي هو يظهر رياسته من تدريس
او وعظ او غيره وكذلك مدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا اخطره له ان التواضع
للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع فيما لهم فاما انت فمعرفتك ان
تنفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شرا عدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض
اقرانه حول عدو ذلك السلطان فصار ينفعه في كل ما حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين بفعل ذلك عليه
ولو قدر على ان يسعى حاله عند السلطان بالطعن فيه والتحذير عليه لفعل وكذلك قد ينهى عن رؤية بعض
الحق ياخذ من ما لهم واذا خطره له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو مصالح المسلمين
وانت امام المسلمين وعالمهم فيك قوام الدين فلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فتغتر بهذا التلبيس
في مثله امور احداها انه لا مالك له فانه يعرف انه يتخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذمة ان ضمهم احيا
واولاد ضعيفا وتعمر احيا وعايته الامر وقوع الخلط في اموال المسلمين ولا فرق بين ان يخلط ما له بما لهم
او ما له بما لهم وبين ان يخلط ما له بما لهم ومن يحب ما له دينار من غيره انفس وخلطها ما لا خلاف
فاذا خلطها بالاخر الثاني فموله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الدين يسد بسهمك واسمك
اموال السلاطين وغرضي طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة فيه اكثر من الدين وقد
هو الذي يفسدي به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل الدين وقوام مذهب الشافعي والامام
الدين يعتدي به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا كما فعل بني اسرائيل وعلماء السلف والرجال هو الذي
تركه الخلق الى الورع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وسياتي
ذكر ذلك مبينا بالقليل على الكثير وفرقه اخرى اعلموا العلم وظهور الجوارح وزينوها بالطاعات
وطلب العلو وجاهدوا النفس في الشهوات وفلوا عوامل القلوب منها الحقد والحسد والكبر والحقد
مغرور واذ نعت في رواية القلب مرحبا بما كايد الشيطان وحبا باخراج النفس مادق وغمر مدركه
لم يتطوا لعلوها واهلها واعمالها من مزيد سقمه الورع من الخشية وما عليه وتشرع في كل خشية
من اصول الخشية تعب لطاف ما يسطيحت التراب ما عملها وهو يظن انه قد ظفر وبر وكان قد بلت
في عقله وربت وفهمت وافسدت اصول الورع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد تفعل جميع ذلك ويدخل
عن الوقوف الحقاباه التفقد للدقائق ومراعاة سير لبله ونهاره في جميع العلوم وقد بينها وحبس العالمها
وجمع المصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله وبسر سريعه ولعبا باعثه الخفي هو طلب
الذكر واستشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الاماكن وانطلاق الالسنة عليه بالثناء
والمدح بالزهد والورع والعلم والتقدم في المهمات واياثره في الاعراض والمراجعة جوله لرياسته
والتلذذ بحس الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه
والتفرج بكثرة الاصحاب والمسقدين والكسور بالتخصص بفوائد الخاصة من بين سائر
الاقران وهذا مثال الجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتقشف من الالوان لسان الفرع في الكاذ

الفضيلة

المقبلين على الدنيا الاعن تجمع مصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتدادا بالتحقق ولعل هذا المكر المغرور
حيائه الباطن ما استظهر له من امور وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تعرف عليه الله لوب واستعد
فيه خلاف الزهد مما يظهر من اعماله وعساه تسوس عليه قلبه وعمله اوراده ووظائفه وعساه يعتذر
بانكاره لنفسه وبما يحتاج الى التزكي بتعظيم تعظيمه عنه وعمله يوثر ما لكرامة والمراعاة
من عقد فيه الزهد والورع وان كان ذلك اعقد فيه فوق قدره وضيوا قلبه عن عرف فضله ودرجته ان
كان ذلك لانه اطوع له واسع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعله يستفيد من
منه وبر عبوث العمل وهو يظن انه يعمل لله تعالى لاخلاصه وصدقه وقيامه في علمه لوجه الله تعالى بايثر
على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يعقد مع نفسه نصحي التيقظ فيه وعساه لو وعد
بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول في العزلة واخفاء العالم لرغب لعقده في العزلة كما اخفاه الله تعالى عن
الرياسة ولعل اصل هذا هو المراد بقول الشيطان من غرني من بني ادم انه يعلمه امنع مني معلمه وفي هاتين
وليحله بصفة يتعهد فيه طانا انه جمع علم الله ليسمع به واما يريد به استطارة اسمه في الناس
ملوا دعا مدح نصيفه وجاء عند اسمه ونسبه الى نفسه تعالى عليه ذلك مع علمه بازوان استطارة اسمه في الناس
انما يرجع الى نصيف والله عالم بانه الصيف لامراد عاه ولعل في نصيفه لا علوا من الناس على نفسه انما هو
بالدعاوي الطويلة العريضة واما ضمنا بالطبع في غيره ليستبان من عنه في غيره انه افضل من طبع فيه واعظم
منه علما ولعد ضمنا في عينه عن الطبع فيه ولعله يحكي من الكلام المزخرف ما يريد تزيينه معنويه الى قائله
وما سمعته لعله يعزيه اليه ليعلن انه من كلامه حيثه بعينه كالسابق له او يعوادي بغير
كالذي يسرق بضاعة فيا حتى ابعرف انه مسروق لعله محمد في نشر العالمة وتصحيحه وطهر نقله
كي لا يعيب الى الركاكة ويرى ان عرضه مروج الحكمة وتحسينها وتوطينا ليكون اوقع الى نفع الناس
وعساه عاما في اشاعة ذي بعض الحسنات ووضع لمثابه مصحف في الحكمة فاوجع الله تعالى الى زمانه قلة مدلات
الارض بقيا عاما واي اقل من بقائك شيا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغرور ان اجتمعوا وطن كل
واحد نفسه السلامة من عيوب القلب وحتما ياه فلو افرموا وابتغ كل واحد منهم فرقة من اصحابه
فطرق كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا من غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان يعلم
ان غيره اكثر اتبعوا كثرة الاتباع منه ذم اذا نفروا واستغلوا الا ما اداه بقايا وما كاسدا ولعل
من تخلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره تعلل على قلبه وحذر نفسه نفرة منه بعد ذلك لا تقتر
باطنه لاكرامه ولا تسمر لصاحبه كما كان يستمر قبل وكما هو على الناس عليه كما كان ني
مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحرم منه الى منه اخرى كان انفع له وهو يسد لاقه من الاخلاق
كان لجهله بهذه النفيه وسلامته عنها وتلك النفيه ومع ذلك ملا نزول النفرة عن قلبه ولعل
واحدا منهم اذا اخرجت فيه مبادي الحسد لم يقدر على الظهار ضيقا بالطعن في دينه وفي ورعه ليحل
عضيه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح وان ابتي عليه
انما ساء وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه بظهر انه كاره لغيبة المؤمن مسر عليه
راضي به ومريده والله مطلع عليه في ذلك بعد وامثاله مرحبا بالعيوب لا ينظر الا الاكابر
ولا يتنزه منه الا اولوا العزم فيه لما ناس العمى الا ان الرجاء ان يعرف الانسان في يب نفسه
ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سوء
حسنته وسايه سيئته فهو مرجو المال وامره اقرب من المغرور الذي كيفه الهرب الله تعالى وعمله
الظاهر مرجا رحله فدهور بالله من العمل والاغترار ومن الجهوفة لحبا بالعيب مع الاهمال هذا غرور الذي حاطوا
العلوم المهمة ولكن صوا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذي معوا من العلوم ما لا يهمهم وتركوا
المهم هو يدبه بتعسر واما الاستغناء عن العمل ذلك العلم واما لاقصارهم عليه فمنهم من قد اقنعوا
على علم العقاوي في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيا وهذه الجارية من الحلول الصالح
المعاشي وحصر اسم النفقه بها وسموه النفقه وعلم المذهب وربما ضعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة
والباطنة فلم ينفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين
وكذي سايرا الجوارح ولم يحرسوا اما ويهم عن الكبر والرياء والحسد وسايرا المهلكات مهولا مغرورون
من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثال
المريض اذا تعلم سنجه الدوا واستعمل بكراره وتعلمه لابل مثال مريض به علة البواسير والبوسام وهو
مشغول على الهلاك بحاجة الى تعلم الدوا واستعماله واشتغل بتعلم دوا الاكلة خاصة وتكراره وتفنن
ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض واسمي اخر ولكن يقول بما يقع عليه لا استحاضة لامراه وسالني
عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد سلط عليه جب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والرياء وسايرا المهلكات الباطنة وربما يحتقه الموت قبل التوبة والاولى في الله
وهو عليه عصاني فرق ذلك كله واشتغل بعلم السواك والاجارة والطهارة واللعان والحيض والاحتقان
والرياء والدعاوي والبيان وبكتاب الحيض والاحتياج الى مثل ذلك قط نعم غيره لنفسه اذا
احتاج غيره كان فرض الكفاية كفرة فيشغل به لذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة
وقد ذهاه الشيطان ما تبصر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشتغل بالفرض وهو يدبه وليس يدري ان

وعلى الصراط الاعلى وفضل الله تعالى فكيف يتكل على ما ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك
وموتك وحيوتك السابع يا اخي كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الحبس اذ قال انا اكثر
منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا عنيا جالسا بحيث يقصر فاقتصر منه وجمع ثيابه
فقال عليه السلام احببت ان يعدو اليك فقره وذلك انه يخشى ان ينفتن اما المال فكثرة
حقوقه وعظم عوائقه وسطوة العمال عليه والحية في العمامة والى المال عادوراع لا اصل
له والى اليهود من يد عليه في المال والى موله صلى الله عليه وسلم بتحسر في حله له فذا الحبيبة نفسه
اذا مات الله الارض ما كدسه فتوبخ فيها الى يوم القيامة اشاره الى عقوبته اعجابه بماله ونفسه
وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل الي يوما ذر ارفع راسك فرفعت
راسي فاذا رجل عليه ثياب حاد فقال لي ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه حلتان فقال الا ادلك
على اغبط اهل هذا الوادي فقلت بلى فقال هذا رجل عليه حلتان فقال الا ادلك على اغبط منه فقلت بلى
قال رجل يملك مثل هذا الارض مثل هذا او جميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب
ذم المال بين حقارته الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المومن ان يحب ما يثقله ويلاقيه
المومن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال باحاده من حله ووضعه في حقه ومن لا يغفل ذلك
تقصيره الى الخوض والبوار مكيف يحب ماله النوع الثامن الحية بالراي الخبيثة قال الله تعالى الغرور ان يسوء
عليه فراه حسنا وقال صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يتعمقون في الدين بعد خروج من الاسلام
يحسنون الصلوة عند قراءة القرآن لا يجاوز صلوتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه سيماهم التحليق رؤسهم ثلاثا طوبى لمن قتلهم وقتلوه
كلما طلع منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم فاذا خرج بددهم الا اذا خرج بددهم
فوقه سيماهم التحليق رؤسهم ثلاثا طوبى لمن قتلهم وقتلوه كلما طلع منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم فاذا خرج بددهم
والاكياس هم الذين اراد الله ان يصلحهم فجعل صدورهم صيقلة حجبة كما صفت صدور هم للاسلام والهدى والمعروف هم الذين اراد
الله ان يصلحهم فجعل صدورهم صيقلة حجبة كما صفت صدور هم للاسلام والهدى والمعروف هم الذين اراد
ليكون بعد ابه نفسه كفلا ويقي الحي فاغر الفوه فاتحا والشيطان لباسا ومن كان هذا حاله اعمى فيقوى
الاجره اي واحمل سبلا واذا عرف ان الغرور هو الاسباب ومنبع المهلكات ما ينبغي ان يشرح هذه اعمى فيقوى
ومجاريه ونفصل ما يندرج تحت نوع الغرور وفيه ملحذيره المريد بعد معرفته حقيقته فالموفق من عرف
مداخل الافات والفساد فاحذرها وتحرز منها جاهدا حذره وبقي خلل الغرور والبصيره امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور
واصناف المغترين من العصاه والعلماء والعابدين الذين اغتروا بامور اعملها ظواهرها القبيحه
بسرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وعقلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر ما عمي ولطف يحتاج
التنبيه على امثله نعني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيره ولكن نحصر اربعه اصناف الصنف الاول
من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفه الصنف الرابع من ارباب الاموال
والمغترون كل صنف وقوع اغترارهم بخلقه صنف من راى المنكر معروفا كالذي يعد
المساجد ويزخرفها من المال الحرام وصنف من لم يسع ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله فلا يراعي
الذي عرضه الغرور الجاه وصنف من يترك الامر بشغل بغيره وصنف من يترك الفرض ويشتغل بالنافله
وصنف من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكثر همه في الصلوه مقصورا على تحسين ظاهرها
الى غير ذلك من مراعاة ادنى الفرض وضرب الاهمله ونسيان الاهم الاشد فالغرور يدرك عرور العلماء ولكن بعد
بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته واسمائه اعلم ان من
نقلي ما نذكره لك اياه الدنيا ما يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكن غركم بالله الغرور
واريتكم وعن نكم الامانى الاباطيل كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جدا
نور الاكياس وفطنهم حرف يضوء سعير الخوف ما حملها ذره من حب الدنيا فهوى ويقين
افضل من الارض من المغترين وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم
الغرور لان الغرور عباره عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشيء على خلاف ما هو به والغرور
جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور معذورا فيه محمودا وهو الذي نعرفه
فمهما كان المجهول المعتقد سببا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل سهله وحمله فاسده
يطرد ابعاده ليلا يكون ذلك السبب جهلا حاصلا به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
وميل اليه الطبع عن شبهه وحديه من الشيطان في اعتقاد انه على خير اما في العاجل او في الاجل
عن شبهة فاسده فهو مغرور وكثير الناس يظنون انهم على الحق وهم مخطئون فهم كثير الناس الذين
مغرورون وان اخلفت اصناف غرورهم واختلف درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اشد من الغرور
والطفر ها واشدها غرور الكفار وغرور العصاه والعساق وموردها اصله لطيفه الغرور المنال
الاول غرور الكفار منهم من ينكر الحياه الدنيا وهم من ينكر هم بالله الغرور اما الذين ينكرون الحياه
الدنيا فهم الذين قالوا الحياه حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم
وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخره شك فالاشك اليقين بالشك فهذه
اخبثه فاسده تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين
الاستاذ يقوله تعالى الذين استحبوا الحياه الدنيا على الاخره فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج
هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان تعرف قوله تعالى
ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وابقى وقوله والاخره خير وابقى وقوله وما
الحياه الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياه الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك طوايف من الكفار فقدره وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان فهو معهم من غير شك
الله ايعاك الله رسولا فكان يقول ينبغي ان يصدق هذا الايمان العامه وهو مخرج من الغرور وسل هذا
منزله تصديق الصبي والده في ان حضور الملعب خير من حضور المكتب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا
واما المعرفه بالبيان والبرهان هو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي يظنه هو الشيطان فان كل
مغرور فملبوسه سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل مفيد قياس يفيد العلم ويورث اليقين
اليه وان كان صاحبه لا يتصوره ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء ما كقياس الذي قاسه ابليس
اصلان احدهما ان الدنيا تفنى والاخره تبقى والاخر قوله الفاجر خير من النسيء وهذا اهل
الملبس فليس الامر كذلك بل ان كان الفاجر من التحبيبة في المقدار والمقصود مقدورا وان كان

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع
المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مفاتيح الامور وبيده مغاليق الحجرات والكسور ومحرم اولياءه من الظلمات الى النور
ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مفتاح الخيرات وكاسر الدهر بما يطرقه من النوائب
الحيوة الدنيا وما لهم بها من علم ان هم الا يظنون الغرور ونعوذ بالله من الغرور ونسئله ان يعصمنا
مفتاح السعادة السقط والفطنه ومنع السفاوه الغرور والغفله فلا ملجا لله على عباده اعظم من الايمان
والمعرفه ولا مسلك اليه سوى استراح الصدر بنور البصيره وانما اعظم الكنز والعصمه والواعي
البيان سوى على الطلب بطلبه الجهاله فلا كاسر لارباب البصائر فلو بصر كسكوه فيها مصباح الصباح
زجاجه الزجاجه كانها كوكب دري يوقد من شجره مباركه زيتونه لا شرقيه ولا غربيه يكاد
صفيها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمقصود فلو بصر كلمات ما لجم لحي بعينا لوح من قوله سوح س

او صح من اصل العين بل خلقك وخلق لهمتك وخلق فيها القوه والقدره والصحه وخلق لك العقل
والعلم وخلق لك الاراده ولو اردت ان تشاء من هذا غير شيء لم تقدر عليه ثم خلق لك اعضاء
مسددا باحتراعها من غير مشاركه من احد معه الا اختراع الا انه خلقه على ترتيب خلق عليه الحكمه
ما لم يخلق في العضو قوة من القلب اراده ولم يخلق اراده ما لم يخلق معها بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق الحكمه
هو محيط العلم عند ربه في الخلق شيا بعد شيء هو الذي خلق لك انك او حرف خلق لك وندر خلقه فيها ذلك
وكيفه الثواب على كل هو من حق الله سبحانه في كتاب الشكر فانه الذي به قارن هو ايه
ومن الان نبدل انشاء الله بالجواب الثاني الذي فيه مسلحه فاه هو ان حسبان العمل حصل بقدرتك قرين
قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك واراداتك وقدرتك وسائر اسباب حملك وحمل
ذلك من الله تعالى اليك فان كان العمل بالقدره فالقدره مفاتحه وهذا المفتاح بيد الله وما لم يعطك
المفتاح لا يمكنك العمل فالعباد اذا تحركت ان تهيا يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدره والاراده والعلم
وهي بيد الله لا محاله اذا ابت لو بابت حزائن الدنيا مجموعه في قلعه جبينه ومفتاحها بيدها حار ولا
جلست على بابها وجوعا طعاما الف سنه لم يمكنك ان تتعلم الى دينار منها فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته
من غير بان تبسط يدك الله فتاخذه فمثل فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها وعلمك منها
فمددت يدك وتاخذها كان ذلك باعطاء الخازن المفاتيح اويما انك من غير البذل لاخذها ما لا سبك
ء انك ترى ذلك نعمه من الخازن المامونه في تحريك الدنيا حتى الكمال فربه واما الكاسر كله فتسلم
المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدره وسلطت الاراده الجازمه وحركت الدواعي والبواعث
وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى يتصارف الدفع والماعث الاوكل بك فالعلم عليك وتحريك
البواعث وصرف الموانع وتهيئه الاسباب كلها من الله تعالى ليس لك منها الا الكسر من العجايب
ان يحبك نفسك والعجب ليس اليه الامر كله والعجب جوده وفضله وكرمه وفي انباره اياك على
العباد من عباده ان تسلط دواعي العباد الى العباد كفساد على الفساد وصرفها عنك وسلط
احداث الشوق ودعاه الشر عليهم وصرفه عنك وصرفهم من اسباب الشهوات والمذاق
وزواجها عنك وصرف عنهم بوارق الخوف ودواعيه وسلطها عليك حتى تشترك الخوف وتستشعر لهم
الشر وعداد ذلك كله اليك من غير وسيله سابقه منك ولا جريمه سابقه من القاسي العاصي بل اترك
وقدمك واصطفاك بفضله والعدو العاصي واسقاه بعدله فما الفعل الجاعل بنفسك اذا عرفت
ذلك فان لا تصرف فتركك المقدور الا تسليط الله عليك داعيه الا يخذ سبلا الى مخالفتها
فكانه اذا اصرك الى الفعل اركسه فاعلا لضدها فله الشكر وللنه الملك وسائر اسباب
التوحيد والتوكل من سياق تسلسل الاسباب والمسبات ما سبق به انه لا فاعل الا الله وحاز
سواه والعجب من شعبه اذا رزقه الله عقلا وافرا من افاض عليه المال من غير علم منه كيف متعين
قوده يعني وانا العاقل الفاضل اما فاض على هذا النعم الدنيا وهو الجاهل العاقل حتى يكاد ترى هذا
ظلما والذي المقدور انه لو جمع لهذا العمل والمال معا لكان ذلك بالطلا اسبه في ظاهر الحال
اذ يقول الجاهل العقير يارب لم جمعت له بين العقل الغني وحرمتني عنها فعلا جمعتها الي وهلا زويتني
احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قال ما بال العقلاء فقيرا قال ان عقل الرجل يحسب
عليه من رزقه والعجب ان العاقل العقير يرى الجاهل العقير احسن حالا من نفسه ولو قيل للعقل
الموهوم له وعناه عوضا من عملك وفقرك لاسبع عنه فاذن ذلك يدل على ان نعمه الله عليه
اكبر مما تحسب من ذلك والمراه الحسنا العقيره ترى الجمال والجوهر على الدميمه الصحيحه فتحب
ويقول كفء فخر هذا الجمال من الدنيه وحصر تعامل ذلك الشيخ والا يدري المقدوره ان الجمال يحسب
عليها من زهاوة ما لو خرب من الجمال وبين الشيخ مع الشيخ لانزف الجمال فادن نعمه الله عليها اكثر
وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يارب لم منعتني الدنيا واعطيت الجهال كقوله اعطاه الملك
فرسا فيقول الفقير الملك لم تعطني العلاج وانا صاحب فرس فيقول كيف تحب هذا لو لم اعطك
الفرس فيقول اني ما اعطيتك اصارت بقي عليك وسلته لك وحجة تطلب بها بقيه اذي فيه
اوهام لاحلوا الجمال عنها ومساجمع ذلك الجهل ومزال ذلك بالعلم الجواب ان العبد وعمله
واوصافه كلاه لك من عند الله نعمه ابتداه بها فعل الاستحقاق وهو اعني العجب والادلال مورث
الخضوع والشكر والخوف مزري النعمه ومعرف هذا المنصور ان يحب بفعله وعلمه ان ذلك من الله تعالى ولولا لطفه ما اردد عليه اسلم يارب عاما بي ليلة الا ياتيني زيادة ونقصا
في يوم الا واتاني ورد صباح ومساء وروايه قائم ساعه من ليل او نهار الا وجاءني من ذلك اورد
بعدك اما بصلوه واما بصوم واما بذكر فادع الله تعالى اليه يا داود ومن اين لعبد ذلك ان ذلك
لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما وفيت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انا اصاب داود

فرجه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه ما هو منه ٧ من حيث انه منسوب الى الله تعالى يا منه
ومهما غلب عليه انه نعمه من الله مهما تاسلها عنه زال التعجب بل لكن شعر نفسه فاذن التعجب هو استعظام
النعمه والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان اضاف الى ذلك ان علم على نفسه ان له عند الله
حيثما وانه منه بمكان حتى يوقع نعمله كرامه في الدنيا واستبعاد ان يجري عليه مكروه استبعادا يستعظم
استبعاده ما يجري على القياس تسمى هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك فقد يقع
غيره شيا مستعظمه ومن عليه ويكون معجبا فان استحقرها واقدم عليه ٧ فراجاب او استعظم
خلقه عن مضاهاته كان مدلا عليه قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن بعملك ولي الخير
ان صلاه العدل لا ترتفع فوق راسه وان نفسك وانت معترف بذنبك خير فان بكاءك واستدلالك
والادلال والعجب ما امدل الا وهو معجب وربما يعجب لا بدلا ذا العجب يحمل فاما استعظام ونسيان النعمه
دون توقع جزاء عليه والادلال الا مع توقع جزاء فان توقع اجابه دعوته واستكثر رزقها سياطه
ومعجب منه كان هذا بعمله فانه ٧ يعجب من رد دعاء الفاسق بكرامتك فهذا هو العجب والادلال وهو من
معدمات الكبر واسبابه بيان علاج العجب على الجمله اعلم ان علاج كل علة هو
مقابله سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض بمعالجه المعرفه المضاده لذلك الجهل فقط فلنعرض
العجب بعقار اعلمت احتقار العبد كالعبادة والصدقه والفقر وسياسه الخلق واصلاحهم فان العجب
يعرا اعلى من العجب بالجمال والقوه والنسب وما لا يدخل تحت اختياره وانما هو من نفسه فضل الورع
والتقوى والعباده والعقل الذي به يعجب انما يعجب من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه
وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري منه وعليه
من جهته غيره فهذا حمل ان العجل سحر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتصوير فكيف يعجب بما لست له
قدرته واراداته واعماله وباختياره حصل بقدرته وقوته ثم مستغنى ان يبقى ما لم يخلقه الله تعالى
بخلقه من الله تعالى عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيله يدلي بها ينبغي ان يكون العجب به جحود الله
فاعلم ان حد العجب ان يستعظم النعم عليه من غير ان يرى المنعم عليه الا بعين الصفه فيه والا وسيله
فاعجابه من نفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه ثم يجوز ان يعجب العبد بمولاه الملك
حيث يعمل الباطل والعدم وهو الا يوجد الا بسبب ولولا انه ينظر في سبب الصفات المحموده الباطنه
عما اضفى الاباء والمنعم لما اثنى بها فقال تلك الصفه ايضا هي من جمله الملك وعطيته
التي خصصك بها غير عرك من غير وسيله او هي عطيه غيره فان كانت من عطيه الملك وعطيته
اذ هو الملك ان يعجب بها فان كان كما اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك علما فمن
تعجب به وتقول انا اعطاني علما لاني صاحب فرس ولما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك
الفرس فلا فرق في ان يعطيك الفرس والغلام فهما او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه
ينبغي ان يعجب جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت نفسك الصفه من غير فلا يجدان يعجب
بها حتى راع الجميع المفرد بايجاد الموصوف والصفه فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني
بعصمتي من غيره ايتذاك بها من غير استحقاق من جهتك اذا وسيله ولا علاقه فيكون الاعجاب
بعبادته وهي العالم بعلمه وعجز الجميل بجماله وعجز العبد بعبادته لان كل ذلك من فضل الله وانما
هو محل لتيسيرات فضل الله وجوده والمحل الحاصر جوده وفضله فان قلت كيف يتصور ان اجهل
اعمالي واي انا بعلمها فاني انظر عليها فانوان ولولا انها عملي لما انظر الثواب فان كانت
فجوده له على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي صح ان يجب بها
واراداتي وحركتي جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما معنى الخوف والرجاء فانك وقدرتي
وما رصفت اذ مني ولكن الذي هذا هو الذي اكشف لارباب القلوب عن هذا

الكبر لانها لو كانت ايضا صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكانها اعجب بقا منها ما سبقه
في حب نعمها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الحوائج وبين
في بعض منهم وبين الرؤساء فيزين في اعين منهم وبين المتعلمين في اشياء منهم وحتى بين من اكثر منهم وتستصغر النعمة الله
ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي ومسكين وانا اوتيت اليوم مالا اتاكله كل يوم
من ذلك ومن اين وما معك وانت تبني بيوتا اكثر من جميع مالك وانا اصون في اليوم مالا اتاكله كل سنة
وكذلك الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي حشما واعوانا فنصح صعرا لخده
اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا
او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا كانت تلك كرامته بالمال والولد بين الله عاقبته امره
وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا فلم تكن تلك نكرامته بالمال والولد بين الله عاقبته امره
قال قوم بالنسب لنا مثل ما اوتي قارون ان له لحظ عظيم فخرج على قومه في زينته حتى
به على اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع والانصار والخدام وذلك ايضا مذموم بالعشيرة والاقارب
والناس ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة
كل ما هو نعمة ومكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا ومكن ان يتكبر به حتى ان الجهل
يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته على صنعه المجبل لانه يرى ذلك كمالا ويتعجب
به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يتجبر بكثرة الترف وكثرة الجنود والاتباع
والغلمان وبتكثر به لعنه الله كمال وان كان نخلها فيه فهذه جماع ما يتكبر به العباد
يعضهم على بعض فيتكبر من يرى نفسه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان
مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولجهل اصغاره
في نفسه بيان البواعث على التكبر واسبابه اعلم ان الكبر حلق باطن
فاما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرته وينبغي ان يسمى تكبرا او تجبرا اسم الكبر بالمعنى
الباطن الذي هو استعظام النفس ورويه قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب وباعث وهو الجهل
كما سيأتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وعلمه اوحى اليه بأنه يستعظم نفسه ويتكبر وامه
الكبر الظاهر فاسبابه كلية سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق
بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد
والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فهذه الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء
اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن ويورث الكبر الظاهر في الاعمال
والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من هو
الله مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سوء منه فاورثه الغضب حقدا وربما في قلبه
بعضه فهو لذلك لا يطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنه مسعفا للتواضع فكثير من الناس
لا يطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه ولبعضه له ولغير ذلك من
الحوادث احيانا من جهته وعلى الاكثر من قبول نصحه وعلى ان يحمد في الغدم عليه وان علم انه
يسعى في ذلك وعلى ان يسلم له وان علمه والعذر اليه وان حيي عليه ولاسباله عما عوجاله
به واما الحسد ايضا فموجب البغي والحرد وان لم يكن من جهة اليد وسببه بغض النفس
والحقد ويدعو الحسد ايضا الى الجهد الجوحي يمنع من قبول النصح وتعلم لعلم فكم من جاهل يشار
الى العلم وقد يقع في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده وافاربه جملة
او بعيدا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ويكبر
الحسد بعينه عما ان يعامله باخلاق الكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء
ايضا ويدعو الى اخلاق المتكبر من حيث ان الرجل يباطن من هو افضل منه وليس بينه وبينه معروفة ولا
محاسدة ولا حقد ولكن يسمع من قول الجوهري والتواضع له في الاسناد له حيفه من ان والله
الله افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان يتيه
عليه واما الذي يتكبر بالجاه او الحسب او الجمال فانه يتكبر ايضا عند الخلوة معه الكن معه
وكذلك لعدم تمني الاجر ثم يعجب كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من لم يعجب
الى ذلك الكذب ويترفع عليه في المجالس ويستخدم عليه في الدار ولا يرضى بما دونه في الاكرام
والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا يتجرع باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعواه
المتكبر الرياء على ادبال المتكبر يزول ان لم المتكبر انما يطلع في الاكثر

ي متكبر والاصل السبب بالفعال المتكبر بيان اخلاق المتواضعين وعجائب ما
يظهر فيه انواع التواضع والتكبر اعلم ان التكبر يظهر في سبعة اهل الرجل تصعيرا وجهه ونظره
مشيه وارادا واطرافه براسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صيرته وتكلمه وصمته
في الايراد ويظهر في مشيه ونعله وعمامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي بعاطيه الاعمال
وفي سائر قلبانه في احواله واقواله واعماله فبين المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكثر
ببعض خواصه وبعض منها التكبر بان يقوم الناس له اذا جاء ويدوم وقوفا على كرسي الله
جهة من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد والناس حوله قوم قيام وقال ابن
يتكئ يحب ان يتمثل له الرجال قيام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته
ذلك ومنها ان لا يمشي وبعه عبيده حتى خلفه قال ابو الدرداء الا ابوا الكبر يزداد ان الله نهاه امامي
خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف في عبيده اذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهره
ومنهم من حلف الحسن فيهم وقال ما يسرني بعد امر فلا العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي خلفهم اما تعظيم عبيده واما ليتفقد عن
نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب لجريدة الصلاة وايد له بالجلوس لا حد
يدين المعتبرين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحمل من يزوره خير لغيره في الدين وهو صورة التواضع
روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فعاب عليه ابراهيم بن ادهم ان يقبل مجدرتنا فاظهر سفيان قبول
له يا ابا اسحق يعيب عليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من
حوائجه بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد
العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فتحيت عنه فاخذ بيدي فجرني الى نفسه وقال لا تعلون
علي بالجبابرة واي لا اعرف متكبرا جبارا سوآمي وقال اسن كانت الوليده من وراء يد
ومنها ان لا خذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينوع يده منها حتى يذهب به حيث شاء ومنها ان
يدعى مجلسه الموضع المعلولين ويحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل على جدي عمر بن الخطاب
الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه يأكلون فجلس الى احد الاماء من جنبه فاجلسه النبي صلى الله
عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر لا يجلس عن طعامه قدوما ولا ابرص ومنها ان لا يقبل الحق
ما يدينه ومنها ان لا يواظب على سفلة الناس بل يتواضع لهم ويجالسهم ويتحبب اليهم
له صفيف وكان يكتب فكاد الريح يطفئ فقال الصف اقوم الى الضياع فاصلحه فقال ابن عمر
حضور الرجل ان يستخدم ضيفه فان فيه العلماء قال اعي اولئك ما فعل واحدا فعله وملا الضياع
ويسا فقال الصف فمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهب واما عمر وخف واما عمر وحبر
الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا خذ متاعه وحمله الى منزله وهو خلاف عادة المتواضعين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال على كرم الله وجهه لا سفل الرجل من كان اذا
حمل متاعه الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل بسطه الله حتى بلغ الى الجام وقال
ما يمنعك ان تأمر اباهريرة اقبل من السوق فيحمل جزمة حطب وهو يومئذ خليفة لعمر ان يقال
سمع الطويل لا امير يأمر اي يملك وعن الاصبغ بن نباته قال كان انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا
بيده السيري وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت علباء الله
استوى في الحمام بدرهم فحمله فعلمت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان
يحمل متاعهم الالياس ان يطلب بذلك التكبر والتواضع وقد قال صلى الله عليه وسلم السذاذة
من الايمان قال هارون لسالم معناه السذاذة فقال هو الدرن من الثياب وقال يزيد بن وهب رأيت
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها
من ادم وبعضها على كرم الله وجهه ازار مرقوع فقال يغدي به المؤمن يخشع له القلب
وقال عيسى عليه السلام جوده الثياب حيلة الثلب وقال الطاووس اي العمل ثوبي حديث فاكره فلبي
ما اقبض ويروى ان عمر بن عبد العزيز نهى عبد الله عن ان يستخلف بشرى له الحلة بالف
دينار وقيل انما اجرها لانها لو حشرت بها لما استحيا ان يركب ثمنها درهم درهم فصل في معرفة ما احمد
والمذموم من اللباس ومن الناس من يتكلف لبس الثياب الرفيعة ويتأنق في ذلك تأنقا
يخرجه الى حد السرف ومنهم من يتكلف لبس الثياب الدنية ويتأنق في ذلك تأنقا يخرجه الى حد
الشهرة وكلا الطرفين مذموم والاقتصاد في اللباس محمود وهو ان يقصد بلبسه دفع الحر والبرد
وستر العورة والتجمل بما لا يزري بأمثاله من اقرانه ولا يخرج عن عادة اهل بلده وقد قال
الله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير
فاشار الى ان الغرض من اللباس ستر العورة والتجمل بالريش والتجمل بلباس التقوى
ان يلبس ما يلبسه اهل الدين من الصوف والقطن والكتان وما اشبه ذلك وقد كان
الله عليه وسلم يلبس الصوف والقطن والكتان ويلبس الخز والفرو والقباء المحشو بالقز
ويلبس الخشن والناعم ويلبس الثوب الذي ثمنه درهم والذي ثمنه مائة دينار وكان
يلبس ما يجده ولا يتكلف ما لا يجده وكان يلبس ما يلبسه اهل بلده وكان يلبس
الثوب الذي فيه رقعة ويلبس الثوب الذي فيه علم ويلبس الثوب الاحمر ويلبس
الثوب الاسود ويلبس الثوب الابيض ويلبس الثوب الاخضر ويلبس البرد ويلبس
الكساء ويلبس القلنسوة ويلبس العمامة ويلبس القميص ويلبس السراويل ويلبس
الرداء ويلبس الخف ويلبس النعل ويلبس الشراك ويلبس الخاتم ويلبس الخاتم
في يده اليمنى ويلبس الخاتم في يده اليسرى ويلبس الخاتم في خنصره ويلبس
الخاتم في بنصره ويلبس الخاتم في وسطى ويلبس الخاتم في سبابته ويلبس
الخاتم في ابهامه ويلبس الخاتم في فصه ويلبس الخاتم في نقشه ويلبس
الخاتم في فصه ونقشه ويلبس الخاتم في فصه ونقشه وكان يلبس الخاتم
في يده اليمنى ويلبس الخاتم في يده اليسرى ويلبس الخاتم في خنصره
ويلبس الخاتم في بنصره ويلبس الخاتم في وسطى ويلبس الخاتم في سبابته
ويلبس الخاتم في ابهامه ويلبس الخاتم في فصه ويلبس الخاتم في نقشه
ويلبس الخاتم في فصه ونقشه ويلبس الخاتم في فصه ونقشه وكان يلبس
الخاتم في يده اليمنى ويلبس الخاتم في يده اليسرى ويلبس الخاتم في خنصره
ويلبس الخاتم في بنصره ويلبس الخاتم في وسطى ويلبس الخاتم في سبابته
ويلبس الخاتم في ابهامه ويلبس الخاتم في فصه ويلبس الخاتم في نقشه
ويلبس الخاتم في فصه ونقشه ويلبس الخاتم في فصه ونقشه وكان يلبس

القيامه وقال بعضهم ملعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اهدى الله عبدا الاسلام وحسن
صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه
وسلم اربع لا يعطهم الله الا من يحب الصمت وهو اول العباده والتوكل على الله والتواضع والزهد في
الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعه
وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعه فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يطعم مجذوما فجاء رجل اسود به جذري فدفعه فجعل الجليس الى احد الاقام من جنبه فاوحى
النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه لعسى ان يحمل الرجل الذي في يده من كون
معناه لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال عليه السلام ما لي ارى عليكم حلاوه العباده
قالوا وما حلاوه العباده قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا
لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذله وصغار الا قال عمر
رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله حكمته وقال ابن عمر رحمه الله واذا تكبر
وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال احيا حماك الله فهو في نفسه كبير وهو في اعين الناس حقير
حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله استعبت مره الى بحره بمهارة لي
اقدا استقبل بطلع له وقد حاز ذيب الشمس الطلع فسوبته عليه ثم از الرجل استقط فاذا هو سلمان
الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه
الله يوم القيامه يا جرير واندري ما ظلمه النار يوم القيامه قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم
في الدنيا وقالت عايشه رضي الله عنها ان كم لعلقر افضل العباده التواضع وقال يوسف بن اسباط
يجزي على الدرع من كثير البغي ويجزي على اليسير التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن
التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس
قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في دينك وفضله حتى يقال
انه ليس يرتفع عليه وقال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك نعمه فاستقبلها بالاستكانه
انعمتها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمه في الدنيا فيتكرها لله ويتواضع بها لله الا
اعطاه الله تعالى افضل منها في الدنيا ورفع له بها درجه في الاخره وما انعم الله على عبد من نعمه في الدنيا فلم
يستكرها لله ولم يتواضع بها لله الا سفهه الله تعالى في الدنيا وفتح له بها باب من النار يعذبه ان شاء
او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدره وزهد عن قدره
وترك النظر عن فوره ودخل ابن السماك على هارون فقال يا امير المومنين ان تواضعك في شرفك
اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين ان امرا اتاه الله جمالا في خلقته
وموضعا في جسمه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب
في ديوان الله من خالص الله فدعا هارون بدواه وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان داود عليه
السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجلس الى المساكين فيقعد معهم ويواسيهم
مع المساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في ثياب الدون فكذلك فاكره
ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعه ويروى انه خرج يوسف بن ايوب والحسن يتذاكرون التواضع
فقال لهما الحسن اندرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك
فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اعرف قوما رفيع سمحت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه
الله فوق الجبال وجعل قرار السفينه عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين
فلم يجد فيها اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه بمقربه الكلام وقال ابو بشر بن عبيد
وقد انصرف من غاب لم اسئك في الرحمه لو لا اني كنت معهم اي احتى افرح بما يسرهم
وبقال ارفع ما يكون المومن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله
ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجره التي لا ثمر
وقال ملك بن دينار لو ان منادا ينادي على باب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يستقي
احد الى الباب الا رجل يفضل قوته او سبع قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال لعلها صاحب ملك ما الا
وقال الفضيل من احب الرياسه لم يفلح ابدا وقال موسى بن العباس كانت عندنا نزله ونحن
حدثا فذهبت الى محمد بن مقاتل فعلت له يا ابا عبد الله اب اما ضا فادع الله عز وجل لنا فقال

[illegible]

تصوفون وتعلمون وتصدقون ولا تعملون ما تقرؤون وتعلمون ما لا تعلمون فيما تقرؤون ما الذي تكرهون وتحبون ما الذي
والامانى وتعلمون الهوى وما تعنى عنكم ان تتواجدوا بكى وتطربكم دنسه فجوف افئدتكم اكثر نواحا ام عجرح
منه الدقيق الطيب ونبقى فيه التراب وكذلك اثم خروج الكلم من افواهكم على قدر ما يطهر العلم صدوركم ما عبد الدنيا
كفعل فجور الاخرة من تقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع بمجاوزته فجوف افواهكم اشد نتنا وتكلمكم على قدر ما
الدنيا بخلت السنتكم والعلم يطيب افئدتكم حتى انك لتجد الرجل منكم فصاح دنياكم احب اليه من عرض صاحبه
الاخرة فاى الناس انفس منكم لعلكم ان تعلموا وبكم حتى يعلم الطريق للمريد ومعلوم ان المتحيرين عالم زهد فى علمه
الدنيا لتحيرها لكم مهما ملأوا بيوتكم العلم الا تعلمون ان وضع السراج فوق طعامه ومنتن
مظلم فقد ذلك لا يغنى عنكم ان تكونوا علماء وانتم جهال ما اذا تعلمون واجوافكم منه وحشة معطلة باعبد الدنيا لا تعبد
انبياء الله اكارم الناس يوشك الدنيا ان تلعقكم من اصولكم فتلفظكم على وجوهكم تكم ثم تاجرا
ثم تاخذها باكم بنو اسرائيل بدنيا كم ان العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الدنيا فرادى ميتو قلبكم
على ستة انكم ثم يحيى كم يستوى الكم ان العلم قال الشرف رحمه الله اخراى فعمرا على العاجل عاد وجل اخرة مشتى
الناس عبدوا عرض الدنيا ودنعها واخروها والعلم الاخرة واذا لها الدنيا فالعالم الدنيا مسرور ممزوج
وفى الاخرة هم الخاسرون ان معصوا الله الكريم بفضله ويعبدونى رب العالمين المولى للدنيا مسرور ممزوج
بالتغيير مشغول عنه افراح الصوم وفنون المعاصى والتلف والبوار نصيره ما افظعها وبه ما اجلها الا فرا فيه الله
يسأله وضه خير الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما اكبرها على الدين ما اصغرها
اخر الحى لا تذكر الشقاء واولياؤه من الانسيين ما الدنيا عند الله فانها كانت على الدين ما اصغرها
المعاصى وبرواجها ونزعموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعدون المفتون الذى يحب المال
الناس على جمع المال ولقد ظهر الشيطان ما يشعرون وعلما لها المفتون الذى يحب المال عبد الرحمن عوف
مكيده من جمع المال يطغى بها على لسانك لعلك لا تنك منى عنك ان اخبار اصحابه ارادوا المال لينكروا الترف
والزينه فقد اغبت السادة وتسنيهم الى الله عليه وسلم ونعت ارجح المال الحلال واضل من تركه فقد
ان يحب محمد صلى الله عليه وسلم ورسوله وتسنيهم الى الله الدرجه والزهد فى هذا الخبر الذى رغبت فيه انت واصحابك
من جمع المال وتسنيهم الى الجهل اذ جمع المال كما جمعت ومتى رغبتا ارجع المال الخير لاده فقد غبتهم
رغبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنع جمع المال وقد علم ان جمعه عن جمع المال ما حظا عليهم
جمعك حين جمعها هو عن جمع المال كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا ما حظا عليهم
مستفقا وتصدقوا ومتى رغبت ارجع المال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حتى يجمعها هو عنه وانت علم بانى المال الخير
وقد علم الرجع المال الخير يصب افرغت ان الله يعلم ان الفضل فى الجمع فلذلك جمعها هو عنه وانت علم بانى المال الخير
والفضل فى ذلك رغبت فى الاستغنا وكانا علم بموضع الفضل والخير من ذلك علم ان عبد الرحمن عوف
تدبير ما دهاك به الشيطان حين ترك الاجتماع بما لا يجتمع بما لا يجتمع بما لا يجتمع بما لا يجتمع بما لا يجتمع
له واجره لخبر ما قبل ابو ذر يقبض الارض طلب كعبا حتى انتهى الى دار عثمان رضى الله عنه فلما جلست
عثمان هار ما زال يرد على مقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية ما زال يرد على مقالا حتى ظننت ان بعد
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فخرجت احدا وانا معه مقال يا ابا ذر هلمت لبيك يا رسول الله مقال الا اكون
م الا ملوك يوم القيامه الا من اعطاه الله خيرا فنفسه وشماله وقدامه وخلفه وقليلا ما هم مقال
يا ابا ذر ملت لبيك يا رسول الله ما بابى انت وامى مقال ما يسرنى ان لى مثل احد انفقه فى سبيل الله اموت يوم اموت فاترك
منه قيراطين مقال يا ابا ذر وانت تريد الاكثر وانا اريد الافضل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هدا وانت تريد هذا
يا ابن اليهودية لا يسرنى ما ترك عبد الرحمن عوف فكذبت وكذب من قال فلم يزل عبد الرحمن عوف حتى خرج من بلغنا
عبد الرحمن عوف قد مت على غير ما ظننت فما قالت عبد الرحمن عوف قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول عبد الرحمن عوف يدخل الجنة حبوا فلما بلغنى ذلك عبد الرحمن عوف قال ان استطعت لادخلنها معك
يسلم يقول اى رب الخير ورايت الفقراء والمهاجرين يدخلون الجنة قبلى فقلت ما هذا افضل عبد
الرحمن رايته يدخلها حبوا معهم حبوا فاتى عبد الرحمن العوف ملعلها فى سبل الله وان اذا ها احدا يعلى
ادخلها معهم سعاوا فاتى النبى صلى الله عليه وسلم قال العبد الرحمن ان اخبار اصحابه ارادوا المال لينكروا الترف
كدف ندخلها الاخبرا وبحك انها الفقوس انما اصحابك مالا فى هذا حد المال الذى ترك عبد الرحمن عوف
المعروف منه وبذله الاموال فى سبيل الله مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائل المعروف وانفق منه فضلا واعلى
عرصه القيامه واهو الهاسب مالكيسه فرد المال التقف ولصنايع المعروف جنانا فاطلك بامثالنا
سبيل الله سخا منع مزايا الخير الى الخير مع العسير الهاجرين بصاحبه اوانا ومتى كان لبعد ادساخ
الناس وهو سفلة فى البهوات والزينه والماهاه وتقلب فى فضل الهائم كحبى بعد الرحمن عوف فنزعت ان
جمعت المال صفحه الصحابه كانك اشهت السلف فعلهم بحبك ان هذا لبعد الرحمن عوف رضى الله عنه
لك اجوالك واجوال السلف لتعرف مناقبك وفضل الصحابه ولحى لهذا كان بعض الصحابه امر الاراده هما
للتعفف والبذل فى سبل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا فقصدا ولم يملوا سعيا جهادا فجاهدوا

نصوفون

البوشنجي

ء الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى
ماكتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال يا رب اي عبادك اغنى فقال الذي لم تعلق
اعطيته قال فاي عبادك ارضى من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث
في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايها الناس ان الله لا يعجل لعجلة احد منكم شيئا ان الدنيا لم تكن هما ولا مبلغ علم وان الله
قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اسندت اليك الحرفة فعليك بوعفر وكور من ماء على الدنيا الدمار وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس وارض للناس
ما ترضى لنفسك تكن مؤمنا وقال صلى الله عليه وسلم على الطمع مما رواه ابو يوب الانصاري ايها الناس صلى الله
عليه وسلم قال يا رسول الله علمني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه غدا واجمع اليأس عما
في ايدي الناس وقال عمر بن مالك الاسجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون
رسول الله فقلنا علام نبايعك يا رسول الله قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا
وكلمة خفية
قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من يئس عما عند الناس استغنى عنهم وقال بعض الحكماء ما الغنى
الا عز بلا سلطان وهيبة بلا عشيرة وانس بلا مال وقال بعض الحكماء ما الغنى الا في الامن والقناعة وما الفقر الا في
الخوف والطمع وقال بعض الحكماء ما الغنى الا في القلة وما الفقر الا في الكثرة وقال بعض الحكماء
الغنى في الدنيا الراحة من الدنيا وقال بعض الحكماء الغنى في الدنيا الراحة من الدنيا

صوا السبيل وانما جمعهم الى جميع ذلك حاجه المطعم والملبس والمسكن فنسرا ما يراد لهذه الامور السلمه
والعبد الذي يكفي مبناها والوقوف بمعرفه الاسباب التي اوجدها وبداعي بعضها ذلك الى بعضها وكي يمكنه فهم الوحي
منها فرض عين وجه الحاجه الى هذه الاسباب والاشتغال بعرف غايه المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفه ويعمل
لامر ما لم يعرف مقصوده وعلم يحظى ونصيبه منه وازاءه مقصوده بقدره بالوقوف والتصوره حتى لا تملك
وذلك ان يملك فيه سبيل التفصيل اذ نفت الاشتغال وفرع الفلب وعلب عليه ذكر الاخره واضرفت
الهمه الى الاستعداد له وان يعدي به فوق الضروره كثرت الاشتغال وتداعي بعض الى البعض وتسلسل الى غير نهايه
مشعب به الهموم ومن مشعب به الهموم لم يوديه الدنيا ملا بسالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا انسان
المهم كبير في اشغال الدنيا وتغيبه لذلك مطلقا فيه فاعرض عن اشغال الدنيا بقدر الضروره وانبذ كعمرو اصلح في الاعراض
ايضا حتى افضل الطوائف مطلقا ان الدنيا دار بلاء وهيه والاخره دار سعاده لكل من وصل اليها سواء انفرد
في الدنيا اولم ينفرد فراوا ان الجواب ان هذا انما يفهم للاقص من يحبه الدنيا واليه لا هب طائفه من الغير
وهم متحيرون على النار ويضلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك حلاص لهم من محن الدنيا وطنت طائفه ان الفضل
لا يحاصل الا بترك الدنيا جمله فاقبلوا على التقشف في الكل وان السعاده في قطع الشهوه والغضب
واستدعا على المجاهده وشدد واعلى انفسهم حتى هلك بعضهم بشده الرياضه وبعضهم بسد خلله وخبر وبعضهم
مرض واسد عليه طرق العباده وبعضهم عجز عن جميع الصفات بالكليه فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع
تلبيس لا اصل له عوفع في الالحاد وطائفه ظنت ان من اراد هذا الفتح كله لله وان الله مستغن عن عباده العباد
لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عباده متعبد فاقبلوا على الشهوات وسلكوا مسلك الاباحه وطووا
بساط الشرع والاحكام وظنوا ان ذلك ... صفا فوجدوا حبث العبد بها الى معرفه الله ماذا حصلت
العباد وطن طائفه احرى ان المقصود من العبادات ... هذه حتى تصل العبد بها الى معرفه الله مستغن عن عباده
المعرفه فقاروا صل وبعد الوصول استغنى عن الجهد ... بسبله غير ذكر الله والعباده وزعموا انه اذا وقع بمجلم
ما هلك لطول احصاها وابلغ بعضا وسعى فرقه واما الناجي منها فرقه واحده وهي التي كانت هي عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكليه ولا يتبع الشهوات بالكليه اما الدنيا فيوخذ
منها خذ الزاد واما الشهوات فيتبع منها ما لم يخرج عن طاعه الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوه بل يتبع العقل ولا يترك كل
شهوه ويحفظ على هذه المقصوده فيوخذ من الكسوه كذلك حتى انا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همه واشتغل
بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما للسياسه الشرعيه امرا بها حتى لا يحاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم
فضيل ذلك الا بالاقتدا بالفرقه الناجيه والفرقه الناجيه هم الصحابه رضي الله عنهم عليه آل المقال الناجي منها
واحدها بي فرقا على المنهج المقصود وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يوثرون الدنيا
بل الدين وما كانوا يهتمون بجمع المال لنفسه وما كان يهمهم من الدنيا الا ما يتقوون به على الدين
امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو واجب الامور والافراط بكل شيء
شر من التفريط كما سبق ذكره
من مواضع والسلام
والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله وسلم

كتاب

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات
ذم البخل وحب المال

من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برفده المبسوط وكاشف الضر بيده القبوطا الذي خلق الخلق ووسع الرزق
وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها فتقلب الاحوال في ردهم فيها بين العسر واليسر
والغنى والفقر والطمع والياس والثروه والافلاس وتفخر الاستطاعه والفرص والقناعه والفضل والجود
والفرح بالموجود والاسف على المفقود والانشار والاقتار والتوسع والاملاق والتيسير والتعسير والرضا
بالفليل واستغفار الكثير كل ذلك ليسلوهم ايهم احسن عملا وينظر انهم انا الدنيا خضره وحلوه والله مستخلفكم فيها
فناظر كيف تعملون فاحذروا الدنيا واحذروا النساء فان فتنه بني اسرائيل كانت في النساء
والصلاه واسعه الاركان سهله الشروط لا يعسر الا من يتعسر على نفسه بتكلفه مالا وطوى سبيله اذ بانا
لا طراف واسعة الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم خطرا ما يعد مفاتن الدنيا كثيره التشعب
واوجز كلامه فيها ان ذم المال حاصل من الغفله الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حاصل منه

اجمع الناس المنازل والبلاد وتقاما ما تولدت بينهم خصومات اذ لحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجه
وولاية للابوين على الولد اذ ضعف يحتاج الى القوام به ومنها حصلت الولاية على عاقل اعمى الى المخصومه مخلا فالولاية
على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان كانت لبعض الماء فخاصم الزوج والولد خاصم الابوين وهذا في المنازل اما اهل
البلد اصافيتها فاوقع الخصومات وشاذ عروفها ولو تركوا كذلك لتفانوا وهلكوا وكذلك الدعاء والرياب
الطاعة تتوارد دون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لاجمالها فيديم بعضهم عن الطاعة
بعض او صرح او هدم وبعضهم عوارض عليه لو فرغ حاجاتها لهلك ولو ترك لعقده الى الجوع فتحاربوا لو هو واحد
موضع سبب خفيه لكان لا يدخل له تحدث بالضروره من عاده العوارض الجائحة بالا حمال صناع صاغا خرى فيها
صاغه الطاعة التي يعاوض تعاديها الاهم كالعمه منهم بالعدل وهي صاغا صاغه الحديدة ثم اسه
البلد بالسيف ودفع الضرر عنهم وهي صاغه الملك والتوسط لفصل الخصومه وهي صاغه القياده الى الفقه
وهو معرفه القوانين الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكون النزاع وهو معرفه
حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسيه لا بد منها ولا تستقيم بها الا بعض صنوف صناعات مخصوصه
من الحيز والعلم والعبادة واذا استقلت العالم سفر نحو الصناعه اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل
البلد انهم اذ لو شغل اهل البلد بالحروب جميع الاعوام تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب
والسلاح بالصناعات لطلب المعرف تعطلت البلاد عن الجهاد فاستصر الناس فسبب الحاجه الى ان يصرف
الى معاشهم دارا قهم اموال الصنايعه الى ملك لهان كانت او تصرف اليهم العناء ان كانت
الغير او مع الكفار فان كانوا اهل دياته ودرع صغيرا بالعدل من امور المصالح وان اردوا التوسع
فيتمس الحاجه لا محاله الى ان يمد اهل البلد بما معهم كبيد وهم الحاجه تحدث الحاجات الى الخراج
ثم تولد سبب الحاجه الى الخراج الحاجه الى صناعات احر اذ يحتاج الى من يجبي لكلف الخراج بالعدل هكذا
الصناعه وارباب الاموال وهم العمال والى من يسوس ويمد بالردء وهم الجباه والمسخرجون والى من يجمع
عنده لحفظه الورق الفضه وهم الخزان والى من يعرف عدتهم بالعدل وهم العارض للعساكر
وهذه الاعمال كلها عدد لا يجمعهم رابطه الحرم الدنيا فتحدث منه الحاجه الى ملك يدبرهم
وامير مطاع بين لكل عمل يختاره لكل واحد ما يليق به ويرفع اليه فضله فواحد الخراج واعطائه واستعمال
الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعبئه جهات الحرب ونصب الامور القائد على كل طايفه منهم
الى غير ذلك من صناعات الملك فتحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يرتبهم
بالعين الكاتبه ويديرهم الكتاب والخزان والحساب والجباه والعمال هاولا الجباة يحتاجون الى معيشه
ولا يمكنهم الاستقلال بالحرف فتحدث الحاجه الى عمال الفرع مع مال الاصل وهو السعي في فرع الخراج وعند
هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوايف الفلاحون والرعاه والصيادون الجباه والنائبه الجنديه
بالسيف والنائبه المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباه واما لهم فانظر كيف
اندا الامر من حاجه الخوف والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا كانفتح منها باب
الا وينفتح بسببه عشره ابواب اخر وهكذا منها الى غير حد محصور وكانها هاويه لا نهايه لعمقها
ومن وقع في مهواه منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فعده الحرف والصناعات الا انها
لا تعم الا باموال والات والمال عارض عراعي الارض وما عليها مما ينفع به واعلاها الاعذيه ثم الامكنه
التي تاوي الانسان الهواء وهي الدور ثم الامكنه التي تسعى فيها للتفتيش كالحيوانات والاسوار والمزارع
للصيد والبقر آله الحرائه والفرس آله الحرب ثم تحدث من ذلك حاجه السعي فان الفلاح ربما سكن
قريه ليس بها الا الفلاحه والحداد والنجار يسكن قريه لا يمكن بها الزراعه فيا لضروره يحتاج
الفلاح الى الحداد والنجار فيسعى احدهما الى صاحبه ويحتاج احدهما الى ان يسير لها غدوه حتى يأخذ منه عرضه وذلك بطريق
المعاوضه الا ان الفلاح اذا طلب الاله من الحداد بالحضار ربما كان عنده طعامه في ذلك الوقت فلا يحتاج
طلا نضجه والفلاح اذا طلب الاله من الحداد بالحضار ربما كان عنده طعامه في ذلك الوقت فلا يحتاج
اليه فيعود الاعزاز اضطروا الى جاوب فجمع الاله كل صاحبه مترصد بها صاحبها ارباب الحاجات
والى ان يرجع اليه ما حاجه الفلاح من عشتر به منهم صاحب الاسباب يترصد بها ارباب الحاجات
لذلك الاسواق قد انحازت عنهم الفلاح الحرب فاذا لم يطاوعه فيها جاما عنها يجتمع حشيش من الباعه فتحدث
من انتظار ارباب الحاجات طبقا في الرجل وذلك في جميع الاصنعه والامور لم يحدث لاجاله بين البلاد والقرى
فتردد وتتردد الناس فتحدث من القرى الاطعمه ومن البلاد الالات وتتعاون ذلك وتتعضون به لتنتظم
امور البلاد فيسهم اذ كل واحد لا يوجد فيه كل الله وكل قريه لا يوجد فيها كل طعام والبعض
يحتاج الى البعض فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعضهم عليه حرص جمع المال فيتجوز
طول الليل والنهار في الاسفار والاغراض غير هم ويصير منها جمع المال الذي باكثره لا يمكنه غير هم
اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جرا الله في خلقه كم وحكمهم نظاما للبلاد ومصلحه
للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت باصلها وحسنه الهمه ولو عدل الناس وارتفع ظلمهم لزهدوا في الدنيا ولم يتنافسوا
على جمعها فصاح الى ارباب الحاجات ولكن الله اذا اراد انجاح مقاصد عباده سخر لها من يسعى فيها
الاجاره وبصير الذي يقع منها من الاكتساب ارباح تحدث فيها عامله بينه وبين مالك الرابه لنفي
ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان مقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والعمامله تجري في اجناس مختلفه

كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل متوسط بين المتعاوضين
يعدل الجهتين ويقوم بطلب ذلك العدل لعز اعيان الاموال التي يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجه اليه
تتكرر وانواع الاموال المعادن ما حفرت المعدود من الذهب والفضه والجواهر من تحت الحاجه الى الضرب
والنقش والعدد يحدث الحاجه الى دار الضرب والى الصارفه وهكذا في بداية الاسعار الاشياء
بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما تراه فهذه استعمال الملوك وهي معاشهم وبني من هذه الطرف لبيك مباشرته
الابنوع تعمل وتعب الانكار ونه الناس من تعمل عن ذلك في الصبي فلا استعمال به او يمنعه عنه مانع فسعى عاجزا
عن الاكتساب لتجزه عن الطرف فحاج الى ان ياكل مما سعى فيه غيره وحدث منه حرمان حيسان المعصوم
والكديه اذ جمعها انها واكلان من سعي غيره هاهنا الناس فحرمن من المعصوم والمكرمن ويحتاجون اموالهم
فاصبروا الى صرف عظم لغرض استيفاء الاعمال والناس اما المصوم فيمنع من يطلب اعوانا ويكبر
يديه سوكه وشره فيحتمون ويكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب واما المكرمون فيتخذون
منهم من يعجز عن الحمل اما بالنقب والتسلق عند انهماز فرصه الغفله واما بان يكون طرارا او سلالا
الى غير ذلك من انواع التلصص الجاد نه عجب ما انجحه الافكار المصروفه الى استنباطها واما
المكدي فانه اطلب ملسق فيه صوره عمل له ابرع واعلى كما عمل عنرك مالك وللبطاله فلا يعطى
شيا فيضر والاجله في استخراج الاموال يعمد العدو لا يعصمهم من البطاله فاحتاجوا للتعمل بالتعطي
اما بالحقيقه كصناعه بعوزا لا دهم واستعمرها لحله والبقذوا بالكهي فيعطوز واما بالتعامي والتغافل
والتغابن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع سازان تلك الحيله اصابت من غير استحقاق وليكون
ذلك سبب الرحمه وجماعه بلصوصون انعاما واقوالا ينجي الناس منها حتى ينشط فاولهم عند
مشاهدتها حتى سهر ابرفع البدعن قليل من المال جال النجي ثم قد يحدث بعد ذلك النجي
او الكذاب المشور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزن اسند ما يتراءع النفس ما سيما الاكان فيه بعض
يتعلق بالمذاهب كاستظهار رمضان لنجاه وفضايل اهل البيت اما الذي يحرك داعيه العشق من اهل المجانه
كصنعه الطابين في الاسواق وسلم ما شبه العوض ليس بعوض كصنع البغوزيات والحشيش الذي يحل
بالبقه انه ادويه تحدث بذلك الصبيان والمجاذيب كاصحاب البرعه والقالس المحسن ويدخل في هذا الجنس
الوعاظ المكدون على رووس المنابر اذا لم يكن وعظهم طابلا على وكان غرضه استمالة قلوب الفواغ
واخذ اموالهم وانواع الكديه تزيد على الف نوع واعين وكل ذلك استنبط بدفع الملك لاجل المعيشه
فهذه هي استغلال الملوك اما لهم التي اكبوا عليها وحرصوا الملك كله للحاجه الى التلوف والكسوه ولكن
سواء امتاز ذلك اشتهوا ومقصود هم ومطلوبهم وما لهم مضلوا وما هم لوسبق الى عقولهم الصنعه
بعد ان كثر هاوجه اشتغال الناس الدنيا خيالات فاسده ما نسبت هذا همهم واخلفت اراؤهم على عدة
اوجه فطايفه عليهم الجبل الغفله فلم يفتح اعينهم للنظر الى عاقبه امرهم فقالوا المقصود ان يصير اباما
في الدنيا فيجتهد حتى يكسب التوف ثم ياكل حتى يقوى على الكسب ثم يكسب حتى ياكل فيا كلون ليكسبوا
ويكسبون ليا كلوا وهذا مذهب البهايم لا من الكلون ومن ليس له تمتع الدنيا وتاهد في الدين فانه يتعب
نهارا ياكل للبا ويا كل البا ليتعب نهارا وذلك كسايس السوائي وهو سفر لا يقطع الا بالموت وطايفه اخرى
زعموا ان المقصود الامور هو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان ليا كل بل ليا كل ليتمتع في الدنيا بل السعاده
من الدنيا من شهوه الدنيا وهي شهوه البطن والفرج فعادوا وتسوا انفسهم وصاروا هم هم في ايباع البهايم
وجمع لذايذ الاطعمه ياكلون كما تاكل الانعام ويطئون اناثا كما ذكر ذلك مقدار كراغايه السعادات
فستعلم ذلك عن الله واليوم الاخر وطايفه طغا ان السعاده في كثره المال والاستغنا بكثره الكنوز
فاسهروا ليلهم والقيها نهارهم في الجمع فيسعون في الاسفار طول الليل والنهار ويتردد ون في الاعمال الشاقه
ويكسبون ويحصون ويا كلون الا قليلا وجوكسهم الذين هم اكثر الخلق وهم الذين ضلوا ضلالا بعيدا
الطامع نفسه ودينه لله ولكل الذين يحبون ان يطلبوا الى افعال ذلك ولا يقتصرون وطايفه ظنوا ان
السعاده في حسن الاسم وانطلاق الالسنه بالثنا والمدح بالفضل والمروه وهم الذين يتصنعون في كسب المعايش ويتفننون
على انفسهم في المطعم والمشرب وغيرهن جميع ما تقدم الى الملابس الحسنه والبيوت الفسيحه وبزخرف ابواب
الدور وما يفتح عليها اصار الناس حتى يقال له غني وان دون فروه ويظنون ان في ذلك هو السعاده فهم منهم
في لباسهم ونفاسهم في مقعد موضع نظر الناس وطايفه اخرى ظنوا ان السعاده في الجاه والكرامه من الناس
وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استمرار الناس الى انطلاقه بطلب الاولايات وتقلد
الاعمال السلطانيه لسعة امورهم فيها على طايفه من الناس ويرون انهم اذا انتشروا بهم وانقادت واطاعت
لهم رقابهم فقد سعدوا واسعادة عظيمه وان ذلك غايه المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتكاثرين
من الناس وهيهات سقط هم حيث تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في امر نفسهم
ومعادهم وهو اهلهم وكاطوايف يطول حصرها من زيد على الف نيف وسبعين فرقه كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن

والتوبه ويجوعه الى المدح بعد الذم استرجع ذلك بني من الدنيا يسير وقال معاويه لعمرابه بن اراد سريم
سيف قومك يا عمرابه قال يا امير المومنين كشاع عرفاهلهم واعظم بسالهم واسعى في جوالهم فمن فعل
مثلي فهو مثلي ومن جاوز في فضائلي ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن عمرابه قد قصر بني وبين في
صنايعه الامور اي اردان اركبه فعقا الذي كان له ذلك فقال لجعفر اما الذلول الظالم وقال الحطيئه احمد
كان بخيلا ان ساء ما حسن اليه جعل له حاجز من قوله يردعه عن مساءته وقال الاحنف من قنع لم يستغن
وكفى بالمرء عيبا ان يرى منه ما هو فيه مثله ومن لم يحلم يغلب ومن لم يحلم يخطى ومن كثر ماله كثر
سقطه ومن كثر همه سقم بدنه ومن ساء خلقه عذب نفسه ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله ومن لم يملك لسانه
ندم ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن يكثر الالتفات يكثر الشتات ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه
قل حياوه ومن قل حياوه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار وقال رجل للملك
ان لي جارا يؤذيني ويضيق علي فقال له اذهب فبع متاعك فلما باعه قال له الملك ما شانك قال ايها الملك
كلما رايت بقعة خيرا من بقعتي ابتعت فيها وقال رجل للاحنف ان فلانا يغتابك فقال ما احب ان
يكافيء من يعصي الله في امري وقال الاحنف ما ندمت على السكوت قط وقال سعد
ارسل اليه فاطمه تخاصم فقال يا رسول الله ارسلي ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافه والنبي صلى الله عليه وسلم
اعنيت عائشه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب يا بنيه فرفعت السهم وضربت بذلك مقتل ما
ابي بكر فمازالت تذكر وانا ساكنه انتظر اين يذر ذلك السهم فقالت بنت ابي بكر وبنت
حتى حف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الجواب فاخرني فسبتها
سبتها ليس المراد به التحسين بل هو الجواب هو كذا فعلما بانها صدق في الكلام وقولها
المتبان ما قالا على ما قالا حتى يعندي المطلوم فانتصر للمظلوم انصارا الى ان يعندي في هذا القدر هو الذي اراه
وهو رخصه في الابتداء وجزاء على ابتدائه السابق ولا يتعدى الرخصه في هذا القدر ولكن اصار فانه خير
الى ما ورائه وهو ان الانتصار على مقدار الجوف به والسكوت عن اصل الجواب لعله اليسر من الشروع في الجواب
والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا
ومنهم من يكظم الغيظ بطي الوقود بطي الجود ومنهم من يكظم الغيظ سريع الوقود سريع
الفيه والغيره ومنهم سريع الوقود بطي الجود وهذا هو الشر ومنهم بطي الوقود وهو الاحمد ما ينبغي الى
ان يرضا منهم ذلك وقال الشاعر وهو رضي الله عنه من استعصب فلم يعصب فهو حمار ومن اسرع الغضب
فليس بشيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات
شتى منهم بطيء الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفي الا وان خيرهم
بطيء الغضب الذي ولما كان الغضب في الجمال القبيح ويوزن في كل انسان

وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يعدي الواجب فانه يكون مستفيدا عيبه
ومرتجا بعده فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راي عمر رضي الله عنه
سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فسبه الرجل فرجع عنه فقال له يا امير المومنين لما انتهكت تركته
لانه اغضبك ولو عزرته لكان ذلك لغضبك ولم اجب ان اضرب مسلما غضبا لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل
اغضبه لو اتيتك اغضبتني لعاقبتك الغيظ في معنى الحقد وتناطه وفضيله الغضب
والدفع اعلم ان الغضب اذا تمكن من القلب تحرك الدم تحريكا شديدا الى الباطن فيحمر لذلك القلب حمرة
شديدة فعند ذلك يظهر في الوجه والعين والاوداج والاطراف من الانتفاخ والحمرة ما يظهر للناظر
عليه استعظاما له وانفة منه والغضب له والغضب لله وقد يكون الغضب لله بلا غضب للنفس
ثمرة الغضب والحقد نيل ما يبدد امورا الاول الحقد وهو ان يطلب لنفسه ما يشفي غيظه وقد يعجز عن ذلك
اصلها وستون مصيدة ان يلتبس به وهذا من فضل الشيطان فيزين في عين المغتاظ ما يشفي غيظه ويسكن
ما في الباطن فيسمى ما يصيده من البلاء الثالث ان يعجز عن الانتقام فيسعى في تعذيب نفسه والم الحزن
وهو وبال يعرض عنه استعاذ الله الخامس ان يشتغل بالانتقام فيترك ما هو اهم عليه من ذكر الله والمعاونة على الطاعة
وغيره السادس ان يحاكمه اسفهاء فيه فيجيبه منه الرابع ان يشتغل بالانتقام فيخجل امام الحكام وغيرهم فيفتضح
بمعنى هذه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكذلك حرام فاذا رجعت للغضبان خذ من ثاب الى نفسه ان
واخر حسب لله فان الى ما يعصي الله به ولكن يستغفر الباطن ويتعوذ من الشيطان ويسكت عن بعضه حتى يسكن عنك
من البشاشة والرقة والغيابة والغياب بحالة الجاسه معه على ذكر الله والمعاونة على الطاعة له اولى ترك
الدعاء والشاعليه والتحريض على ثوابه وسواله ذلك مما يقصر دون ذلك والدين وهو اولى بك وبفضل عظيم وثواب
جزيل فان كان ابو بكر رضي الله عنه لا يتفق على مسلم وكان قريبه ولكن يتعظم في وقته
الافك نزل قوله تعالى ولا يائتل اولوا الفضل منكم والسعه الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر بلى
ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يسعى على مكان يمكنه ان يزيد في الاحسان فهذا هو للنفس فارحات
للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من مقامات المقربين والمطلوب منا اجر العبد الغدر اجرا ان يستوفي حقه
الذي تستحقه من غير زياده وتقصان وهو العدل والثاني ان يعفو ويصلح وذلك هو الفضل فالاول ان يظلم بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اجبار الاول والثاني هو اختيار الصدق بفتح الاول وهو منهي وحقه
الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان فضيلة العفو اعلم ان معنى العفو ان يسقط
فيسقط وتنوي عنه من قصاص او غرامه وهو غير لائم وكظم الغيظ كذلك افردناه وقد قال الله تعالى فمن
العفو وامر بالعرف الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
ان كنت في الثالثة فليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا واعفوا عفر عن مظلمة منع بها وجه الله الا زاده الله بها
عزا يوم القيامه ولا فتح رجل باب مسئله الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها قال صلى الله عليه وسلم ما يزيد العبد
الا فقرا رقمة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا
كثره فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشه ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمه ظلمها قط ما لم
ينتهك من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عفيه عن عائر ليت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فيدريه فاخذت ردائه او قميصه
فاخذ بيدي فقال يا عفيه الا اخبرك بافضل اخلاق الدنيا والاخره تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال
عمر ظلمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا موسى يا رب اي عبادك اعز عليك فقال الذي اذا قدر على عبد ذلك سبل ابو الدرداء
من اعز الناس فقال الذي يعفوا اذا قدر واغفروا يغفر الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمه فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يعفو وارادان ياخذ له بمظلمته فقال عليه السلام ان الظالمين هم المفلسون يوم القيامه فابى ان
ياخذها حتى سمع الحديث وقالت عائشه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامه نادى مناد من تحت العرش ليقم اصحاب الاجر فلا يقوم
الا من عفى عند مقدرة وعن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكه
فتح مكه طاف بالبيت وصلى وكسر ما في الكعبه ثم اخذ بعضادتي الباب فقال ما تظنون قالوا نقول
اخ واب كريم وابن اخ حليم رحيم قال وانا اقول ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء وعن ابي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو ارحم الراحمين وعن انس قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوفى العباد ينادي مناد
ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفى فقيل من ذا الذي اجره على الله قال العافين عن الناس ففاكروا كثيرا وكثرا فاذهم هم
يعبر حساب وقال ابو مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى لولاة امر ان يوتى لحد الا اقامه والله عفو يحب
العفو وقال ابو هريره ونصفها ونصفها الايه وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه ادخل الله الجنه بها
الجنه شاء وزوج من الحور العين حيث شاء ادى دينا خفيا وقرا دبر كل صلاه قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله
قال ابو بكر او احاها عن يا رسول الله قال احدها اهون من الاخر قال ابو هريره قال النبي ان الرجل ليطلبني فاتركه وهذا
احسان وان اراد الله ان يعفو عنه فيضه بمعصيته الله بالظلم وانه يطالب يوم القيامه فلا يكون له جواب وقال
بعضهم ان اراد الله ان يعفو عنا فيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا فقال له عمر
مهما ظلمك فان الله يقول ان اهرقتم دمائكم فيما بينكم وقذفتم بعضها وقال يزيد بن ميسره ان ظالمك يدعوا
بعض ظلمك فان الله يقول ان اهرقتم دمائكم فيما بينكم وقذفتم بعضها وقال يزيد بن ميسره ان ظالمك يدعوا
الى يوم القيامه فليسعدك صوفي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم ابلغ اسرع

عن القلب ... بيان ذم الغضب ... قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار ما ظاهرا وباطنا من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل
ومدح المؤمنين بما انزل عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله موني بشيء واقلل لعلي
اعقله قال لا تغضب ثم اعاد عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اذا بعد من غضب الله قال الشرك بالله قال فما شيء ابعد منه قال قطيعة الرحم قال فما شيء اسرع
فيه من كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من شيء اعظم اجرا عند الله من حلم عند غيظ ولا من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله وقال ابو هريرة قال لي
رجل اوصني قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا قال لا تغضب وقال ابن عمر قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا قال لا تغضب وقال ابن عباس كظم الغيظ وما من
جرعة احب الى الله من جرعة حلم عند مصيبة وما من جرعة اعظم اجرا من جرعة صبر عند مصيبة
وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب فاعادت عليه ان لا
لا استطيع الا اغضب اما انا اسير فما اعتق رقابا قال فما اعتق رقبة خير من اعتاق رقبة قال
كما يصدر الفحل قال فما اعتق رقبة خير من اعتاق رقبة قال لا تغضب وقال ابو هريرة قال
قال الله تعالى ما عبدني عبد بشيء احب الي من ترك الغضب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تغضب ثم قال لا تغضب ثم قال لا تغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان يمضيه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من
اي الحور شاء وقال ابو هريرة قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب وقال
ابو هريرة قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فاعاد مرارا قال لا تغضب وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فينا قالوا الذي لا يصرعه الرجال
قال لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال لا تغضب فاعاد مرارا قال لا تغضب وقال ابن عمر قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال لا تغضب فاعاد مرارا قال لا تغضب وقال ابن عباس كظم الغيظ ان يجد ما يشتفي به ثم يدعه
لله تعالى وقال ابن عباس ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ كظمها رجل ابتغاء وجه الله

فصوته من آيات الشيطان انه لا يعرفه فاسأل الله الاطلاع عليه ويكون الاطلاع عليه رجوان لا مدح رجحا
عند الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم حسبك لو سمعها ما افلح فان كان احدكم مادحا لا محالة
احاه فليقل احسب فلانا والله اعلم ان كان كذلك ولا يزكي على الله احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك منه
المطلبية الى تعرف بالاداء كقوله انه عرف ضالتي فان ذلك حق ولا يمنع ان يخبر بالعرف ان كان اخبر بكسب ما مدحا
وحج ممدوحه امور مستفيضة ومن ذلك قوله انه عرف ضالتي فان ذلك حق ولا يمنع ان يخبر بالعرف ان كان اخبر بكسب ما مدحا
ركبا يمشي على رجل فقال اسامة معه فقال الاعرابي عثرت ناقتي فخر صريعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعضنا ذا مدح الفاسق وقال
الله فذبح المدوح وهو ظالم او فاسق [redacted] الارض قال الظالم الفاسق شفيع ازيد وانجح ذا مدح لبذخ واما المدوح
الحسن بن علي فقال اما بالنسبة فقد اجاب ان يقال الظالم الفاسق شفيع ازيد وانجح ذا مدح لبذخ واما المدوح
فيضره من حيث انه حدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه
الدرة والناس حوله اذا قبل الحارد دقال يا رجل هذا سيد ربعه فسمعها عمر ومر فرفع الدرة وسمعها الجارود فلما دنا منه
حفيفه بالدرة وقال مالي ولك يا امير المؤمنين قال لا والله ما سمعها قال سمعتها قال الله قال حسبت انك خالط فلك
منها شيء فاحبسان ظالم فمك الذي انبته الله اذا انبع عليه بالخير فرح به وحمد الله ورضي عن نفسه ومن اجله سبقه
قال تمدحه وانا منصرف للحمان يوم لنفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك وهذا مال
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت عن ظاهرك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اكا مدحا حارث وجهه
فكأنما اصرت على حلقه موسى ونضاوة قال البصائر لمن مدح رجلا اعرف الرجل عرفك الله وقال المطرف ما سمعت
قط او مدحه الا انها عرف الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحه الا تراى له شيطان
وكصر الموصوف براهم قال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قليل العوام واما ما ذكره المطرف
فذلك قليل الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل يقتله لكان مرتفقا كان خيرا له من ان يثني عليه
وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك ان المذبوح هو الذي لشدة الوجع والمدح يوجب الكبر
اعلان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح فلذلك سميه به قال سلم المدح عرضة الآفات في هذا المادح
والممدوح لم يكره باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال ابو بكر
اعان ابو بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم العب لعبت بما هو اوى بك منه على هذا ولكنه عرف خلقي وصبري
وكانوا الجل ربه من يوردله بكر او عجاد وقد نبل مدح الرجل بقيمة فنهى لما فيه من الكبر والمفاخرة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست قائل هذا مفاخرا كما يفعله الناس بالناس انفسهم
وذلك ان الفخار كان بالله وبفضله من الله لا يكون منه مثله على ولد ادم كما ان المقول عند الملك قولا علما
انما يحمد قوله اياه وبه يفرح لا لتقدمه على بصر عاياه وتتصل هذه الآفات بقدر على الجميع من قدم المرج
وسر الحب عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وحبب لما انواع على البعض المولى وقال لعاهد ان لنا دارا جلسا من الملبه
فاذا ذكر اخاه المسلم لخير عالما الملبه ولكن يمثله واذا ذكره بسوء غالبا لما بعده بما زاد المستور
عوريته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عوريتك فهذه آفات المدح بيان ما على الممدوح
اعلم ان على الممدوح ان يكون كسيد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الغرور بما يجري عليه الا بان يعرف من نفسه
ملا يعرف المادح ولو ان كشفه جميع اسراره وما جرى على خواطره لكفاه المادح عن مدحه وعلمه ان يظهر
كراهة المدح بادار المادح والقيه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب
قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واتى على رجل من الصالحين فقال اللهم انك اعلم بي من نفسي
وانت تعرفني وقال احق ما اتنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون
وقال علي كرم الله وجهه لما اثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا تعلمون مني فان لم اعد لمثله فقد
وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اذا مدحت فقل ما يعلمون مني ولا تقل ما لا اعلم
ما قال الحسن رحمه الله قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن يقدم مشيئة الله على مشيئته
وذلك ان الواو للعطف المطلق تستعمل تارة كالواو وتارة كثم ولهذا لما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله عدلا
قل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قم او اخرج
ان بئس الرجل انت قل ومن يعص الله ورسوله وكان ابو هريرة يقول لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نساءكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي
يقول المملوك ربي وربتي ولا يقل العبد لسيده مولاي فان مولاك الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق
سيدنا فانه ان يك سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا يومئذ فهو شر منه ومن رجع الى الاسلام صادقا فهو خير منه وكان كاذبا فهو كما قال ومن رجع الى الاسلام صادقا هداه الله تعالى ما دام حال الكلام والاعتذار

صره وقد يتأتى جميع ما اوردناه من آيات اللسان هل انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قول
صلى الله عليه وسلم من صمت نجا فان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على قدر النطق فان شئت ان تسلم
من ايلاء وان خاطر نفسه الا ان يراعيه لسانه فيضبطه ويحرسه ويحفظه ويخزنه ولا يطلق الكلام فيما
لا يعنيه عند ذلك وهو مع هذا يحتاج الى ان يتعلم من كل فن ما يتقي به آفاته فنحن نذكر ذلك ان شاء الله تعالى
اعلم ان الكلام في نفسه ينقسم الى ما هو حرام والى ما هو مباح والى ما هو واجب والى ما هو مندوب
ومن هذه الاقسام الاربعة يتركب الاكثر فان الكلام الذي لا حرج فيه ولا فائدة في ذكره نادر
والكلام الذي يتركب من الحرام والواجب والمندوب والمباح كثير جدا فالحاجة الى العلم بالاقسام
الاربعة ليتحرى الانسان الواجب والمندوب ويجتنب الحرام والمكروه ويتوقف في المباح
فنقول اما الواجب فلا سبيل الى معرفته الا بمعرفة العلم فان العلم الذي يجب على كل عبد عينا
هو معرفة الله تعالى بصفاته وافعاله وبعبادته وهذا يتعلق بالقلب واللسان والجوارح
اما القلب فبان يعتقد في الله ما يجب ان يعتقد من الوحدانية والتنزيه عن الشبه والاضداد
والانداد وان يعتقد في صفاته ما يليق بجلاله وكبريائه وان يعتقد في افعاله ان ما اصاب لم يكن
ليخطئه وان ما اخطأ لم يكن ليصيبه وان لا خالق الا هو ولا مدبر سواه وان يعتقد في رسله
وكتبه ما يجب ان يعتقد وهذا يسمى علم اصول الدين وهو فرض عين على كل مكلف
واما اللسان فبان يواظب على كلمة الشهادة ويعلم معناها ويعتقد ما يقتضيه
واما الجوارح فبان يتعلم من الفقه ما يحتاج اليه في اقامة اركان الصلاة والصوم
وسائر العبادات التي يتعلق بها وجوب الاداء وهذا يسمى علم الفروع وهو فرض كفاية
وكل ما يتوقف عليه الواجب فهو واجب فالعلم بالاسباب التي يتوقف عليها الواجب واجب
فان الواجب المطلق لا يتوصل اليه الا بالسبب فالسبب واجب
واما المندوب فهو ان يتعلم من الفقه ما يتعلق بالنوافل وما يتعلق بالعبادات
واما المباح فهو ان يتعلم من الفقه ما يتعلق بالمعاملات التي يحتاج اليها في امر المعاش
واما الحرام فهو ان يتعلم من الفقه ما يتعلق بالربا والغصب والسرقة والخمر والخنزير
واما المكروه فهو ان يتعلم من الفقه ما يتعلق بالمعاملات المشتبهة
واما العلم الذي هو فرض كفاية فكل علم لا يستغني عنه في قوام امر الدنيا كالطب
فانه مهم في حاجة بقاء البدن والحساب فانه مهم في المعاملات والمتاجر والفلاحة
فانها مهمة في الاقوات والحياكة فانها مهمة في الملابس والبيوت والسياسة فانها مهمة
في حفظ النظام بين الناس وكل هذه العلوم مهمة في قوام امور الدنيا
واما العلم الذي هو فرض عين فهو علم طريق الآخرة وهو علم الصفات المهلكة
والمنجية وعلم كيفية تزكية النفس عنها وتطهير القلب منها وهذا هو العلم
الذي كان يطلبه السلف الصالح ويحثون عليه ويرغبون فيه وهو الذي قال فيه
صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا
يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال صلى الله عليه وسلم
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح
يدعو له وقال صلى الله عليه وسلم موت العالم موت العالم وقال صلى الله عليه وسلم
من حفظ على امتي اربعين حديثا مما ينتفعون به بعثه الله يوم القيامة فقيها
وقال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة

MS 3834

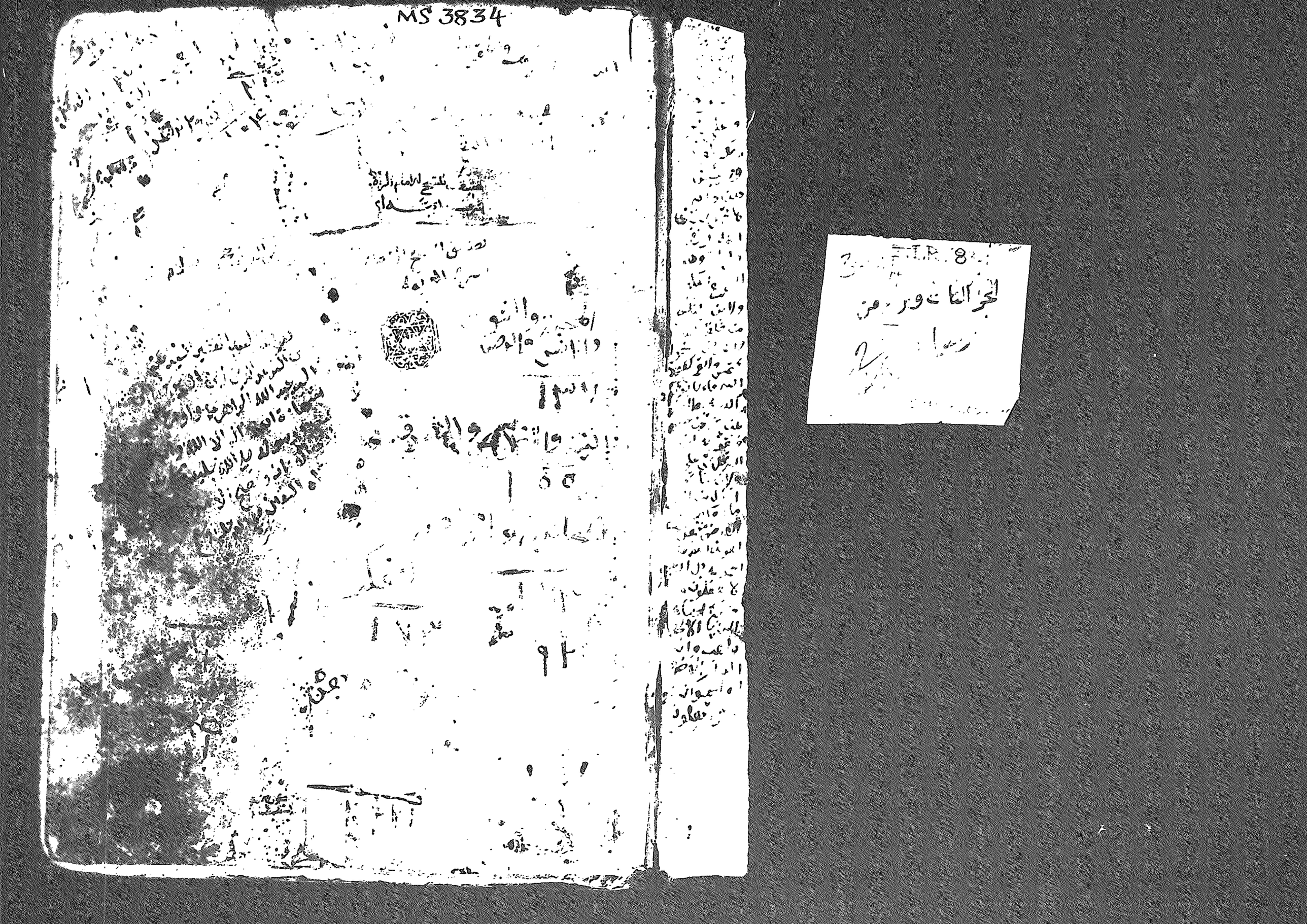

3834 834

الجزء الثالث والرابع من

الوصايا

207 folios.

3834

IḤYĀ ʿULŪM AL-DĪN, by Abū Ḥāmid AL-GHAZĀLĪ (d. 505/1111).

[Part of the third and the fourth quarters of the famous Ṣūfī treatise; see Nos. 3353, 3376, 3429, 3827.]

Foll. 207. 23·7 × 16·2 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 6/12th century.

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة

لامناء مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ايرلندا

This microfilm is copyright. It shall not be published
or printed without the permission of the Trustees of
The Chester Beatty Library & Gallery of Oriental Art
20, Shrewsbury Rd., Dublin 4, Republic of Ireland.

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS
16 04 1979
5 cm